

المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم  
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة  
كلية الدعوة وأصول الدين  
الجمعية العلمية السعودية  
لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب



العدد ١٨ - السَّنة التاسعة - محرَّم ١٤٣٨ هـ

جميع حقوق الطبع محفوظة  
لمجلة الدراسات العقديّة

ردمك: ١٦٥٨-٥١٦X

رقم الإيداع: ١٤٣٠/ ٧٦١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عنوان المراسلات:

تكون المراسلات باسم مدير التحرير

جوال: ٠٥٥٢٥٣٤٢٨٢

هاتف: ٠١٤٨٤٧١١٥٥

فاكس: ٠١٤٨٤٧٣٠٧٦

البريد الالكتروني

[aqeedaamm@gmail.com](mailto:aqeedaamm@gmail.com)

## تعريف بالمجلة

مجلة الدراسات العقديّة: مجلة علمية محكمة تصدر عن الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، بإشراف الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، تختصّ بنشر البحوث والدراسات العلمية المتخصصة في حقل علوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب الفكرية؛ يتولّى تحريرها هيئة علمية مختصة مكونة من عددٍ من أساتذة جامعيّين، تجيز نشر البحث بموافقة اثنين من المختصّين، صدر أول عدد من المجلة في محرّم ١٤٣٠هـ، وتصدر دورياً بواقع عددين سنوياً.



## قواعد النشر في مجلة الدراسات العقديّة

تلتزم المجلة في نشر المواد العلمية بالقواعد الآتية:

- ١ - أن لا تكون منشورة ولا مقدمة للنشر في جهة أخرى.
- ٢ - أن تكون خاصة بالمجلة.
- ٣ - أن تكون أصيلة من حيث الجدة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ٤ - أن تراعى فيها قواعد البحث العلمي الأصيل ومنهجيته.
- ٥ - أن تكون في مجال تخصص الجمعية.
- ٦ - أن لا تكون أجزاء من بحوث مستفيضة قد تمّ نشرها للباحث، ولا أجزاء من رسالته العلمية في (الدكتوراه) أو (الماجستير).
- ٧ - أن تكون مطبوعة على قرص حاسب آلي.
- ٨ - أن لا يزيد عدد صفحاتها عن مائة صفحة للإصدار الواحد، ولا يقل عن عشر صفحات، ولهيئة تحرير المجلة الاستثناء عند الضرورة.
- ٩ - أن تصدر بنبذة مختصرة - لا تزيد عن نصف صفحة - للتعريف بها.
- ١٠ - أن يُرافقها نبذة مختصرة عن صاحبها تبين عمله وعنوانه وأهم أعماله العلمية.
- ١١ - أن يُقدّم صاحبها خمس نسخ منها.

١٢- تقدم المادة العلمية مطبوعة وفق المواصفات الفنية التالية:

أ- البرنامج: الورد  $xp$  أو ما يماثله.

ب- نوع الحرف: *Lotus Linotype*.

ج- نوع حرف الآيات القرآنية على النحو التالي: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

د- مقياس الصفحة الكلي: ١٢ سم × ٢٠ سم = (إعداد الصفحة:

٥ أعلى، ٤.٧٥ أسفل، ٤.٥ أيسر وأيمن).

هـ- حرف المتن: ١٦ غير مسود.

و- حرف الحواشي السفلى: ١٢ غير مسود.

ز- رأس الصفحة: ١٢ أسود.

ح- العنوان الرئيسي: ١٨ أسود.

ط- العنوان الجانبي: ١٦ أسود.

١٣- أن يقدم البحث في صورته النهائية في ثلاث نسخ، منها نسختان

قرصان مستقلان، ونسخة على ورق.

١٤- لا تلتزم المجلة بإعادة البحوث إلى أصحابها، نشرت أم لم تنشر.

١٥- يعطى الباحث ثلاث نسخ من العدد المنشور فيه بحثه

+١٥ مستلّة منه.

# مَجَلَّةُ الدِّرَاسَاتِ الْعَقْدِيَّةِ

## هيئة التحرير

رئيس التحرير:

أ.د. صالح بن محمد العقيل

مدير التحرير:

د. بدر بن مقبل الظفيري

الأعضاء:

أ.د. يوسف بن محمد السعيد

أ.د. عبد القادر بن محمد عطا صوفي

أ.د. سامي بن علي القليطي

د. محمد باكريم محمد با عبد الله

أمين المجلة:

غَزْمَنَدُ عَمْرٍ مَهْمَتِي

**المواد المنشورة**

**في المجلة**

**تعبّر عن آراء أصحابها**

## محتويات العدد

| الموضوع   | الصفحة |
|---|--------|
| ❖ الفروق بين الشرك والكفر والنفاق والكبائر                        |        |
| د. أحمد سردار محمد شيخ .....                                      | ١٣     |
| ❖ الفأل والشؤم: المفهوم - تطبيقات وتفسيرات خاطئة - دراسة عقديّة - |        |
| د. طارق بن سعيد بن عبد الله القحطاني .....                        | ١٣٧    |
| ❖ الإيمان بالحوض المورود والمسائل العقديّة المتعلقة به            |        |
| د. محمد تيقمونيّن .....   | ٢٦٣    |
| ❖ الأصول المنهجية للطرق الصوفية                                   |        |
| د. سليمان بن صفية .....   | ٣٣٩    |
| ❖ الأناشيد الشيعية: دراسة تحليلية نقدية                           |        |
| د. ندى بنت حمزة خياط .....  | ٤٢٥    |
| ❖ الشعوبية نشأتها وتطورها وأثارها على الأمة الإسلامية             |        |
| د. جازي بن بخيت الجهني .....                                      | ٥١٣    |



# الفروق بين الشرك والكفر والنفاق والكبائر

د. أحمد سردار محمد شيخ

أكاديمي باكستاني، أستاذ مساعد، جامعة جازان،  
كلية الشريعة والقانون



## ملخص البحث

نهى الله عباده عن الشرك والكفر والنفاق والعصيان، وحذّرهم منها، وجاءت النصوص في الكتاب والسنة مبيّنة حدود هذه الأسماء؛ حتى لا يدخل فيها ما ليس منها، ولا يخرج منها ما هو داخل فيها، كما بيّنت ما يخالفها ويضادها أو يختلف معها ويفترق عنها؛ فيُلحق النظير بنظيره ويعتبر الشيء بمثله، ويفرّق بين المختلفين ولا يسوّى أحدهما بالآخر.

ويأتي هذا البحث لبيان ما دل عليه الكتاب والسنة وبيّنه أهل العلم من الفروق بين الشرك والكفر والنفاق والكبائر، وذلك في مبحثين:

فالمبحث الأول في تعريف الشرك والكفر والنفاق والكبائر، وبيان أقسامها، واشتمل على أربعة مطالب، كل مطلب منها في التعريف بأحد هذه الأسماء وبيان أقسامها وحكم كل قسم.

وجاء المبحث الثاني في بيان الفروق بين الشرك والكفر والنفاق والكبائر. وذلك في ستة مطالب، كل مطلب فيه بيان الفروق بين اسم وآخر من هذه الأسماء، مع بيان الأدلة وذكر كلام أهل العلم.

وختم البحث بذكر أهم نتائجه.

د. أحمد سردار محمد شيخ

asms-dr@windowslive.com

In the name of Allah, the most Compassionate, the most Merciful  
***The Differences between Polytheism, Disbelief, Hypocrisy  
and Great Sins***

***Written by: Dr. Ahmed Sardar Muhammad Shaykh***

*Pakistani Academic, Assistant Professor, in University of  
Jizan, in the Faculty of Sharia and Law*

***Abstract***

*Allah prohibited His servants from polytheism, disbelief, hypocrisy and disobedience and warned them against it. The evidences in the Quran and the Sunnah explained the true definitions of these names so they could be clearly distinguished. The evidences also explained what opposed these things and contradicted them.*

*This essay was written to explain what the Quran and the Sunnah verified about these issues and what the Scholars said about the differences between polytheism, disbelief, hypocrisy and the great sins.*

*The essay was divided in two chapters:*

*The first chapter defined and explained the categories of polytheism, disbelief, hypocrisy and big sins. This chapter was divided into four topics. Every topic defined one of these names, explained its categories and the ruling of each category.*

*The second chapter explained the differences between polytheism, disbelief, hypocrisy and big sins. That chapter was divided into six topics. Every topic explained the difference between these names with evidences and the statements of the scholars.*

*The essay was ended by mentioning its most important results.*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فإن أعظم ما أمر الله به عباده، وحثهم عليه، ورجبهم فيه: التوحيد والإيمان. وأعظم ما نهاهم عنه، وحذرهم منه، وكرّههم فيه: الشرك والكفر والنفاق والعصيان.

وجاءت رسالة محمد ﷺ مقرّرة ذلك أعظم تقرير وآكده وأشفاه، ومبينة له أتم بيان وأوضحه وأجله، وعلى ذلك سار صحابة رسول الله الأختيار، فتابعوهم الأبرار، ثم أئمة الهدى ومصايح الدجى من أولى العلم والأبصار.

وإن من أهم ما يُدرّك به ما أمر الله به أو نهى عنه:

- معرفة حدوده وحقيقته: قال شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(١)</sup>: «وهذه الحدود

(١) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي، الإمام العالم العلم العلامة الفقيه الحافظ الزاهد العابد المجاهد القدوة شيخ الإسلام، تقي الدين، أبو العباس، ولد سنة (٦٦١هـ)، كان إماماً في التفسير والفقّه والحديث والأصول والفروع

معرفتها من الدين، في كل لفظ هو في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ثم قد تكون معرفتها فرض عين، وقد تكون فرض كفاية، ولهذا ذم الله تعالى من لم يعرف هذه الحدود بقوله تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٧] (١).

وقال ابن القيم (٢): «فمن أشرف العلوم وأنفعها علم الحدود، ولا سيما حدود المشروع؛ المأمور والمنهي، فأعلم الناس أعلمهم بتلك الحدود، حتى لا يدخل فيها ما ليس منها، ولا يخرج منها ما هو داخل فيها... فأعدل الناس من قام بحدود الأخلاق والأعمال والمشروعات معرفةً وفعلاً» (٣).

- معرفة ما يخالفه ويضاده، أو يختلف معه ويفترق عنه: فإن شريعة الله - تبارك وتعالى - استقرت على التسوية بين المتماثلين، وإلحاق النظير بنظيره، واعتبار الشيء بمثله، والتفريق بين المختلفين، وعدم تسوية أحدهما بالآخر.

والنحو واللغة والعلوم العقلية والنقلية، توفي سنة (٧٢٨هـ). انظر: البداية والنهاية

(١٣٥ / ١٤ - ١٣٩).

(١) الرد على المنطقيين ص (٤٩).

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، ابن القيم، الإمام العلامة شمس الدين، ولد سنة

(٦٩١هـ)، وسمع الحديث واشتغل بالعلم وبرع في علوم متعددة لا سيما علم التفسير

والحديث والأصلين، ولازم شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن مات، توفي سنة (٧٥١هـ).

انظر: البداية والنهاية (١٤ / ٢٣٤ - ٢٣٥).

(٣) الفوائد ص (١٤١).

وقد ركز الله في فطرّ الناس وعقولهم التسوية بين المتماثلين، وإنكارَ التفريق بينهما.

وفرق - سبحانه - في آياتٍ كثيرةٍ بين أهل الحق والباطل، وأهل الطاعة والمعصية، وأهل البرّ والفجور<sup>(١)</sup>.

وانطلاقاً من ذلك: يأتي هذا البحث لدراسة الفروق بين جوامع ما نهى الله عنه وأشدّه إثماً وجرماً، وهي: الشرك، والكفر، والنفاق، والكبائر. وقد سمّيته:

«الفروق بين الشرك والكفر والنفاق والكبائر».

### خطة البحث:

قسمت البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

أما المقدمة: فهي هذه.

وأما المبحثان: فهما:

المبحث الأول: تعريف الشرك والكفر والنفاق والكبائر، وبيان أقسامها.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الشرك لغة وشرعاً، وبيان أقسامه.

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٦١) (١٠/ ١٦١ - ١٦٢)، إعلام

الموقعين (١/ ١٣٠ - ١٣٣، ١٩٥ - ١٩٦).

المطلب الثاني: تعريف الكفر لغة وشرعاً، وبيان أقسامه.

المطلب الثالث: تعريف النفاق لغة وشرعاً، وبيان أقسامه.

المطلب الرابع: تعريف الكبائر لغة وشرعاً، وبيان أقسامها.

المبحث الثاني: الفرق بين الشرك والكفر والنفاق والكبائر.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الفرق بين الشرك والكفر.

المطلب الثاني: الفرق بين الشرك والنفاق.

المطلب الثالث: الفرق بين الشرك والكبائر.

المطلب الرابع: الفرق بين الكفر والنفاق.

المطلب الخامس: الفرق بين الكفر والكبائر.

المطلب السادس: الفرق بين النفاق والكبائر.

وأما الخاتمة: فذكرت فيها أهم نتائج البحث.

وذكرت آخر البحث مصادره ومراجعته، وفهرس عناوينه.

منهج البحث:

١ - عزو الآيات القرآنية إلى أماكنها في القرآن بذكر اسم السورة ورقم

الآية.

٢- تخريج الأحاديث بذكر الجزء والصفحة ورقم الحديث، وما كان منها في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما أو إلى أحدهما، وما كان في غيرهما ذكرت من أخرجه دون استيعاب مع ذكر الحكم على الحديث من أقوال أهل العلم.

٣- نسبة الأقوال إلى أصحابها في المصادر الأصيلة، مع تحليلها إن اقتضى الأمر ذلك.

٤- الترجمة للأعلام الذين نقلت أقوالهم في البحث، إلا المعاصرين ومن كان في حكمهم.

هذا؛ وإنني لأحمد الله على أن كتب لي العمل في هذا الموضوع الممتع الرائق، كما أسأله سبحانه من واسع فضله، وعظيم عطائه، وأن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه، وأستغفره - سبحانه - لما يكون فيه من خطأ أو زلل، فالخطأ والقصور من طبيعة البشر.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## تهييد

امتنَّ الله على عباده المؤمنين فقال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]، فامتن عليهم بأنه يحبب الإيمان إلى نفوسهم، ويزينه في قلوبهم، بما يودعه في قلوبهم من محبة الحق وإيثاره، وبما ينصب على الحق من الشواهد والأدلة الدالة على صحته، وقبول القلوب والفطر له، وبما يفعله تعالى بهم من توفيقه إياهم للإجابة إليه، وبأنه سبحانه يكره إليهم الكفر والفسوق (أي: الذنوب الكبار) والعصيان (وهو ما دون ذلك من الذنوب)، بما يودعه في قلوبهم من كراهة الشر وعدم إرادة فعله، وبما ينصبه من الأدلة والشواهد على فساده، وعدم قبول الفطر له، وبما يجعله الله من الكراهة في القلوب له، ووصف سبحانه المتّصفين بذلك بأنهم هم الراشدون الذين صلحت علومهم وأعمالهم، واستقاموا على الدين القويم والصرراط المستقيم<sup>(١)</sup>.

وكراهة العبد لما حرّمه الله من الكفر - وكذا: الشرك والنفاق - والكبائر تتفاوت قوة وضعفاً لعدة أسباب؛ من أعظمها وأهمّها: العلم بحقائقها الشرعية، وما تشتمل عليه أو يترتب عليها من المفسد العظيمة في الدين والدنيا والآخرة، وكذلك: ما يفترق به كل واحد منها عن غيره، فكلما كانت معرفة العبد المسلم بذلك أتمّ كانت كراهته لها أعظم وأشدّ، إذ العلم بذلك يزيد بصيرة المؤمن بها، فيورثه البعد عنها والحذر

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/٢٥٣ - ٢٥٤)، تفسير ابن سعدي ص (٨٠٠).

منها والسلامة - بإذن الله - من الوقوع فيها.

قال محمد بن نصر المروزي<sup>(١)</sup> رَحِمَهُ اللهُ: «لما كانت المعاصي بعضها كفر، وبعضها ليس بكفر، فرّق بينها، فجعلها ثلاثة أنواع: نوع منها كفر، ونوع منها فسوق وليس بكفر، ونوع عصيان وليس بكفر ولا فسوق، وأخبر أنه كَرَّهها كلها إلى المؤمنين، ولما كانت الطاعات كلها داخلة في الإيمان، وليس فيها شيء خارج عنه، لم يفرق بينها فيقول: حُبب إليكم الإيمان والفرائض وسائر الطاعات؛ بل أجمل ذلك فقال: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ فدخل في ذلك جميع الطاعات؛ لأنه قد حُبب إلى المؤمنين الصلاة والزكاة وسائر الطاعات حب تدين...، يكرهون جميع المعاصي؛ الكفر منها والفسوق، وسائر المعاصي كراهة تدين؛ لأن الله أخبر أنه كره ذلك إليهم»<sup>(٢)</sup>.

كما أن العلم بالفروق بين الشرك والكفر والنفاق والكبائر يُكسب العبد المسلم بصيرة من جانب آخر، وهو جانب التعامل مع الناس، فيكون تعامله مع من وقع في شيء منها مبنياً على أساس راسخ وأصل متين ينطلق فيه من نصوص الكتاب والسنة وما بيّنه السلف وأهل العلم، فيكون عادلاً في

(١) محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، شيخ الإسلام، أبو عبد الله الحافظ، مولده سنة (٢٠٢هـ)، برع في علوم الإسلام، وكان إماماً مجتهداً علامة، من أعلم أهل زمانه باختلاف الصحابة والتابعين، توفي سنة (٢٩٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٣ - ٤٠).

(٢) تعظيم قدر الصلاة للمروزي (١/ ٣٦٢).

أفعاله وتصرفاته، وتكون أحكامه سالمة - بإذن الله - من الإفراط والتفريط.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الكفر والفسق أحكام شرعية، ليس ذلك من الأحكام التي يستقل بها العقل، فالكافر من جعله الله ورسوله كافراً، والفاسق من جعله الله ورسوله فاسقاً، كما أن المؤمن والمسلم من جعله الله ورسوله مؤمناً ومسلماً، والعدل من جعله الله ورسوله عدلاً، والمعصوم الدم من جعله الله ورسوله معصوم الدم... والمستحق للموالاتة والمعاداة من جعله الله ورسوله مستحقاً للموالاتة والمعاداة، والحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، والدين ما شرعه الله ورسوله، فهذه المسائل كلها ثابتة بالشرع... وإذا كان كذلك فكون الرجل مؤمناً وكافراً وعدلاً وفسقاً هو من المسائل الشرعية، لا من المسائل العقلية»<sup>(١)</sup>.

ومن ثم بدأت في هذا البحث بالتعريف بالحقائق الشرعية للشرك والكفر والنفاق والكبائر، وبيان ما أراده الله ورسوله بها، ثم شرعت بعد ذلك في دراسة الفروق بينها.

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ٩٢ - ٩٣).

## المبحث الأول

### تعريف الشرك والكفر والنفاق والكبائر، وبيان أقسامها

لما كان موضوع البحث هو بيان ودراسة الفروق بين الشرك والكفر والنفاق والكبائر؛ كان من الأليق قبل الشروع في ذلك: التعريف بها وبيان حقائقها اللغوية والشرعية وذكر أقسامها؛ إذ بذلك تتحقق عدة فوائد مهمة، منها:

الأولى - أن معرفة ما يفترق به الشيء عن الآخر لا تتحقق على الوجه الصحيح إلا بعد معرفة حقيقة كلّ واحدٍ منهما.

الثانية - أن تصوّر أقسام كلّ من: الشرك والكفر والنفاق والكبائر، يتبيّن به ما يمكن أن تتشابه فيه بعض هذه الأسماء الشرعية مع بعض، وهذا من أعظم ما يعين على معرفة ما تتداخل فيه أو تفترق وتتمايز.

الثالثة - أن العلم بالحقائق الشرعية للشرك والكفر والنفاق والكبائر وبأقسامها؛ هو الذي ييسّر ويعين على معرفة الفروق بينها؛ إذ الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

وسيكون الحديث في المطالب الأربعة التالية عن التعريف اللغوي لكلّ من: الشرك والكفر والنفاق والكبائر، ثم التعريف الشرعي، ثم بيان العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى والشرعي، ثم بيان الأقسام.

## المطلب الأول تعريف الشرك لغةً وشرعاً وبيان أقسامه

### □ تعريف الشرك لغةً:

الشُّرك لغةً:

• إما: مصدر الفعل (شَرِك) - من باب (تَعَب) -، يقال: «شَرِكْتَهُ - في الأمر - أَشْرَكَهُ، شَرِكَا وشَرِكَةً»، فالأصل في المصدر هو (شَرِك)، ثم خُفِّفَ بكسر الأول وسكون الثاني فقيّل: (شَرِك)، واستعمال المخفَّف أغلب، فيقال: (شَرِك)، و(شَرِكَة).

هذا ما ذهب إليه جمع من أهل اللغة<sup>(١)</sup>.

وذهب آخرون إلى أنه اسم مصدر للفعل الثلاثي المجرد (شَرِك)، لا مصدر<sup>(٢)</sup>.

• وإما: اسم مصدر للأفعال الثلاثية المزيدة التالية: (أَشْرَكَ، شَارَكَ، إِشْتَرَكَ، تَشَارَكَ)، يقال: «أَشْرَكَ بِاللَّهِ شَرِكًا»، و«شَارَكَهُ، وَتَشَارَكَ، وَاشْتَرَكَ: شَرِكًا»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: المصباح المنير ص(١٦٢).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/٤٦٦)، لسان العرب (١٠/٤٤٨)، القاموس المحيط ص(١٢٢٠).

(٣) انظر: المصباح المنير ص(١٦٢)، لسان العرب (١٠/٤٤٩)، القاموس المحيط ص(١٢٢٠).

• وإما: بمعنى اسم الفاعل، فد(الشَّرْكُ): هو الشَّرِيكُ والمُشَارِكُ<sup>(١)</sup>.

• وإما: بمعنى الحصة والنصيب<sup>(٢)</sup>، من باب التسمية بالمصدر<sup>(٣)</sup>.

وأصل مادة هذه الكلمة -وهي: الشين والراء والكاف-: مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلَيْنِ:

أحدهما: يدل على مقارنة وخلاف انفراد، ومنه: الشَّرْكَةُ؛ أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما.

والثاني: يدل على امتداد واستقامة. ومنه: شرك الصائد؛ سمي بذلك لامتداده<sup>(٤)</sup>.

ومن أهل اللغة والعلم من ذهب إلى أن مادة (شرك) ترجع إلى معنى واحد، وهو: الخلط.

قال الراغب الأصفهاني<sup>(٥)</sup>: «الشركة والمشاركة: خلط الملكين، وقيل: هو أن يوجد شيء لاثنتين فصاعداً؛ عيناً كان ذلك الشيء أو معنى»<sup>(٦)</sup>،

(١) انظر: المصادر السابقة.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/٤٦٧)، لسان العرب (١٠/٤٤٩)، القاموس المحيط ص(١٢٢٠).

(٣) انظر: المغرب في ترتيب المعرب (١/٤٤١).

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة (٣/٢٦٥).

(٥) الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بالراغب، العلامة الماهر والمحقق الباهر، كان من أذكى المتكلمين، كان في أوائل المائة الخامسة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/١٢٠ - ١٢١)، بغية الوعاة (٢/٢٩٧).

(٦) مفردات ألفاظ القرآن ص(٤٥١).

«وعبارة الراغب الثانية في شرح الشركة أعم من الأولى؛ لأن كون الشيء لاثنين يشمل ما كان لهما ملكاً - كالمال -، أو وصفاً - كالبياض -، أو جزءاً ذاتياً - كالحيوانية -»<sup>(١)</sup>.

وقال الكفوي<sup>(٢)</sup>: «الشركة: هي عبارة عن اختلاط النصيين فصاعداً؛ بحيث لا يعرف أحد النصيين من الآخر»<sup>(٣)</sup>.

وقال المناوي<sup>(٤)</sup>: «الشركة: لغة: اختلاط نصيين فصاعداً لا متزاج واجتماع»<sup>(٥)</sup>، وقال: «الشَّرْك: ما يصاد به الوحش، وأصله من الشَّرْكَة؛ لأن الصيد يخالطه فيلزمه»<sup>(٦)</sup>.

ويلحظ من تعريف المناوي أنه أضاف إلى (الخلط) معنى آخر هو (الاجتماع)، وهذا ما ذهب إليه الميلي<sup>(٧)</sup>، فقال: «مرجع مادة الشرك إلى

(١) الشرك ومظاهره ص (١٠٢).

(٢) أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء، كان من قضاة الأحناف، وولي القضاء في تركيا والقدس وبغداد، توفي سنة (١٠٩٤هـ). انظر: الأعلام (٣٨/٢).

(٣) الكليات ص (٥٣٧).

(٤) محمد عبدالرؤوف الحدادي ثم المناوي القاهري، من كبار العلماء بالدين والفنون، وانزوى للبحث والتصنيف، من مصنفاة: التيسير في شرح الجامع الصغير والتوقيف على مهمات التعاريف وغيرها، توفي سنة (١٠٣١هـ). انظر: الأعلام (٢٠٤/٦).

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف (١/٤٢٩).

(٦) المصدر السابق.

(٧) مبارك بن محمد الميلي الجزائري، ولد سنة (١٨٩٨م) تقريباً، مؤرخ الجزائر، كانت له جهوده العظيمة المباركة في نشر التوحيد والتحذير من الشرك تدريجاً ونشراً وتحريراً في

الخلط والضم»، ثم يبيّن كيفية رجوع المعاني اللغوية التي ذكرها أهل اللغة في مادة (ش رك) إلى معنى الخلط والضم، فقال:

«فإذا كان بمعنى الحصّة من الشيء يكون لواحد وباقيه لآخر أو آخرين...؛ فالشريك مخالط لشريكه، وحصته منضمة لنصيب الآخر.

وإذا كان بمعنى الحَبَالَة؛ فإن ما يقع فيها من الحيوان يختلط بها، وينضم إلى ملك الصائد.

وإذا كان بمعنى معظم الطريق؛ فإن أرجل السائرين وأقدام الماشين تختلط آثارها هنالك، وينضم بعضها إلى بعض.

وإذا كان بمعنى سير النعل؛ فإن النعل تنضم إلى الرجل فيختلط بينهما<sup>(١)</sup>. فهذا هو المعنى اللغوي العام لمادة (ش رك)، وأبرز المعاني التي تندرج فيه، وبذلك يلحظ أن هذه المادة لا بد فيها من وجود أمرين:

الأول: أن (الشرك) لا بد أن يكون بين شيئين فصاعداً.

الثاني: أن (الشرك) لا بد فيه من وجود أمر مشترك بين ذينك الشيين، ثم إن الأمر:

• قد يكون حسيّاً - كالمال والطريق -، وقد يكون معنويّاً - كاللون

الصحف، وتولى أمانة مال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، توفي سنة (١٩٤٥م).

انظر: مقدمة كتاب الشرك ومظاهره ص (١٣ - ٢٦).

(١) الشرك ومظاهره ص (١٠٣).

والحلية-.

- وقد يتميز بين المشتركين فيه؛ فيعرف القدر الذي يختص به كل واحد منهما، وقد لا يتميز؛ فيكون بينهما على جهة الشيع.
- وقد يكون متساوياً في الشيين اللذين اشتركا فيه، وقد لا يكون كذلك، فيكون في أحدهما أقل من الآخر أو أكثر.
- وقد يكون مشتركاً بين الشيين أصالة، وقد يكون عارضاً؛ إما اتفاقاً أو بالجعل والتصيير.

#### □ تعريف الشرك شرعاً:

الشرك ضد التوحيد، ولما كان التوحيد هو: إفراد الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله، ونفي الشركاء والأنداد عنه اعتقاداً وعملاً على الوجه الذي جاء به الوحي الإلهي على السنة الرسل عليهم السلام<sup>(١)</sup>؛ فإن الشرك مناقض أشد المناقضة لذلك، فالشرك:

- فيه منازعة الله -تبارك وتعالى- في تفرده ووحدانيته؛ بأن يجعل له شريك وند وكفاء ونظير، ويعدل به غيره.
- وفيه اعتداء على خصائص الله -تبارك وتعالى- التي لا يستحقها إلا هو سبحانه؛ بأن يُصَرَفَ منها حظ وحصّة ونصيب لغيره.

وعلى هذا المعنى جاءت عبارات أهل العلم في تعريف الشرك، وفيما

(١) انظر: منهج القرآن في دعوة المشركين إلى الإسلام (١/٤٩).

يأتي ذكر بعضها:

١. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أصل الشرك أن تعدل بالله مخلوقاته في بعض ما يستحق وحده»<sup>(١)</sup>.

٢. وقال أيضاً: «فمن عدل بالله غيره في شيء من خصائصه - سبحانه وتعالى - فهو مشرك»<sup>(٢)</sup>.

٣. وقال ابن القيم: «أن يجعل لله عدلاً بغيره في اللفظ أو القصد أو الاعتقاد»<sup>(٣)</sup>.

٤. وقال ابن سعدي: «حقيقة الشرك بالله: أن يُعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يُعظّم كما يعظم الله، أو يُصرّف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية»<sup>(٤)</sup>.

٥. وقال أ. د. عبد الله الجبرين: «أن يتخذ العبد لله ندّاً يسويه به في ربوبيته، أو ألوهيته، أو أسمائه وصفاته»<sup>(٥)</sup>.

فهذه بعض تعريفات أهل العلم للشرك، ويلحظ أنها - وإن اختلف بعضها عن بعضها في التعبيرات - فهي متفقة في مضمونها وحقيقتها ومدلولها.

(١) الاستقامة (١/ ٣٤٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ١٩).

(٣) إعلام الموقعين (١/ ٤١٣).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٤٩٩).

(٥) تسهيل العقيدة الإسلامية ص (١٥٠).

### □ العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي:

من خلال التعريف الشرعي للشرك تظهر العلاقة بينه وبين التعريف اللغوي واضحة وطيدة:

▪ فالله - سبحانه وتعالى - واحد أحد، والمشرك لم يؤمن بهذه الوجدانية، فجعل الله شريكاً ونداً وعدلاً، فأشرك معه غيره.

▪ والمشرك جعل بين الله ومن أشرك به معه شيئاً يشتركان فيه مما هو من خصائص الله سبحانه.

- ثم إن هذا الشيء المشترك الذي افتراه المشرك قد يكون حسيماً؛ كالذبح والطواف والسجود، وقد يكون معنوياً؛ كالحب والرجاء والخوف.

- وقد يكون الشرك واقعاً في قدر معين، وقد يكون في أكثر من جانب، بحيث يكون شائعاً. مثال كونه في قدر معين: من أشرك بالله غيره في الحلف. ومثال كونه شائعاً: ما نراه من مشركي الرافضة الذين أشركوا بالله أئمتهم الاثني عشر، حتى لا تكاد تعرف الفرق - عندهم - بين خصائص الله وما صرفوه لأئمتهم.

- وقد يكون المشرك قد سوى بين الله وغيره تسوية تستلزم التساوي بينهما، وقد يكون غير مساو بينهما من كل وجه.

مثال الأول: شرك عبدة الشمس والنار والكواكب.

ومثال الثاني: شرك من جعل بينه وبين الله وسائط، فهو لا يدعي أنه يساويهم بالله من كل وجه.

- وهذا الشيء المشترك إنما افتراه المشرك واختلقه، ولم ينزل الله به من سلطان، بل الله سبحانه لا شريك له ولا ند بوجه من الوجوه، وله الوجدانية المطلقة.

### □ أقسام الشرك:

عني أهل العلم ببيان أقسام الشرك عناية فائقة؛ وذلك لعظيم جرمه وضرره وخطره، ولذا تعددت طرقهم في تقسيمه، وذلك بحسب اجتهاد كل منهم، وبحسب المتعلّق الذي اعتبروه في التقسيم، وأورد -ههنا- أشهر تلك التقسيمات<sup>(١)</sup>:

#### أولاً- التقسيم الثنائي:

من أهل العلم من قسم الشرك إلى قسمين:

#### ١- الشرك الأكبر:

قال الشيخ ابن سعدي: «هو أن يجعل لله ندّاً يدعو كما يدعو الله، أو يخافه، أو يرجوه أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعاً من أنواع العبادة»<sup>(٢)</sup>.

وقال: «حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده: أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله. فكل اعتقاد أو قول أو

(١) ويراجع كتاب: الشرك في القديم والحديث (١/١٣٨ - ١٤٠). وانظر أيضاً: الكواشف الجلية ص (١٨٦ - ١٨٧).

(٢) القول السديد في مقاصد التوحيد - ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات ابن سعدي - (٣/١٤ - ١٥).

عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر<sup>(١)</sup>.

وهذا القسم له أربعة أنواع:

أ. شرك الدعاء.

ب. شرك النية والإرادة والقصد.

ج. شرك المحبة.

د. شرك الطاعة<sup>(٢)</sup>.

والشرك الأكبر: أعظم ذنب عصي الله به، وصاحبه خارج من ملة الإسلام، حلال الدم والمال، يحرم أن يتزوج بمسلمة، كما يحرم أن يتزوج المسلم بمشركة، ولا يقبل الله منه عملاً، وإن مات على الشرك لم يغسل، ولم يكفن، ولم يصل عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يغفره الله له ما دام قد مات عليه ولم يتب منه، وهو في الآخرة خالد مخلد في النار، محرم عليه دخول الجنة<sup>(٣)</sup>.

٢- الشرك الأصغر:

قال العلامة ابن سعدي: «حد الشرك الأصغر: هو كل وسيلة وذريعة

(١) المصدر السابق (٣/ ٢١).

(٢) انظر: الكواشف الجلية ص: (١٨٦ - ١٨٧).

(٣) انظر: تسهيل العقيدة الإسلامية ص (١٥٠ - ١٥٢)، بعض أنواع الشرك الأصغر ص:

(١٠ - ١١).

يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة<sup>(١)</sup>.

وفي فتاوى اللجنة الدائمة: «كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر، ووسيلة للوقوع فيه، وجاء في النصوص تسميته شركاً»<sup>(٢)</sup>.

وهذا القسم نوعان<sup>(٣)</sup>:

الأول: الشرك في النيات والمقاصد. وتحتة صنفان:

١- الرياء.

٢- إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

الثاني: الشرك في الألفاظ. وتحتة ثلاثة أصناف:

١- الحلف بغير الله دون أن يقصد بقلبه تعظيم المخلوق به مثل تعظيم الله.

٢- قول: (ما شاء الله وشئت)، و(لولا الله وأنت)، ونحوهما، دون أن

يقوم بقلبه التسوية بين الله وذلك الذي عطفه عليه.

٣- إسناد بعض الحوادث إلى غير الله - عز وجل - من أسبابها القربية،

كسبّ الدهر، وقول: (مطرنا بنوء كذا وكذا).

وقسمه بعض أهل العلم إلى ثلاثة أنواع:

(١) القول السديد ص: (٢١).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (١/٥١٧).

(٣) انظر: بعض أنواع الشرك الأصغر ص (١٥ - ٥١).

الأول: الشرك في العبادات القلبية: ومنه: الرياء، وإرادة الإنسان بعمله الدنيا، والاعتماد على الأسباب، والتطير.

الثاني: الشرك في الأفعال: ومنه: الرقى الشركية، والتمايم الشركية.

الثالث: الشرك في العبادات القولية: ومنه: الحلف بغير الله، والتشريك بين الله وبين أحد من خلقه بالواو، والاستسقاء بالأنواء<sup>(١)</sup>.

وهذا الشرك -أعني: الشرك الأصغر-: كبيرة من كبائر الذنوب، بل هو أكبر الذنوب بعد الشرك الأكبر، وقد يؤول ويفضي بصاحبه إلى الشرك الأكبر، كما أن منه ما يبطل العمل الذي قارنه -كالرياء-، حتى إن صاحبه يعد بمثابة من لم يعمله أصلاً، إضافة إلى الجرم الكبير، والإثم العظيم الذي لحقه<sup>(٢)</sup>.

والفرق بين كل من الشرك الأكبر والشرك الأصغر<sup>(٣)</sup>:

١ - أن الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه.

٢ - الأكبر مخرج عن الملة الإسلامية، وأما الأصغر فلا يخرج منها.

٣ - أن الأكبر لا يغفره الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر فتحت المشيئة، ومن أهل العلم من ذهب إلى أن الأصغر لا يدخل تحت المشيئة، ولا يغفره الله إلا بالتوبة، وصاحبه لا بد أن يدخل النار مع أنه لا يخلد فيها.

(١) انظر: تسهيل العقيدة الإسلامية ص (٣٦٥ - ٤٣٦).

(٢) انظر: المصدر السابق ص: (٣٦٢ - ٣٦٤)، بعض أنواع الشرك الأصغر ص (١٢ - ١٤).

(٣) انظر: الكواشف الجليلة ص (١٨٧).

٤ - أن الشرك الأكبر صاحبه خالد مخلد في النار، وأما الأصغر فلا يخلد في النار إن دخلها كسائر مرتكبي الكبائر<sup>(١)</sup>.

### ثانياً- التقسيم الثلاثي:

ومن أهل العلم من قسم الشرك إلى ثلاثة أقسام؛ وهؤلاء طائفتان:

الأولى: من قسم الشرك إلى:

١. الشرك الأكبر.

٢. الشرك الأصغر.

٣. الشرك الخفي، وهو: «الشرك في الإيرادات والنيات، كالرياء، والسمعة»<sup>(٢)</sup>.

فيلاحظ أنه أفرد نوعاً من أنواع الشرك الأصغر التي سبق ذكرها في التقسيم السابق بقسم مستقل.

والصواب: أن الشرك الخفي ليس قسمًا ثالثًا، بل هو من الشرك الأكبر أو الأصغر، وذلك لأمرين:

١ - أن من الشرك الأصغر ما هو خفي؛ لأنه يقوم بالقلوب. وكذا من جهة أن حكمه الشرعي قد يكون خفيًا بالنسبة إلى بعض الناس.

٢ - أن كون الشرك خفيًا لا يلزم منه أن يكون من الشرك الأصغر؛ فإن

(١) انظر: الكواشف الجلية ص (١٨٧)، القول المفيد (١/ ١١٠ - ١١١).

(٢) عقيدة التوحيد ص (٩٧).

النفق خفي في القلوب، وهو مع ذلك شرك أكبر.

فظهر بذلك أن الشرك الخفي لا يخرج عن الشرك الأكبر والأصغر<sup>(١)</sup>.

الطائفة الثانية: من قسم الشرك باعتبار وقوعه في أقسام التوحيد الثلاثة، فالأقسام عنده:

١. شرك في الربوبية: وهو أن يجعل لغير الله معه نصيباً فيما هو من خصائص الربوبية، كالمملك أو التدبير أو الخلق أو الرزق، على سبيل الاستقلال.

٢. شرك في الألوهية: وهو اعتقاد أن غير الله يستحق العبادة، أو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله.

٣. شرك في الأسماء والصفات: وهو أن يجعل لله - سبحانه - مماثلاً في شيء من أسمائه أو صفاته، أو يصفه سبحانه بشيء من صفات خلقه<sup>(٢)</sup>.



(١) انظر: مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز (١/ ٣٤ - ٥٧).

(٢) انظر: الشرك في القديم والحديث (١/ ١٣٨ - ١٦٠).

## المطلب الثاني تعريف الكفر لغة وشرعاً وبيان أقسامه

### □ تعريف الكفر لغة:

الكفر: مصدر الفعل (كفر) الثلاثي المجرد، يقال: (كفر، يكفر، ويكفر، كُفراً، وكفوراً، وكفراناً)<sup>(١)</sup>، واسم الفاعل منه: (كافر)، وجمعه: (كُفّار وكَفَرَة)، إلا أن الأغلب والأكثر هو استعمال (الكُفْر) و(الكُفّار) في «الدين»، واستعمال (الكفران) و(الكفرة) في «كفران النعمة»<sup>(٢)</sup>.

وأصل مادة هذه الكلمة (الكاف والفاء والراء)، وهو: «أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية»<sup>(٣)</sup>.

هذا ما نص عليه جمع من أهل اللغة، ومنهم من قيد ذلك فقال: «أصل الكفر: تغطية الشيء تغطية تستهلكه»<sup>(٤)</sup>.

فكل من ستر شيئاً وغطاه فقد (كَفَرَه) و(كَفَّرَه)، ومن ذلك:

(١) انظر: لسان العرب (٥/ ١٤٤، ١٤٧)، القاموس المحيط ص(٦٠٥)، وذكر أن المصدر قد يفتح فيقال: (الكُفْر)، و صوب الفيومي في المصباح المنير ص(٢٧٦) أن مضارع (كفر) هو (يكفُر) دون (يكفِر).

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص(٧١٤ - ٧١٦).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٥/ ١٩١).

(٤) النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٨٧)، لسان العرب (٥/ ١٤٥).

- (الكافر): الزَّرَاع؛ لستره البذر في الأرض.
- ويقال للَّيل المظلم: (كافر)؛ لأنه يستر بظلمته كل شيء.
- والبحر والنهر العظيم يقال لهما: (كافر)؛ لسترهما ما فيهما<sup>(١)</sup>.
- وقد اختلف أهل اللغة هل اسم الفاعل (كافر) باق على أصله، بمعنى: الذي وقع منه الستر والتغطية، أو هو بمعنى اسم المفعول، أي: مغطَّى عليه؟ وسيأتي لذلك مزيد بيان عند بيان العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي.

### □ تعريف الكفر شرعاً:

- الكفر في الشرع له إطلاقات من حيث الجملة<sup>(٢)</sup>:
- الأول: إطلاقه مراداً به كفران النعمة.
- وقد عرفه أهل العلم بعدة تعريفات، منها:
- «جحد المنعم، وترك الشكر على النعم، وترك القيام بالحقوق»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٥/ ١٩١)، مفردات ألفاظ القرآن ص (٧١٤)، لسان العرب (٥/ ١٤٤، ١٤٧، ١٤٨).

(٢) جرى عمل أهل اللغة على إرجاع إطلاقات الكفر في الشرع إلى هذين الإطالقين، فاعتمدت تقسيمهم في ذلك. انظر: العين (٥/ ٣٥٦)، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص (٣٧٩ - ٣٨٢)، النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٨٦ - ١٨٧)، معجم مقاييس اللغة (٥/ ١٩١)، مفردات ألفاظ القرآن ص (٧١٤ - ٧١٦)، لسان العرب (٥/ ١٤٤ - ١٤٧).

(٣) المفهم (١/ ٢٥٣).

- «جحد النعم والحقوق وسترها»<sup>(١)</sup>.
- «ستر نعمة المنعم بالجحود أو بعمل هو كالجحود في مخالفة المنعم»<sup>(٢)</sup>.

- «ستر نعمة المنعم بترك أداء شكرها»<sup>(٣)</sup>.

الثاني: إطلاقه في الدين، مراداً به ما يقابل الإيمان.

ومن تعريفات أهل العلم له:

- «هو في الدين صفة من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان به - بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه - بقلبه دون لسانه، أو بلسانه دون قلبه، أو بهما معاً، أو عمل عملاً جاء النص بأنه مخرج له بذلك من اسم الإيمان»<sup>(٤)</sup>.

- «عدم الإيمان بالله ورسله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب، أو إعراض عن هذا كله حسداً أو كبراً، أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة»<sup>(٥)</sup>.

(١) إكمال المعلم (١/ ٤٣٨١).

(٢) التعريفات ص (٢٣٧).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (١/ ٦٠٦).

(٤) الأحكام (١/ ٤٩). وكذا: لو ترك عملاً جاء النص بأن تركه له كفر، كترك الصلاة.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/ ٣٣٥).

• «الكفر وإن اختلفت شعبه فيجمعه خصلتان: تكذيب الرسول في خبره، وعدم الانقياد لأمره»<sup>(١)</sup>.

وقد أرجع جمع من أهل اللغة هذا الإطلاق إلى الإطلاق الأول، قالوا: إن الكافر بالله سَمِّي كافرًا؛ لأنه ستر نعم الله عز وجل، وذلك أن الكافر لما دعاه الله إلى توحيدهِ فقد دعاه إلى نعمة، وأحبها له إذا أجابه إلى ما دعاه إليه، فلما أبى ما دعاه إليه من توحيدهِ كان كافرًا نعمة الله، أي: مغطيًا لها بإبائه، حاجبًا لها عنه<sup>(٢)</sup>.

وأيضًا: فإن من نعم الله آياته الدالة على توحيدهِ، التي أبانت لذوي التمييز أن خالقها واحد لا شريك له، وكذلك إرساله الرسل بالآيات المعجزة والكتب المنزلة والبراهين الواضحة نعمة منه ظاهرة، فمن لم يصدّق بها وردّها فقد كفر نعمة الله، أي: سترها وحجبها عن نفسه<sup>(٣)</sup>.

### □ العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي:

اختلف أهل العلم في تحديد حقيقة العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي - بعد اتفاقهم على أن أصل العلاقة هو الستر والتغطية -:

• فقيل: لأن الكافر يستر الحق ويغطيه<sup>(٤)</sup>.

(١) أحكام أهل الذمة (٢/٤٥١).

(٢) انظر: لسان العرب (٥/١٤٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (٥/١٤٧).

(٤) وهو قول ابن فارس: معجم مقاييس اللغة (٥/١٩١)، والنووي: تحرير ألفاظ التنبيه

- وقيل: لأن الكافر قد ستر نعم الله عليه، كما سبق ذكره قريباً<sup>(١)</sup>.
- وقيل: لأن الكفر غطى قلب الكافر كله. فيكون (الكافر) -على هذا- بمعنى اسم المفعول<sup>(٢)</sup>.

### □ أقسام الكفر:

يقسم أهل العلم الكفر -مراداً به ما يقابل الإيمان- إلى قسمين:

الأول: الكفر الأكبر.

ومن تعريفات أهل العلم له:

- «الكافر -على الإطلاق-: متعارف فيمن يجحد الوجدانية، أو النبوة، أو الشريعة، أو ثلاثها»<sup>(٣)</sup>.
- «الكفر: عدم الإيمان باتفاق المسلمين، سواء اعتقد نقيضه وتكلم به، أو لم يعتقد شيئاً ولم يتكلم»<sup>(٤)</sup>.

---

ص (٤١١)، والقونوي: أنيس الفقهاء ص (١٧٤) وزاد: أنه «ستر للحق بالباطل».

(١) انظر ص (١٨)، وهو قول الأزهرى كما في تهذيب اللغة (١٠/١١٢)، والجوهري كما في الصحاح (٣/٣٧٢).

(٢) وهو قول الليث وابن دريد، انظر: لسان العرب (٥/١٤٤، ١٤٥)، وأبي عبيد القاسم بن سلام: غريب الحديث (٣/١٣).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن الكريم ص (٧١٤ - ٧١٥).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٠/٨٦).

- «هو الكفر الاعتقادي المنافي لقول القلب وعمله، أو لأحدهما»<sup>(١)</sup>.
  - «اعتقادات وأقوال وأفعال حكم الشارع بأنها تناقض الإيمان»<sup>(٢)</sup>.
- وهذا القسم ذكر أهل العلم أن له عدة أقسام، وأول من وقفت على أنه ذكر للكفر أقساماً: سعيد بن جبير<sup>(٣)</sup> - فيما ذكر عنه -، فقد كتب إليه عبد الملك بن مروان يسأله عن الكفر فقال: «الكفر على وجوه: فكفر هو شرك يتخذ مع الله إلهاً آخر، وكفر بكتاب الله ورسوله، وكفر بادعاء ولد لله، وكفر مُدَّعي الإسلام، وهو أن يعمل أعمالاً بغير ما أنزل الله، ويسعى في الأرض فساداً، ويقتل نفساً محرّمة بغير حق، ثم نحو ذلك من الأعمال كفران: أحدهما كفر نعمة الله، والآخر التكذيب بالله»<sup>(٤)</sup>.

كما أن تقسيم الكفر الأكبر قد عني به أهل اللغة<sup>(٥)</sup>، كما عني به علماء العقيدة.

(١) أعلام السنة المنشورة ص (١٤٧).

(٢) تسهيل العقيدة الإسلامية ص (١٩٨).

(٣) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الكوفي، أبو محمد، الإمام التابعي الحافظ المقرئ المفسر، أحد الأعلام، ولد في خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان من أئمة التابعين، قتله الحجاج صبراً سنة (٩٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٢٠٨ - ٣٤٢)، تهذيب التهذيب (٩/٢ - ١١).

(٤) تهذيب اللغة (١٠/١١١).

(٥) ومنهم: الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين (٥/٣٥٦)، والأزهري: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، ص (٣٨٠ - ٣٨٢)، وابن الأثير: النهاية في غريب الحديث (٤/١٨٦).

وفيما يأتي ذكر أقسام الكفر الأكبر<sup>(١)</sup>.

١. كفر الإنكار والتكذيب.

٢. كفر الشك والظن.

٣. كفر الامتناع والاستكبار.

٤. كفر السب والاستهزاء.

٥. كفر البغض.

٦. كفر الإعراض.

٧. كفر النفاق.

٨. الكفر بموالاتة الكافرين.

القسم الثاني من أقسام الكفر: الكفر الأصغر.

ومن تعريفات أهل العلم له:

• «الرجل يقرُّ بالتوحيد والنبوة ويعتقدهما، وهو مع ذلك يعمل أعمالاً بغير ما أنزل الله؛ من السعي في الأرض بالفساد، وقتل النفس المحرمة، وركوب الفواحش، ومنازعة الأمر أهله، وشق عصا المسلمين، والقول في القرآن وصفات الله تعالى بخلاف ما عليه أئمة المسلمين، وأعلام الهدى، والراسخون في العلم؛ بالتأويلات المستكرهة، واعتماد المرء والجدل»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: أعلام السنة المنشورة ص (١٤٨ - ١٤٩)، تسهيل العقيدة الإسلامية ص (٢٠٣ -

٢٣٣).

(٢) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص (٣٨١).

- «قد يقال: كفر؛ لمن أخل بالشريعة، وترك ما لزمه من شكر الله عليه»<sup>(١)</sup>.
- «الكفر بفرع من فروع الإيمان»<sup>(٢)</sup>.
- «هو الكفر العملي الذي لا يناقض قول القلب ولا عمله، ولا يستلزم ذلك»<sup>(٣)</sup>.

- «هو كل معصية أطلق عليها الشارع اسم الكفر مع بقاء اسم الإيمان على عامله»<sup>(٤)</sup>.

وهذا القسم من الكفر ليس له أقسام، ولكن كل ذنب ورد في الكتاب والسنة تسميته كفراً - وهو لا يصل إلى حد الكفر الأكبر - فهو من الكفر الأصغر، ومن أمثلته: قتال المسلم لأخيه المسلم، والطعن في الأنساب، والنياحة على الميت، وهروب العبد عن سيده، وانتساب المرء إلى غير أبيه...، ونحو ذلك<sup>(٥)</sup>.

والكفر الأكبر والأصغر حكمهما مثل حكم الشرك الأكبر والأصغر، وقد سبق ذكر ذلك بما يغني عن إعادته هنا<sup>(٦)</sup>، كما سبق ذكر الفروق بين

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص (٧١٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث (١٨٦/٤).

(٣) أعلام السنة المنشورة (١٤٧).

(٤) المصدر السابق ص (١٤٩).

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث (١٨٦/٤ - ١٨٧)، أعلام السنة المنشورة ص (١٤٩) -

(١٥١)، تسهيل العقيدة الإسلامية ص (٤٤٥ - ٤٤٩).

(٦) انظر: ص (١٢ - ١٤).

الشرك الأكبر والأصغر<sup>(١)</sup>، وهي نفسها فروق بين الكفر الأكبر والأصغر، إلا أن الكفر الأصغر تحت المشيئة قولاً واحداً لأهل السنة.

قال ابن قتيبة<sup>(٢)</sup> رَحِمَهُ اللهُ: «الكفر عندنا صنفان: أحدهما: الكفر بالأصل؛ كالكفر بالله تعالى، أو يرسله، أو ملائكته، أو كتبه، أو بالبعث، وهذا هو الأصل الذي من كفر بشيء منه فقد خرج عن جملة المسلمين، فإن مات لم يرثه ذو قرابته المسلم، ولم يصل عليه.

والآخر الكفر بفرع من الفروع على تأويل؛ كالكفر بالقدر، والإنكار للمسح على الخفين، وترك إيقاع الطلاق الثلاث، وأشباه هذا. وهذا لا يخرج به عن الإسلام ولا يقال لمن كفر بشيء منه كافر»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: ص (١٤ - ١٥).

(٢) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، العلامة الكبير ذو الفنون، كان ثقة ديناً فاضلاً رأساً في علم اللسان العربي والأخبار وأيام الناس، توفي سنة (٢٧٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/٢٩٦ - ٣٠٢).

(٣) تأويل مختلف الحديث ص (١٢٠). ويُشكّل ذكره رَحِمَهُ اللهُ الكفر بالقدر على أنه كفر بفرع من الفروع، مع أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان الستة، ولعله يقصد نحو ما وقعت فيه المعتزلة من إنكار مرتبتين من مراتب القدر بالتأويل الباطل وهما المشيئة والخلق، حيث ذهبت إلى إنكار هاتين المرتبتين، وقالوا: إن العباد هم الخالقون لأفعالهم.

## المطلب الثالث

### تعريف النفاق لغة وشرعاً

### وبيان أقسامه

#### □ تعريف النفاق لغة:

النفاق: مصدر الفعل (نفاق) الثلاثي المزيد بالألف، يقال: (نفاق، ينافق، نفاقاً ومنافقة)<sup>(١)</sup>.

وأصل مادته (النون، والفاء، والقاف)، وهو «أصلان صحيحان: يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه، والآخر على إخفاء شيء وإغماضه...، ويمكن أن يكون الأصل في الباب واحد<sup>(٢)</sup>، وهو الخروج<sup>(٣)</sup>. فمن الأول: (نفقت الدابة، تنفق، نفوقاً): ماتت، و(نفق البيع ينفق، نفاقاً): راج، وذلك أنه يمضي فلا يكسد ولا يقف، و(نفق - ماله - ونفق، ينفق، وينفق، نفقاً ونفقاً ونفاقاً): نفذ وفني وذهب<sup>(٤)</sup>. وجمع ذلك الراغب بقوله: «نفق الشيء: مضى ونفد...؛ إما بالبيع...، وإما بالموت...، وإما بالفناء»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: العين (٥/١٧٨)، النهاية في غريب الحديث (٥/٩٨)، لسان العرب (١٠/٣٥٩).

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: (واحد) خبر «كان».

(٣) معجم مقاييس اللغة (٥/٤٥٤ - ٤٥٥).

(٤) انظر: المصدر السابق (٥/٤٥٤)، لسان العرب (١٠/٣٥٧ - ٣٥٨)، المصباح المنير

ص: (٣١٨)، القاموس المحيط ص (١١٩٥).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن ص (٨١٩).

ومن الأصل الثاني:

النَّفَق، وهو: سرب في الأرض له مخلص إلى مكان<sup>(١)</sup>، وعبر بعض أهل اللغة بقوله: «سرب في الأرض يكون له مخرج من موضع آخر»<sup>(٢)</sup>.

ومنه: (نَفَقَ - اليربوع - ونَفِقَ، يَنْفُقُ، وينفُقُ، ونافَقَ، ونَفَقَ، وانتَفَقَ): خرج من نافِقَائِهِ<sup>(٣)</sup>.

وذلك أن اليربوع يحفر حفيرة - يقال لها: القُصَعَة والقاصِعاء -، ثم يسد بابها بترابها - وهذا التراب يسمى الدَّامَاءَ -، ثم يحفر حفرة أخرى - يقال لها النُّفَقَة والنَّفَق، والنَّافِقَاءَ - ولا ينفذها، ولكن يحفرها حتى ترق، فإذا طلب أو فزع أو أخذ عليه من قاصعائه عدا إلى النافقاء، وضربها برأسه، ومرق منها.

وتراب النافقاء يقال له: الرَّاهِطَاءُ<sup>(٤)</sup>.

### □ تعريف النفاق شرعاً:

(النفاق): «اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به...»

(١) انظر: العين (٥/١٧٧)، معجم مقاييس اللغة (٥/٤٥٥)، لسان العرب (١٠/٣٥٨)، القاموس المحيط ص (١١٩٦).

(٢) المصباح المنير ص (٣١٨).

(٣) انظر: العين (٥/١٧٨)، غريب الحديث لأبي عبيد (٣/١٣)، غريب الحديث لابن قتيبة (١/٢٥٠)، لسان العرب (١٠/٣٥٨ - ٣٥٩)، القاموس المحيط ص: (١١٩٦).

(٤) انظر: العين (٥/١٧٨)، غريب الحديث لأبي عبيد (٣/١٣)، غريب الحديث لابن قتيبة (١/٢٤٩ - ٢٥٠)، معجم مقاييس اللغة (٥/٤٥٥)، النهاية في غريب الحديث (٥/٩٨)، لسان العرب (١٠/٣٥٨ - ٣٥٩)، القاموس المحيط ص: (١١٩٥).

وإن كان أصله في اللغة معروفاً»<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم: «إن في القرآن ألفاظاً استعملت في معان لم تكن تعرفها العرب، وهي الأسماء الشرعية؛ كالصلاة، والزكاة، والصيام، والاعتكاف، ونحوها، والأسماء الدينية؛ كالإسلام، والإيمان، والكفر، والنفاق، ونحوها»<sup>(٢)</sup>.

ولأهل العلم في تعريف النفاق عبارات عديدة، إلا أنها تتفق في أن النفاق هو ستر شيء وإظهار خلافه<sup>(٣)</sup>، ومن تعبيراتهم:

• قال الحسن البصري<sup>(٤)</sup>: «من النفاق: اختلاف اللسان والقلب، واختلاف السر والعلانية، واختلاف الدخول والخروج»<sup>(٥)</sup>.

ونحوه قول ابن جريج<sup>(٦)</sup>: «المنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته،

(١) النهاية في غريب الحديث (٩٨/٥).

(٢) الصواعق المرسله (٧٥٣/٢).

(٣) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٣٦/٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٩٥/١)، معجم مقاييس اللغة (٤٥٥/٥).

(٤) الحسن بن أبي الحسن (يسار) البصري، أبو سعيد مولى الأنصار، ولد لستين بقيتا من خلافة عمر، ورأى علياً وطلحة وعائشة، وروى عن خلق كثير من الصحابة والتابعين، وكان جامعاً عالمًا رفيعاً فقيهاً ثقة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً وسيماً، توفي سنة (١١٠هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٣٨٨/١ - ٣٩١).

(٥) صفة النفاق ص (٥٤).

(٦) عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريج، أبو خالد وأبو الوليد، القرشي الأموي المكي، الإمام العلامة الحافظ شيخ الحرم، صاحب التصانيف وأول من دون العلم بمكة، وكان من

ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه»<sup>(١)</sup>.

• وقال الطبري<sup>(٢)</sup>: «معنى النفاق إنما هو إظهار المرء بلسانه قولاً ما هو مستبطن خلافه»<sup>(٣)</sup>.

• وقال ابن كثير<sup>(٤)</sup>: «هو إظهار الخير، وإسرار الشر»<sup>(٥)</sup>.

ونحوه قول ابن سعدي: «هو إظهار الخير، وإبطان الشر»<sup>(٦)</sup>.

### □ العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي:

اختلف أهل اللغة والعلم في المآخذ اللغوي الذي يرجع إليه المعنى الشرعي للنفاق على قولين:

بحور العلم، مات سنة (١٥٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٦/٣٢٦ - ٣٣٦).

(١) جامع البيان (١/١١٦ - ١١٧).

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر، الطبري، الإمام العلم عالم العصر صاحب التصانيف البديعة، مولده سنة (٢٢٤هـ)، كان من أفراد الدهر علماً وذكاء وكثرة تصانيف، قل أن ترى العيون مثله، وكان من كبار أئمة الاجتهاد، وجمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، توفي سنة (٣١٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/٢٦٧ - ٢٨٢).

(٣) تهذيب الآثار (٢/١٧٢).

(٤) إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء، الإمام المفتي المحدث البارع، فقيه متفنن، محدث متقن، مفسر، ولد سنة (٧٠٠هـ) أو بعدها بيسير، اشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله، سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها الناس بعد وفاته، توفي سنة (٧٧٤هـ). انظر: الدرر الكامنة (١/٤٤٥ - ٤٤٦).

(٥) تفسير القرآن العظيم (١/٤٨).

(٦) تيسير الكريم الرحمن (١/٤٧).

الأول: أن النفاق (النفاق الشرعي) مأخوذ من (النَّفَق)؛ فكما أن النفاق سرب في الأرض يستتر فيه فكذلك المنافق يستتر كفره.

ذكر هذا القول أبو عبيد القاسم بن سلام<sup>(١)</sup>، وابن الأثير<sup>(٢)</sup> بصيغة التمريض.

الثاني: أنه مأخوذ من (نافقاء اليربوع). وعلى هذا جمهور أهل العلم واللغة.

ثم اختلف هؤلاء في تحديد حقيقة العلاقة ومعناها على أقوال عديدة، منها:

١ - أن اليربوع يدخل في القاصعاء، ويخرج من النافقاء؛ فهكذا يفعل المنافق؛ يدخل في الإسلام، ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه<sup>(٣)</sup>.

٢ - كما أن اليربوع يدخل من باب، ويخرج من باب؛ فكذلك المنافق: يدخل في الإسلام بلفظه، ويخرج منه بعقده<sup>(٤)</sup>. ولعل هذا القول قريب من

(١) غريب الحديث (٣/١٤). وهو: القاسم بن سلام بن عبدالله، أبو عبيد، الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون، ولد سنة (١٥٧هـ)، كان ديناً ورعاً كبير الشأن، من علماء بغداد المحذّين النحويين ورواة اللغة والغريب والعلماء بالقراءات ومن أئمة الاجتهاد، توفي سنة (٢٢٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/٤٩٠ - ٥٠٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٥/٩٨). وهو: المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري ثم الموصللي، ابن الأثير، الكاتب، ولد سنة (٥٤٤هـ)، قرأ الحديث والعلم والأدب، وكان ورعاً عاقلاً ذا بر وإحسان، وكان رئيساً مشاوراً، توفي سنة (٦٠٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/٤٨٩ - ٤٩١).

(٣) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (٣/١٣)، غريب الحديث لابن الجوزي (٢/٤٢٧).

(٤) غريب الحديث لابن قتيبة (١/٢٥٠).

القول السابق.

٣- كما أن ظاهر جحر اليربوع (وهو النافقاء) تراب، وباطنه حفر؛  
فكذلك المنافق: ظاهره إيمان، وباطنه كفر<sup>(١)</sup>.

٤- اليربوع إذا أُتِيَ من القاصعاء خرج من النافقاء في خفية، وكذلك  
المنافق: كأن الإيمان يخرج منه، أو يخرج هو من الإيمان في خفاء<sup>(٢)</sup>.

### □ أقسام النفاق:

قسّم أهل العلم النفاق إلى قسمين:

الأول: النفاق الأكبر الاعتقادي:

وقد اتفق أهل العلم على أنه إظهار الإسلام وإبطان الكفر، واختلفت  
عباراتهم في ذلك؛ ومنها:

• قال الإمام أحمد: «أن يكفر بالله ويعبد غيره، ويظهر الإسلام في  
العلاية»<sup>(٣)</sup>.

• وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي<sup>(٤)</sup>: «أن يؤمن بلسانه، والقلب

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/١٩٥).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٥/٤٥٥).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٨٢).

(٤) الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن، الفراهيدي البصري، الإمام صاحب العربية ومنشئ  
علم العروض، أحد الأعلام، ولد سنة (١٠٠هـ)، كان رأساً في لسان العرب، ديناً ورعاً  
قانعاً متواضعاً كبير الشأن مفرط الذكاء، مات سنة بضع وستين ومائة. انظر: سير أعلام  
=

كافر»<sup>(١)</sup>. ونحوه قول الأزهرى<sup>(٢)</sup>: «أن يقر بلسانه، ويكفر بقلبه»<sup>(٣)</sup>. ونحوه لابن الأثير أيضاً<sup>(٤)</sup>.

• وقال الشيخ حافظ حكيمي: «هو ما كان بعدم تصديق القلب وعمله، مع الانقياد ظاهراً؛ رثاء الناس»<sup>(٥)</sup>.

• وقال الأستاذ الدكتور عبد الله الجبرين: «أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه»<sup>(٦)</sup>.

والنفاق الأكبر الاعتقادي له أعمال يستدل بها عليه - ويسميتها بعض أهل العلم: أنواع النفاق الأكبر -؛ ومنها:

١. الاستهزاء بالله وبرسوله وبالقرآن.

٢. سب الله تعالى، أو سب رسوله ﷺ، أو تكذيبهما.

النبلاء (٧/ ٤٢٩ - ٤٣١).

(١) العين (٥/ ٣٥٦).

(٢) محمد بن أحمد بن الأزهر، أبو منصور، الأزهرى الهروي اللغوي الشافعي، العلامة، كان رأساً في اللغة والفقاه ثقة ثبتاً ديناً، مات سنة (٣٧٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣١٥ - ٣١٧).

(٣) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي (١/ ٣٨١).

(٤) النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٨٦).

(٥) أعلام السنة المنشورة ص (١٤٩).

(٦) تسهيل العقيدة الإسلامية ص (٢٥٢).

٣. الإعراض عن دين الإسلام، وعييه، والعمل على إبعاد الناس عنه، وعلى عدم التحاكم إليه.
٤. التحاكم إلى الكفار، والحرص على تطبيق قوانينهم؛ مفضلاً لها على حكم الله.
٥. اعتقاد صحة المذاهب الهدامة، والدعوة إليها مع معرفة حقيقتها.
٦. مناصرة الكفار ومعاونتهم على المسلمين.
٧. إظهار الفرح والاستبشار عند انتصار الكفار، وعندما يصيب المسلمين هزيمة أو أي ضرر.
٨. سب العلماء والمصلحين، وجميع المؤمنين الصادقين، وعيبيهم؛ بغضاً لهم ولدعوتهم، ولدينهم.
٩. مدح أهل الكفر، ومدح مفكريهم، ونشر آرائهم المخالفة للإسلام<sup>(١)</sup>.

### الثاني من أقسام النفاق: النفاق الأصغر العملي:

وقد عرفه أهل العلم بعدة تعريفات؛ منها:

- «ترك المحافظة على حدود أمور الدين سراً، ومراعاتها علناً»<sup>(٢)</sup>.
- «اختلاف السر والعلانية في الواجبات»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: تسهيل العقيدة الإسلامية ص: (٢٥٣ - ٢٥٧).

(٢) شرح السنة (١/٧٦).

(٣) مجموع الفتاوى (١١/١٤٠).

- «هو أن يظهر الإنسان علانية صالحته، ويبطن ما يخالف ذلك»<sup>(١)</sup>.
- «أن يظهر الإنسان أمراً مشروعاً، ويبطن أمراً محرماً يخالف ما أظهره»<sup>(٢)</sup>.

والنفاق الأصغر له خصال؛ منها<sup>(٣)</sup>:

١. أن يكذب في كلامه متعمداً، ومن يسمع كلامه مصدق له.
  ٢. أن يعد وفي نيته وقت الوعد أن لا يفي به.
  ٣. الرياء في الأعمال الصالحة<sup>(٤)</sup>.
  ٤. إعراض المسلم عن الجهاد، وعدم تحديث نفسه به.
  ٥. بغض الأنصار.
  ٦. بغض الخليفة الراشد علي بن أبي طالب عليه السلام.
- وحكم كل من النفاق الأكبر والأصغر هو حكم الكفر الأكبر والأصغر. وإنما سمي النفاق الأكبر: (اعتقاديًا)؛ لأنه في أصل الاعتقاد. وسمي النفاق الأصغر: (عمليًا)؛ لأنه في الأعمال الظاهرة، لا في أصل

(١) جامع العلوم والحكم (٢/٤٨١).

(٢) تسهيل العقيدة الإسلامية ص: (٤٥٣).

(٣) انظر: تسهيل العقيدة الإسلامية ص (٤٥٦ - ٤٦٣).

(٤) انظر: غريب الحديث لابن قتيبة (١/٤٥٣)، الفائق في غريب الحديث للزمخشري

الاعتقاد<sup>(١)</sup>، فالمراد بالعملية: «العملية المحض الذي لم يستلزم الاعتقاد، ولم يناقض قول القلب ولا عمله»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>: «وقد أخبرناك أن المنافق هو من أظهر شيئاً وأبطن خلافه...، وهذه الخلال كلها التي ذكرها رسول الله ﷺ كلها باطن صاحبها بخلاف ما يظهر، فهو منافق هذا النوع من النفاق. وليس هو النفاق الذي يبطن صاحبه الكفر بالله، برهان ذلك: ما ذكرناه آنفاً من إجماع الأمة على أخذ زكاة مال كل من وصف رسول الله ﷺ بالنفاق، وعلى إنكاحه، ونكاحها -إن كانت امرأة-، وموارثته، وأكل ذبيحته، وتركه يصلي مع المسلمين، وعلى تحريم دمه وماله، ولو تيقنا أنه يبطن الكفر لوجب قتله، وحرّم إنكاحه، ونكاحها، وموارثته، وأكل ذبيحته وتركه يصلي مع المسلمين»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: تسهيل العقيدة الإسلامية ص (٢٥١) - الهامش - .

(٢) أعلام السنة المنشورة ص (١٥١).

(٣) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي الأصل ثم الأندلسي القرطبي، أبو محمد، ذو الفنون والمعارف، الحافظ المتكلم الأديب الوزير الظاهري صاحب التصانيف، كان قد مهر أولاً في الأدب والأخبار والشعر وفي المنطق وأجزاء الفلسفة، فأثرت فيه تأثيراً لبيته سلم منه، وهو رأس في علوم الإسلام متبحر في النقل - على يسه فيه، وفرط ظاهرية في الفروع لا الأصول -، توفي سنة (٤٥٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٨٤ - ٢١١).

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣ / ١٣٦).

## المطلب الرابع تعريف الكبائر لغة وشرعاً وبيان أقسامها

### □ تعريف الكبائر لغة:

(الكبائر): جمع (كبيرة)، صفة مشبَّهة من الفعل (كَبَّرَ)، يقال: (كبر، يكبر، كَبُرًا، وكُبُرًا، وكَبَارَةً)<sup>(١)</sup>.

ومادة هذه الكلمة (الكاف والباء والراء): «أصل صحيح يدل على خلاف الصَّغْر»<sup>(٢)</sup>.

والكبر والصغر: «من الأسماء المتضايقة التي تقال عند اعتبار بعضها ببعض، فالشيء قد يكون صغيراً في جنب شيء، وكبيراً في جنب غيره.

ويستعملان في:

- الكمية المتصلة بالأجسام.
- والكمية المنفصلة كالعدد.

والأصل فيهما أن يستعملتا في الأعيان، ثم استعير للمعاني، ومن ذلك: ما اعتبر فيه الزمان، ومنه: فلان كبير؛ أي: مسنٌّ<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٤/١٤٢)، لسان العرب (٥/١٢٦، ١٢٨)، القاموس المحيط ص (٦٠١).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٥/١٥٣).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن الكريم ص (٦٩٦)، بتصرف يسير واختصار.

ومن تعريفات هذه المادة:

يقال: (كَبُرَ)؛ أي: عظم وجسم، و(التكبير): التعظيم، و(كَبُرَ الشّيء) - بالكسر والضم -: معظمه، و(الكِبَر): العظمة والتجبر، و(استكبره وأكبره): رآه كبيراً وعظم عنده<sup>(١)</sup>.

و(كَبِرَ - الرجل -، يَكْبُرُ، كَبْرًا، ومكْبِرًا): طعن في السن<sup>(٢)</sup>.

فالكبيرة من حيث المعنى اللغوي: الأمر أو الفعل العظيم جرماً وإثمًا.

#### □ تعريف الكبائر شرعاً:

اختلف السلف فمن بعدهم من أهل العلم في ضبط حد الكبيرة<sup>(٣)</sup> «اختلفوا كثيراً منتشراً جداً»<sup>(٤)</sup>، «وللعلماء فيه ثلاثة عشر قولاً يطول ذكرها»<sup>(٥)</sup>.

أما السلف فاختلفوا في ذلك «اختلفوا لا يرجع إلى تباين وتضاد،

(١) انظر: لسان العرب (٥/١٢٦ - ١٢٩)، القاموس المحيط ص(٦٠١).

(٢) انظر: المصباح المنير ص(٢٧٠)، القاموس المحيط ص(٦٠١ - ٦٠٢).

(٣) أُطْلِقَت (الكبيرة) في النصوص الشرعية مراداً بها كل ذنب عظيم، وهي بهذا الإطلاق شاملة للشرك والكفر وما دونهما من كبائر الذنوب، إلا أن المراد في هذا البحث: الذنوب العظيمة التي هي دون الشرك والكفر، وهذا هو الاستعمال الدارج عند أهل العلم في مسألة: (مرتكب الكبيرة)، وهو الذي جرى فيه الخلاف بين أهل السنة وغيرهم من الخوارج والمعتزلة والمرجئة في المسائل المتعلقة بمرتكب الكبيرة، كحكم إسلامه في الدنيا، ودخوله النار وخلوده فيها في الآخرة.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/٨٥).

(٥) المطلع على أبواب المقنع ص(٥٢).

وأقوالهم متقاربة»<sup>(١)</sup>. ومن أقوالهم:

• قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا<sup>(٢)</sup>: «كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب»<sup>(٣)</sup>.

• وقال الضحاك<sup>(٤)</sup>: «كل موجبة أوجب الله لأهلها النار، وكل عمل يقام به الحد فهو من الكبائر»<sup>(٥)</sup>.

• وحدها الإمام أحمد - فيما نقله عنه أبو يعلى - : «بما يوجب حداً في الدنيا، أو وعيداً في الآخرة»<sup>(٦)</sup>.

وأما من بعدهم فلهم في حد الكبيرة أقوال كثيرة، منها:

• أنها ما اتفقت الشرائع على تحريمها.

• أنها ما تسد باب معرفة الله.

(١) مدارج السالكين (١/٣٤٧).

(٢) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم، القرشي الهاشمي، أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ وابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حبر الأمة وترجمان القرآن، وكان يسمى بالبحر لكثرة علمه، ولد قبل الهجرة بثلاث، وتوفي النبي ﷺ وقد ناهز سن الاحتلام، دعا له النبي ﷺ بالفقه وتعلم الحكمة والتأويل، توفي بالطائف سنة ثمان وستين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/١٤١-١٥٢).

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن (٥/٤١).

(٤) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، كان من أوعية العلم، وله باع كبير في التفسير والقصص، مات سنة (١٠٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٥٩٨-٦٠٠).

(٥) جامع البيان في تأويل آي القرآن (٥/٤٢).

(٦) العدة في أصول الفقه (٣/٩٤٦).

- أنها ما تذهب الأموال والأبدان.
  - أنها إنما سميت كبائر بالنسبة والإضافة إلى ما دونها.
  - أنها لا تعلم أصلاً، وأبهمت كليلة القدر<sup>(١)</sup>.
- ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ أمثل الأقوال في هذه المسألة: القول المأثور عن عبد الله بن عباس، وذكر أن قول الإمام أحمد بن حنبل في معناه، فالكبيرة: ما فيه عقوبة مقدرة مشروعة للناس في الدنيا، أو عقوبة مقدرة خاصة توعد الله أن يعزر بها من استحقها من عباده في الآخرة.
- وذكر رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ هذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره، فإن الأقوال الأخرى يرد عليها من الأمور القوادح ما يصير به أكثرها من الأقوال الفاسدة<sup>(٢)</sup>.
- وعلى ضوء ذلك؛ يدخل تحت هذا الضابط جملة أمور؛ منها:
- كل ما ثبت في النص أنه كبيرة، كعقوق الوالدين، والزنا، وغيرهما.
  - كل ما أوجب الله فيه عقوبة مقدرة خاصة في الدنيا، كالسرقة، والقذف، والقتل، وغيرها.
  - كل ما ثبت في النص تسميته بأنه (موبقة)، أو (فاحشة)، أو (من عمل الشيطان).

(١) انظر: مقدمة مشهور بن حسن آل سلمان في تحقيق كتاب الكبائر للذهبي ص (٣٩ - ٥٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١١ / ٦٥٠ - ٦٥٧)، ولعله تحسن الإشارة هنا إلى تعريف

الجرجاني للكبيرة، حيث قال في التعريفات ص (٢٣٥): «ما كان حراماً محضاً، شرعت

عليه عقوبة محضّة، بنص قاطع في الدنيا والآخرة».

- كل ما ثبت في النص وصفه أو وصف فاعله بأنه فسق أو فاسق، أو برئت منه الذمة، أو ليس منّا، أو لعن على لسان محمد ﷺ.
- كل ما ثبت في النص وصفه أو وصف فاعله بأنه يطبع على قلبه، أو يحبط عمله، أو يمقت فاعله، أو ينفي عنه الإيمان، أو أنه خالف في الدين، أو أن الله خصمه، أو حجب التوبة عنه، أو يلعنه، أو يغضب عليه.
- كل ذنب تُؤدّد صاحبه بالنار، أو أنه لا يدخل الجنة، ولا يشم ريحها، أو أن الجنة محرمة عليه، أو أن الله لا ينظر إليه يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

#### □ العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي:

تتضح العلاقة بين المعنى اللغوي لـ(الكبيرة) والمعنى الشرعي بمعرفة أنه: «قَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ بَعْدَهُمْ وَالْأُمَّةَ، عَلَى أَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ كِبَائِرَ وَصَغَائِرَ»<sup>(٢)</sup>.

- وإذا كانت الذنوب كبائر وصغائر؛ فإن الكبيرة - شرعاً - سميت بذلك؛
- لأنها فعلة قبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعاً، عظيم أمرها<sup>(٣)</sup>.
  - ولأنها ذنب يقصر مقدار غيره من الذنوب الصغائر عنه<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥١ - ٦٥٢)، الكبائر للذهبي ص (٨٩) - مع هامش رقم

(٣) للمحقق - .

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص (٨٧).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٤٢)، فتاوى ابن الصلاح ص (٢٦).

(٤) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف (١/ ٥٩٨).

فالكبيرة - إذاً - سميت كبيرة: باعتبار عظمها في نفسها، وباعتبار عظمها بالنسبة للصغائر.

### □ أقسام الكبائر:

الكبائر - مع كونها جميعاً عظيمة في نفسها، عظيمة باعتبار غيرها من الصغائر - ليست على درجة واحدة، بل هي متفاوتة فيما بينها إلى عظيم وأعظم، وكبير وأكبر، وتفاوتها فيما بينها هو باعتبار الكبائر أنفسها، وباعتبار أنواعها.

ومن الأدلة على ذلك:

١ - عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أُبَسُّكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» - ثلاثاً - قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ» - وَجَلَسَ، وَكَانَ مُتَكَبِّمًا فَقَالَ: - «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ. متفق عليه<sup>(١)</sup>.

قال ابن دقيق العيد<sup>(٢)</sup>: «يستفاد من قوله: (أكبر الكبائر) انقسام الذنوب إلى كبير وأكبر...، ولا يلزم من كون الذي ذكر أنه أكبر الكبائر: استواؤها؛

(١) صحيح البخاري (٥/٢٦١) - مع فتح الباري -، صحيح مسلم (١/٩١).

(٢) محمد بن علي بن وهب القشيري المنفلوطي الأصل المصري، تقي الدين المعروف بابن دقيق العيد، الإمام الكبير، ولد سنة (٦٢٥هـ)، تبحر في جميع العلوم الشرعية وفاق الأقران وخضع له أكابر الزمان، واشتهر ذكره، وصنف التصانيف الفاتحة، توفي سنة (٧٠٢هـ). انظر: البدر الطالع (٢/٢٢٩ - ٢٣٢).

فإن الشرك بالله أعظم من جميع ما ذكر معه»<sup>(١)</sup>.

٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشِيَةً أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ». متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

فهذا الحديث والذي قبله يدلان على أن الكبائر متفاوتة باعتبار أنواعها؛ فالشرك أعظم من قتل الولد، وهذا أعظم من الزنا بزوجة الجار. والشرك، وعقوق الوالدين، والزور أعظم من غيرها.

كما يدل حديث عبد الله بن مسعود على تفاوت الكبائر في أنفسها، فإن النبي ﷺ سئل عن أعظم الذنب، فأجابته بما تضمن ذكر أعظم أنواعها، وما هو أعظم كل نوع.

فأعظم أنواع الشرك أن يجعل العبد لله ندًّا، وأعظم أنواع القتل أن يقتل ولده خشية أن يشاركه في الطعام والشراب، وأعظم أنواع الزنا أن يزني بحليلة جاره.

فإن مفسدة الزنا تتضاعف بتضاعف ما انتهكه من الحق.

فالزنا بالمرأة التي لها زوج أعظم إثماً وعقوبة من التي لا زوج لها؛ إذ فيه انتهاك حرمة الزوج وإفساد فراشه وتعليق نسبٍ عليه لم يكن منه، وغير

(١) فتح الباري (١٠/٤١١).

(٢) صحيح البخاري (٨/١٦٣) - مع فتح الباري -، صحيح مسلم (١/٩٠).

ذلك من أنواع أذاه، فهو أعظم إثماً وجرماً من الزنا بغير ذات البعل.  
فإن كان الجار غائباً في طاعة الله كالصلاة وطلب العلم والجهاد  
تضاعف له الإثم.

وإن كان الزاني شيخاً كان أعظم إثماً، وهو أحد الثلاثة الذين لا  
يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم عذاب اليم.  
فإن اقترن بذلك أن يكون في شهر حرام أو بلد حرام أو وقتٍ معظم عند  
الله كأوقات الصلاة وأوقات الإجابة = تضاعف الإثم.  
وعلى هذا فقس تفاوت العقوبات.

وكان النبي ﷺ قال: أعظمها الإشراف بجميع أنواعه، ثم القتل بجميع  
أنواعه، ثم الزنى بجميع أنواعه، وأدمج في الجواب بيان أن الثلاثة في نفسها  
متفاوتة إلى عظيم وأعظم، فأعظم الشرك جعل الند لله تعالى، ودونه جعل  
الأصنام شفعاء إليه بعبادتها مقربة إليه تعالى زلفى، ثم على ذلك حتى يُنتهى  
إلى الشرك الخفي، وهو الرياء، وعلى هذا تنزيل الآخرين.

فقد أشار ﷺ إلى تفاوت الكبائر في أنفسها، وإلى تفاوت أنواعها<sup>(١)</sup>.

ومن العلماء من قسم الكبائر باعتبار ما يخرج به فاعله عن الإسلام، وما  
لا يخرج به إلى قسمين:

الأول: ما هو من الكبائر كفر أكبر، كالشرك بالله والسحر.

(١) انظر: إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة ص (٤٩٦ - ٤٩٧).

والثاني: ما هو عظيم من كبائر الإثم والفواحش، وهو دون الشرك والكفر، كقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والتولي يوم الزحف...، ونحو ذلك<sup>(١)</sup>.

كما أن من أهل العلم من قسم الكبائر إلى: منصوصة، ومستنبطة. فالمنصوصة: ما ثبت النص عليها في الشرع بأنها من الكبائر، على حسب الضابط الذي سبق ذكره في حد الكبيرة<sup>(٢)</sup>.

والمستنبطة: أن تجعل الكبيرة المنصوص عليها أصلاً، وينظر؛ فما ساوت مفسدته من الأعمال مفسدة تلك الكبيرة أو رجع عليها ألحق بها. مثاله: أن شرب الخمر من الكبائر المنصوص عليها، ومفسدة (المخدرات) على متعاطيها أشد من الخمر، فتلحق (المخدرات) بـ(الخمر) على أنها كبيرة من كبائر الذنوب<sup>(٣)</sup>.

(١) أعلام السنة المنشورة ص(١٦٤).

(٢) انظر: ص(٣١ - ٣٢).

(٣) انظر: الاعتصام (٢/ ٣٧٤ - ٣٧٥)، أنوار البروق في أنواع الفروق (٤/ ١٢٠٠)، مقدمة

تحقيق الكبائر للذهبي لمشهور حسن آل سلمان ص(٦٦ - ٦٨) مع الهوامش.

## المبحث الثاني

### الفرق بين الشرك والكفر والنفاق والكبائر

كان المبحث السابق في التعريف بالشرك والكفر والنفاق والكبائر، وبيان أقسامها، وبذلك يحصل العلم بحقائقها الشرعية، وما يتضمنه ويشتمل عليه كل واحد منها من الأقسام.

وسيكون الحديث في هذا المبحث عن بيان ما يفترق به كل واحدٍ منها عن الآخر، فتكون القسمة في ذلك سداسية، وهي:

١- الفرق بين الشرك والكفر.

٢- الفرق بين الشرك والنفاق.

٣- الفرق بين الشرك والكبائر.

٤- الفرق بين الكفر والنفاق.

٥- الفرق بين الكفر والكبائر.

٦- الفرق بين النفاق والكبائر.

وسيكون بيان الفروق -في كل مطلب من المطالب التالية- بحسب الاعتبارات والمعاني التي تقع فيها الفروق، وذلك بذكر المسألة ثم بيان الفرق وتحريره والاستدلال له.

## المطلب الأول

### الفرق بين الشرك والكفر

#### □ أولاً: الفرق بين حقيقة الشرك وحقيقة الكفر:

اختلف أهل العلم في (الشرك) و(الكفر)؛ هل بينهما فروق أو لا؟ فذهب جمع من أهل العلم إلى أن بين (الشرك) و(الكفر) فرقاً، وذلك: أن بينهما عمومًا وخصوصًا؛ فالشرك: دعوة غير الله معه، فهو كفر مخصوص، والكفر يشمل ذلك وغيره، فهو أعم من الشرك. ومن ثم؛ فكل شرك كفر، وليس كل كفر شركًا.

وممن ذهب إلى هذا من أهل العلم:

١ - سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللهُ، فقد روي عنه: أن عبد الملك بن مروان<sup>(١)</sup> كتب إليه يسأله عن الكفر، فقال: «الكفر على وجوه: فكفر هو شرك يتخذ مع الله إلهًا آخر، وكفر بكتاب الله ورسوله، وكفر بادعاء ولد الله، وكفر مدعي الإسلام، وهو أن يعمل أعمالاً بغير ما أنزل الله، ويسعى في الأرض فساداً،

(١) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد، الخليفة الأموي الفقيه، ولد سنة

(٢٦هـ)، وكان قبل الخلافة عابداً ناسكاً، تملك الشام ومصر بعد وفاة أبيه، واكتمل له

الملك بعد مقتل ابن الزبير سنة (٧٢هـ)، وهو أول من ضرب الدينار، توفي سنة (٨٦هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٢٤٦ - ٢٤٩).

ويقتل نفساً محرمة بغير حق»<sup>(١)</sup>. فجعل رَحْمَةُ اللَّهِ الكفر على وجوه عديدة، وجعل من وجوهه: الشرك بالله، فدل على أن الكفر أعم من الشرك.

٢- الراغب الأصفهاني، قال: «وشرك الإنسان في الدين ضربان: أحدهما: الشرك العظيم، وهو: إثبات شريك لله تعالى...، وذلك أعظم كفر...»<sup>(٢)</sup>. فقوله (أعظم كفر) يدل على أن الشرك -عنده- من أنواع الكفر، وهو أعظمها.

٣- أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري الأديب اللغوي<sup>(٣)</sup>، قال: «الكفر اسم يقع على ضروب من الذنوب، فمنها: الشرك بالله، ومنها الجحد للنبوة، ومنها استحلال ما حرم الله، -وهو راجع إلى جحد النبوة-، وغير ذلك مما يطول الكلام فيه»<sup>(٤)</sup>.

وقال: «الفرق بين الكفر والشرك:

أن الكفر خصال كثيرة على ما ذكرنا، وكل خصلة منها تضاد خصلة من الإيمان؛ لأن العبد إذا فعل خصلة من الكفر فقد ضيع خصلة من الإيمان.

والشرك خصلة واحدة، وهو إيجاد إلهية مع الله أو دون الله، واشتقاقه

(١) تهذيب اللغة (١٠/ ١١١). ولم أجده في مظانه بعد البحث.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ص (٤٥٢).

(٣) الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، أبو هلال، موصوف بالعلم والفقّه، وكان الغالب عليه الأدب والشعر، توفي بعد (٣٩٥هـ). انظر: معجم الأدباء (٢/ ٥٦٢ - ٥٦٥).

(٤) الفروق اللغوية ص (١٨٩).

ينبئ عن هذا المعنى. ثم كثر حتى قيل لكل كفر: شرك، على وجه التعظيم له والمبالغة في صفته. وأصله: كفر النعمة، ونقيضه الشكر، ونقيض الكفر بالله الإيمان...، ونقيض الشرك - في الحقيقة - الإخلاص، ثم لما استعمل في كل كفر صار نقيضه الإيمان...»<sup>(١)</sup>.

وعلق الشيخ مبارك الملي على كلام العسكري هذا بقوله: «ومحصل كلام أبي هلال: أن الشرك والكفر مختلفان في الأصل، متحدان في استعمال الشرع، فهما كالإسلام والإيمان...»

ولم يحضرني الآن مقابلة القرآن للشرك بالإخلاص، ولكن فيه مقابلة النفاق - الذي هو من شعب الشرك - بأشياء منها الإخلاص، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْكُفَّيْنَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾<sup>(١٤٥)</sup> إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴿[النساء: ١٤٥ - ١٤٦]﴾<sup>(٢)</sup>.

أقول: تشبيه (الشرك والكفر) - في استعمال الشرع - بـ (الإسلام والإيمان) ليس على إطلاقه، فإن (الإسلام والإيمان) إذا افترقا اجتماعا، وكذلك (الشرك والكفر)، ولكن إذا اجتمع (الإسلام والإيمان) أريد بأحدهما غير الآخر؛ فـ (الإسلام) هو الأعمال الظاهرة، و (الإيمان) هو الأعمال الباطنة، وأما إذا اجتمع (الكفر والشرك) فإن الشرك يكون نوعاً من أنواع الكفر، لا معنى مغاير له.

(١) المصدر السابق ص (١٩٠ - ١٩١).

(٢) الشرك ومظاهره ص (١٠٦ - ١٠٧).

وقوله: «ولم يحضرني الآن مقابلة القرآن للشرك بالإخلاص»: لعله مما يدل من القرآن على أن الشرك ضد الإخلاص: قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۗ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۗ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ الآية [الزمر: ٢ - ٣].

قال ابن كثير: «أي: فاعبد الله وحده لا شريك له، وادع الخلق إلى ذلك، وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده، وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد؛ ولهذا قال: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾؛ أي: لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله، وحده لا شريك له...»<sup>(١)</sup>.

وقوله: «فيه مقابلة النفاق الذي هو من شعب الشرك...»: الذي جرى عليه عمل أهل العلم هو أن النفاق من شعب الكفر، فالله أعلم.

٤ - أبو عمرو بن الصلاح<sup>(٢)</sup>، قال: «ما ذكره [يعني الإمام مسلم في صحيحه] من حديث جابر: أن رسول الله ﷺ قال: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»؛ كذا وقع في كتاب مسلم: بالواو العاطفة للكفر على الشرك، على ما شهدت به أصولنا.

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٦).

(٢) عثمان بن صلاح الدين (عبد الرحمن) بن عثمان الشهرزوري الموصلية، أبو عمرو، الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام تقي الدين، ولد سنة (٥٧٧هـ)، كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وله مشاركة في عدة فنون، وكان من كبار الأئمة، توفي سنة (٦٤٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/١٤٠ - ١٤٤).

وهو في مخرّج أبي نعيم الحافظ على كتاب مسلم بحرف (أو)، وكذا رويناه من مخرّج أبي عوانة الإسفراييني عليه. وبين الشرك والكفر فرق ما بين الأخص والأعم، فكل شرك كفر، وليس كل كفر شركاً من حيث الحقيقة»<sup>(١)</sup>.

٥- وقال النووي<sup>(٢)</sup> في شرح الحديث نفسه: «ثم إن الشرك والكفر قد يطلقان بمعنى واحد، وهو الكفر بالله تعالى، وقد يفرق بينهما؛ فيخص الشرك بعبدة الأوثان، وغيرها من المخلوقات، مع اعترافهم بالله تعالى، ككفار قريش؛ فيكون الكفر أعم من الشرك. والله أعلم»<sup>(٣)</sup>.

٦- وقال المناوي في شرحه للحديث أيضاً: «(بين الشرك) بالله (والكفر) عطف عام على خاص؛ إذ الشرك نوع من الكفر»<sup>(٤)</sup>.

٧- وقال ابن دقيق العيد في شرحه لحديث: (أكبر الكبائر: الإشراف بالله): «يحتمل أن يراد به مطلق الكفر، ويكون تخصيصه [يعني: الكفر] بالذكر لغلبيته في الوجود، لا سيما في بلاد العرب، فذكر تنبيهاً على غيره من

(١) صيانة صحيح مسلم ص: (٢٥٦ - ٢٥٧).

(٢) يحيى بن شرف بن مري النووي، أبو زكريا، الإمام الفقيه الحافظ القدوة شيخ الإسلام محيي الدين، ولد سنة (٦٣١هـ)، كان إماماً بارعاً حافظاً متقناً، وكان شديد الورع والزهد أماراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وبارك الله في علمه وتصانيفه، توفي سنة (٦٧٦هـ). انظر: طبقات الحفاظ ص (٥١٣).

(٣) شرح صحيح مسلم (٧١ / ٢).

(٤) فيض القدير (٢١٠ / ٣).

أصناف الكفر. ويحتمل أن يراد به خصوصه، إلا أنه يرد على هذا الاحتمال أنه قد يظهر أن بعض الكفر أعظم من الشرك، وهو التعطيل؛ فيترجح الاحتمال الأول على هذا».

نقل ذلك عنه الحافظ ابن حجر<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>. كما ذكر كلامه هذا في موضع آخر دون أن يعزوه إليه، وفيه: «إلا أنه يرد عليه أن بعض الكفر أعظم قبحاً من الإشراك، - وهو التعطيل -؛ لأنه نفي مطلق، والإشراك إثبات مقيد، فيترجح الاحتمال الأول»<sup>(٣)</sup>.

٨- وقال المبار كفوري - في شرح الحديث نفسه - : «(الشُّرْكُ بِاللَّهِ): أَيِ الإِشْرَاقِ بِهِ، فَنفِي الصَّانِعِ أَوْلَى، أَوْ المُرَادُ بِهِ مُطْلَقُ الكُفْرِ، إِلا أَنَّهُ عَبَّرَ عَنْهُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ الغَالِبُ فِي الكُفْرَةِ»<sup>(٤)</sup>.

٩- وقال الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي<sup>(٥)</sup>: «ويحصل الكفر بأحد

(١) أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن محمد العسقلاني المصري ثم القاهري الشافعي، أبو الفضل، ويعرف بابن حجر - وهو لقب لبعض آبائه -، شهاب الدين، ولد سنة (٧٧٣هـ)، تعلم القراءات والحديث والفقه والعربية والحساب وجدّ في الفنون حتى بلغ الغاية، واشتهر ذكره وبعُد صيته وارتحل الأئمة إليه حتى كان رؤوس العلماء من كل مذهب من تلامذته، توفي سنة (٨٥٢هـ). انظر: البدر الطالع (١/٨٧ - ٩٢).

(٢) فتح الباري (١٠/٤١١).

(٣) المصدر نفسه (٥/٢٦٢ - ٢٦٣).

(٤) تحفة الأحوذى (٨/٢٩٦).

(٥) مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي ثم المقدسي، أحد أكابر علماء الحنابلة بمصر، كان =

أربعة أمور:

- بالقول: كَسَبَ اللهُ تعالى، ورسوله أو ملائكته، أو ادعاء النبوة، أو الشركة له تعالى.

- وبالفعل: كالسجود للصنم ونحوه، وكإلقاء المصحف في قاذورة.

- وبالإعتقاد: كاعتقاد الشريك له تعالى، أو أن الزنا والخمر حلال، أو أن الخبز حرام، ونحو ذلك مما أجمع عليه إجماعاً قطعياً.

- وبالشك في شيء من ذلك»<sup>(١)</sup>.

١٠ - وقال منصور بن يوسف البهوتي<sup>(٢)</sup>: «(الشُّرْكُ)؛ أَيُّ: الْكُفْرُ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ، وَإِنَّمَا خُصَّ بِالذِّكْرِ فِي أَكْثَرِ الْأَحَادِيثِ؛ لِكَثْرَتِهِ فِي الْعَرَبِ»<sup>(٣)</sup>.

١١ - أبو البقاء الكفوي قال: «ومن ينكر رسالة النبي -مثلاً- فهو كافر لا مشرك، ومن أخل بالإعتقاد وحده فهو منافق، وبالإقرار بالحق فهو كافر، وبالعمل بمقتضاه فهو فاسق...»

إماماً محدثاً فقيهاً ذا اطلاع واسع على نقول الفقه ودقائق الحديث ومعرفة تامة بالعلوم المتداولة، توفي سنة (١٠٣٣هـ). انظر: خلاصة الأثر (٤/٣٥٨ - ٣٦١).

(١) دليل الطالب ص (٣١٧).

(٢) منصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتي الحنبلي، شيخ الحنابلة بمصر في عصره، توفي سنة (١٠٥١هـ). انظر: الأعلام (٧/٣٠٧).

(٣) كشاف القناع (٦/٤٢٠).

والكافر اسم لمن لا إيمان له، فإن أظهر الإيمان فهو المنافق، وإن طرأ كفره بعد الإيمان فهو المرتد، وإن قال بإلهين أو أكثر فهو المشرك، وإن كان متدينًا ببعض الأديان والكتب المنسوخة فهو الكتابي، وإن قال بقدم الدهر وإسناد الحوادث إليه فهو الدهري، وإن كان لا يثبت الباري فهو المعطل، وإن كان مع اعترافه بنبوّة النبي يظن عقائده هي كفر بالاتفاق فهو الزنديق<sup>(١)</sup>.

١٢ - الشيخ خالد محمد علي الحاج، قال: «الفرق بين الشرك والكفر:

الشرك: هو دعوة غير الله معه، وأن تجعل لله نداً في العبادة وهو خلقك، والشرك أعظم شيء نهى الله عنه....

أما الكفر: فهو بمعنى الجحد والستر. فمن<sup>(٢)</sup> أنكر الرب أو الخالق سبحانه، أو أنكر يوم البعث أو نبياً من الأنبياء، أو كتاباً من الكتب السماوية، وكذا كمن أحل محرماً.

ولذلك فكل مشرك كافر، ولا عكس<sup>(٣)</sup>.

١٣ - الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، قال: «والشرك والكفر: قد يطلقان بمعنى واحد، وهو الكفر بالله، واسم لمن لا إيمان له. وقد يفرق بينهما؛ فيخص الشرك بقصد الأوثان وغيرها من المخلوقات مع الاعتراف

(١) الكليات ص (٧٦٥).

(٢) لعلها: (كمن)؛ ليستقيم المعنى.

(٣) مصرع الشرك والخرافة ص (١٨١).

بالله، فيكون الكفر أعم»<sup>(١)</sup>.

١٤ - الشيخ الأستاذ الدكتور حمود بن أحمد الرحيلي، قال: «قد يسأل سائل عن الفرق بين الشرك الذي نتحدث عنه وبين الكفر؟..  
والجواب: أن الكفر في اللغة معناه الستر والتغطية....

وأعظم الكفر: جحود الوجدانية أو الشريعة أو النبوة...، والكافر -على الإطلاق- متعارف فيمن يجحد الوجدانية أو النبوة أو الشريعة أو ثلاثتها.

وقد فرق القرآن الكريم في كثير من الآيات بين الكافرين عموماً وبين أهل الكتاب من جهة، وبين المشركين من جهة أخرى. وإن كان هؤلاء جميعاً يتفقون في معارضة الدين أو رسالة نبي من الأنبياء، أو إيذاء رسول من الرسل، كما قد يشتركون في إيذاء المؤمنين، ولكنهم في طبيعة العقيدة يختلف كل منهم عن الآخر....

وقد يطلق الكفر على من كفر بالنعمة...، وقد يطلق على من ترك ركناً من أركان الدين...، وإطلاق الكفر على من كفر بالله وجحد ألوهيته مطلقاً فكثير في القرآن...، وقد يطلق على المشركين...، وقد يطلق الكفر على أهل الكتاب خاصة دون المشركين...

ومن هنا يتبين لنا أن الكفر بمعنى الجحد والستر: يشمل كل من أنكر الرب، أو الخالق سبحانه وتعالى، أو أنكر يوم البعث، أو نبياً من الأنبياء، أو

(١) حاشية ثلاثة الأصول، ص (٣٥).

كتاباً من الكتب السماوية، وكذا من أحل محرماً، أو أنكر ركناً من أركان الإسلام.

وبهذا المعنى يشمل الكفر كفراً<sup>(١)</sup> أهل الكتاب، يهوداً أو نصارى...، وبهذا المعنى يشمل الكفر كفر الصابئة...، ويشمل المجوس...، ويشمل كفر الدهريين، وهم الذين ينكرون الخالق، ويقولون: لا إله ولا صانع للعالم، وأن هذه الأشياء وجدت بلا خالق...

فالكفر - إذاً - أعم من الشرك.

أما الشرك: فهو ما سبق تعريفه، وهو أن يصرف العبد شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى، وهو الذي بيده الخلق والرزق والإحياء والإماتة وتدبير الأمور، وهو الذي يفرع إليه الإنسان بطبعه وفطرته عند نزول الكروب، ويتجه إليه عنه<sup>(٢)</sup> الدعاء والرجاء....

والشرك أعظم أنواع الكفر وأشدّها؛ لأنه يتنافى مع كل عقل ومنطق....

ومن هنا يتبين لنا أن كل مشرك كافر، وليس كل كافر مشركاً<sup>(٣)</sup>.

هذا ما ذهب إليه جمع من أهل العلم في مسألة (الفرق بين الشرك والكفر)، وهو أن بين الشرك والكفر عمومًا وخصوصًا، فكل مشرك كافر،

(١) لعل الصواب: إسقاط الألف.

(٢) لعل الصواب: عند.

(٣) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام (١/ ١١٢ - ١١٩) باختصار.

وليس كل كافر مشركاً.

وذهب آخرون من أهل العلم إلى عدم التفريق بين الشرك والكفر، فعندهم: كل شرك كفر، وكل كفر شرك.

وممن وقفت عليه من هؤلاء:

١. الإمام اللغوي الجوهري - صاحب الصحاح -<sup>(١)</sup>، قال: «الشرك: الكفر»<sup>(٢)</sup>.

٢. ابن الأثير - صاحب النهاية -، قال: «والشرك: الكفر»<sup>(٣)</sup>.

٣. النووي قال: «المشرك: يطلق على كل كافر من: عابد لصنم ووثن، ويهودي ونصراني، ومجوسي وزنديق، وغيرهم»<sup>(٤)</sup>. وقال: «المشرك: الكافر على أي ملة كان»<sup>(٥)</sup>.

(١) إسماعيل بن حماد التركي الجوهري، أبو نصر، إمام اللغة وأحد من يضرب به المثل في ضبطها، دخل بلاد ربيعة ومضر في طلب لسان العرب ودار الشام والعراق، أقام بنيسابور يدرس ويصنف، ويعلم الكتابة، وينسخ المصاحف، توفي سنة (٣٩٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٨٠ - ٨٢).

(٢) لسان العرب (١٠/ ٤٥٠).

(٣) النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٦٦).

(٤) تحرير ألفاظ التنبيه (١/ ٦٢).

(٥) المصدر نفسه (١/ ٢٥٦).

٤. الفيومي -صاحب المصباح المنير<sup>(١)</sup> - قال: «الشرك: اسم من (أشرك بالله) إذا كفر به»<sup>(٢)</sup>.

٥. وممن يمكن أن يعزى إليه هذا القول: الإمام ابن القيم، فقد قسم الشرك إلى قسمين:

القسم الأول - شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله.  
وهو نوعان:

الأول: شرك التعطيل، وهو أقبح أنواع الشرك، كشرك فرعون إذ قال: ﴿وَمَارَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]...، وهو ثلاثة أقسام: تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه، وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله، وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد، ومن أمثلته: شرك طائفة أهل وحدة الوجود الذين يقولون: ما ثم خالق ومخلوق، ولا ههنا شيآن، بل الحق المنزه هو عين الخلق المشبه. وشرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته وأنه لم يكن معدوماً أصلاً بل لم يزل ولا يزال، وشرك من عطل أسماء الرب تعالى وأوصافه وأفعاله من غلاة الجهمية والقرامطة، فلم يثبتوا له اسماً ولا صفة.

(١) أحمد بن محمد الفيومي ثم الحموي، اشتغل ومهر وتميز في العربية، وكان فاضلاً عارفاً بالفقه واللغة، توفي سنة نيف وسبعين وسبعمائة. انظر: بغية الوعاة (١/ ٣٨٩).

(٢) المصباح المنير ص (١٦٢).

الثاني: شرك من جعل معه إلهاً آخر ولم يعطل أسماءه وربوبيته وصفاته، ومن أمثلته: شرك النصارى الذي جعلوه ثلاثة، فجعلوا المسيح إلهاً وأمه إلهاً، وشرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة، وشرك عباد الشمس وعباد النار وغيرهم، ومن هؤلاء من يزعم أن معبوده هو الإله على الحقيقة، ومنهم من يزعم أنه أكبر الآلهة، ومنهم من يزعم أنه إله من جملة الآلهة وأنه إذا خصه بعبادته والتبتل إليه والانقطاع إليه أقبل عليه واعتنى به، ومنهم من يزعم أن معبودهم الأدنى يقربه إلى المعبود الذي هو فوقه، والفوقاني يقربه إلى من هو فوقه، حتى تقربه تلك الآلهة إلى الله سبحانه، فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل.

القسم الثاني - وشرك في عبادته ومعاملته وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله<sup>(١)</sup>.

فجعل رَحْمَةُ اللَّهِ من أنواع الشرك ما هو عند الفريق الأول من أنواع الكفر لا الشرك، كمن أنكر وجود الله تبارك وتعالى.

٦ - أبو البقاء الكفوي، فقد قال: «الإشراك هو إثبات الشريك لله في الألوهية...، وقد يطلق ويراد به مطلق الكفر، بناء على عدم خلو<sup>(٢)</sup> الكفر عن شرك ما<sup>(٣)</sup>. وقال: «وأشرك بالله: كفر»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص (١٥٩ - ١٦٢).

(٢) في الأصل: (خلق)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) الكليات ص (١٢١).

(٤) المصدر نفسه ص (٥٣٣).

وبعد، فهذا خلاف أهل العلم في مسألة: هل بين الشرك والكفر فرق أو لا؟، ومنه تظهر عدة أمور؛ هي:

١. خلاف أهل العلم في هذه المسألة إنما ينصب على حقيقة كل من الشرك والكفر ومعناهما الشرعي فحسب، وإلا فجميعهم متفقون على أن كلاً من الشرك والكفر مخرج لصاحبه عن الملة، ويسقط عنه عصمة الدم والمال...، وغير ذلك من الأحكام التي سبق ذكرها في موضعها.

٢. من فرق بين الشرك والكفر فقد جعل الشرك فرداً من أفراد الكفر؛ فالكفر أعم -عنده- من الشرك. ومن لم يفرق بينهما نظر إلى أن الكفر - مهما كان نوعه وملته - لا يخلو من شرك ما. ولعله يشهد لهذا قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ...﴾ الآية [الجاثية: ٢٣].

٣. يتفق الفريقان على أن الشرك قد يطلق ويراد به ما يشمل الشرك والكفر، وكذا: قد يطلق الكفر ويراد به ما يشمل الكفر والشرك.

٤. على قول من فرق بين الشرك والكفر: يجتمع الشرك والكفر في حق من أشرك بالله غيره في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وينفرد الكفر في حق من وقع في غير ذلك من أنواع الكفر، كإنكار الخالق، وجحد أمر معلوم من الدين بالضرورة...، ونحو ذلك. وأما من لم يفرق بينهما فعنده كل مشرك كافر، وكل كافر مشرك.

وبناء على قول من فرق بين الشرك والكفر؛ فإن بين الشرك والكفر فروقاً عديدة؛ هي:

### □ ثانياً<sup>(١)</sup>: الفرق في تعلق الشرك والكفر بخصائص الله:

الشرك إنما يكون بصرف شيء من خصائص الله -تبارك وتعالى- في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته لغيره من المخلوقين.

وذلك أن الشرك ضد التوحيد:

▪ فـضدّ توحيد الألوهية: اتخاذ العبد من دون الله نداً يسويه برب العالمين في أي نوع من أنواع العبادة.

▪ وفضدّ توحيد الربوبية: اعتقاد متصرف مع الله -عز وجل- في أي شيء من تدبير الكون، أو اعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته.

▪ وفضدّ توحيد الأسماء والصفات: تسمية المشركين أو ثنائهم بأسماء الله مع الزيادة والنقص فيها، فسووا المخلوق برب العالمين. وكذا تشبيه صفات الله بخلقه، فجعلوه -سبحانه- بمنزلة الأجسام المخلوقة، وشبهوه بها -تعالى وتقدس-<sup>(٢)</sup>.

وأما الكفر: فيكون:

▪ له تعلق بخصائص الله: كالمشرك، ومن أنكر وجود الخالق.

▪ وله تعلق بالنبوة: كمن قتل النبي أو جحد نبوته.

(١) وهو الفرق الثاني من الفروق بين الشرك والكفر.

(٢) انظر: أعلام السنة المنشورة ص (٥١، ٥٦، ٧٦).

▪ وله تعلق بالشريعة: كمن أنكر ركناً من أركان الدين.

ولهذا قال الراغب الأصفهاني: «والكافر -على الإطلاق- متعارف فيمن يجحد الوحدانية أو النبوة أو الشريعة، أو ثلاثتها»<sup>(١)</sup>.

وخلاصة الأمر: أن الشرك يرجع إلى ما يختص بالله وحسب، وأما الكفر فيشمل ذلك وغيره.

ويظهر من ذلك فرق آخر، وهو:

#### □ ثالثاً: الفرق بين أعمال الشرك والكفر:

فأعمال الشرك تنحصر في التسوية بين الله وخالقه فيما هو من خصائص الله، فمثلاً: من عبد الله وعبد معه غيره، أو عبد غير الله استقلالاً -كعباد الشمس-؛ فهو المشرك.

قال ابن القيم: «حقيقة الشرك هو التشبه بالخالق والتشبيه للمخلوق به...، فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية.

فإن من خصائص الإلهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده، فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق وجعل من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً أفضل من غيره تشبيهاً بمن له الأمر كله...

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص (٧١٤ - ٧١٥).

ومن خصائص الإلهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب = كل ذلك يجب عقلاً وشرعاً وفطرة أن يكون له وحده، ويمنع عقلاً وشرعاً وفطرة أن يكون لغيره، فمن جعل شيئاً من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا ند له...

ومن خصائص الإلهية العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما؛ غاية الحب مع غاية الذل...، فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه به في خالص حقه<sup>(١)</sup>.

وأما أعمال الكفر فلا تنحصر في ذلك، بل تشمل ذلك وغيره، فالمنكر للبعث -مثلاً- ليس مجرد إنكاره تسوية لله بغيره...، وقس على هذا غيره.

#### □ رابعاً: الفرق بين من يستحق اسم الشرك والكفر من طوائف البشر:

اسم (الشرك) يستحقه من جعل مع الله إلهاً آخر، على سبيل الاستقلال أو الوساطة، ومن ثم فلا يندرج فيه من أصناف غير المؤمنين إلا المشركون. واسم (الكفر) يستحقه كل من خرج عن دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده، وبعث به رسله وأنبياءه. ومن ثم تدرج فيه كل ملل الكفر منذ خلق الله الخلق إلى أن تقوم الساعة، كالمشرك، والملحد، والدهري، وقاتل

(١) الجواب الكافي ص (١٦٧ - ١٦٨).

الأنبياء، ومنكر البعث، والمفضل لحكم غير الله على حكمه...، وغير ذلك.

وهذا يقودنا إلى فرق آخر متعلق بهذه المسألة، وهو:

أن (أهل الكتاب) يدخلون في أصناف الكفرة بإطلاق، ولا يدخلون في (المشركين)، إلا على سبيل التقييد؛ التقييد بمن وقع منهم في الشرك، والتقييد بأن الشرك ليس من أصل دينهم، وإنما هو طارئ عليهم بسبب ما ابتدعوه.

قال الراغب الأصفهاني: «وقوله: ﴿فَأَقْضُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]: فأكثر الفقهاء يحملونه على الكفار جميعاً، كقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىٰرُ بْنُ اللَّهِ﴾... الآية [التوبة: ٣٠]، وقيل: هم من عدا أهل الكتاب؛ لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالصَّرِيَّ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [الحج: ١٧]، أفرد المشركين عن اليهود والنصارى»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن حزم: «وَاتَّفَقُوا عَلَى تَسْمِيَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَفَّارًا وَاخْتَلَفُوا فِي تَسْمِيَتِهِمْ مُشْرِكِينَ، وَاتَّفَقُوا أَنَّ مِنْ عِدَائِهِمْ مَنْ أَهْلَ الْحَرْبِ يَسْمَوْنَ مُشْرِكِينَ»<sup>(٢)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الشُّرْكُ الْمُطْلَقُ فِي الْقُرْآنِ لَا يَدْخُلُ فِيهِ أَهْلُ الْكِتَابِ؛ وَإِنَّمَا يَدْخُلُونَ فِي الشُّرْكِ الْمُقَيَّدِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَكْفُرُ الَّذِينَ﴾

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص (٤٥٢ - ٤٥٣).

(٢) مراتب الإجماع ص (٢٠٢).

كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ ﴿ [البينة: ١]. فَجَعَلَ الْمُشْرِكِينَ قِسْمًا غَيْرَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [الحج: ١٧]، فَجَعَلَهُمْ قِسْمًا غَيْرَهُمْ.

فَأَمَّا دُخُولُهُمْ فِي الْمُقَيَّدِ فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورٌ إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]، فَوَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ.

وَسَبَبُ هَذَا أَنْ أَصَلَ دِينِهِمُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ بِهِ الرَّسُلَ لَيْسَ فِيهِ شِرْكٌ... وَلَكِنَّهُمْ بَدَّلُوا وَغَيَّرُوا فَابْتَدَعُوا مِنَ الشَّرْكِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ اللَّهُ سُلْطَانًا، فَصَارَ فِيهِمْ شِرْكٌ بِاعْتِبَارِ مَا ابْتَدَعُوا؛ لَا بِاعْتِبَارِ أَصْلِ الدِّينِ»<sup>(١)</sup>.

وهذا الفرق يقودنا إلى فرق آخر، وهو:

أن أهل الشرك - في حال جهادهم - يُدْعَوْنَ إِلَى خصلتين: الإسلام أو القتال وحسب.

وأما أهل الكفر: فمنهم من يدعى إلى ذلك وحسب، ومنهم من يدعى إلى خصلة بينهما، وهي الجزية، وهؤلاء: أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، والمجوس.

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/٢١٣ - ٢١٤). وانظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين

إلى الإسلام (١/١١٢ - ١١٧).

### □ خامساً: الفرق بين الشرك والكفر في عظم الذنب:

لا شك في أن الشرك والكفر أعظم الذنوب على الإطلاق، لكن اختلف أهل العلم: هل الشرك أعظم أنواع الكفر ذنباً وجرماً، أو أن ثمة من أنواع الكفر ما هو أعظم من الشرك؟

وممن ذهب إلى الأول:

١. الراغب الأصفهاني، قال: «... الشرك العظيم، وهو: إثبات شريك لله تعالى...، وذلك أعظم كفر»<sup>(١)</sup>.

٢. العلامة حافظ الحكمي، قال: «والمقصود أن الشرك أعظم ما نهى الله عنه، كما أن التوحيد أعظم ما أمر الله به، ولهذا كان أول دعوة الرسل كلهم إلى توحيد الله - عز وجل -، ونفي الشرك، فلم يأمروا بشيء قبل التوحيد، ولم ينهوا عن شيء قبل الشرك»<sup>(٢)</sup>.

٣. الشيخ خالد الحاج، قال: «والشرك أعظم شيء نهى الله عنه»<sup>(٣)</sup>.

٤. الأستاذ الدكتور حمود الرحيلي، قال: «والشرك أعظم أنواع الكفر وأشدّها؛ لأنه يتنافى مع كل عقل ومنطق، ولهذا نجد أن القرآن الكريم يخوض معركة حامية مع الشرك والمشركين؛ ليقطلع فكرة الشرك من

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص (٥٣٥).

(٢) معارج القبول (٢/ ٤٨١).

(٣) مصرع الشرك والخرافة ص (١٨١).

جذوره»<sup>(١)</sup>.

وممن ذهب إلى الثاني:

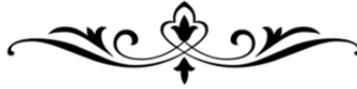
١- ابن دقيق العيد، فقد ذكر أن بعض الكفر أعظم من الإشراك، وهو

التعطيل<sup>(٢)</sup>.

٢- ابن القيم، فقد ذكر أن شرك التعطيل هو أقبح أنواع الشرك<sup>(٣)</sup>.

٣- المبار كفوري، فقد ذكر أن الإشراك إذا كان أكبر الكبائر، فنفي

الصانع أولى<sup>(٤)</sup>.



(١) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام (١/١١٩).

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (٢/٢٧٤).

(٣) الجواب الكافي ص (١٥٩).

(٤) تحفة الأحوذني (٨/٢٩٦).

## المطلب الثاني الفرق بين الشرك والنفاق

### □ أولاً: العلاقة بين الشرك والنفاق:

الشرك والنفاق بينهما عموم وخصوص من وجه، يلتقيان في وجه، وينفرد أحدهما عن الآخر في وجه:

- فيلتقي الشرك والنفاق: فيمن كان يظهر الإسلام، وهو في باطنه يضمّر الشرك، ويعبد مع الله غيره، فهذا منافق مشرك.

- وينفرد الشرك: فيمن يعبد مع الله غيره، ويظهر ذلك ولا يضمّره.

- وينفرد النفاق: فيمن كان يظهر الإسلام، وهو في باطنه يضمّر الإلحاد أو بغض الدين أو غير ذلك، دون أن يكون واقعاً في الشرك.

كما قال الإمام أحمد: «النفاق: هو الكفر؛ أن يكفر بالله ويعبد غيره، ويظهر الإسلام في العلانية، مثل المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ» (١).

ويزيده توضيحاً: قول ابن جرير: «إن الله - جل ثناؤه - لما جمع لرسول الله ﷺ أمره في دار هجرته، واستقرّ بها قراره، وأظهر الله بها كلمته، وفشا في دور أهلها الإسلام، وقهر بها المسلمون من فيها من أهل الشرك من عبدة الأوثان، ودلّ بها من فيها من أهل الكتاب؛ أظهر أحراراً يهودها لرسول الله

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٥٥).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّغَائِنِ، وَأَبَدُوا لَهُ الْعِدَاوَةَ وَالشَّنَانَ؛ حَسَدًا وَبَغْيًا، إِلَّا نَفَرًا مِنْهُمْ، هَدَاهُمْ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ فَأَسْلَمُوا، كَمَا قَالَ جَلِ ثَنَاوَهُ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وَطَابَقَهُمْ سَرًّا عَلَى مُعَادَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، وَبَغْيِهِمُ الْغَوَائِلِ، قَوْمٌ مِّنْ أَرَاهِطِ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ آوَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَصَرُوهُ، وَكَانُوا قَدْ عَتَوْا فِي شِرْكِهِمْ وَجَاهِلِيَّتِهِمْ...، وَظَاهَرُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ فِي خَفَاءٍ غَيْرِ جِهَارٍ؛ حَذَارَ الْقَتْلِ عَلَى أَنفُسِهِمْ، وَالسَّبِيِّ مِّنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، وَرَكُونًا إِلَى الْيَهُودِ، لَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِكِ وَسُوءِ الْبَصِيرَةِ بِالْإِسْلَامِ. فَكَانُوا إِذَا لَقُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ مِنْ صَحَابِهِ قَالُوا لَهُمْ -حِذَارًا عَلَى أَنفُسِهِمْ-: إِنَّا مُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِالْبَعْثِ، وَأَعْطَوْهُمْ بِالسُّنَّتِهِمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ؛ لِيَدْرُؤُوا عَنْ أَنفُسِهِمْ حُكْمَ اللَّهِ فِيمَنْ اعْتَقَدَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مَقِيمُونَ مِنَ الشَّرِكِ، لَوْ أَظْهَرُوا بِالسُّنَّتِهِمْ مَا هُمْ مَعْتَقِدُوهُ مِنْ شِرْكِهِمْ...»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن كثير: «وإنما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية؛ لأن مكة لم يكن فيها نفاق...، فلما هاجر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج، وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام، على طريقة مشركي العرب، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم...، فلما قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، وأسلم من أسلم من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج، وقلَّ من أسلم من اليهود إلا عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يكن إذ ذاك نفاق أيضاً؛ لأنه لم يكن للمسلمين بعدُ شوكةٌ تخاف...»

(١) جامع البيان (١/١٧٧).

فلما كانت وقعة بدر العظمى وأظهر الله كلمته، وأعلى الإسلام وأهله؛ قال عبدالله بن أبيّ بن سلول...: هذا أمر قد تَوَجَّه. فأظهر الدخول في الإسلام، ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونحلته، وآخرون من أهل الكتاب، فمن ثمَّ وُجِدَ النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب...»<sup>(١)</sup>.

فظهر بهذا:

- أن عبد الله بن أبيّ بن سلول ومن كان على شاكلته كانوا قبل الإسلام على الشرك، ثم دخلوا الإسلام نفاقاً، فهم مشركون منافقون؛ اجتمع فيهم الشرك والنفاق.
- ومن كان باقياً على الشرك من أهل مكة فهم مشركون وحسب.

#### □ ثانياً: الفرق بين حقيقة الشرك وحقيقة النفاق:

حقيقة الشرك: صرف شيء من خصائص الله - في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته - لغيره من المخلوقين، وتشبيه المخلوق بالخالق وتسويته به فيما هو من خصائص الله سبحانه.

وأما النفاق: فحقيقته مجرد كون الظاهر مخالفاً للباطن، فالظاهر على الإسلام، والباطن على خلاف ذلك.

بمعنى: أن المشرك لا بد أن يكون قد أتى بأمر ليستحق به اسم الشرك، وأما المنافق فيستحق اسم النفاق بمجرد مخالفة باطنه لظاهره.

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٤٨).

قال ابن حزم: «أصل النفاق في اللغة: ستر شيء وإظهار خلافه، فمن ستر شيئاً وأظهر خلافه فهو منافق فيه»<sup>(١)</sup>.

### □ ثالثاً: الفرق بين الشرك والنفاق في الظهور والخفاء:

المشرك: أعماله ظاهرة، من توسل أو طواف، أو سجود، أو ذبح، أو نذر، أو غير ذلك. فهو متميز عن أهل الإسلام، مفتضح أمره، معلوم عينه وأعماله. مع ما يخالط قلبه من شرك في أعمال القلوب كالمحبة والخوف والرجاء ونحوها.

أما المنافق: فنفاق باطن، وكفره أو شركه -في الباطن- أمر مستتر لا يعلمه إلا الله، وإنما له علامات يستدل بها عليه.

قال ابن القيم: «يحبون [يعني: المشركين] معبوداتهم، ويعظمونها ويوالونها من دون الله، وكثير منهم -بل أكثرهم- يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله...، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده من دون الله على لسانه ديدناً له، إن قام وإن قعد، وإن عثر وإن مرض، وإن استوحش، فذكر إلهه ومعبوده من دون الله هو الغالب على قلبه ولسانه، وهو لا ينكر ذلك، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله، وشفيعه عنده، ووسيلته إليه...»

وأما النفاق: فالداء العضال الباطن، الذي يكون الرجل ممتلئاً منه وهو لا يشعر، فإنه أمر خفي على الناس، وكثيراً ما يخفى على من تلبس به،

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/١٣٦).

فيزعم أنه مصلح وهو مفسد»<sup>(١)</sup>.

#### □ رابعاً: الفرق بين الشرك والنفاق في القصد:

المشرك: قصد من شركه التدين والتعبد والتقرب، بل قد يكون مقصده هو تعظيم جناب الرب سبحانه.

قال ابن القيم: «المُشْرِكُ إِنَّمَا قَصَدَهُ تَعْظِيمُ جَنَابِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَنَّهُ لِعَظَمَتِهِ لَا يَبْغِي الدُّخُولَ عَلَيْهِ إِلَّا بِالْوَسَائِطِ وَالشُّفَعَاءِ - كَحِرَالِ الْمُلُوكِ -، فَالْمُشْرِكُ لَمْ يَقْصِدِ الاسْتِهَانَةَ بِجَنَابِ الرَّبُّوبِيَّةِ، وَإِنَّمَا قَصَدَ تَعْظِيمَهُ، وَقَالَ: إِنَّمَا أَعْبُدُ هَذِهِ الْوَسَائِطَ لِتُقَرَّبَنِي إِلَيْهِ وَتَدُلَّنِي وَتَدْخُلَنِي عَلَيْهِ، فَهُوَ الْمَقْصُودُ، وَهَذِهِ وَسَائِلُ وَشُفَعَاءُ»<sup>(٢)</sup>.

وقال: «وَمِنْ هَؤُلَاءِ [يعني: من جعل مع الله إلهاً آخر] مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ مَعْبُودَهُ هُوَ الْإِلَهَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ أَكْبَرُ الْإِلَهَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ إِلَهٌ مِنْ جُمْلَةِ الْإِلَهَةِ، وَأَنَّهُ إِذَا خَصَّهُ بِعِبَادَتِهِ وَالتَّبَتُّلِ إِلَيْهِ وَالْإِنْقِطَاعِ إِلَيْهِ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَاعْتَنَى بِهِ...»<sup>(٣)</sup>.

وأما المنافق فتختلف مقاصده - وليس منها التعبّد -، ومنها:

١ - إظهار الإسلام؛ ليأمن على نفسه من القتل والسبي، وعلى ماله وأهله.

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٦٨ - ٣٧٦).

(٢) الجواب الكافي ص (١٥٨ - ١٥٩).

(٣) المصدر نفسه ص (١٦١).

٢- التمكن -تحت ستار الإسلام- من هدم أركانه، والصد عن سبيل الله، وإبطال ما جاءت به الرسل، وبثُّ الشبه والضلال.

٣- كيد أهل الإسلام بالحيلة؛ لإضعافهم وإضعاف عقيدتهم ووحدتهم، وتسليط غيرهم عليهم، وإزالة دولتهم<sup>(١)</sup>.

وهذا يقودنا إلى فرق آخر، وهو:

أن المشرك فاسد الديانة أصالة، ولا يكون مفسداً لغيره إلا إذا دعا إلى الشرك وحسنه.

وأما المنافق: فقصده الإفساد فيه متأصل، فهو فاسد في نفسه، قاصد إفساد غيره من أهل الدين الحق.

قال ابن القيم: «فله كم من معقل للإسلام قد هدموه! وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخرّبوه! وكم من علم له قد طمسوه! وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه! وكم ضربوا بمعاول الشبه في أصول غراسه ليقلعوها! وكم عموا عيون مواردہ بأرائهم ليدفنوها ويقطعوها!

فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبلية، ولا يزال يطرقه من شبههم سرية بعد سرية...»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: المباحث العقدية في حديث افتراق الأمم (٢/ ٧٥٥ - ٧٥٦).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٧٧).

### □ خامساً: الفرق بين الشرك والنفاق في جهة وقوع البشر فيهما:

الشرك أول تفرق واختلاف مذموم وقع في البشر، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾... الآية [البقرة: ٢١٣].

فالشرك أسبق وقوعاً في بني آدم من النفاق.

وثمة فرق آخر، وهو:

أن الشرك لا ضابط في وقوعه، فهو قد يقع في أي زمان أو مكان -في هذه الدنيا- إلا ما استثناه النص، كالمدة التي كانت بين آدم ووقوع الشرك في ذريته، وكالسنين السبع بعد نزول عيسى آخر الزمان.

وأما النفاق فلا يقع -غالباً- إلا إذا كان المنافق يرى فيه تحقيق مقصد أو مصلحة، فعبد الله بن أبي -مثلاً- كان باقياً على الشرك مع أن النبي ﷺ وصحابته كانوا في المدينة، ولكن لما عزّ الإسلام بوقعة بدر العظمى رأى المصلحة تتحقق له في إظهار الإسلام، فنفاق.

وقس على ذلك: بولس، وعبد الله بن سبأ اليهوديين.

### □ سادساً: الفرق بين الشرك والنفاق في أحكام الدنيا:

المشرك:

■ إما أنه مشرك أصالة؛ فيعامل معاملة أهل الشرك، من قتالهم، وإهدار دمائهم وأموالهم، وحرمة نكاحهم وإنكاحهم، وبطلان ميراثه من المسلم، وميراث المسلم منه...، وغير ذلك.

▪ وإما أنه مسلم في الأصل ثم صار مشركاً؛ فهذا يعامل معاملة المرتد ويأخذ أحكامه، من إقامة الحد عليه، وعدم تغسيله وتكفينه والصلاة عليه، ودفنه في مقابر المسلمين.

وأما المنافق: فهو وإن ظهرت منه علامات النفاق - وهو منافق في باطنه وحقيقة أمره - فإنه يعامل معاملة أهل الإسلام، وتثبت له أحكامهم، ويوكل أمر باطنه إلى الله تعالى، مع أخذ الحذر والحيطه منه.

### □ سابعاً: الفرق بين الشرك والنفاق في الحكم في الآخرة:

١. يؤمر المشركون يوم القيامة أن يتبعوا ما كانوا يعبدونه في الدنيا، فتتبع كل أمة معبودها من دون الله، فيتساقطون في جهنم.

وأما المنافقون فيكونون مندسين في صفوف المؤمنين كما كانوا في الدنيا، حتى إذا كشف عن ساق سجد كل من كان يعبد الله مؤمناً به، وتصير ظهور المنافقين فقرة واحدة كالصفيحة لا تشني للسجود، فلا يستطيعون السجود فيفتضحون. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢].

روى الشيخان<sup>(١)</sup> عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَدَنَّ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ». وعند البخاري:

(١) صحيح البخاري (١٣/٤٢٠ - ٤٢١) مع فتح الباري، صحيح مسلم (١/١٦٧) -

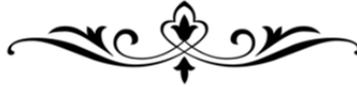
«يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ». «حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغَبْرٍ أَهْلِ الْكِتَابِ فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ. فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ؛ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطَشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَانَهَا سَرَابٌ يَحِطُّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ. ثم ذكر نظير ذلك في النصارى مع المسيح، ثم قال: «حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، قَالَ فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتَّبِعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا فَارْقِنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا -، حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ لِيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ...» الحديث.

٢. المشرك لا يكون له نور يوم القيامة البتة، وأما المنافق فيعطى - مع المؤمنين - شيئاً من النور، ثم يسلبهم الله إياه. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾... [الحديد: ١٣]، وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ

يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْتِيهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اتِّمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿التحریم: ٨﴾.

قال مجاهد<sup>(١)</sup> والضحاك والحسن البصري وغيرهم: «هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طفيء»<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعاً: «وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ - مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ - نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُنَّ، وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيْبٌ وَحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَطْفَأُ نُورَ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ...»<sup>(٣)</sup> الحديث.



(١) مجاهد بن جبر المكي، أبو الحجاج، الإمام شيخ القراء والمفسرين، أكثر الرواية عن ابن عباس، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه، وكان من أعلم الناس بالتفسير، توفي سنة (١٠٢هـ) أو بعدها. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٤٤٩ - ٤٥٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٣٩٣).

(٣) صحيح مسلم (١/١٧٨).

## المطلب الثالث

## الفرق بين الشرك والكبائر

## □ أولاً: العلاقة بين الشرك والكبائر:

بين (الشرك) و(الكبائر) عموم وخصوص:

• فكل شرك -سواء كان شركاً أكبر أم شركاً أصغر- فهو من كبائر الذنوب، بل أكبرها وأعظمها.

قال ابن القيم: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؛ لِيُعْرَفَ وَيُعْبَدَ وَيُوْحَدَ، وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالطَّاعَةُ كُلُّهَا لَهُ، وَالدَّعْوَةُ لَهُ...»

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْقَصْدَ بِالْخَلْقِ وَالْأَمْرِ: أَنْ يُعْرَفَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَيُعْبَدَ وَحْدَهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ، وَأَنْ يَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ، وَهُوَ الْعَدْلُ الَّذِي قَامَتْ بِهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ....

وَمِنْ أَعْظَمِ الْقِسْطِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ رَأْسُ الْعَدْلِ وَقَوَامُهُ، وَإِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ، فَالشَّرْكَ أَظْلَمُ الظُّلْمِ، وَالتَّوْحِيدُ أَعْدَلُ الْعَدْلِ، فَمَا كَانَ أَشَدَّ مُنَافَاةً لِهَذَا الْمَقْصُودِ فَهُوَ أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ....

فَلَمَّا كَانَ الشَّرْكَ بِاللَّهِ مُنَافِيًا بِالذَّاتِ لِهَذَا الْمَقْصُودِ كَانَ أَكْبَرَ الْكِبَائِرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ»<sup>(١)</sup>.

(١) الجواب لكافي ص (١٥٨).

وقال: «فَلَمَّا كَانَ الشُّرْكُ أَكْبَرَ شَيْءٍ مُنَافَاةً لِلْأَمْرِ الَّذِي خَلَقَ اللهُ لَهُ الخَلْقَ، وَأَمْرًا لِأَجْلِهِ بِالْأَمْرِ؛ كَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ عِنْدَ اللهِ»<sup>(١)</sup>.

• وليس كل كبيرة من كبائر الذنوب شركاً، بل منها ما هو شرك، ومنها ما هو دون ذلك.

ودليل هذه العلاقة بين الشرك والكبائر: حديث: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر»، فذكر الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وقول الزور. فنص الحديث على أن الشرك من الكبائر، وعلى أن من الكبائر ما ليس بشرك.

فظهر بهذا أن كل شرك كبيرة، وليس كل كبيرة شركاً.

#### □ ثانياً: الفرق بين الشرك والكبائر في متعلقهما:

متعلق الشرك وبابه الذي يقع فيه: هو وحدانية الله تبارك وتعالى، وذلك أن الشرك ضد التوحيد.

قال ابن القيم: «حقيقة الشرك: هو التشبه بالخالق والتشبيه للمخلوق به...، فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية»<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ حافظ الحكمي: «فصل في باب ضد التوحيد، وهو

(١) المصدر السابق ص (١٧٦).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص (١٦٧).

الشرك»<sup>(١)</sup>.

وأما الكبائر: فقد تتعلق بالوحدانية - كالشرك والسحر -، وقد تتعلق بحقوق الخلق - كالسرقة والقذف -، وقد تتعلق بحقوق النفس - كشرب الخمر والتولي يوم الزحف -.

وفي الحديث: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»<sup>(٢)</sup>.

وقريب من هذا:

ما نص عليه الشاطبي<sup>(٣)</sup> من أن الكبائر منحصرة في الإخلال بالضروريات الخمس المعتبرة في كل ملة، وهي: الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال<sup>(٤)</sup>.

فكبيرة الشرك: تخل بالدين. وبقية الكبائر: تخل بالدين وبالضروريات الأربع الباقية.

(١) معارج القبول (٢/٤٥٩).

(٢) صحيح البخاري (٥/٣٩٣) مع فتح الباري، صحيح مسلم (١/٩٢).

(٣) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ، كان من أئمة المالكية، توفي سنة (٧٩٠هـ). انظر: الأعلام (١/٧٥).

(٤) انظر: الاعتصام (٢/٣٧٤ - ٣٧٥).

فأعظم جريمة يعتدى بها على الدين: الشرك بالله. وأما بقية الكبائر: فمنها ما يعتدى بها على الدين، ومنها ما يعتدى بها على الشريعة، كترك الصلاة، وقضاة السوء، وترك الجمعة بغير عذر، وعلى الأشخاص، كعقوق الوالدين، وقطع الرحم، والزنا، وعلى الأموال، كالقمار، وإسبال الإزار.

### □ ثالثاً: الفرق بين الشرك والكبائر في حبوط العمل والإيمان:

المشرك: إما أن يكون شرکه أصلياً، كعباد الشمس والكواكب والأصنام، وإما أن يكون شرکه طارئاً، كالمسلم الذي وقع في الشرك، والكبائر: صاحبها - في الأصل - مسلم موحد.

وعلى هذا؛ فإن الشرك محبط للعمل والإيمان، مفسد لهما، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ

الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فالمشرك إن كان مشركاً أصلياً لم يقبل الله منه أي عمل صالح، بل يكافئه عليه في الدنيا، ثم إذا جاء يوم القيامة لم يجد له عملاً صالحاً<sup>(١)</sup>، وأما إن كان العبد مسلماً ثم أشرك بالله: فإن الشرك يحبط إيمانه وينقضه، ويحبط عمله السالف كله، فلا تبقى له أي حسنة فعلها وقت إسلامه، كما دلت على ذلك الآية الكريمة، ويكون بذلك قد رفع عن نفسه العصمة، فهو حلال الدم والمال.

وأما الكبائر - غير الشرك - فلا تحبط العمل، ويبقى صاحبها مؤمناً،

(١) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/٢٤٦ - ٢٤٨).

لكن ناقص الإيمان، ويختل كمال إيمانه الواجب<sup>(١)</sup>، ويكون معصوم الدم والمال، إلا إذا كانت كبريته تستلزم عقوبة بدنية كالحد-، أو مالية كالتعزير بأخذ المال.

قال الصنعاني: «ثم إن المعاصي - بعد ذلك - منقسمة؛ منها:

- ما اقتضت الحكمة أن يحبط الإيمان وغيره، وهو الشرك، ولذا لا يغفر بالتفضل أيضاً.
- ومنها ما لا يحبط نفس الإيمان، ويغفر بالتفضل، ويكثر فعله وموجبه في كل حال أو في غالب الأحوال؛ كالقتل وسائر السبع والتسع وغيرها<sup>(٢)</sup>.

#### □ رابعاً: الفرق بين الشرك والكبائر فيما يكفرهما:

الشرك أعظم الذنوب والكبائر؛ لذا فإن الله لا يغفره إلا بالتوبة، فمن مات مشركاً بالله لم يغفر الله له شركه لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وأما الكبائر - غير الشرك - فلها مكفرات عديدة، منها: إقامة الحد - إن كانت الكبيرة تستوجبها -، والتوبة والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، وفتنة القبر، وأهوال يوم القيامة، وشفاعة النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>.

دليل ذلك:

(١) انظر: التعريفات الاعتقادية ص (٢٨١ - ٢٨٢).

(٢) إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة ص (٤٩٧ - ٤٩٨).

(٣) انظر: المباحث العقدية في حديث افتراق الأمم (٢/ ١١٦٨ - ١١٧٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>١</sup>

[النساء: ٤٨].

وقوله ﷺ: «الظلم ثلاثة: فظلم لا يتركه الله، وظلم يغفر، وظلم لا يغفر، فأما الظلم الذي لا يغفر: فالشرك لا يغفره الله، وأما الظلم الذي يغفر: فظلم العبد فيما بينه وبين ربه، وأما الذي لا يترك: فقصر الله بعضهم من بعض»<sup>(١)</sup>.  
ويدخل ضمن هذا:

أن الشرك إن مات صاحبه عليه لم يغفره الله له.

وأما الكبائر - غير الشرك - فمرتكبوها تحت مشيئة الله، كما دلت على ذلك الآية الكريمة الأنف ذكرها.

#### □ خامسا: الفرق بين الشرك والكبائر في العصمة منهما:

الشرك: عصم الله منه صحابة رسول الله ﷺ المبشرين بالجنة.

وأما الكبائر: فهم غير معصومين من ارتكابها.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «فأهل بدر الذين جعل الله على أيديهم هذا النصر المبين، والفرقان الذي هاب العرب به رسول الله ﷺ وأصحابه، وكان لهم منزلة عظيمة بعد هذا النصر؛ اطلع الله عليهم وقال: «اعملوا ما

(١) أخرجه الطيالسي (٢/ ٦٠ - ٦١)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٠٩)، وحسنه الألباني في

الصحيحة، رقم (١٩٢٧) (٤/ ٥٦٠ - ٥٦١).

شتم، فقد غفرت لكم»<sup>(١)</sup>...

وفيه بشارة بأنهم لن يموتوا على الكفر؛ لأنهم مغفور لهم، وهذا يقتضي أحد أمرين:

- إما أنهم لا يمكن أن يكفروا بعد ذلك.
- وإما أنهم إن قدر أن أحدهم كفر؛ فسيوفق للتوبة والرجوع إلى الإسلام.

وأيا كان؛ ففيه بشارة عظيمة لهم، ولم نعلم أن أحداً منهم كفر بعد ذلك»<sup>(٢)</sup>.

وقال شيخ الإسلام: «وهم [يعني: الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة] مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم من كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب بالجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر»<sup>(٣)</sup>.

#### □ سادسا: الفرق بين الشرك والكبائر في دخول أصحابهما الجنة أو النار:

المشرك: محرم عليه دخول الجنة، ومأواه نار جهنم خالداً مخلداً فيها

(١) متفق عليه؛ صحيح البخاري (١٤٣/٦) مع فتح الباري، صحيح مسلم (٤/١٩٤١ - ١٩٤٢).

(٢) شرح العقيدة الواسطية (٢/٢٥٩ - ٢٦٠).

(٣) العقيدة الواسطية - ضمن مجموع الفتاوى - (٣/١٥٥).

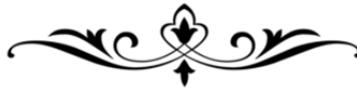
أبدأ.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ﴾

[المائدة: ٧٢].

ومرتكب الكبيرة: قد يعفو الله عنه فلا يدخل النار، وإن دخلها لم يدخل فيها، بل يطهر فيها من ذنوبه ثم يخرج منها إلى الجنة.

قال ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَفِي قَلْبِهِ وَزَنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَفِي قَلْبِهِ وَزَنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَفِي قَلْبِهِ وَزَنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ». متفق عليه من حديث أنس بن مالك<sup>(١)</sup>.



(١) صحيح البخاري (١٠٣/١) مع فتح الباري، صحيح مسلم (١٨٢/١).

## المطلب الرابع الفرق بين الكفر والنفاق

### □ أولاً: العلاقة بين الكفر والنفاق:

النفاق: نوع من أنواع الكفر؛ ولذا: فكل نفاق كفر.

والكفر يشمل النفاق وغيره؛ ولذا: فليس كل كفر نفاقاً.

يبين ذلك ما قرره أهل العلم وبينوه من أن الكفر له أنواع، وذكروا من تلك الأنواع: كفر النفاق، فالنفاق -إذا- نوع من أنواع الكفر.

قال ابن أبي العز<sup>(١)</sup>: «... ويقرب من هذا المعنى: الكفر والنفاق، فإن الكفر أعم، فإذا ذكر الكفر شمل النفاق، وإن ذكرهما معا كان لكل منهما معنى»<sup>(٢)</sup>.

قال: «ونظائر ذلك في كلام الله ورسوله وفي كلام الناس كثيرة -أعني في الأفراد والاقتران-، منها: لفظ الكفر والنفاق، فالكفر إذا ذكر مفرداً في وعيد الآخرة دخل فيه المنافقون، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]. ونظائره كثيرة، وإذا قرن بينهما

(١) علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، ولد سنة (٧٣١هـ)، كان قاضياً بدمشق ثم بالديار المصرية ثم بدمشق، توفي سنة (٧٩٢هـ). انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١٠٣/٤).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص (٣٦٩).

كان الكافر من أظهر كفره، والمنافق من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه»<sup>(١)</sup>.  
وقال الكفوي: «الكافر: اسم لمن لا إيمان له، فإن أظهر الإيمان فهو المنافق»<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر الله سبحانه في أول سورة البقرة ثلاثة أصناف:

- المؤمنین الخالص، الذین أخلصوا دينهم لله، وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم وجوارحهم.
- الكفار الخالص، الذین محضوا الكفر ظاهراً وباطناً، قلوباً وألسنة.
- المنافقون، الذین وافقوا في الظاهر الطائفة الأولى فأمنوا بأفواههم، ووافقوا في الباطن الطائفة الثانية؛ إذ لم تؤمن قلوبهم<sup>(٣)</sup>.

وذكر المنافقين على أنهم قسم ثالث لا يعني أنهم مغايرون لأهل الكفر؛ بل هم - في الحقيقة - منهم.

قال الألويسي: «لأن اختصاصهم [يعني: المنافقين] بخلط الخداع والاستهزاء مع الكفر لا ينافي دخولهم تحت الكفرة المصيرين، وبهذا الاعتبار صاروا قسماً ثالثاً، فالقسمة ثنائية بحسب الحقيقة، ثلاثية بالاعتبار»<sup>(٤)</sup>.

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص (٣٩٢).

(٢) الكليات ص (٧٦٥).

(٣) انظر: تفسير النسفي (١/١٦)، تفسير البيضاوي (١/١٥٦ - ١٥٧)، فتح القدير (١/٤٠).

(٤) روح المعاني (١/١٤٤).

## □ ثانياً: الفرق بين الكفر والنفاق في الظهور والخفاء:

الكفر المحض: صاحبه قد محض الكفر ظاهراً وباطناً، بقلبه ولسانه وجوارحه، فهو ظاهر العين، معروف المعتقد.

والنفاق صاحبه قد أبطن الكفر وستره وأضمّره، وأظهر الإيمان وأعلنه وأشهره، فهو مختم خلف ستار الحق، مندسّ بين صفوف أهل الإيمان والصدق.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «في حديث النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ في ذكر المنافقين وما في التنزيل من ذكرهم ومن ذكر الكفار؛ فيقال: إنما سمي المنافق منافقاً لأنه نافع كاليربوع...، فيقال: هكذا يفعل المنافق، يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه. وأما الكافر: فيقال - والله أعلم -: إنما سمي كافراً؛ لأنه متكفر به كالتكفر بالسلاح، وهو الذي قد ألبسه السلاح حتى غطى كل شيء منه، وكذلك غطى الكفر قلب الكافر»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن كثير: «لما كان أمرهم [يعني: المنافقين] يشتهه على كثير من الناس أطنب في ذكرهم بصفات متعددة، كل منها نفاق، كما أنزل سورة (براءة) فيهم، وسورة (المنافقين) فيهم، وذكرهم في سورة (النور) وغيرها من السور؛ تعريفاً لأحوالهم لتجتنب، ويجتنب من تلبس بها أيضاً...». إلى

(١) غريب الحديث (٣/١٣).

أن قال: «ولهذا نبّه الله، سبحانه على صفات المنافقين؛ لئلا يغترّ بظاهر أمرهم المؤمنون، فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم، ومن اعتقاد إيمانهم، وهم كفار في نفس الأمر، وهذا من المحذورات الكبار، أن يظن بأهل الفجور خَيْرٌ»<sup>(١)</sup>.

### □ ثالثاً: الفرق بين الكفر والنفاق في عظم الإثم والجرم والعقوبة:

لا شك أن الكفر -بجميع أنواعه وأقسامه المخرجة عن الملة- إثم عظيم، لكن المنافقين هم أخبث أهل الكفر، وشرهم، وأبغضهم إلى الله، وأعظمهم جرماً وعقوبة<sup>(٢)</sup>.

قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾

[النساء: ١٤٥].

«يخبر تعالى عن مآل المنافقين أنهم في أسفل الدركات من العذاب، وأشر الحالات من العقاب.

فهم تحت سائر الكفار؛ لأنهم شاركوهم بالكفر بالله ومعاداة رسله، وزادوا عليهم المكر والخديعة والتمكن من كثير من أنواع العداوة للمؤمنين، على وجه لا يشعر به ولا يحس. ورتبوا على ذلك جريان أحكام الإسلام عليهم، واستحقاق ما لا يستحقونه.

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٤٨).

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص (٨١٩)، روح المعاني (١/١٤٣).

فبذلك ونحوه استحقوا أشد العذاب»<sup>(١)</sup>.

#### □ رابعاً: الفرق بين الكفر والنفاق في شدة الضرر على الإسلام وأهله:

لما كان الكافر ظاهر الكفر، معلن العداوة، معلوم السريرة؛ فأهل الإسلام له بالمرصاد، يحاربونه، ويكشفون كفره وعداوته، ويحذرون منه، فلا تنفق عندهم أقواله، ولا تروج عليهم أكاذيبه، ولا يأمنون تخطيطه وتدبيره.

أما المنافق فلبس لباس الإيمان تمويهماً وخداعاً، وتقرب إلى أهل الإسلام بما يحبونه ويعظمونه من الأعمال، فهم إليه مائلون، ولأقواله وأفعاله مطمئنون، فيتمكن من إفسادهم أكثر مما يستطيعه الكافرون الخالص، ويتوصل إلى الإضرار بهم من حيث يأمنون، فالمنافقون أشد خطراً، وأعظم ضرراً على الإسلام وأهله، من الكفرة الظاهرين.

قال ابن القيم: «وقد هتك الله سبحانه أستار المنافقين، وكشف أسرارهم في القرآن وجلّى لعباده أمورهم...؛ لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم، وشدة فتنهم على الإسلام وأهله، فإن بلية الإسلام بهم شديدة جداً؛ لأنهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته، وهم أعداؤه في الحقيقة يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وإصلاح وهو غاية الجهل والإفساد....»

(١) تيسير الكريم الرحمن - ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات ابن سعدي - (٢/٢٠٤).

من علقت مخالب شكوكهم بأديم إيمانه مزقته كل تمزيق، ومن تعلق شرر فتنهم بقلبه ألقاه في عذاب الحريق، ومن دخلت شبها تلييسهم في مسامعه حال بين قلبه وبين التصديق، ففسادهم في الأرض كثير، وأكثر الناس عنه غافلون....

أوامرهم التي يأمرون بها أتباعهم متضمنة لفساد البلاد والعباد، ونواهيهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد...» إلى آخر كلامه رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>.

#### □ خامساً: الفرق بين الكفر والنفاق في أحكام الدنيا والآخرة:

الفرق بين الكفر والنفاق في أحكام الدنيا وبعض أحكام الآخرة: هو الفرق نفسه بين الشرك والنفاق في ذلك، فيرجع إليه.

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٧٧ - ٣٨٩).

## المطلب الخامس

### الفرق بين الكفر والكبائر

لما كان الكفر صنو الشرك في التحريم، وعظم الذنب، والقدر في الديانة، وأحكام الدنيا والآخرة؛ فإن الفرق بين الكفر والكبائر - يتفق إلى حد كبير - مع الفرق بين الشرك والكبائر.

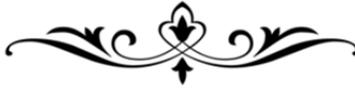
ولما كانت الفروق بين الشرك والكبائر قد سبق ذكرها تفصيلاً في المطلب الثالث؛ فإنني سأقتصر هنا على سرد الفروق، ومن أراد التفصيل فليرجع - مشكوراً - إلى المطلب المذكور.

والفروق بين الكفر والكبائر هي:

١. بين الكفر والكبائر عموم وخصوص:
- فكل كفر - سواء كان أكبر أم أصغر - فهو من كبائر الذنوب، بل أكبرها وأعظمها.
- وليس كل كبيرة كفرًا، بل منها ما هو كفر، ومنها ما هو دون ذلك.
٢. الكفر الأكبر محبط للعمل مفسد له، والكبائر لا تحبط العمل.
٣. الكفر الأكبر ناقض للإيمان مُذهب لأصله، والكبيرة تنقض الإيمان، وتخل بكمالها الواجب.
٤. الكفر الأكبر يرفع عصمة الدم والمال، والكبيرة صاحبها باق على

عصمة الدم والمال والعرض، إلا إن كانت الكبيرة مما يستوجب حداً أو تعزيراً.

٥. الكفر الأكبر إما كفر أصلي أو ردة، والكبيرة صاحبها مسلم موحد.
٦. الكفر الأكبر لا يغفر ولا يكفر إلا بالتوبة، والكبيرة تكفر بالتوبة والحد ومصائب الدنيا، وغير ذلك. وصاحبها تحت مشيئة الله يوم القيامة؛ إن شاء عفا عنه برحمته وعفوه، وإن شاء عذبه بعدله.
٧. الكفر الأكبر عصم منه الصحابة المبشرون بالجنة، فلم ينقل عن أحد منهم البتة أنه ارتد عن الإسلام. والكبيرة لم يعصموا منها في الجملة.
٨. الكفر الأكبر يحرم صاحبه على الجنة، ويؤبده في نار جهنم، والكبيرة إن دخل صاحبها النار تطهيراً له أخرج منها إلى جنة الخلد.



## المطلب السادس

### الفرق بين النفاق والكبائر

لما كان النفاق نوعاً من أنواع الكفر، لكنه كفر في الباطن؛ فإن الفروق بينه وبين الكبائر تشترك - في معظمها - مع الفروق بين الكفر والكبائر.

والفروق بين النفاق والكبائر جعلتها تحت العناوين الآتية:

#### □ أولاً: العلاقة بين النفاق والكبائر:

كل نفاق - سواء كان أصغر أم أكبر - من كبائر الذنوب وأعظمها، وليست كل كبيرة نفاقاً.

بيانه: أن النفاق في نفسه وشعبه وخصاله وأعماله كلها من كبائر الإثم. وأما الكبائر: فمنها ما وصف بأنه نفاق أو من شعبه وخصاله، ومنها ما لم يوصف بذلك، كعقوق الوالدين، والسرقه، والقذف ونحوها.

ولذا: فكل نفاق كبيرة، وليس كل كبيرة نفاقاً.

#### □ ثانياً: الفرق بين النفاق والكبائر في حبوط العمل والإيمان:

النفاق الاعتقادي محبط للعمل كله، ناقض للإيمان مذهب لأصله. والكبائر لا تحبط العمل، ولكن تنقص الإيمان، وتخل بكماله الواجب.

#### □ ثالثاً: الفرق بين النفاق والكبائر في وجوب الحد:

النفاق أمر باطن في القلب، لا يطلع عليه إلا الله، وصاحبه معدود من

المسلمين، ولذا فالنفاق -من حيث هو أمر باطن- لا حد فيه؛ لأنه لا يعلم، والكبيرة فعل ظاهر وآخر باطن والظاهر منه ما يوجب الحد -كالسرقة والزنا-.

#### □ رابعاً: الفرق بين النفاق والكبائر باعتبار الباطن:

مع اتفاق المنافق ومرتكب الكبيرة في أحكام الظاهر؛ فهما جميعاً معدودان في صفوف أهل الإسلام، إلا أن المنافق فاسد الطوية، خبيث السريرة، كافر في باطنه وأصله وحقيقته. ومرتكب الكبيرة مسلم الباطن موحد.

#### □ خامساً: الفرق بين النفاق والكبائر في التكفير والمغفرة:

النفاق لا يغفر ولا يكفر إلا بالتوبة، والدخول في الإسلام ظاهراً وباطناً، والكبيرة لها مكفرات عديدة في الدنيا والبرزخ والقيامة، وصاحبها تحت المشيئة.

#### □ سادساً: الفرق بين النفاق والكبائر في الآخرة:

١- يؤمر كل من كان يظهر عبادة الله بالسجود يوم القيامة؛ فالمنافق يصير ظهره كالصفيحة فلا ينشئ للسجود ولا يستطيعه، وكلما أراد السجود خر على قفاه، بهذا ثبت الحديث، ومقتضاه -بصيغة العموم-: أن من عداهم من المسلمين -ومنهم أصحاب الكبائر- يستطيعون السجود.

٢- يعطى كل من كان يعبد الله في الدنيا من بر وفاجر نوراً يوم القيامة:

فالمناق يسلب الله منه نوره فيطفأ. والمؤمنون - ويدخل في عمومهم:  
أصحاب الكبائر - يبقى لهم النور الذي أعطوه بقدر إيمانهم.

٣- النفاق: صاحبه حرمت عليه الجنة، واستحق الخلود في نار جهنم،  
بل هو في الدرك الأسفل منها. والكبيرة: مرتكبها إن نفذ فيه الوعيد وأدخل  
النار فإنما يدخلها تطهيراً من ذنوبه، ثم يكون مآله الجنة خالداً مخلداً فيها  
أبداً.

## الخاتمة

أحمد الله وأشكره على أن وفقني للكتابة في موضوع هذا البحث، الذي هو امتداد لما كان عليه علماء الأمة الإسلامية من العناية بالألفاظ الشرعية معرفةً وفقهاً وتحريراً وبياناً، وقد استخلصت منه عدداً من الفوائد التي هي نتائجه وخلاصته، فأعرضها هنا في خاتمته:

١ - لأهل العلم في الفرق بين حقيقة الشرك والكفر قولان - مع اتفاق الفريقين على أن الشرك قد يطلق ويراد به ما يشمل الشرك والكفر، وأن الكفر قد يطلق ويراد به ما يشمل الكفر والشرك-، فأولهما: أن بينهما فرقاً من حيث العموم والخصوص من وجه، فكل مشرك كافر، وليس كل كافر مشركاً، وثانيهما: أنه ليس بينهما فرق، فكل شرك كفر، وكل كفر شرك.

٢ - الشرك يرجع إلى ما يختص بالله وحسب، وأما الكفر فإنه يشمل ذلك وغيره.

٣ - تنحصر أعمال الشرك في التسوية بين الله وخلقته فيما هو من خصائص الله، وأما أعمال الكفر فلا تنحصر في ذلك، بل تشمل ذلك وغيره كإنكار البعث.

٤ - اسم (الشرك) يستحقه من جعل مع الله إلهاً آخر - على سبيل الاستقلال أو الوساطة-، واسم (الكفر) يستحقه كل من خرج عن دين الإسلام.

٥ - لأهل العلم في مسألة (هل الشرك أعظم أنواع الكفر ذنباً وجرماً، أو أن ثمة من أنواع الكفر ما هو أعظم من الشرك؟) قولان؛ أولهما: أن الشرك أعظم أنواع الكفر، وثانيهما: أن تعطيل الخالق سبحانه ونفيّه أعظم من الشرك.

٦ - يلتقي الشرك والنفاق: فيمن كان يظهر الإسلام وهو في باطنه يضمّر الشرك ويعبد مع الله غيره، وينفرد الشرك: فيمن يعبد مع الله غيره ويظهر ذلك ولا يضمّره، وينفرد النفاق: فيمن كان يظهر الإسلام وهو في باطنه يضمّر الإلحاد أو بغض الدين أو غير ذلك دون أن يكون واقعاً في الشرك.

٧ - النفاق: نوع من أنواع الكفر؛ ولذا: فكل نفاق كفر، والكفر يشمل النفاق وغيره؛ ولذا: فليس كل كفر نفاقاً.

٨ - حقيقة الشرك: صرف شيء من خصائص الله - في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته - لغيره من المخلوقين، وتشبيه المخلوق بالخالق وتسويته به فيما هو من خصائص الله سبحانه، وأما النفاق: فحقيقته مجرد كون الظاهر مخالفاً للباطن، فالظاهر على الإسلام، والباطن على خلاف ذلك.

٩ - المشرك والكافر: مَحْضًا الكفرَ ظاهراً وباطناً، وأما المنافق: فقد أبطن الشرك أو الكفر وسّره وأضمّره، وأظهر الإيمان وأعلنه وأشهره.

١٠ - المشرك: يَقْصِدُ من شِرْكَه التدين والتعبد والتقرب، بل قد يكون مقصده هو تعظيم جناب الرب سبحانه، وأما المنافق فتختلف مقاصده، وليس منها التعبد.

١١ - الشرك أول تفرق واختلاف مذموم وقع في البشر، فالشرك أسبق وقوعاً في بني آدم من النفاق.

١٢ - الكفر - بجميع أنواعه وأقسامه المخرجة عن الملة - إثمٌ عظيم، لكن المنافقين هم أخبث أهل الكفر، وشرهم، وأبغضهم إلى الله، وأعظمهم جرماً وعقوبة.

١٣ - المشرك والكافر ظاهراً لأهل الإسلام، فهم على حدّ منهما ومن أعمالهما ودسائسهما، وأما المنافق فيلبس لباس الإيمان؛ تمويهاً وخداعاً، فضرره على أهل الإسلام أشدّ من ضرر المشرك والكافر.

١٤ - المشرك والكافر يُعاملان - في الدنيا - معاملة أهل الشرك والكفر وفق ما شرعه الله ويبيّنه من الأحكام المتعلقة بذلك بشروطها وضوابطها، والمنافق ومرتكب الكبيرة سواء في أحكام الظاهر في الدنيا؛ إلا أن المنافق خبيث السريرة، كافر في باطنه وأصله وحقيقته، ومرتكب الكبيرة مسلم الباطن موحد.

١٥ - أهل الشرك والكفر يؤمرون يوم القيامة باتباع ما كانوا يعبدونه في الدنيا، فتتبع كل أمة معبودها من دون الله فيتساقطون في جهنم، وأما المنافقون فيكونون مندسين في صفوف المؤمنين كما كانوا في الدنيا، حتى إذا كُشف عن ساقٍ سجد كل من كان يعبد الله مؤمناً به، وتصير ظهور المنافقين فقرة واحدة كالصفيحة لا تنثني للسجود، فلا يستطيعون السجود فيفتضحون.

١٦- المشرك والكافر لا يكون له نور يوم القيامة البتة، وأما المنافق فيعطى -مع المؤمنين- شيئاً من النور، ثم يسلبهم الله إياه.

١٧- بين (الشرك والكفر) و(الكبائر) عموم وخصوص؛ فكل شرك وكفر ونفاق فهو من كبائر الذنوب، وليست كل كبيرة من كبائر الذنوب شركاً وكفراً ونفاقاً.

١٨- متعلق الشرك وبابه الذي يقع فيه: هو وحدانية الله -تبارك وتعالى-، وأما الكبائر: فتتعلق بالوحدانية وحقوق الخلق وحقوق النفس.

١٩- الشرك والكفر والنفاق الأكبر محبطة للعمل والإيمان مفسدة لهما، وأما الكبائر -غير الشرك والكفر والنفاق الأكبر- فلا تحبط العمل، ويبقى صاحبها مؤمناً ناقص الإيمان.

٢٠- الشرك والكفر والنفاق الأكبر لا يكفرها الله إلا بالتوبة، ومحرم على أصحابها دخول الجنة ومأواهم نار جهنم خالدين مخلدين فيها أبداً، وأما الكبائر -غير الشرك والكفر والنفاق الأكبر- فلها مكفرات عديدة، وصاحبها قد يعفو الله عنه فلا يدخل النار، وإن دخلها لم يخلد فيها، بل يطهر فيها من ذنوبه ثم يخرج منها إلى الجنة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## فهرس المصادر والمراجع

١. أحكام أهل الذمة- محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية- دار الكتب العلمية، بيروت- ط: ٢- ١٣٩٣/١٩٧٣.
٢. الإحكام- علي بن أحمد بن حزم الأندلسي - دار الحديث، القاهرة- ط: ١- ١٤٠٤.
٣. إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام- ابن دقيق العيد- مطبعة السنة المحمدية- بدون طبعة- بدون تاريخ.
٤. الاستقامة- أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية - تحقيق: د. محمد رشاد سالم - جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض- ط: ١- ١٤٠٣.
٥. الإصابة في تمييز الصحابة- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- تحقيق: علي محمد البجاوي- دار الجيل، بيروت- الطبعة: الأولى- ١٤١٢ / ١٩٩٢.
٦. الاعتصام- إبراهيم بن موسى الشاطبي - تحقيق: سليم بن عيد الهلالي - دار ابن عفان، الجيزة- ط: ١- ١٤٢١هـ.
٧. الأعلام - خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين، بيروت - الطبعة: الحادية عشرة - ١٩٩٥م.
٨. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة- حافظ بن أحمد الحكمي- تخريج وتعليق: مصطفى أبو النصر الشلبي- مكتبة السوادي، جدة- ط: ٢- ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٩. إعلام الموقعين- محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم

- الجوزية- دار الكتب العلمية، بيروت- ط: ٢- ١٣٩٣/١٩٧٣ .
١٠. إكمال المعلم شرح صحيح مسلم- القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي- تحقيق: يحيى إسماعيل- دار الوفاء- الطبعة: الأولى- ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
١١. أنوار البروق في أنواء الفروق- أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي- تحقيق: خليل المنصور- دار الكتب العلمية، بيروت- الطبعة: الأولى- ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
١٢. أنيس الفقهاء- قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي- دار الوفاء، جدة- ط: ١- ١٤٠٦.
١٣. إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة- محمد بن إسماعيل الصنعاني- تحقيق: محمد صبحي حلاق- دار ابن حزم، بيروت- الطبعة: الأولى- ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
١٤. البداية والنهاية - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء - مكتبة المعارف، بيروت.
١٥. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع- محمد بن علي الشوكاني- تحقيق: محمد حسن حلاق- دار ابن كثير، دمشق- الطبعة: الأولى- ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
١٦. بعض أنواع الشرك الأصغر- عواد بن عبد الله المعتق- مكتبة الرشد، الرياض- الطبعة: الأولى- ١٤٢٠هـ.
١٧. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة

العصرية، صيدا.

١٨. تأويل مختلف الحديث - عبدالله بن مسلم بن قتيبة - تحقيق: محمد زهري النجار - دار الجيل، بيروت - ١٣٩٣ / ١٩٧٢.
١٩. تحرير ألفاظ التنبيه - يحيى بن شرف بن مري النووي - تحقيق: عبدالغني الدقر - دار القلم - دمشق - ١٤٠٨.
٢٠. تحفة الأحوذى - محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري - دار الكتب العلمية، بيروت.
٢١. تسهيل العقيدة الإسلامية - أ.د. عبد الله بن عبدالعزيز الجبرين - دار الصمعي، الرياض - الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.
٢٢. التعريفات الاعتقادية - سعد بن محمد بن علي آل عبداللطيف - دار الوطن، الرياض - ط: ١ - ١٤٢٢ / ٢٠٠٢.
٢٣. التعريفات - علي بن محمد بن علي الجرجاني - تحقيق: إبراهيم الأبياري - دار الكتاب العربي، بيروت - ط: ١ - ١٤٠٥.
٢٤. تعظيم قدر الصلاة - محمد بن نصر بن المروزي - تحقيق: د. عبدالرحمن عبدالجبار الفريوائي - مكتبة الدار، المدينة المنورة - الطبعة: الأولى - ١٤٠٦ هـ.
٢٥. تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) - البيضاوي - تحقيق: عبدالقادر حسونة - دار الفكر، بيروت - ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.
٢٦. تفسير القرآن العظيم - إسماعيل بن عمر بن كثير - دار الفكر، بيروت - ١٤٠١.
٢٧. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) - عبدالله بن أحمد

النسفي - تحقيق: يوسف بديوي - دار الكلم الطيب، بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨.

٢٨. تهذيب الآثار - محمد بن جرير الطبري - تحقيق: د. ناصر سعد الرشيد؛ عبدالقيوم عبد رب النبي - مطابع الصفا، مكة المكرمة - ١٤٠٢هـ.  
٢٩. تهذيب التهذيب - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - باعثناء: إبراهيم الزبيق؛ عادل مرشد - مؤسسة الرسالة، بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٣٠. التوقيف على مهمات التعاريف - محمد عبد الرؤوف المناوي - تحقيق: د. محمد رضوان الداية - دار الفكر المعاصر؛ دار الفكر، بيروت، دمشق - الطبعة: الأولى - ١٤١٠.

٣١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات ابن سعدي) - عبدالرحمن بن ناصر السعدي - مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة - الطبعة: الثانية - ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٣٢. جامع البيان في تأويل آي القرآن - محمد بن جرير الطبري - دار الفكر، بيروت - ١٤٠٥.

٣٣. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم - عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي - دار المعرفة، بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤٠٨هـ.

٣٤. الجامع لأحكام القرآن - محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي - تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني - دار الشعب، القاهرة - الطبعة: الثانية - ١٣٧٢.

٣٥. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) - محمد بن أبي بكر أيوب ابن القيم الزرعي - دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٦. حاشية ثلاثة الأصول - عبدالرحمن بن محمد بن قاسم - ط: ٥ - ١٩٨٧/١٤٠٧.
٣٧. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني - دار الكتاب العربي، بيروت - الطبعة: الرابعة - ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
٣٨. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر - المحبي - دار صادر، بيروت.
٣٩. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق / مراقبة: محمد عبدالمعيد - مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد - الطبعة: الثانية - ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢.
٤٠. دليل الطالب على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل - مرعي بن يوسف الحنبلي - المكتب الإسلامي - ١٣٨٩.
٤١. الرد على المنطقيين - شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني - دار المعرفة، بيروت.
٤٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - محمود الألوسي أبو الفضل - دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٣. الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي - محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهر الهروي - تحقيق: د. محمد جبر الألفي - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت - ط: ١ - ١٣٩٩.

- ٤٤ . سلسلة الأحاديث الصحيحة - محمد ناصر الدين الألباني - عدد من الناشرين.
- ٤٥ . سير أعلام النبلاء - محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - تحقيق: شعيب الأرنؤوط؛ مجموعة من الباحثين - مؤسسة الرسالة، بيروت - الطبعة: التاسعة - ١٤١٣هـ.
- ٤٦ . شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي - تحقيق: د. أحمد سعد حمدان - دار طيبة، الرياض - ط: ٢ - ١٤١١هـ.
- ٤٧ . شرح السنة - الحسين بن مسعود البغوي - تحقيق: شعيب الأرنؤوط - المكتب الإسلامي، بيروت - ط: ١ - ١٣٩٠هـ.
- ٤٨ . شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز الحنفي - تخريج: محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي، بيروت - ط: ٤ - ١٣٩١.
- ٤٩ . شرح العقيدة الواسطية - محمد الصالح العثيمين - تخريج واعتناء: سعد الصميل - دار ابن الجوزي، الدمام - ط: ٤ - ١٤١٧هـ.
- ٥٠ . شرح صحيح مسلم للنووي - يحيى بن شرف النووي - دار إحياء التراث العربي، بيروت - ط: ٢ - ١٣٩٢.
- ٥١ . الشرك في القديم والحديث - د. أبو بكر محمد زكريا - دار الرشد، الرياض - الطبعة: الأولى - ١٤٢٣هـ / ٢٠٠١م.
- ٥٢ . الشرك ومظاهره - مبارك بن محمد الملي - دار الراية، الرياض؛ جدة - ط: ١ - ١٤٢٢ / ٢٠٠١.
- ٥٣ . صحيح البخاري (مع فتح الباري) - محمد بن إسماعيل البخاري

- ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي؛ إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب - دار المعرفة، بيروت - الطبعة: بدون - التاريخ: بدون.
٥٤. صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٥. صفة النفاق وذم المنافقين - جعفر بن محمد الفريابي - تحقيق: عبد الرقيب بن علي - إشراف ومراجعة: مقبل بن هادي الوادعي - دار ابن زيدون - الطبعة: الأولى - ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
٥٦. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة - محمد بن أبي بكر ابن القيم - تحقيق وتخريج وتعليق: د. علي بن محمد الدخيل الله - دار العاصمة، الرياض - الطبعة: الثالثة - ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
٥٧. صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمایته من الإسقاط والسقط - عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوري أبو عمرو ابن الصلاح - تحقيق: موفق عبدالله عبدالقادر - دار الغرب الإسلامي، بيروت - ط: ٢ - ١٤٠٨.
٥٨. طبقات الحفاظ - عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - دار الكتب العلمية، بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤٠٣هـ.
٥٩. العدة في أصول الفقه - أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي - تحقيق: د. أحمد مباركي - مؤسسة الرسالة، بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤٠٠هـ.
٦٠. عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك - صالح بن فوزان الفوزان - دار العاصمة،

الرياض - ط: ١ - ١٤٢٠هـ / ١٩٩٠م.

٦١. العين - الخليل بن أحمد الفراهيدي - تحقيق: د. عبدالله درويش - بغداد - ١٣٨٦هـ.

٦٢. غريب الحديث - أبو عبيد القاسم بن سلام - دار الكتاب العربي، بيروت (طبعة مصورة عن: طبعة مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - ١٣٩٦هـ).

٦٣. غريب الحديث - أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي - تحقيق: د. عبدالمعطي أمين قلعجي - دار الكتب العلمية، بيروت - ط: ١ - ١٩٨٥.

٦٤. غريب الحديث - عبد الله بن مسلم بن قتيبة - تحقيق: د. عبدالله الجبوري - مطبعة العاني، بغداد - ط: ١ - ١٣٩٧.

٦٥. الفائق في غريب الحديث - محمود بن عمر الزمخشري - تحقيق: علي محمد البجاوي؛ محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعرفة، لبنان - ط: ٢.

٦٦. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء - جمع وترتيب: أحمد بن عبدالرزاق الدويش - دار العاصمة، الرياض - الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.

٦٧. فتاوى ومسائل ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقه - عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح - تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي - دار المعرفة، بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٦٨. فتح الباري بشرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر

- العسقلاني - ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي؛ إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب - دار المعرفة، بيروت - الطبعة: بدون - التاريخ: بدون.
٦٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - محمد بن علي بن محمد الشوكاني - دار الفكر، بيروت.
٧٠. الفروق اللغوية - أبو هلال العسكري - تحقيق: حسام الدين القدسي - دار الكتب العلمية، بيروت.
٧١. الفصل في الملل والأهواء والنحل - أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم - تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر؛ د. عبدالرحمن عميرة - شركة مكتبات عكاظ، جدة؛ الرياض؛ الدمام - الطبعة: بدون - ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
٧٢. الفوائد - محمد بن أبي بكر أيوب ابن القيم الزرعي - دار الكتب العلمية، بيروت - ط: ٢ - ١٣٩٣ / ١٩٧٣.
٧٣. فيض القدير بشرح الجامع الصغير - محمد المدعو بعبد الرؤف المناوي - علق عليها: نخبة من العلماء - دار المعرفة، بيروت - الطبعة: الثانية - ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م.
٧٤. القاموس المحيط - محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - مؤسسة الرسالة، بيروت - الطبعة: الرابعة - ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
٧٥. القول السديد في مقاصد التوحيد (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات ابن سعدي) - عبدالرحمن بن ناصر السعدي - مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة - الطبعة: الثانية - ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
٧٦. القول المفيد على كتاب التوحيد - محمد بن صالح العثيمين -

- اعتناء: د. سليمان أبا الخيل؛ د. خالد المشيقح - دار العاصمة، الرياض -  
الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ.
٧٧. الكبائر - محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - تقديم وتعليق  
وتخريج: مشهور حسن سلمان - مكتبة الفرقان، عجمان - ط: ٢ - ١٤٢٤ /  
٢٠٠٣.
٧٨. كشف القناع عن متن الإقناع - منصور بن يونس بن إدريس  
البهوتي - دار الفكر، بيروت - ١٤٠٢.
٧٩. الكليات - أيوب بن موسى الكفوي - تحقيق: د. عدنان درويش؛  
محمد المصري - مؤسسة الرسالة، بيروت - الطبعة: الثانية -  
١٤١٩هـ / ١٩٩٨.
٨٠. الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية - عبدالعزيز المحمد  
السلمان - رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد -  
الطبعة: ١١ - ١٩٨٢هـ.
٨١. لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي - دار الكتب  
العلمية، بيروت - الطبعة: بدون - التاريخ: بدون.
٨٢. المباحث العقديّة في حديث افتراق الأمم - أحمد سردار محمد  
شيخ - عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ط: ١ -  
٢٠٠٩ / ١٤٣٠.
٨٣. مجموع الفتاوى - شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية -  
جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم؛ ساعده: ابنه محمد - دار  
الكتب، الرياض - الطبعة: بدون - ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٨٤. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز - عبدالعزيز بن عبدالله بن باز - أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر - الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
٨٥. مدارج السالكين - محمد بن أبي بكر أيوب ابن القيم الزرعي - تحقيق: محمد حامد الفقي - دار الكتاب العربي، بيروت - الطبعة: الثانية - ١٩٧٣/١٣٩٣.
٨٦. مراتب الإجماع - علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي - دار الكتب العلمية، بيروت.
٨٧. مسند الطيالسي - سليمان بن داود الطيالسي - دار المعرفة، بيروت - الطبعة: بدون - التاريخ: بدون.
٨٨. المصباح المنير - أحمد بن محمد الفيومي - اعتنى به: يوسف الشيخ محمد - المكتبة العصرية، بيروت - الطبعة: الثانية - ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
٨٩. مصرع الشرك والخرافة - خالد محمد علي الحاج - حققه وراجعته: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري - إدارة الشؤون الدينية، قطر - ١٩٧٨/١٣٩٨.
٩٠. المطلع على أبواب المقنع - محمد بن أبي الفتح الحنبلي - المكتب الإسلامي، دمشق - ١٣٨٥هـ.
٩١. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول - حافظ بن أحمد الحكمي - ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه: عمر بن محمود أبو عمر - دار ابن القيم، الدمام - الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

٩٢. معجم الأدباء- ياقوت بن عبد الله الحموي- دار الكتب العلمية، بيروت- الطبعة: الأولى- ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
٩٣. معجم مقاييس اللغة- أحمد بن فارس- تحقيق: عبدالسلام محمد هارون- دار الجيل، بيروت- الطبعة: الأولى- ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
٩٤. المغرب في ترتيب المعرب- ناصر الدين بن المطرز- تحقيق: محمود فاخوري؛ عبدالحميد مختار- مكتبة أسامة بن زيد، حلب- ط: ١- ١٩٧٩.
٩٥. مفردات ألفاظ القرآن- الراغب الأصفهاني- تحقيق: صفوان عدنان داوودي- دار القلم، دمشق؛ الدار الشامية، بيروت- الطبعة: الثانية- ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
٩٦. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم- عمر بن إبراهيم القرطبي- تحقيق: محيي الدين ديب مستو؛ أحمد محمد السيد؛ يوسف علي بدوي؛ محمود إبراهيم بزال- دار ابن كثير؛ دار الكلم الطيب- الطبعة: الأولى- ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
٩٧. منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام- أ.د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي- عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
٩٨. النهاية في غريب الحديث والأثر- المبارك بن محمد الجزري- تحقيق: طاهر الزاوي؛ محمود الطناحي- دار الفكر، بيروت- الطبعة: بدون- التاريخ: بدون.

## فهرس الموضوعات

|     |  |
|-----|--|
| ١٥  | ملخص البحث.....  |
| ١٨  | المقدمة .....  |
| ٢٣  | تمهيد .....  |
| ٢٦  | المبحث الأول: تعريف الشرك والكفر والنفاق والكبائر، وبيان أقسامها ..... |
| ٢٧  | المطلب الأول: تعريف الشرك لغةً وشرعاً وبيان أقسامه .....               |
| ٤٠  | المطلب الثاني: تعريف الكفر لغةً وشرعاً وبيان أقسامه .....              |
| ٤٩  | المطلب الثالث: تعريف النفاق لغةً وشرعاً وبيان أقسامه .....             |
| ٥٩  | المطلب الرابع: تعريف الكبائر لغةً وشرعاً وبيان أقسامها .....           |
| ٦٨  | المبحث الثاني: الفرق بين الشرك والكفر والنفاق والكبائر .....           |
| ٦٩  | المطلب الأول: الفرق بين الشرك والكفر .....                             |
| ٩٠  | المطلب الثاني: الفرق بين الشرك والنفاق.....                            |
| ١٠٠ | المطلب الثالث: الفرق بين الشرك والكبائر.....                           |
| ١٠٨ | المطلب الرابع: الفرق بين الكفر والنفاق.....                            |
| ١١٤ | المطلب الخامس: الفرق بين الكفر والكبائر.....                           |
| ١١٦ | المطلب السادس: الفرق بين النفاق والكبائر .....                         |
| ١١٩ | الخاتمة .....  |
| ١٢٣ | فهرس المصادر والمراجع.....   |
| ١٣٥ | فهرس الموضوعات .....   |



**الفأل والشؤم**  
**المفهوم - تطبيقات وتفسيرات خاطئة**  
**- دراسة عقدية -**

**د. طارق بن سعيد بن عبد الله القحطاني**

أكاديمي سعودي - أستاذ مساعد، كلية الدعوة  
وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



## ملخص البحث

عنوان البحث: الفأل والشؤم المفهوم - تطبيقات وتفسيرات خاطئة.  
(دراسة عقديّة).

فكرة البحث: (يتناول البحث مفهوم الفأل والشؤم، ويستعرض الأدلة التي يوهم ظاهرها التعارض، ثم أقوال العلماء في ذلك، ثم يرجح الصواب منها، ثم يبحث جوانب تطبيقية خاطئة لها صلة بالموضوع).

هدف البحث: تحرير المفهوم الصحيح للفأل والشؤم. إظهار أثر الخطأ في تصور المفهوم الصحيح، تصحيح بعض التطبيقات الخاطئة.

### أهم النتائج:

- ١ - التشاؤم في الأصل من الشرك الأصغر.
- ٢ - الأدلة في الشؤم والفأل جاءت على أكثر من صورة.
- ٣ - القول الراجح في معنى حديث «الشؤم في ثلاثة: المرأة والدابة، والدار» أنها مستثناة لأحاديث النفي العامة استثناءً بصورة أخرى؛ وذلك للجمع بين الأحاديث؛ لأن إمكان الجمع متحقق.
- ٤ - هناك تطبيقات وتفسيرات خاطئة، تأتي بأشكال مختلفة.

د. طارق بن سعيد بن عبد الله القحطاني

almanar131@gmail.com

***(Good and Evil Omens - their Faulty Explanations and Applications - a Theological Study).***

***Written by: Tariq bin Sa'id bin Abdillah al-Qahtani***

*Saudi Academic – Assistant Professor, Faculty of Da'wah and Theology, Islamic University in Madinah*

***Abstract***

**Research Title:** (Good and Evil Omens - their Faulty Explanations and Applications - a Theological Study).

**Research Idea:** The research addresses the concept of good and evil omens and presents the evidences that might appear to be contradictive. The research explain after that the different statements of the scholars about these evidences and what the most correct opinion is. It furthers continues to study the incorrect practical aspects that are related to the subject.

**Research Objective:** Coming to a conclusion about the correct understanding of good and evil omens. Correcting the wrong understandings and faulty applications.

**Main Results:**

- 1- Bad omens are originally a smaller form of polytheism.
- 2- The evidences that mentioned good and bad omens were mentioned in more than one way
- 3- The most correct opinion concerning the understanding of the *hadith*: (Bad omens can be found in three things: the wife, the riding animal and the residence). These things are

excluded from the general negating *hadiths*. That's the right opinion because it's a way to gather between the *hadiths* and it's possible.

- 4- There are faulty explanations and applications that has been mentioned in different ways.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين، والمبعوث رحمة للعالمين، خاتم الأنبياء والمرسلين.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. وقال تعالى أيضاً: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أمّا بعد، فإن الدين جاء باليسر، لا غلو فيه ولا مشقة، وقد برز هذا اليسر في أحاديث وأحكام كثيرة جداً في الدين، راعى فيها مصالح العباد وطبائعهم المختلفة، ومن ذلك حديث: «إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي الْفَرَسِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالدَّارِ»<sup>(١)</sup>.

فأباح الشؤم بشروط لا تتعارض مع أصل التوحيد، ولا تنقضه وإن كان قد ينقص من كماله، وهذا لا إشكال فيه، فالناس متفاضلون في المنازل،

(١) سيأتي تحريجه.

فمنهم المؤمن الذي يصبر على المصائب، ومنهم دون ذلك، وكانوا طرائق قدداً.

كذلك مفهوم الفأل، كان موافقاً للتوحيد حائثاً على العمل وحسن الظن بالله تعالى.

فمفهوما الفأل والشؤم من أهم المفاهيم الشرعية؛ لأن تصورهما بالتصور الشرعي الصحيح، له أثره على الفرد والأمة ومستقبلها. وهذا ما سنوضح في هذا البحث على النحو التالي:

#### أهمية البحث وأسباب اختياره:

تبرز أهمية البحث في جهات ثلاث:

الأولى: من حيث موضوعه.

فهو يتعلق بتصحيح مفهوم شرعي متعلق بالتوحيد، وملامس للواقع ولأحوال الناس، لأنه إذا كان المعتقد صحيحاً، كان التطبيق للفأل صحيحاً، وكان حرزاً من الوقوع في الشؤم المحرم.

الثانية: من حيث زمنه:

فقد جاء البحث في زمن ووقتٍ تأثر فيه بعض الناس بأفكار هدامة، والأمة فيه على ضعف وتفرّق فيما بينها، ويكثر فيه بعض المخالفات المتعلقة بالشؤم والفأل؛ ولذا حاولت أن أربط الموضوع بهذا الزمن والوقت بتوضيح الأخطاء المعاصرة المرتبطة بالطيرة والفأل.

الثالثة: من حيث ارتباطه بمستقبل الأمة الإسلامية.

فقد انقسم الناس في النظر لمستقبل الأمة إلى قسمين:

قسم: بالغ في التشاؤم، وهذا خطأ كبير.

وقسم بالغ في التفاؤل، وهذا أيضاً خطأ.

وهذا ما سأتناوله - بإذن الله - في هذا البحث مبيّناً الموقف الصحيح.

أما السبب والباعث على إنشاء هذا الموضوع؛ فهو أنني وقفت على الدراسات السابقة فوجدت أن الموضوع لا يزال في حاجة إلى تحرير، وبحث، يضاف إلى جهد العلماء والباحثين السابقين في هذا الموضوع.

وقد كان هذا الاحتياج - في نظري - للبحث في هذا الموضوع من أربعة

جوانب:

الأول: أنه على اعتبار أن القول الراجح في الأشياء الثلاثة التي وردت في حديث «إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي الْفَرَسِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالِدَّارِ» مستثناة من الطيرة، فإن الحكم يحتاج إلى توضيح أكثر في بيان درجات الشؤم المعفو عنه، وعلاقته بالمصائب أو ما يكره الإنسان، وبيان الحالات التي لا تكون من الشؤم والتي يُستحب له الترك، والحالات التي يستحب له فيها الصبر مع جواز الترك.

كل هذا يساعد في بيان الشؤم - المعفو عنه - ومنزله، وأحواله، وضوابطه، والفرق بينه وبين الشؤم الشركي (الجاهلي).

الجانب الثاني: ورد من أقوال العلماء تفسيرات في بيان معنى الحديث «إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي الفَرَسِ، وَالمَرَأَةِ، وَالدَّارِ»، وهذا يحتاج إلى جمع وتمحيص؛ لكي يتشكل التصور الواضح للشؤم الوارد في الحديث.

الجانب الثالث: فيما ورد أن النبي ﷺ «كان إذا رأى قبيحاً رُئي في وجه»، وغير ذلك من الأحاديث التي في نفس المعنى، تحتاج إلى بيان المراد وأنها ليست من الطيرة.

الجانب الرابع: جانب تطبيقي لأخطاء قديمة وحديثة في مفهوم الفأل والشؤم لم تبحث من قبل، وهي تتعلق بمفاهيم ليبرالية، وأخطاء متعلقة بالأخلاق وواقع الأمة.

هذا وقد قمت باستعراض ما وقع في يدي من أبحاث ودراسات سابقة عن موضوع الفأل والطيرة، نذكرها مع بيان الفرق بينها وبين هذا البحث، وذلك على النحو التالي:

#### الدراسات والأبحاث السابقة:

١- الطيرة والفأل دراسة عقديّة، للباحثة: سعاد بنت محمد السويد، (رسالة ماجستير) من جامعة الإمام قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة. وهذه الدراسة كانت على قسمين:

القسم الأول: تناول معنى الطيرة وصوراً من تطير الناس في حياتهم وأسباب وقوع ذلك، ثم حكم الطيرة، وعلاقة الطيرة بالسحر، ثم شبهات في

باب التطير تناولت فيها شبهتين؛ الأولى: (الشؤم في ثلاثة)، والثانية: حديث (الطيرة على من تطير) ودفع توهم أن للتطير أثرًا حقيقيًا.

القسم الثاني: تناول الفأل ومعناه وصورًا وأمثلة له وحكمه.

وبعد النظر في هذه الرسالة وجدتُ أنها قد غطت بعضًا من جوانب الموضوع، وفي نظري أن شبهة تعارض الأدلة في نفي الشؤم وإثباته لم تحرر جيدًا؛ فالباحثة فقط نقلت الأقوال مفردة لكل عالم على حدة دون تصنيف وترتيب، وكان التعقيب غير كافٍ<sup>(١)</sup>، وهذا ما أسعى إلى تكميله في هذا البحث.

٢- بحث بعنوان: «معنى حديث: الشؤم في ثلاثة، ومباينته للطيرة

الشركية» للدكتور محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي.

وهذا البحث تناول تعريف الشؤم والطيرة، ثم متن حديث: «الشؤم في ثلاثة» وأقوال أهل العلم فيه، مع ترجيح القول الصحيح. وسنوضح قريبًا ما يختلف عنه بحث الدكتور محمد العلي بالإضافة للبحوث الأخرى مع هذا البحث الحالي.

٣- بحث بعنوان: (الطيرة) للدكتور محمد بن إبراهيم الحمد، وهو

بحث مختصر عن الطيرة وتعريفها، وذكر بعضًا من الأشياء التي يتطير بها الناس قديمًا وحديثًا، ثم وجه حديث: «إذا كان الشؤم في ثلاثة».

٤- بحث بعنوان: (دراسة حديث: الشؤم في ثلاثة - دراسة حديثة

(١) ينظر: ص ١٧٦ - ١٩٠.

عقدية)، للدكتور صالح بن مقبل بن عبد الله العصيمي، مطبوع في مجلة الدراسات العقدية، العدد الرابع.

وهذا البحث امتاز بأنه أورد روايات الحديث وجمع بين المتعارض منها، ثم تحدث عن معنى الشؤم والتطير، وحكمه، وأخيراً انتهى إلى تقسيم الشؤم إلى محرم ومباح، وأن المباح لا يقتصر على الأشياء الثلاثة الواردة في الحديث.

هذا وهناك أبحاث تناولت الطيرة والفأل بالدراسة جاءت مندرجة في موضوع عام، مثل: التوكل على الله<sup>(١)</sup>، أو ضمن بحث يتناول مجموعة أحاديث يوهم ظاهرها التعارض<sup>(٢)</sup>، وقد أفادت وأجادت.

#### الفروق العامة بين الدراسات السابقة وهذا البحث:

من خلال بيان الفروق تظهر جِدة البحث، وأهميته، وأسباب اختياره: فقد حاولت استكمال الجهود المبذولة في الأبحاث السابقة عن هذا الموضوع بما يفيد بالجديد والنافع - إن شاء الله -، وخاصة في تطبيق مفهوم الفأل والشؤم وتعامل الناس معه في حياتهم، ولكي يتضح ذلك: نذكر بعضاً من الفروق بين الأبحاث السابقة وهذا البحث على النحو التالي:

(١) على سبيل المثال ينظر: بحث بعنوان: التوكل على الله وعلاقته بالأسباب، الدكتور عبدالله بن عمر الدميحي، ص ٢٢٦ - ٢٥٧.

(٢) على سبيل المثال ينظر: أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين (دراسة وترجيح) للدكتور سليمان بن محمد الديخي، ص ١٢١ - ١٥٦.

- البحث الحالي تناول الأقوال بترتيب جديد في الجمع بين أحاديث نفي الطيرة، وأحاديث إثبات الشؤم، وحاول الجمع بينها والتوفيق بينها وتقريبها والتفصيل فيها، وحمل كل قول على المعنى الصواب، فمثلاً: هناك تفسيرات لأهل العلم اتضح أنها لا تختلف مع من أثبت الشؤم في الأشياء الثلاثة، أيضاً اتضح لي أن أحد الأقوال له صلة بمسألة السببية عند المتكلمين (الأشاعرة).

- البحث الحالي فيه تفصيل في مسألة الشؤم المعفو عنه، ومنزلته وأحواله وضوابطه، والفرق بينه وبين الشؤم الشركي (الجاهلي).

- البحث الحالي تناول أحوال الشؤم الثلاثة المستثناة، وأحكامها، وعلاقتها بالصبر، وبيّن أنها ليست سواء، فقد تكون من المباح الذي ينقص عن درجة الكمال، وقد يكون الصبر على الشؤم من أعلى درجات ومقامات التوكل إذا لم يأخذ برخصة الانفكاك عن الشؤم المعفو عنه؛ لأنه داخل في حديث السبعين ألفاً<sup>(١)</sup> الذين جاء الوعد بدخولهم الجنة بغير حساب، فخرج مخرج المدح بإسقاط الحساب عنهم. وهذا الأمر يستوجب معرفة العلاقة بين الشؤم والمصيبة، أي: حالة الاستحباب على الصبر وعدم الترك، وحالة الاستحباب على الترك.

- تناول البحث بعضاً من الأخطاء التطبيقية في الجانب الأخلاقي التي لها صلة بالشؤم، ولم يظهر لي - بحسب علمي - أنها بُحِثت من قبل.

(١) وهو في الصحيحين سيأتي تخريجه.

- تناول البحث بعض التطبيقات والتفسيرات والشبهات المعاصرة الليبرالية لمفهوم الفأل الشؤم، وهذا ما لم يكن في الأبحاث السابقة.

### خطة البحث:

التمهيد، ويشمل:

أولاً: تعريف الطيرة والشؤم والفأل.

ثانياً: حكم الطيرة والتشاؤم.

المبحث الأول: دفع موهم التعارض في أحاديث الفأل والشؤم.

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: الأحاديث الواردة في الفأل والشؤم التي قد يوهم ظاهرها التعارض.

- المطلب الثاني: جمع أقوال أهل العلم وتوجيهاتهم في الأحاديث التي ظاهرها التعارض وترجيح الصواب منها.

المبحث الثاني: الإشكال المتوهم أن النبي ﷺ كان يقع في قلبه شيء من التطير.

المبحث الثالث: انحرافات وأخطاء تطبيقية قديماً وحديثاً في مفهوم الفأل والشؤم.

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: انحرافات في مفهوم الشؤم والفأل في الأديان السابقة والجاهلية.
  - المطلب الثاني: أخطاء تطبيقية لها صلة بالفأل والشؤم.
  - المبحث الرابع: أخطاء تطبيقية لها صلة بمفهوم الفأل والشؤم. وفيه خمسة مطالب:
  - المطلب الأول: التفاؤل بأفعال محرمة.
  - المطلب الثاني: أخطاء تطبيقية في الأخلاق لها صلة بالطيرة.
  - المطلب الثالث: المبالغة في التفاؤل والتشاؤم.
  - المطلب الرابع: الخوف الشديد من السحر والعين.
  - المطلب الخامس: التفاؤل والتشاؤم بأشياء تطرأ في الطبيعة.
  - المبحث الخامس: تطبيقات وتفسيرات ليبرالية لها صلة بالفأل والشؤم. وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: تطبيق مفهوم التشاؤم والفأل من منطلق منطلق ليبرالي.
  - المطلب الثاني: تفسير ليبرالي لشؤم المرأة الوارد في حديث الشؤم في ثلاثة.
- منهج البحث:**

راعى أن أسير في هذا البحث وفق ما يلي:

أولاً: في تقسيم البحث.

يمكن أن يقسم البحث إلى ثلاثة محاور:

المحور الأول: تمهيد واستفتاح ضروري للبحث عبر تعريف الفأل والشؤم،

المحور الثاني: تحرير المفهوم الشرعي، وهذا لا يتحقق إلا بجمع الأدلة وتحرير الإشكالات الواردة، وتوجيه ما ظاهره التعارض.

المحور الثالث: أخطاء تطبيقية قديمة ومعاصرة لمفهوم الشؤم والفأل ويدخل فيها التفسيرات الخاطئة.

ثانياً: المنهج العام للبحث.

١- سرت في هذا البحث معتمداً بعض المناهج العلمية، منها:

- المنهج التحليلي، في تحليل الآراء والأفكار التي تتعلق بموضوع بحثي لبيان صحتها من فاسدها.

- المنهج النقدي، في مناقشة الآراء وبيان ما يمكن أن يكون منها مقبولاً.

٢- أعزو الآيات في نفس النص، وأضعها بين معقوفين: [اسم السورة:

الرقم]، وأضع الآيات بين قوسين ﴿﴾.

٣- أخرج الأحاديث النبوية دون توسع، وأنقل أقوال العلماء في الحكم

عليها إذا لم تكن في الصحيحين، وأضع الحديث أو الأثر بين قوسين « ».

٤- لا أقوم بترجمة أسماء الأعلام.

٥- أقوم بالتعريف لبعض المصطلحات التي تحتاج إلى ذلك.

وأخيراً أسأل الله -عز وجل- السداد وموافقة الحق والصواب، وأن يجعل أعمالنا في رضاه وهو نعم المولى والنصير، وصلى الله وسلم على نبيه وعلى آله وصحبه أجمعين.



## التمهيد

### تعريف الطيرة والفرق بينها وبين والفأل

أولاً: معنى الطيرة والشؤم:

#### ١- في اللغة:

الطَّيرَةُ: اسم مصدر، مثل: عِنْبَةٌ، وخَيْرَةٌ، وتأْتِي: الطُّورَةُ والطَّيرَةُ. وقولك أَطَّيَّرْتُ؛ أي تَطَيَّرْتُ، ويجمع الطَّيْرَ على: أَطْيَارٍ، جمع الجمع، ويقع على الجمع والواحد. وطائر الإنسان: عمله الذي قُلِّده كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣]، وقيل: رزقه. وقال أهل النظر: إِنَّ لِكُلِّ امْرِئٍ حَظًّا مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ قَدْ قَضَاهُ اللَّهُ فَهُوَ لِأَزْمٍ عُنُقَهُ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْحَظِّ مِنَ الْخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ، طَائِرٌ، لقول العرب: جَرَى لَهُ الطَّائِرُ بِكَذَا مِنَ الشَّرِّ. والطَّائِرُ: من الزجر في التَّشْوُّمِ والتَّسْعُدِ<sup>(١)</sup>.

ومما سبق نلاحظ ما يلي:

١- أن الطيرة هي بمعنى الزجر للطير<sup>(٢)</sup>.

٢- أن التطير - في الأصل - يطلق على الحظ من الخير والشر، ثم غلب

(١) ينظر: كتاب العين، ص ٥٨٣، المحكم والمحيط الأعظم (٩/٢١٣)، المصباح المنير،

ص ١٤٥، القاموس المحيط، ص ٤٣٢.

(٢) ينظر: صبح الأعشى (١/٤٥٥).

عليه إطلاقه على الشر.

أما الشؤم - نقيض اليمن -: فأصله مُشتق من الشامة، وهي الشمال، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ تُنْسَبُ الْخَيْرَ إِلَى الْيَمِينِ وَالشَّرَّ إِلَى الشَّمَالِ، وَعَلَيْهِ فَسَّرَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ [الصفات: ٢٨]، أي تصدوننا عن فعل الخير، وتحولون بيننا وبينه.

وَمِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ: فَلَانَ عِنْدِي بِالْيَمِينِ، أَي: بِالْمَنْزِلَةِ الْحَسَنَةِ، وَفُلَانَ عِنْدِي بِالشَّمَالِ أَي: بِالْمَنْزِلَةِ الدُّنْيَا. وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ الشَّاعِرُ بِقَوْلِهِ: (أبِينِي أَفِي يُمْنِي يَدِيكَ جَعَلْتَنِي... فَأَفْرَحَ أَمْ صَيَّرْتَنِي فِي شِمَالِكِ)<sup>(١)</sup>.

ويقال: رجل مشؤوم، وقد شئم.. وشأم فلان أصحابه، إذا أصابهم شؤم من قبله ويقال: طائرٌ أشأم، وطيرٌ أشأم. والجميع: الأشائم وهي نقيض الأيامن ويقال: جرت لهم طير الأشائم، أي: جرت بالشؤم<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - معنى الطيرة والشؤم في الشرع:

وردت في كتاب الله الطيرة بألفاظ، منها:

أ- التطير بصيغة الفعل، فجاء بصيغة الماضي، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(١) ينظر: درة الغواص في أوهام الخواص (ص: ٥٦ - ٥٧)، الصحاح للجوهري، ص ٥٧٨

.. ٥٧٩ -

(٢) ينظر: كتاب العين، ص ٤٦٠، الصحاح للجوهري، ص ٥٧٨ - ٥٧٩.

[يس: ١٨] والمضارع (يَطِيرُوا) كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطِيرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَافُوا عَلَيْهِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].

ب - وبصيغة الاسم، كما في آية الأعراف السابقة، وفي سورة يس في قوله تعالى: ﴿قَالُوا طَافَتْكُمْ مَعَكُمْ ۖ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس: ١٩].

أما الشؤم فقد ورد مضافاً كما في قوله تعالى:

﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ﴾ [الواقعة: ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ﴾ [البلد: ١٩].

ووردت بنفس المعنى مع اختلاف تركيب الكلمة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ [الواقعة: ٤١].

وأما في السنة فجاءت بألفاظ كثيرة سيأتي بيانها في البحث.

المعنى: التطير: «التشاؤم، وأصله الشيء المكروه من قول، أو فعل، أو مرئي، وكانوا يتطيرون بالسوانح، والبوارح، فينفرون الطباء والطيور، فإن أخذت ذات اليمين تبركوا به، ومضوا في سفرهم وحوادثهم، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم، وتشاءموا بها، فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحتهم، فنفى الشرع ذلك وأبطله ونهى عنه»<sup>(١)</sup>.

(١) شرح النووي على مسلم (٢١٨/١٤).

قال شيخ الإسلام: «وَأَمَّا الطيرة بأن يكون قد فعل أمرًا متوكلاً على الله، أو يعزم عليه، فيسمع كلمة مكروهة مثل ما يتم، أو ما يفلح، ونحو ذلك فيتطير، ويترك الأمر فهذا منهي عنه»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: الطيرة هي «التشاؤم بالشيء المرئي أو المسموع، فإذا رده شيء من ذلك عن حاجته التي عزم عليها كإرادة السفر ونحوه، فمنعه عما أراده وسعى فيه ما رأى وما سمع تشاؤماً»<sup>(٢)</sup>.

وقال السعدي: «التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبقاع وغيرها»<sup>(٣)</sup>.

نلاحظ مما سبق: أن الطيرة والتشاؤم متقاربا المعنى، وقد يستخدم أحدهما في معنى الآخر، لكن الطيرة أعم من التشاؤم، وهي تُشني العزم، وتُضعف القلب عن إتيان الأمر بتأثير أمر وهمي لا حقيقة له، ولا علاقة له بالأسباب المشروعة.

## ثانياً: تعريف الفأل

### ١ - في اللغة:

الفأل: مفرد، والجمع (فؤول وأفؤل، وقد تفاءل به، وتَفأل)<sup>(٤)</sup>.

(١) الفتاوى الكبرى (١/٥٢).

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ٣١٤.

(٣) القول السديد شرح كتاب التوحيد ضمن مجموع مؤلفات الشيخ (٦/٦٧٨).

(٤) القاموس المحيط، الفيروزآبادي (باب اللام، فصل الفاء) ص ١٠٤٠. وينظر: الصحاح،

الجوهري، ص ٨٩٦.

و(الافتتال: افتعالٌ منه)<sup>(١)</sup>، و(التفئيل: تفعيل، ولا فأل عليك: لا ضير)<sup>(٢)</sup>،  
و(الفئال: لعبة للصبيان، يخبئون الشيء في التراب ثم يقسمونه، ويقولون: في  
أيهما هو؟ وأنشد أبو عمرو لطفرة: كما قسم التُّرب المفائل باليد)<sup>(٣)</sup>،  
و(الفأل: ضدّ الطيرة)<sup>(٤)</sup>، وهو: (ما يتفاءل به)<sup>(٥)</sup>.

## ٢- في الاصطلاح:

قال القرافي: (الفأل فهو ما يظن عنده الخير عكس الطيرة والتطير، غير أنه  
تارة يتعين للخير، وتارة للشر وتارة متردداً بينهما)<sup>(٦)</sup>.

و(الفأل: كأن يسمع مريض: يا سالم أو يا طالبُ يا واجدٌ، ويستعمل في  
الخير والشر)<sup>(٧)</sup>.

وقد عرّفه حاجي خليفني بأنه: (علم يعرف به بعض الحوادث الآتية، من  
جنس الكلام المسموع من الغير، أو بفتح المصحف، أو كتب

(١) الصحاح، ٨٩٦.

(٢) القاموس المحيط (باب اللام، فصل الفاء) ص ١٠٤٠ - ١٠٤١.

(٣) الصحاح، الجوهري، ص ٨٦٩.

(٤) العين للفراهيدي (٨/٣٣٦).

(٥) مجمل اللغة لابن فارس (ص: ٧١٠).

(٦) الفروق (٤/٢٤٠).

(٧) ينظر: الصحاح، الجوهري (حرف الفاء)، ص ٨٦٨. القاموس المحيط، (فصل الفاء)

ص ١٠٤٠ - ١٠٤١.

المشايع...<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: ضابط الطيرة، والفرق بين الطيرة والفال:

لعل مما تقدم يتضح بعض من الضوابط، ولكن لا بد من تحريرها بالنظر في الأدلة، ومن هذه الأدلة ما يلي:

١- حديث الفضل بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَبَرِحَ بِي ظَبْيٌ فَمَالَ فِي شِقِّهِ فَأَحْتَضَّتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَطِيرْتُ، قَالَ إِنَّمَا الطَّيْرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ»<sup>(٢)</sup>

٢- حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطَّيْرَةُ شِرْكٌ» وَمَا مِنَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَذْهَبُهُ بِالتَّوَكُّلِ<sup>(٣)</sup>.

(١) كشف الظنون (٢/١٢١٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٨٢٤) من رواية محمد بن عبد الله عُلَّانَةَ وهو مختلف فيه، وفيه انقطاع، وله شاهد من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بحسب ما عناه ابن كثير في جامع المسانيد والسنن (٨/٦٠١)، وابن حجر في المطالب العالية (٢٤٩٤) إلى مسند أبي يعلى [لم أجده في المطبوع]. وفيه جعفر بن الزبير الحنفي، قال عنه البخاري والرازي والنسائي وعلي بن الجنيّد والأزدي والدارقطني: مَتْرُوكٌ. ينظر: الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي (١/١٧١)، وقال عنه ابن حجر في التقريب (٩٣٩): مَتْرُوكٌ الحديث وكان صالحاً في نفسه من السابعة.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٦٨٧) (٤١٧١) (٤١٩٤)، وأبو داود في سننه (٣٩١٠)، والترمذي في الجامع (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٠٩)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٣٥٤)، وأبو يعلى في مسنده (٥٢١٩)، وابن أبي

٣- حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، وفيه: وَمِنَّا رَجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: «ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ» قَالَ ابْنُ الصَّبَّاحِ: «فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ»<sup>(١)</sup>.

٤- حديث علقمة بن أبي علقمة، قال: قال: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «ثَلَاثٌ لَا يَعْجِزُهُنَّ ابْنُ آدَمَ: الطَّيْرَةُ، وَسُوءُ الظَّنِّ، وَالْحَسَدُ، قَالَ: فَيُنْجِيكَ مِنَ الطَّيْرَةِ أَلَّا تَعْمَلَ بِهَا، وَيُنْجِيكَ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ أَلَّا تَتَكَلَّمَ بِهِ، وَيُنْجِيكَ مِنَ الْحَسَدِ أَلَّا تَبْغِيَ أَخَاكَ سُوءًا»<sup>(٢)</sup>.

شبية في مصنفه (٢٦٣٩١)، وابن أبي الدنيا في التوكل على الله (٤٢)، والشاشي في مسنده (٦٥٥)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٨٢٧)، والحاكم في المستدرک (٤٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١٢٤)، وغيرهم من طريق سلمة بن كهيل، عن عيسى بن عاصم الأسدي، عن زر بن حبيش عن بن مسعود. والحديث صححه الترمذي، وابن حبان في صحيحه (٦١٢١) والحاكم ووافقه الذهبي، وصححه ابن القيم في إعلام الموقعين (٣٠٨/٤)، والألباني في تعليقه على سنن الترمذي (٤/١١٤)، وشعيب الأرنؤوط في تحقيق صحيح ابن حبان (٦١٢١). وَلَفْظَةٌ: (وَمَا مِنَّا وَلَكِنِ اللَّهُ يَذُوبُهُ بِالتَّوَكُّلِ) مدرجة في الحديث ليست من كلام النبي ﷺ، كَذَلِكَ قَالَهُ بَعْضُ الْحَفَازِ، وَهُوَ الصَّوَابُ.

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته (٥٣٧).

(٢) أخرجه البغوي في شرح السنة (٣٥٣٦) مرسلًا؛ لأن علقمة تابعي مدني مولى عائشة، مات سنة بضع وثلاثين ومئة، وأخرجه: معمر بن راشد (١٩٥٠٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١٢٩)، وقوام السنة في الترغيب والترهيب (٧٢٧)، بسند منقطع من طريق

فكل هذه الأحاديث في مجموعها تدل على أن الطيرة لا تكون إلا إذا عمل بها سواء أكان تطيراً ممنوعاً من الإتيان بعمل ما، أم كان فألاً قصده معتمداً عليه فأمضاه.

ولا تكون الطيرة محرمةً في حالات:

الأولى: إذا بقيت في القلب كراهة، فهذه لا تؤثر.

الثانية: إذا كانت فألاً من دون قصد.

الثالث: إذا قصد المتفائل لمجرد الاستبشار، كأن يختار اسماً حسناً لابنه، فهذا من الفأل المباح.

ويمكن أن يتضح الضابط أكثر من خلال بيان الفروق بين الطيرة والفأل من جهة حقيقتها، وآثارها، وذلك على نحو الجدول التالي:

---

إسماعيل بن أمية، وهو من تابعي التابعين. لكن وصله أبو الشيخ الأصبهاني إلى أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في التوبيخ والتنبيه (٧٩) وذكر الأقران (٢٩٦) من طريق علقمة. والحديث له شاهد عند البيهقي في الشعب (١١٣٠) موصولاً، من حديث الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بلفظ: «فِي الْإِنْسَانِ ثَلَاثَةٌ: الطَّيْرَةُ، وَالظَّنُّ، وَالْحَسَدُ، فَمَخْرَجُهُ مِنَ الطَّيْرَةِ أَنْ لَا يَرِجَعَ، وَمَخْرَجُهُ مِنَ الظَّنِّ أَلَّا يُحَقِّقَ، وَمَخْرَجُهُ مِنَ الْحَسَدِ أَنْ لَا يَبْغِيَ»، وروي مرسلًا من حديث علقمة بن أبي علقمة بلفظ: «المؤمن ثلاث خصال، ليس منها خصلة إلا له منها مخرج: الطيرة والحسد والظن، فمخرجه من الطيرة أن لا يرده، ومخرجه من الظن ألا يحقّق، ومخرجه من الحسد ألا يبغى».

## جدول رقم (١)

| الفأل   | الطيرة  |
|---|---|
| الفأل يَسْتَعْمَلُ فِيمَا يَسِرُ <sup>(١)</sup> ، وهو موافق للفترة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها وينفعها <sup>(٢)</sup> .                    | الطيرة تأتي بأمرين تشاؤم وفأل حامل على الفعل.   |
| شرط الفأل أن لَا يَقْصِدُ إِلَيْهِ وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ، يَأْتِي اتِّفَاقًا، من غير أن يكون له بال، وَإِلَّا صَارَ طَيْرَةً <sup>(٣)</sup> . | الطيرة تُقْصَدُ؛ أي: يقصدها المتطير، أو يعتمد عليها، فيُحْجَمُ أو يُقَدَّمُ، وينسى التوكل على الله.     |
| والتيمن بالفأل حسن ظن بالله وتعليق وتجديد الأمل به، وَذَلِكَ بِالْإِطْلَاقِ مَحْمُودٌ <sup>(٥)</sup> .  | الطَيْرَةُ سُوءُ ظَنِّ بِاللَّهِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ ظَاهِرٍ يَرْجِعُ إِلَيْهِ الظَّنُّ <sup>(٤)</sup> . |
| فيه توكل على الله والاستبشار بالكلمة الطيبة هو تبع لحسن الظن بالله وهو يدل على التوكل، وليس فيه اعتماد على المخلوق.                               | هي باب من الشرك؛ لأن فيها تعلقًا بغير الله يفسد القلب، ويبقى هدفًا لسهام الطيرة <sup>(٦)</sup> .        |

(١) ينظر: شرح النووي على مسلم (٢١٩/١٤).

(٢) ينظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٢٤٤/٢).

(٣) ينظر: فتح الباري، ابن حجر (٢١٥/١٠)، معارج القبول بشرح سلم الوصول (٩٩٣/٣).

(٤) ينظر: المنهاج في شعب الإيمان (٢٥/٢).

(٥) ينظر: معالم السنن (٢٣٥/٤)، شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤٣٦/٩).

(٦) ينظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٢٤٦/٢).

|  |   |
|--|---|
| يؤدي إلى الكسل والحزن والإحجام<br>عن المطالب النافعة للفرد والأمة. | يؤدي إلى النشاط والسرور وتقوية<br>العزيمة والنفس على المطالب النافعة. |
|--|---|

رابعاً: حكم الطيرة والتشاؤم والفأل:

#### أولاً: حكم الطيرة والتشاؤم:

حين ننظر في مسألة الطيرة نجد أنها من إلقاء الشيطان وتخويله  
ووسوسته، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا  
تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

ولذلك نهى عنها الرسول ﷺ؛ لأنها باب من الشرك، إما منافياً للتوحيد،  
وإما لكماله؛ وفي المقابل أرشد إلى الحل بالتوكل على الله.

وأما حكم التطير بشكل عام فهو في الغالب من الشرك الأصغر<sup>(١)</sup>، ولكن  
يحتاج إلى تفصيل على النحو التالي:

#### أولاً: الحكم من حيث الاعتقاد في الطيرة:

والحكم فيها لا يخلو من حالتين:

الحالة الأولى: إن اعتقد المتطير أن الشيء الذي تطير به ينفع أو يضر  
بذاته، فهذا من الشرك الأكبر.

الحالة الثانية: إن اعتقد في الشيء المتطير به أنه سبب، والله هو الخالق،

(١) ينظر: عون المعبود (١٠/٢٨٨)، التمهيد، ص ٣٤١.

فهذا من الشرك الأصغر المحرم.

ثانيًا: الحكم على من وقع في التطير:

وهذا لا يخلو من حالتين:

الحالة الأولى: أن يرى أو يسمع أو يعلم بشيء ويتطير به، ويترك ما هم بفعله، أو يُقَدِّمُ على شيء بدافع التطير، وهذا نوع محرم، يلج صاحبه بابًا من أبواب الشرك.

كما جاء في الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ عَنْ حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»<sup>(١)</sup>.

فقد بين ﷺ أنه من الشرك - أي الأصغر - ثم بين الكفارة في ذلك.

الحالة الثانية: أن يرى أو يسمع أو يعلم شيئًا يدعو إلى التطير، ثم لا يستجيب إليه ويمضي، ولكن يقع في قلقٍ وخوفٍ وشكٍ من تأثيره، وهذا أهون من الأول، وهذا لا يكون محرماً، ويذهب بالتوكل.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٧٠٤٥)، والطبراني في الكبير (٣٨)، وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناده (٤٧١/٦)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥٣/٣) (١٠٦٥)، وأخرجه ابن وهب في جامعه (٦٥٦)، والبخاري (٢٣١٦) من حديث فضالة بن عبيد بلفظ: «مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ فَقَدْ قَارَفَ الشُّرْكَ»، من دون سؤال الصحابة وجوابه ﷺ.

## الأدلة على تحريم الطيرة:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا أَطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَّيَّرِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا طَّيَّرِكُمْ مَعَكُمْ ۗ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس: ١٩].

ووجه الدلالة على تحريم التطير أنه من أعمال الشرك والجاهلية، وقد ذمه الله في هذه الآيات. فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الطيرة شرك»<sup>(١)</sup>؛ لأن الطيرة معارضة للتوكل، وضد الفأل الذي هو توكل على الله.

## ثانياً: حكم الفأل:

يقسم الفأل من حيث حكمه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: فال حسن مباح غير مقصود، (متعين للخير)، كأن يسمع الكلمة الحسنة يسمعها الرجل من غير قصد، نحو: يا فلاح، يا مسعود.

القسم الثاني: فال حسن مباح مقصود، ومنه تسمية الولد والغلام بالاسم

(١) تقدم تخريجه قريباً.

الحسن حتى متى سمع استبشر القلب، وقد ورد في الصحيح أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ  
حول أسماء قبيحة إلى أسماء حسنة.

فهذان القسمان هما الفأل المباح وعليهما يحمل قولهم: «إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
كان يحب الفأل الحسن»<sup>(١)</sup>.

القسم الثالث: الفأل الحرام، كأن يأخذ الفأل من المصحف، وضرب  
الرمل، والقرعة، والضرب بالشعير، وجميع هذا النوع حرام؛ لأنه من باب  
الاستقسام بالأزلام<sup>(٢)</sup>.

إذن القسم المحرم هو من فروع علم النجوم التي من ضمنها: علم  
الاختيارات، علم الرمل، علم الفأل، علم القرعة، علم الطيرة<sup>(٣)</sup>.



(١) سيأتي تخريجه قريباً.

(٢) ينظر: الفروق (٤/ ٢٤٠).

(٣) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١/ ١٤).

## المبحث الأول

### دفع موهم التعارض في أحاديث الفأل والشؤم

وفيه مطلبان:

✽ **المطلب الأول:** الأحاديث الواردة في الفأل والشؤم التي قد يوهم ظاهرها التعارض.

✽ **المطلب الثاني:** جمع أقوال أهل العلم وتوجيهاتهم في الأحاديث التي ظاهرها التعارض وترجيح الصواب منها.

### المطلب الأول

**الأحاديث الواردة في الفأل والشؤم التي قد يوهم ظاهرها التعارض**

وردت أحاديث تنفي الطيرة وأحاديث تثبتها في ثلاثة أشياء (المرأة، والدابة، والدار)

وهذا موضع الإشكال والإيهام الذي تعددت فيه أقوال العلماء، وهو ما نسعى -بتوفيق الله- إلى دفعه بتحرير الأقوال فيه وجمع الأدلة، وذلك على النحو التالي:

أولاً: أحاديث تنهى عن الطيرة.

ثانياً: أحاديث تنفي الطيرة، وتثبت الفأل على أنه من الطيرة.

ثالثاً: أحاديث تنفي الطيرة، وثبتتها في نفس السياق.

رابعاً: أحاديث تثبت الشؤم مطلقاً، إما بصيغة الجزم أو التعليق.

خامساً: أحاديث تنفي الطيرة، وثبتت اليُمن في ثلاثة الاحتمالات.

### □ أولاً: الأحاديث التي تنهى عن الطيرة:

١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، حِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ» فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَالُ الْإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظُّبَاءُ، فَيَجِيءُ الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَجْرِبُهَا كُلَّهَا؟ قَالَ: «فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ؟»<sup>(١)</sup>.

٢ - وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ»<sup>(٢)</sup>.

٣ - وجاء أيضاً عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَلَا هَامَةَ» فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ الْبَعِيرَ يَكُونُ بِهِ الْجَرَبُ، فَيَجْرِبُ الْإِبِلَ كُلَّهَا؟ قَالَ: «ذَلِكَ الْقَدْرُ، فَمَنْ

(١) أخرجه البخاري كتاب الطب، باب لا هامة ولا صفر، (٥٧٥٧)، ومسلم في كتاب السَّلامِ باب لا عدوى، ولا طيرة (٢٢٢٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب لا صفر، وهو داءٌ يأخذ البطنَ (٥٧١٧)، ومسلم في كتاب السَّلامِ باب لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر، ولا نوء، ولا غول، ولا يورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحِّ (٢٢٢٠)

أَجْرَبَ الْأَوَّلَ؟»<sup>(١)</sup>.

٤- وجاء أيضاً عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بلفظ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طَيْرَةَ، وَلَا غُؤْلَ»<sup>(٢)</sup>.

٥- عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، وَفِيهِ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: «ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ»<sup>(٣)</sup>.

٦- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تَطَيَّرَ لَهُ...»<sup>(٤)</sup>.

٧- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَنْ يَقُولَ

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤٧٧٥)، وابن ماجه (٨٦) (٣٥٤٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٣٩٣)، والنسائي في الكبرى (٧٥٤٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني دون قوله: «ذلكم القدر».

(٢) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب لَا عَدْوَى، وَلَا طَيْرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفْرَ، وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُؤْلَ، وَلَا يُورَدُ مُمْرَضٌ عَلَى مُصْحٍّ (١٠٧).

(٣) أخرجه مسلم في كِتَابِ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَنَسَخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ (٥٣٧).

(٤) أخرجه البزار في مسنده (٣٥٧٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٥٥)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٩٧/٣) (رواه البزار بإسناد جيد)، وابن كثير في جامع المسانيد والسنن (٣٩٤/٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٧/٥): (رَوَاهُ الْبَزَارُ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ خَلَا إِسْحَاقُ بْنُ الرَّبِيعِ وَهُوَ ثِقَةٌ)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٢٨/٥) (٢١٩٥) وصحيح الترغيب والترهيب (٩٧/٣).

أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» (١).

٨- عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطيرة شرك» (٢).

### □ ثانيًا: الأحاديث التي تنفي الطيرة، وتثبت الفأل على أنه من الطيرة:

منها حديث أبي هريرة وبريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا طَيْرَةَ، وَخَيْرَهَا الْفَأْلُ» قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ» (٣).

٢- عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَرْضًا سَأَلَ عَنْ اسْمِهَا فَإِنْ كَانَ حَسَنًا رُئِيَ الْبَشْرُ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ رَجُلًا سَأَلَ عَنْ اسْمِهِ فَإِنْ كَانَ حَسَنَ الْإِسْمِ رُئِيَ الْبَشْرُ فِي وَجْهِهِ وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ» (٤).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب الطيرة، (٥٧٥٤) ومسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم (٢٢٢٣).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٩٤٦)، وأبو داود في سننه (٣٩٢٠)، وابن حبان في صحيحه

(٥٨٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٥٢٢). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي

داود (١٩/٤)، وصححه شعيب الأرنؤوط في تحقيق صحيح ابن حبان (١٤٢/١٣).

□ **ثالثاً: الأحاديث التي تنفي الطيرة وتثبتها في نفس السياق لأشياء  
ثلاثة:**

وهذا النوع جاء مرة بصيغة الجزم كما في الحديث التالي:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْفَرَسِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالِدَّارِ»<sup>(١)</sup>.

وجاء بصيغة التعليق كما في الحديث التالي:

عن عَبْدِ الْمَهَيْمِنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا شُؤْمَ، وَإِنْ يَكُ شُؤْمٌ فَفِي الْفَرَسِ وَالْمَرْأَةِ وَالْمَسْكَنِ»<sup>(٢)</sup>.

□ **رابعاً: أحاديث تثبت مطلقاً الشؤم في الأصناف الثلاثة (الدار، الدابة،  
المرأة) إما بصيغة الجزم أو التعليق:**

• بصيغة التعليق:

فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ، فَفِي الْفَرَسِ وَالْمَرْأَةِ وَالْمَسْكَنِ»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية عند مسلم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

(١) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب لا عدوى (٥٧٧٢) ومسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم (٢٢٢٥).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥٧٠٧) (١٢٢/٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب ما يتقى من شؤم المرأة (٥٠٩٥) ورواه مسلم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

«إِنْ يَكُنْ مِنَ الشُّؤْمِ شَيْءٌ حَقٌّ...»<sup>(١)</sup>.

• بصيغة الجزم:

- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي الْفَرَسِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالدَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى: «الشُّؤْمُ فِي الْمَرْأَةِ، وَالدَّارِ، وَالْفَرَسِ»<sup>(٣)</sup>.

□ خامساً: أحاديث تنفي الطيرة وتثبت اليمين في ثلاثة الاحتمالات:

عن مِخْمَرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا شُؤْمَ، وَقَدْ يَكُونُ الْيَمْنُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي الْمَرْأَةِ، وَالْفَرَسِ، وَالدَّارِ»<sup>(٤)</sup>.

هذا سرد للأحاديث وما جاءت به من صيغ متنوعة، وسيأتي في المباحث القادمة ما يوضح كيفية الجمع بينها، وما يردُّ عليها من إشكالات متوهمة.

(١) في كتاب السلام باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم (٢٢٢٥).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير، باب ما يُذكر من شؤم الفرس (٢٨٥٨) ومسلم كتاب السلام، باب الطيرة والفأل (٢٢٢٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة (٥٠٩٣) ومسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم (١١٥).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٩٩٣)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٤٩١)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧٨٥)، والطبراني في المعجم الأوسط (٨٢٥٠)، ومسند الشاميين (١٣٨٣)، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٣٠).

## المطلب الثاني

### جمع أقوال أهل العلم وتوجيهاتهم في الأحاديث التي ظاهرها التعارض وترجيح الصواب منها

وجه التعارض الموهوم:

تقدم سرد الأدلة في موضوع الطيرة والفأل وقد يتوهم في الظاهر أن هناك تعارضاً؛ لأنه وردت أحاديث تنفي الشؤم أو الطيرة وتجعله من الشرك. في حين أن هناك أحاديث تثبتها كما في قوله: «الشؤم في ثلاثة».

والجواب عن هذا التعارض المتوهم يحتاج إلى أمور:

أولاً: جمع أقوال أهل العلم وتحليلها.

ثانياً: ترجيح الصواب من الأقوال.

### □ أولاً: جمع أقوال أهل العلم في توجيه الأحاديث التي ظاهرها التعارض.

والأقوال في توجيهه وتحريم هذا التعارض يمكن تقسيمها إلى أربعة

مسالك:

المسلك الأول: القول باستثناء الشؤم في الأشياء الثلاثة على صفة

تخالف الشؤم الشركي

المسلك الثاني: القول بالتأويل.

المسلك الثالث: القول بالنسخ.

المسلك الرابع: رد أحاديث إثبات الشؤم في ثلاثة، وحمل المراد على التطير الشركي.

وفيما يلي تفصيل الكلام:

المسلك الأول: القول باستثناء الشؤم في الأشياء الثلاثة على صفة تخالف الشؤم الشركي.

فأثبتوا أحاديث الشؤم على ظاهرها على أنها مخصصة أو مستثناة لأحاديث النفي العامة استثناءً بصورة أخرى؛ وذلك جمعًا بين الأحاديث؛ لأن إمكان الجمع متحقق.

وقد قال بهذا القول الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ حيث سُئِلَ عن الشؤم في الفرس والدار قال: (كم من دار سكنها ناس فهلكوا ثم سكنها آخرون فهلكوا)<sup>(١)</sup>، وقال به الخطابي<sup>(٢)</sup>، والإمام البخاري كما هو ظاهر من تبويباته<sup>(٣)</sup>، والسندي<sup>(٤)</sup>، ورجّح هذا القول الإمام الشوكاني، فقال بعد أن نقل الأقوال: (فالحق ما أسلفناه من الجمع بين العام والخاص)<sup>(٥)</sup>، وهو قول الشيخ ابن

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٣٩٢٢)، والبيهقي في الكبرى (١٦٥٢٦).

(٢) معالم السنن (١٥٨/٤).

(٣) وذلك في باب ما يذكر من شؤم الفرس، وباب الخيل لثلاثة.

(٤) حاشية السندي على سنن النسائي (٢٢٠/٦).

(٥) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (١٩٦٢/٤).

باز<sup>(١)</sup>، وابن عثيمين<sup>(٢)</sup>، الشيخ عبدالعزيز الراجحي<sup>(٣)</sup>.

ومال إلى القول بالتخصيص ابن الملقن، حيث قال: (فمن وقع في نفسه شيء من ذلك فقد أباح الشرع له أن يتركه، ويستبدل به غيره مما يغلب به نفسه، ويسكن خاطره له، ولم يلزمه الشرع أن يقيم في موضع يكرهه أو امرأة يكرهها، بل قد فسح الله له في ترك ذلك كله، لكن مع اعتقاد أن الله هو الفعال لما يريد....)<sup>(٤)</sup>.

قلت: لكنه جعل الموجب لتخصيص هذا الأشياء طول الملازمة، حيث قال: (فما وجه خصوصية هذه الثلاثة بالذكر؟

الجواب: لأن الضرورة في الوجود لا بد للإنسان منها ومن ملازمتها غالباً، وأكثر ما يقع التشاؤم في الثلاثة، فكذلك خصت بالذكر...)<sup>(٥)</sup>.

وقال الإمام الخطابي: (وأما قوله إن تكن الطيرة في شيء ففي المرأة والفرس والدار، فإن معناه إبطال مذهبهم في التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء ونحوها، إلا أنه يقول: إن كانت لأحدكم دار يكره سكنها أو

(١) ينظر: فتاوى إسلامية، جمع وترتيب محمد المسند، (٤/ ١٢١).

(٢) ينظر: الفتاوى الشرعية في المسائل العصرية من فتاوى علماء البلد الحرام، جمع: د. خالد الجريسي، ٥٢٩.

(٣) ينظر: منحة الملك الجليل شرح صحيح محمد بن إسماعيل، (٦/ ١٠٢).

(٤) التوضيح (١٧/ ٥١٧).

(٥) المصدر نفسه (١٧/ ٥١٨).

امرأة يكره صحبتها أو فرس لا يعجبه ارتباطه؛ فليفارقها بأن يتنقل عن الدار ويبيع الفرس، وكان محل هذا الكلام محل استثناء الشيء من غير جنسه. وسيله سبيل الخروج من كلام إلى غيره<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن ينضم إلى هذا القول والمسلك: كل من فسرها بتفسير يقتضي إثباتها؛ لأن تفسير الشؤم لا يكون إلا بعد التخصيص، ومن هذه التفسيرات ما يلي:

١ - أن شؤم الدار: ضيقها، وسوء جوارها، وشؤم الفرس: أن لا يغزى عليها، وشؤم المرأة: أن لا تلد<sup>(٢)</sup>، ويؤكد هذا ما روى عبدالرزاق عن معمر أنه قال: سَمِعْتُ مَنْ يُفَسِّرُ هَذَا الْحَدِيثَ يَقُولُ: «شُؤْمُ الْمَرْأَةِ إِذَا كَانَتْ غَيْرَ وُلُودٍ، وَشُؤْمُ الْفَرَسِ إِذَا لَمْ يُغْزَ عَلَيْهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَشُؤْمُ الدَّارِ جَارُ السُّوءِ»<sup>(٣)</sup>.

وقيل: شؤم الدار ألا يكون محلاً للعبادة، وشؤم المرأة ألا تكون عوناً على الطاعة، وشؤم الفرس ألا يستعمل في سبيل الله.

الحاصل أن هذا تفسير مقبول أو شرح لأحوال تفضي إلى الشؤم،

(١) معالم السنن (٤/١٥٨).

(٢) ينظر: معالم السنن (٤/١٥٨)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٩/٢٧٩)، كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/٢٦٨)، شرح النووي على مسلم (١٤/٢٢١)، مفتاح دار السعادة (٣/٣٣٩)، فتح الباري لابن حجر (٦/٦٢).

(٣) جامع معمر بن راشد (١٩٥٢٧).

وتكون سبباً مبيحاً للترك، ولا يتعارض مع القول بإثبات الشؤم، وله أدلة من السنة حيث جاء من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ: الْجَارُ السُّوءُ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ الضَّيِّقُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ»<sup>(١)</sup>.

وأيضاً ما جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَطَالَ فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيلِهَا ذَلِكَ مِنَ الْمَرْجِ أَوْ الرِّوَضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيلَهَا فَاسْتَنْتَ شَرَفًا أَوْ شَرْفَيْنِ كَانَتْ أَرْوَاتُهَا وَأَثَارُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهْرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يَرِدْ أَنْ يَسْقِيَهَا كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٤٤٥)، وابن حبان في صحيحه (٤٠٣٢)، والبزار في مسنده (١١/٤) دون ذكر (من الشقاوة) ودون (الجار الصالح)، وأخرجه أيضاً أحمد من حديث نافع بن عبد الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مختصراً (١٥٣٧٢) بلفظ: «مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ: الْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ»، وكذلك البخاري في الأدب المفرد (١١٦)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٢٣٣٦)، والرويان في مسنده (١٥٠٥)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٧٧٢)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٢٥١)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٢٩)، والحاكم في المستدرک (٧٣٠٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩١١١)، والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١١٦)، وفي السلسلة الصحيحة (٢٨٢).

فَخَرًّا وَرِئَاءَ، وَنَوَاءَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فِيهِ وَزُرَّ عَلَى ذَلِكَ.

وفي رواية: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالِإِبْلِ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبُ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمَنْ حَقَّهَا حَلَبَهَا يَوْمَ وَرَدِهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَطَحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقِرَ، أَوْ فَرَّ مَا كَانَتْ، لَا يَفْقَدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا، تَطَّوُّهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْ لَهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

٢- أن هذه الأشياء الثلاثة قد يكون بعضها أعيانًا وظروفًا ومحالًا، جعلت مواقع لأقضيته، فيجعلها مشؤمة كما قد يجعل فيها أعيانًا مباركة، أي: أضيف الشر لها إضافة محل ومكان<sup>(٢)</sup>، أو أنها أسباب قدر الله -تعالى- بها الشؤم واليمن وقرنه بها<sup>(٣)</sup>، أو يمكن التعبير بالقول: (أن الله -سُبْحَانَهُ- قد يخلق منها أعيانًا مشؤمة على من قاربها وسكنها، وأعيانًا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شرّ، وهذا كما يعطي -سُبْحَانَهُ- الوالدين ولدًا مُبَارَكًا يريان الخير على وجهه)<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: الخيل لثلاثين (٢٨٦٠). ومسلم، كتاب

الزكاة، باب إثم مانع الزكاة (٩٨٧).

(٢) ينظر: أعلام الحديث (١٣٧٩/٢).

(٣) ينظر: لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٧٥).

(٤) مفتاح دار السعادة (٢٥٧/٢).

وهذا القول قال به الخطابي<sup>(١)</sup>، وابن رجب<sup>(٢)</sup>، وابن القيم<sup>(٣)</sup>.

وهذا لا إشكال فيه، ولا أظن أن أحداً ممن أثبت الحديث على ظاهره، وقال إن هذه الأشياء الثلاثة مستثناة يخالفه. فهو تفسير للحديث يثبت أنها مستثناة ويجوز لمن قاربها أو خالطها أن يتركها؛ لأنها مشؤومة بما قدر الله وقضاه فيها.

٣- أن المراد بالشؤم هنا الكراهة أو الاستيحاش الذي يجده في نفسه، وقال بهذا الإمام البغوي<sup>(٤)</sup>. وهذا التفسير مقارب للتفسيرات السابقة، وقد يكون من الخلاف اللفظي؛ لأن الشؤم المعفو عنه والمثبت في الأشياء الثلاثة لا يكون قطعاً إلا بعد ما يقع في قلب المسلم منه كراهة. والله أعلم.

#### تفسيرات محتملة لها جانب من الصواب:

وهناك تفسيرات آخر -لمن أثبت الشؤم في هذه الأشياء الثلاثة- محتملة للصواب، ولكنها لم توافقه بشكل كامل، وهي على النحو التالي:

١ - أن الشؤم بهذه الثلاثة: إنما يلحق من تشاءم بها<sup>(٥)</sup>، واستدلوا

(١) ينظر: أعلام الحديث (٢/ ١٣٧٩).

(٢) ينظر: لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٧٥).

(٣) ينظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٥٧).

(٤) ينظر: شرح السنة (١٢/ ١٧٨ - ١٧٩)، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، (٨/ ٣٩٧).

(٥) ملحوظة: نسب بعض العماء هذا القول إلى ابن قتيبة منهم: القرطبي، وابن حجر في

بحديث: «الطيرة على من تطير»<sup>(١)</sup> وقال به ابن بطال<sup>(٢)</sup>، وابن عبد البر<sup>(٣)</sup>، ونقله ابن القيم من ضمن الأقوال<sup>(٤)</sup>.

قال ابن بطال: (الطيرة إنما تلزم من تطير بها، وأنها في بعض الأشياء دون بعض، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يقولون: الطيرة في الدار والفرس والمرأة، فنهاهم النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الطيرة فلم يتتها فبقيت في هذه الثلاثة الأشياء التي كانوا يلزمون التطير فيها. ومثله قوله -تعالى- عن أهل القرية: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(١٨)</sup> قَالُوا طَيَّرْنَاكُمْ مَعَكُمْ ﴿[يس: ١٨ - ١٩]؛ أي: حظكم من الخير والشر معكم ليس هو من شؤمنا، وكذلك قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ في الدار: «اتركوها ذميمة»...)<sup>(٥)</sup>.

الفتح (٦/٦١)، أما ابن الملقن في التوضيح لشرح الجامع (١٧/٥١٧) فنسب إليه القول بالاثبات وأن هذه الأشياء الثلاثة مخصصة، ولكن لم أقف على كلامه المنسوب إليه في كتابه (تأويل مختلف الحديث)، وإنما وجدت أنه يضعف حديث الشؤم في ثلاثة كما سيأتي ويتضح قريباً.

(١) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٣٢٣)، ابن حبان في صحيحه (٦١٢٣)، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيق صحيح ابن حبان (٤٩٢/١٣) وشرح مشكل الآثار (٦/٩٨): (إسناده حسن)، وضعفه ابن حجر في الفتح (٦/٦٣).

(٢) ينظر: شرح صحيح البخاري (٩/٤٣٦ - ٤٣٧).

(٣) ينظر: الاستذكار (٨/٥١٢).

(٤) ينظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٢/٢٥٦)، تيسير العزيز الحميد (ص: ٣٦٨).

(٥) شرح صحيح البخاري (٩/٤٣٦ - ٤٣٧) بتصرف يسير.

وقال ابن عبد البر في توجيه هذا الحديث: (إِنَّمَا الطَّيْرَةُ عَلَى مَنْ تَطَيَّرَ أَيَّ عَلَى مَنْ اعْتَقَدَهَا، وَصَحَّتْ فِي نَفْسِهِ لَزِمَتُهُ وَلَمْ تَكُنْ تُخْطِئُهُ) (١).  
ولكن أُجيب عن هذا القول بأمور:

الأول: من جهة تضعيف سند الحديث - كما ذكر ذلك ابن حجر - كونه من رواية عتبة بن حميد عن عبيد بن بكر، وعتبة مختلف فيه (٢).

الأمر الثاني: أن هذا التأويل لا جديد فيه؛ لأنه يدخل ضمن أحاديث النفي العام للتطير، وتبقى الثلاثة المذكورة والمستثناة معمولاً بها، ولا تعارض في ذلك، أيضاً قد يشكل على أصحاب هذا القول أنه قد يصيب المسلم منها مكروه وهو لم يتطير بها، وهذا المكروه بالتأكيد ليس من تأثير تلك الأمور بذاتها، وإنما بتقدير الله لحكمة يعلمها الله - سبحانه -.

لكن مع ذلك نقول: لاشك أن هذا القول له جانب من الصواب وذلك من جهتين:

الأولى: أنه لم يرد الحديث، وأثبت الشؤم، وحاول التوفيق بينه وبين الأحاديث الأخرى.

الجهة الثانية: من حيث المعنى الذي قالوا به، فهو له حظ من الصواب؛ لأن الله قد يعاقب من تطير بسوء ما اعتقد: كما يدل عليه عموم قوله تعالى:

(١) الاستذكار (٨/٥١٢).

(٢) ينظر: الفتح (٦/٦٣).

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩].

أيضاً في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «ثَلَاثٌ لَا يَعْجِزُهُنَّ ابْنُ آدَمَ: الطَّيْرَةُ، وَسُوءُ الظَّنِّ، وَالْحَسَدُ، قَالَ: فَيُنْجِيكَ مِنَ الطَّيْرَةِ أَلَّا تَعْمَلَ بِهَا، وَيُنْجِيكَ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ أَلَّا تَتَكَلَّمَ بِهِ، وَيُنْجِيكَ مِنَ الْحَسَدِ أَلَّا تَبْغِيَ أَخَاكَ سُوءًا»<sup>(١)</sup>.

فهذا يدل على أن الطيرة قد لا تنجو منها إن عملت بها.

ولهذا يعدّ هذا القول معتبراً وله حظ، ولكن الفارق بينه وبين من أثبت الشؤم جمعاً بين الأحاديث؛ أنه خصّ التطير على من تطير فقط، ولهذا جعلته ضمن الأقوال في هذا المسلك، والله أعلم.

(١) أخرجه معمر بن راشد (١٩٥٠٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١٢٩)، والبخاري في شرح السنة (٣٥٣٦)، وقوام السنة في الترغيب والترهيب (٧٢٧) بسند منقطع. والحديث له شاهد عند البيهقي (١١٣٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «فِي الْإِنْسَانِ ثَلَاثَةٌ: الطَّيْرَةُ، وَالظَّنُّ، وَالْحَسَدُ، فَمَخْرَجُهُ مِنَ الطَّيْرَةِ أَنْ لَا يَرِجِعَ، وَمَخْرَجُهُ مِنَ الظَّنِّ أَلَّا يُحَقِّقَ، وَمَخْرَجُهُ مِنَ الْحَسَدِ أَنْ لَا يَبْغِيَ»، وروي مرسلًا من حديث علقمة بن أبي علقمة بلفظ: «المؤمن من ثلاث خصال، ليس منها خصلة إلا له منها مخرج: الطيرة والحسد والظن، فمخرجه من الطيرة أن لا يردّه، ومخرجه من الظن أن لا يحقق، ومخرجه من الحسد ألا يبغى». لكن أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني موصولاً إلى أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في التوبخ والتنبيه (٧٩).

٢- أن الله ذكر الشؤم في هذه الأشياء؛ سداً لذريعة الاعتقاد بصحة الطيرة، وهو قول ابن العربي المالكي حيث يقول: (وَإِنَّمَا هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ جَرِي الْعَادَةِ فِيهَا، فَيُخْرِجُ الْمَرْءَ عَنْهَا صَيَانَةَ لِعَقْدَانِهِ عَنِ التَّعَلُّقِ بِبَاطِلٍ وَالِاهْتِمَامِ بِغَيْرِهِمْ، وَعَنْ هَذَا وَقَعَ الْخَبْرُ)<sup>(١)</sup>.

وقد وافقه ابن حجر حيث يقول: (وَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ بِنِ الْحَرَبِيِّ فِي تَأْوِيلِ كَلَامِ مَالِكٍ أَوْلَى، وَهُوَ نَظِيرُ الْأَمْرِ بِالْفِرَارِ مِنَ الْمَجْدُومِ مَعَ صِحَّةِ نَفْيِ الْعَدْوَى وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ حَسْمُ الْمَادَّةِ وَسَدُّ الذَّرِيْعَةِ؛ لِئَلَّا يُوَافِقَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ الْقَدَرَ فَيَعْتَقِدُ مَنْ وَقَعَ لَهُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْعَدْوَى أَوْ مِنَ الطَّيْرَةِ فَيَقَعُ فِي اعْتِقَادِ مَا نُهِيَ عَنْ اعْتِقَادِهِ، فَأُشِيرُ إِلَى اجْتِنَابِ مِثْلِ ذَلِكَ وَالطَّرِيقُ فِيْمَنْ وَقَعَ لَهُ ذَلِكَ فِي الدَّارِ مِثْلًا أَنْ يُبَادِرَ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ مَتَى اسْتَمَرَ فِيهَا رَبَّمَا حَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى اعْتِقَادِ صِحَّةِ الطَّيْرَةِ وَالتَّشَاؤْمِ)<sup>(٢)</sup>

فهذا القول: لاشك أظهر الحكمة واللازم، وقد تكون الحكمة صحيحة؛ لأن الشؤم -المعفو عنه- هو من قبيل التيسير والتخفيف في الأصل، وقد يكون من الحكم أنه يقطع ويسد باب الاعتقاد؛ لأن الإنسان الكاره للشيء إذا لازمه ولم يخرج منه، أو أُجبر على البقاء فيه أو معه، قد يضعف إيمانه ويقنط، مثله مثل: من أصابته مصيبة جزع ولم يصبر.

ولكن المأخذ على هذا التفسير أنه حصر المعنى فيه وإلا فما المانع أن

(١) عارضة الأحوذى (١٠/٢٦٦)، وينظر: فتح الباري لابن حجر (٦/٦٢).

(٢) المصدر السابق (٦/٦٢).

يكون النبي ﷺ استثناء بصورة مباحة، فكأنه صحح الصورة القديمة، ونقلها من الشرك إلى أمر مباح لا يكون شركاً، وإن أنقص التوحيد أو التوكل من مرتبتهما العاليتين.

### المسلك الثاني: القول بالتأويل.

وهذا المسلك تنوعت التأويلات فيه، فبعضها بعيد، وبعضها قد يكون أقرب للتفسير منه للتأويل، ولكن في النهاية هي تجتمع في صرف المعنى الظاهر، وهي على النحو التالي:

١- أن المراد هو الإخبار عما تعتقده الجاهلية، أو سيق ليّان اعتقاد الناس في ذلك، لا أنه إخبار من النبي ﷺ بثبوت ذلك<sup>(١)</sup>. وهذا القول قد رده كثير من العلماء.

قال ابن العربي عن هذا القول: (ساقط؛ لأن النبي ﷺ لم يبعث ليخبر عن الناس بما كانوا يعتقدونه، وإنما بعث ليعلم الناس ما يلزمهم أن يعلموه ويعتقدوه).

وقال ابن حجر: (وسيق الأحاديث الصحيحة المتقدم ذكرها يُبعد هذا التأويل)<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: عارضة الأحوذوي (١٠/٢٦٤)، فتح الباري لابن حجر (٦/٦١)، فيض القدير (٣٨٣/٤ - ٣٨٤).

(٢) الفتح (٦/٦١).

٢- أن إضافة الشؤم إلى هذه الثلاثة مجازاً واتساع، أي: يحصل عندها ومقارناً لها، وليس لأنها هي نفسها مما يوجب الشؤم، نقله ابن القيم من ضمن الأقوال<sup>(١)</sup>.

وهذا القول -فيما ظهر لي- أصله يرجع إلى تقرير الأشاعرة في مسألة أفعال العباد<sup>(٢)</sup>؛ لأن ظاهر الكلام يدل على أن المراد بالعلاقة هنا علاقة اقترانية لا تأثيرية، أي: وقع عنده لا به.

وبهذا فهم أثبتوا الشؤم على طريقة الأشاعرة لا على طريقة أهل السنة والجماعة.

٣- أن المراد بها بيان أكثر أو غالب ما يتشأم به، لا أنه خبر عن الشرع<sup>(٣)</sup>.

وهذا التأويل صحيح من وجه، فهذه الثلاثة ملازمة للمسلم، وهي غالب ما يتطير بها الناس، ولكنه لم يوافق الصواب حين أنكر أن يكون خبراً من الشرع؛ لأن الظاهر من الحديث لا يدل على ذلك، بل يدل على أن الشؤم واقع فيها.

٤- الإخبار عن الأسباب المشيرة للطيرة؛ وذلك لاجتنابها؛ لأنها -أي هذه

(١) ينظر: مفتاح دار السعادة (٣/ ٣٣٨).

(٢) ينظر للاستزادة حول معتقد الأشاعرة في هذه المسألة: الإرشاد للجويني، ص ٢١٨ - ٢١٩، أصول الدين للبغدادي، ص ١٥٦ - ١٥٨، الأربعين في أصول الدين، للغزالي، ص ٢٧٧، وينظر: السببية عند الأشاعرة، جمعان الشهري، ص ٢٦ - ٢٩.

(٣) ينظر: المفهم للقرطبي (٥/ ٦٣١).

الأشياء الثلاثة - كامنة في الغرائز وتثير الطيرة وتكثر المصائب عندها، فأخبرنا بهذا لناخذ الحذر منها<sup>(١)</sup>.

وهذا التأويل حمل المراد على التحذير من التشاؤم بهذه الأشياء الثلاثة. والجواب عنه: أن الحديث لا يدل على ذلك، وليس في بيان الأسباب، ولا دلالة على ذلك من السياق، فهو بذلك نوع من التأويل، الذي يحتاج إلى دليل. المسلك الثالث: القول بالنسخ.

أي أنه كان ثابتاً في هذه الأشياء الثلاثة في بداية الأمر، ثم نُسخ بقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [الحديد: ٢٢] الآية.

فيصبح النفي عامّاً لهذه الثلاثة وغيرها.

قال ابن عبد البر: (وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ فِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ كَانَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ خَبْرًا عَمَّا كَانَتْ تَعْتَقِدُهُ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا عَلَى مَا قَالَتْ (عَائِشَةُ) ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ وَأَبْطَلَهُ الْقُرْآنُ وَالسُّنَنُ)<sup>(٢)</sup>.

المسلك الرابع: رد أحاديث إثبات الشؤم في ثلاثة، وحمل المراد على التطير الشركي.

(١) ينظر: مفتاح دار السعادة (٣/ ٣٤١).

(٢) التمهيد (٩/ ٢٩٠)، وينظر: فتح الباري لابن حجر (٦/ ٦٢).

وهو قول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فقد روي أنه دخل عليها رَجُلَانِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ فَأَخْبَرَاهَا أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الطَّيْرَةُ فِي الدَّارِ، وَالْمَرْأَةُ، وَالْفَرَسِ» فَغَضِبَتْ فَطَارَتْ شِقَّةً مِنْهَا فِي السَّمَاءِ، وَشِقَّةٌ فِي الْأَرْضِ، وَقَالَتْ: وَالَّذِي أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ عَلَى مُحَمَّدٍ مَا قَالَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَطُّ، إِنَّمَا قَالَ: «كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَتَطَيَّرُونَ مِنْ ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>. وفي رواية أبي داود الطيالسي أنها غلّطت أبا هريرة، حيث قالت: (لم يحفظ أبو هريرة؛ لأنه دخل ورسول الله ﷺ يقول: قاتل الله اليهود يقولون: إن الشؤم في الدار والمرأة والفرس، فسمع آخر الحديث، ولم يسمع أوله).

وممن قال بهذا الإمام الطبري، حيث يقول: (وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ «إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ» فَإِنَّهُ لَمْ يُثَبِّتْ بِذَلِكَ صِحَّةَ الطَّيْرَةِ، بَلْ إِنَّمَا أَخْبَرَ ﷺ أَنَّ ذَلِكَ إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ فِي هَذِهِ الثَّلَاثِ، وَذَلِكَ إِلَى النَّفْيِ أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى الْإِيجَابِ؛ لِأَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ: إِنْ كَانَ فِي هَذِهِ الدَّارِ أَحَدٌ فزَيْدٌ، غَيْرُ إِثْبَاتٍ مِنْهُ أَنَّ فِيهَا زَيْدًا، بَلْ ذَلِكَ مِنَ النَّفْيِ أَنْ يَكُونَ فِيهَا زَيْدٌ، أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى الْإِثْبَاتِ أَنْ فِيهَا زَيْدًا)<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٢٦٠٣٤)، وأبو داود الطيالسي (١٦٤١) (١٣٦٥)، وابن جرير الطبري في تهذيب الآثار - مسند علي (٣٧)، (٧٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧٨٦) والطبراني في مسند الشاميين (٢٧٠٢) والحاكم في المستدرک علی الصحیحین للحاكم (٣٧٨٨)، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى للبيهقي (١٦٥٢٥) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٨٩/٢) (٩٩٣).

(٢) تهذيب الآثار، مسند علي (٣٤/٣).

ولكن يجاب عنه: أن هذا لا يدل على التعارض بين رواية الجزم وبين رواية التعليق «إن يكن...»؛ لأن صيغ التعليق تأتي بصورة الجزم، وهذا قد ورد في السنة كما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدِّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ، فَإِنَّهُ عَمْرٌ»<sup>(١)</sup>. قال ابن وهب: (تفسيرُ مُحَدِّثُونَ: مُلْهَمُونَ)<sup>(٢)</sup>. ولا شك أنهم موجودون في الأمة ومنهم: عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ<sup>(٣)</sup>.

هذا وقد وافق بعض أهل العلم هذا المسلك، وذلك بتضعيف رواية الجزم (الشؤم في ثلاثة) منهم: ابن قتيبة<sup>(٤)</sup>، والإمام الطحاوي<sup>(٥)</sup>.

حيث يقول ابن قتيبة: (وَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الشُّؤْمُ فِي الْمَرْأَةِ وَالِدَّارِ وَالِدَابَّةِ» فَإِنَّ هَذَا حَدِيثٌ، يُتَوَهَّمُ فِيهِ الْغَلَطُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَنَّهُ سَمِعَ فِيهِ شَيْئًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَعْه<sup>(٦)</sup>).

(١) أخرجه البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب... (٣٦٨٩)،  
ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، باب فضائل عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢٣٩٨).

(٢) صحيح مسلم (٤/١٨٦٤)

(٣) ينظر للاستزادة: بحث دراسة حديث الشؤم في ثلاثة دراسة حديثة عقديّة، د. صالح العصيمي، ص ٦٠ - ٦١. مجلة الدراسات العقدية، العدد (٤).

(٤) ينظر: تأويل مختلف الحديث، ٧١.

(٥) ينظر: شرح مشكل الآثار (٢/٢٥٢)، شرح معاني الآثار (٤/٣١٤).

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٩١٨)، والبخاري في المسند (٦٤٢٧)، وأخرجه أبو داود

(٣٩٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٥٢٨)، والمقدسي في المختارة (١٥٢٩)، قال

فهو رَحِمَهُ اللهُ يرد رواية الشؤم كما هو ظاهر من كلامه، لكنه أورد حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رجلاً قال: (يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي دَارٍ كَثُرَ فِيهَا عَدَدُنَا، وَكَثُرَ فِيهَا أَمْوَالُنَا، فَتَحَوَّلْنَا إِلَى دَارٍ أُخْرَى، فَقَلَّ فِيهَا عَدَدُنَا، وَقَلَّتْ فِيهَا أَمْوَالُنَا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رُدَّهَا، أَوْ دَعُوَهَا، وَهِيَ ذَمِيمَةٌ»<sup>(١)</sup>.

ثم أجاب عنه بقوله: (وإنما أمرهم بالتحول منها؛ لأنهم كانوا مقيمين فيها على استئصال لظلمها، واستيحاش بما نالهم فيها، فأمرهم بالتحول. وقد جعل الله تعالى في غرائز الناس وتركيبيهم، استئصال ما نالهم السوء فيه، وإن كان لا سبب له في ذلك، وحب من جرى على يده الخير لهم وإن لم يردهم به، وبغض من جرى على يده الشر لهم، وإن لم يردهم به. وكيف يتطير ﷺ، والطيرة من الجبّ)<sup>(٢)</sup>.

فبالخلاصة أن ابن قتيبة يرد حديث إثبات الشؤم في الأشياء الثلاثة، والأحاديث الأخرى التي تدل على وجود الشؤم في الدار: فإنه يفسر الشؤم

---

البخاري: (في إسناده نظر). وقال البزار: (وهذا الحديث لا نعلمه يروى، عن أنس إلا من هذا الوجه هذا الإسناد). وأخرجه من حديث سهل بن حارثة أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٣١٦)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٢١٦٠)، والطبراني في الكبير (٥٦٣٩)، وأخرجه البيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود (١٣٠١). والحديث صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

(١) تأويل مختلف الحديث، ٧١.

(٢) تأويل مختلف الحديث، ٧١ - ٧٢.

أو الذمّامة على أنه من قبيل الكراهة والاستيحاش الذي يكون في النفس<sup>(١)</sup>. قال الإمام الطحاوي: (وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ إِنَّكَارَهَا لِذَلِكَ، وَإِخْبَارَهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ إِخْبَارًا مِنْهُ عَنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ غَيْرَ أَنَّهَا ذَكَرَتْهُ عَنْهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بِالطَّيْرَةِ لَا بِالشُّؤْمِ، وَالْمَعْنَى فِيهِمَا وَاحِدٌ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ كَانَ مَا رُوِيَ عَنْهَا مِمَّا حَفِظْتَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ إِضَافَتِهِ ذَلِكَ الْكَلَامَ إِلَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ أَوْلَى مِمَّا رُوِيَ عَنْ غَيْرِهَا فِيهِ عَنْهُ ﷺ؛ لِحِفْظِهَا عَنْهُ فِي ذَلِكَ مَا قَصَرَ غَيْرُهَا عَنْ حِفْظِهِ عَنْهُ فِيهِ، فَكَانَتْ بِذَلِكَ أَوْلَى مِنْ غَيْرِهَا، لَا سِيَّمَا وَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي نَفْسِ الطَّيْرَةِ وَالشُّؤْمِ)<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضًا: (أَيُّ: لَوْ كَانَتْ تَكُونُ فِي شَيْءٍ، لَكَانَتْ فِي هَؤُلَاءِ، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ فِي هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ، فَلَيْسَتْ فِي شَيْءٍ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا تَكَلَّمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ، كَانَ عَلَى غَيْرِ هَذَا اللَّفْظِ)<sup>(٣)</sup>.

فالظاهر من كلامه أنه يرد أحاديث (الشؤم في ثلاثة)، مؤيدًا ذلك أن كلام عائشة مقدم على غيرها؛ لأنها أولى من غيرها؛ لحفظها. والله أعلم.

وممن قال بهذا الإمام الطبري، حيث يقول: (وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ «إِنْ كَانَ

(١) وهذا قريب من كلام البغوي الذي سبق في المسلك الأول، ولكن الفرق أن ابن قتيبة رد رواية (الشؤم في ثلاثة)، أما البغوي ففسر (الشؤم في ثلاثة) بذلك، فهو من هذا الوجه.

(٢) شرح مشكل الآثار (٢/٢٥٢).

(٣) شرح معاني الآثار (٤/٣١٤).

الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فَنَفِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ» فَإِنَّهُ لَمْ يُثَبِّتْ بِذَلِكَ صِحَّةَ الطَّيْرَةِ، بَلْ إِنَّمَا أَخْبَرَ ﷺ أَنَّ ذَلِكَ إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ فَنَفِي هَذِهِ الثَّلَاثِ، وَذَلِكَ إِلَى النَّفْيِ أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى الإِجَابِ؛ لِأَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ: إِنْ كَانَ فِي هَذِهِ الدَّارِ أَحَدٌ فزَيْدٌ، غَيْرُ إِثْبَاتٍ مِنْهُ أَنَّ فِيهَا زَيْدًا، بَلْ ذَلِكَ مِنَ النَّفْيِ أَنْ يَكُونَ فِيهَا زَيْدٌ، أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى الإِثْبَاتِ أَنْ فِيهَا زَيْدًا<sup>(١)</sup>.

ومن المعاصرين الإمام الألباني، فقد صحح روايات التعليق، أما رواية الجزم فقد حكم عليها بالشذوذ، وأنها من تصرف الرواة حيث يقول: (والحديث يعطي بمفهومه أن لا شؤم في شيء، لأن معناه: لو كان الشؤم ثابتًا في شيء ما، لكان في هذه الثلاثة، لكنه ليس ثابتًا في شيء أصلاً. وعليه فما في بعض الروايات بلفظ «الشؤم في ثلاثة». أو «إنما الشؤم في ثلاثة» فهو اختصار، وتصرف من بعض الرواة. والله أعلم)<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضًا: («الشؤم في ثلاث...») فهو بهذا اللفظ شاذ مرجوح<sup>(٣)</sup>.

والحقيقة أن أحدًا لا ينازع أن النبي ﷺ أبطل تطير الجاهلية، ولا يمنع أن المشركين في الجاهلية كانوا يتطيرون من هذه الأمور الثلاثة، على اعتبار أنها الغالب مما يقع عليه التطير، ولكن مع ذلك أين تذهب الأحاديث الجازمة بثبوت الشؤم في هذه الثلاثة؟!

(١) تهذيب الآثار مسند علي (٣/ ٣٤).

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٨٠٤).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٥٦٥)، وينظر: ضعيف سنن الترمذي (ص: ٣٣٦).

## □ ثانياً: الترجيح وتحليل الأقوال في معنى «الشؤم في ثلاثة»:

من خلال ما سبق يمكن أن نستنتج ما يلي:

١- أن المسلك الأول باتجاهيه: المثبت والمفسر كانا - في النتيجة - متفقين في الجملة، وقد تقدم تحليل كل تفسير، وبيان الإشكال فيمن فسرها على أنها سدٌ لذريعة الاعتقاد بصحة الطيرة، وكذلك من فسرها على أنها تلحق من تطير بها.

٢- أن التأويلات المذكورة - عدا الأول - لها وجه من الصحة، ولكن لا تسلم من الإشكالات كما تقدم.

٣- أن رد رواية الجزم فيه تعطيل لروايات صحيحة، والصواب الجمع إن أمكن، وهو متحقق.

٤- أن تجعل الأشياء سبباً في التشاؤم ولم يثبت فيها دليل لا يقول به أحد من العلماء، ومن أثبت في حديث «الشؤم في ثلاثة» كان قصده على صورة مختلفة ليست من جنس الشؤم المحرم.

الترجيح:

وبهذا نقول: إن الصواب الذي نراه أن هذه الثلاثة هي أمور مستثناة بصورة مباحة، وهي مختلفة تماماً عن التطير الشركي أو المحرم، فهو استثناء من غير جنس التطير الشركي، ويمكن أن نذكر الفروق على النحو التالي:

## الفرق بين الشؤم المحرم والشؤم المعفو عنه:

## جدول رقم (٢)

| الشؤم المعفو عنه   | الشؤم المحرم  |
|--|---|
| ما يحدث للإنسان من كراهة وضيق بطول ملازمة أو بسبب عين <sup>(١)</sup> .   | يحدث للإنسان ضيق وكراهة لكن لا يكون بطول ملازمة.                              |
| متصل بالشيء المتشائم به والمتروك وله علاقة به.                           | غير متصل ولا محسوس، وهم وخيال مثل الشؤم بالطير ونحوه.                         |
| يحدث بعد التجربة.  | يحدث قبل التجربة وقبل وقوع الشيء وحدثه، بدليل قول النبي ﷺ: «فلا يصدنكم».      |
| يكون معه حسن ظن بالله، فمن يتحول ويترك الشيء يظن بأن الله أراد به خيرًا. | يكون معه سوء ظن بالله؛ لأنه اعتقد ابتداءً بالشؤم قبل التجربة وتعلق بشيء وهمي. |
| أبيح من باب التسهيل والمراعاة <sup>(٢)</sup> .                           | فيه مشقة؛ لأنه يعتمد على وهم وخيال وسبب لتلاعب الشيطان.                       |

(١) ينظر: دراسة حديث الشؤم في ثلاثة، العصيمي، ص ٦١. (بحث في العدد رقم (٤) مجلة

الدراسات العقديّة)

(٢) ينظر: مفتاح دار السعادة، (٣/٣٤٤ - ٣٤٥).

ملحوظة: مع قولنا بالشؤم المعفو عنه، إلا أنه لا بد من التفصيل، فليس الأمر هكذا على الإطلاق، بل لا بد من توفر شروط، منها:

١- انتفاء أن يكون الترك مبنياً على وسوسة؛ أي: لا بد أن يكون على أسباب حقيقية، كحصول أذى أو مصيبة.

٢- لا بد من الصبر ولو يسيراً واحتمال الأمر إلى حين تحقق أفضلية الترك.

٣- حسن الظن بالله وسؤاله أن يبدله خيراً، كما ورد في المصائب.

كما يمكن بمعنى آخر تحرير المسألة على حالتين:

الحالة الأولى: استحباب الصبر مع جواز الترك.

هذه الحالة من المصائب قد تكون بسبب الذنوب أو التفريط في الأذكار الصباحية والمسائية، أو لأسباب أُخر، وهي في كل رفعة في الآخرة لمن صبر عليها ولم يظن أنها من الشؤم، وكل ذلك راجع لعلم الله - عز وجل - بخبايا وسرائر قلوب عباده.

فمثلاً نجد أن المرأة - وهي أحد الأصناف الثلاثة التي وردت في ما استثنى من الشؤم - قد حث الله - سبحانه وتعالى - على الصبر في معاشرتها فيما يُكره منها.

كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا<sup>ط</sup> وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ<sup>ع</sup> وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ<sup>ح</sup> فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ

خَيْرًا كَثِيرًا ﴿ [النساء: ١٩].

فقوله تعالى: ﴿ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ فيه حث على الصبر على ما يكره في الزوجة، ورتب عليه الخيرية الكثيرة.

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال له مُعَاوِيَةُ بْنُ الْحَكَمِ: «مِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ قَالَ ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدُّهُمْ» وَفِي رِوَايَةٍ فَلَا يَصُدُّكُمْ<sup>(١)</sup>.

ومما جاء عن الصحابة حول هذا المعنى، ولكن في صنف آخر وهو الدابة، ما ورد عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ اشْتَرَى مِنْ شَرِيكِ لِنَوَاسٍ إِبِلًا هَيْمًا، فَلَمَّا جَاءَ نَوَاسٌ، قَالَ لِشَرِيكِهِ: مِمَّنْ بَعْتَهَا، فَوَصَفَ لَهُ صِفَةَ ابْنِ عُمَرَ، فَقَالَ: وَيَحَاكَ، ذَلِكَ ابْنُ عُمَرَ، وَأَتَى نَوَاسٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ، فَقَالَ: إِنَّ شَرِيكِي بَاعَكَ إِبِلًا هَيْمًا، وَإِنَّهُ لَمْ يَعْرِفَكَ، قَالَ: خُذْهَا إِذَا، فَلَمَّا ذَهَبَ لِأَخْذِهَا، قَالَ: «دَعَهَا رَضِينَا بِقَضَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا عَدْوَى»، قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ عُمَرُ: وَكَانَ نَوَاسٌ يُجَالِسُ ابْنَ عُمَرَ، وَكَانَ يُضْحِكُهُ، فَقَالَ يَوْمًا: وَدِدْتُ أَنْ لِي أَبَا قُبَيْسٍ ذَهَبًا، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: مَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَمُوتُ عَلَيْهِ»، فَضَحِكَ ابْنُ عُمَرَ<sup>(٢)</sup>.

### وجه الدلالة:

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ بَابُ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَنَسَخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ (٣٣) (١٢١).

(٢) أَخْرَجَهُ الْحَمِيدِيُّ فِي مَسْنَدِهِ (٧٢٢)، وَالْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْبُيُوعِ، بَابُ شِرَاءِ الْإِبِلِ الْهَيْمِ، أَوْ الْأَجْرَبِ الْهَائِمِ: الْمُخَالَفُ لِلْقَصْدِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، بِرَقْمِ (٢٠٩٩)، وَابْنُ جَرِيرٍ فِي تَهْذِيبِ الْأَثَارِ مَسْنَدَ عَلِيٍّ (١٢/٣) (٢٣).

أن الهيم من الهيام، وهُو: دَاءٌ يُكْسِبُهَا الْعَطَشُ فَتَمُصُّ الْمَاءَ مَصًّا وَلَا تَرَوِي<sup>(١)</sup>. ومع وجود هذا الداء والعيب، إلا أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صبر على ذلك واحتسب، ولم يتطير بالدابة، مع أنه من حقه أن يعيدها، ولا يتحقق فيها حتى التشاؤم المباح، بل سدًا للذريعة وخوفًا منه أثر الرضا بهذا العيب، ولم يعدها لصاحبها.

فالحاصل، أن الصبر على الشؤم المعفو عنه أو المستثنى فاضل على الترك أو التحول، وهذا لا يكون إلا ممن كان إيمانه قويًا.

ولا شك أن ما يكره الإنسان قد يكون من المصائب التي يتبلى بها الله عباده؛ ليعلم درجة صبرهم؛ ليتمحص الناس إلى درجات، منها:

١- درجة المتشائم الدنيوي - أي: الذي تعلق قلبه بالدنيا-؛ بمعنى أن زوال المكروه والمصاب يتحقق بارتكاب المعصية، وترك الطاعة التي كان يؤديها. مثال ذلك: رجل كان يصلي فوقع له مصيبة في بيته أو أهله، ثم ترك الصلاة فزال ذلك المصاب، فهنا ربما قال: الصلاة نحس.

والسبب في هذا البلاء والامتحان أن الله - عز وجل - لا يقبل إلا طيبًا، وهؤلاء الجهال المتطرون إنما يحملهم على الصلاة والعبادة الرغبة في تحصيل المنافع الدنيوية على سبيل التجربة، بلا يقين ولا إيمان ولا إخلاص، فيبتلي الله يقينهم وإخلاصهم بما يصيبهم من الامتحان<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٨٩).

(٢) ينظر: رفع الاشتباه عن العبادة والإله وتحقيق معنى التوحيد والشرك بالله، (٢/ ٦٦٤).

فهذا تشاؤم محرم بل يصل إلى الكفر في أغلب أحواله.

٢- درجة التائب العائد الذي ظهرت منه إرادة للتوبة، فهذا يجازيه الله - تعالى - بصبره على البلاء فيُطهر ذنوبه أولاً، ثم يُزيل عنه الضّر بزوال السبب، ويجبره الله - تعالى - ويرفعه، ولو أنه لم يصبر فإنه يقع في التشاؤم المذموم؛ لأن السبب المؤثر أو الجالب للمكروه ليس من تلك العبادة أو من غيرها، وإنما هو بسبب ذنبه، فإن ألصق المكروه بالعبادة وتركها كان مثل الدرجة السابقة وخالف العقل والشرع، وإن لم يتركها وتشاءم بها فهذا تشاؤم محرم يؤثر على قلبه ويقدر في عبادته.

٣- درجة التشاؤم المرتبط بالعادات والمنفك عن العبادة، وهذا ما ينطبق على التشاؤم المباح الوارد في الحديث؛ لأنه لم يتشاءم بعبادة ولم يسيء الظن بالله مع أنه قد ضعف شيء من توكله، إلا أنه إن حصل له ضرر من دار أو امرأة تحول عنها أو تركها مع إحسان الظن بالله، أي أن يقول مثلاً: لعل الله أراد بي خيراً حين ابتلاني بهذا المكروه؛ لكي أتحوّل عنه فأجد الدار أو المرأة الأفضل فهذه حالة جائزة.

٤- درجة المتفائل الصابر، وهي أعلى الدرجات وأفضلها، فمن أصابه مكروه في داره مثلاً فإنه يصبر عليه ويحسن الظن بالله ولا يتحوّل عنها، فهذا من المتوكّلين الذين لا يتطيرون، كما جاء في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا

يَكْتُونُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»<sup>(١)</sup>.

### الحالة الثانية: مسألة استحباب الترك.

فهذه الحالة تكون بصفة لا تضعف التوحيد والإيمان، بل هي من وسائل تقويته، مثال ذلك: إذا سكن في دار لا يسمع الأذان وكان ذلك سبباً في ترك بعض الصلوات الجماعة، فهنا يستحب له بعد التجربة والتيقن أنه ترك بعض الصلوات، مع أنه من الأفضل له أن يبقى في بيت بعيد؛ لأن الحسنات تزداد بكثرة الخطى إلى المساجد، لكن لما تبين أنه ترك الجماعة وأنه فقد أجر التردد مع المؤذن تركها وتحول عنها.

كذلك المرأة سليطة اللسان، والتي لا تحفظ حق زوجها إذا نصحتها واجتهد ولم تنتفع بذلك، كان طلاقها خيراً يمنع الشر، فربما أنجبت وأفسدت أخلاق الأولاد وكانت فتنة، كذلك المرأة المبذرة والمُسْرِفة إذا لم تنتصح وتعديل عن إسرافها فإن تركها قد يكون أفضل إذا لم يترتب عليه مفساد أعظم، وهذا يختلف عن من تطير بالمرأة، وكانت مثلاً مُبذرة ومُسْرِفة، فهو يتشائم بها ليس لهذا السبب المعلوم وهو التبذير في أنها سبب للتشاؤم<sup>(٢)</sup>.

وأما إذا لم تنجب فهذا أيضاً موجب للتحويل والترك كما نقل أبو داود في

(١) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب من لم يرق (٥٧٥٢) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (٢٢٠)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) ينظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول (٣/٩٩٢).

سننه عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «حَصِيرٌ فِي الْبَيْتِ خَيْرٌ مِنْ امْرَأَةٍ لَا تَلِدُ» (١)

كذلك الخيل أو الإبل الذي يكون للخيلاء والكبر، فهو شر على صاحبه  
فإما أن يستعمله في الخير وإما أن يدعه.

كما ورد في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْخَيْلُ  
لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ: فَرَجُلٌ  
رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَطَالَ فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيلِهَا ذَلِكَ  
مِنَ الْمَرْجِ أَوْ الرُّوضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيلَهَا فَاسْتَنْتَتْ  
شَرَفًا أَوْ شَرْفَيْنِ كَانَتْ أَرْوَانِهَا وَأَثَارُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهْرٍ،  
فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَهَا كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فُخْرًا  
وَرِئَاءً، وَنَوَاءً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَهِيَ وَزْرٌ عَلَى ذَلِكَ».

وفي رواية: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالْإِبِلُ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبُ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا  
حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلْبُهَا يَوْمَ وَرْدِهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٍ،  
أَوْ فَرَّ مَا كَانَتْ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا، تَطْوُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا  
مَرَّ عَلَيْهِ أَوْ لَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أَخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى  
يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» (٢).

(١) [٣٩٢٢] (٤/١٩)

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: الخيل لثلاثين (٢٨٦٠). ومسلم، كتاب

الزكاة، باب إثم مانع الزكاة (٩٨٧).

## المبحث الثاني

### الإشكال المتوهم أن النبي ﷺ كان يقع في قلبه شيء من التطير

فقد ورد عن النبي ﷺ بعض الأحاديث التي قد يتوهم منها أنه ﷺ كان يتشائم من بعض الأمور وهذه الأحاديث، هي:

١- جاء في حديث بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ، وَلَكِنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَرْضًا سَأَلَ عَنْ اسْمِهَا، فَإِنْ كَانَ حَسَنًا رُئِيَ الْبَشْرُ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ رَجُلًا سَأَلَ عَنْ اسْمِهِ، فَإِنْ كَانَ حَسَنَ الْإِسْمِ رُئِيَ الْبَشْرُ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ»<sup>(١)</sup>.

٢- حديث اللقحة، وهو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلْقَحَةِ تُحَلَبُ: «مَنْ يَحَلُبُ هَذِهِ؟ فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا اسْمُكَ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: مَرَّةٌ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: اجْلِسْ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَحَلُبُ هَذِهِ؟ فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: مَا اسْمُكَ؟ فَقَالَ: مَرَّةٌ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: اجْلِسْ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَحَلُبُ هَذِهِ؟ فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: مَا اسْمُكَ؟ فَقَالَ: يَعْيشُ، فَقَالَ لَهُ: اِحْلُبْ فَحَلَبَ»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٢٢٩٤٦)، وأبو داود في السنن (٣٩٢٠)، وابن حبان (٥٧٩٧)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٧٧١)، والطبراني في مسند الشاميين (٢٧٠٧)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢٨٧/٨)، والسلسلة الصحيحة (٣٨٩/٢) (٧٦٢).

(٢) أخرجه مالك مرسلًا (٢٠٤٩)، وقد وصله ابن عبد البر من طريق سحنون عن ابن وهب،

٣- عن سَعِيدِ بْنِ الْمَسَيْبِ، أَنَّ جَدَّهُ حَزَنًا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَا اسْمُكَ؟» قَالَ: اسْمِي حَزْنٌ، قَالَ: «بَلْ أَنْتَ سَهْلٌ»، قَالَ: مَا أَنَا بِمُغَيِّرِ اسْمًا سَمَانِيهِ أَبِي. قَالَ ابْنُ الْمَسَيْبِ: «فَمَا زَالَتْ فِيْنَا الْحُزُونَةُ بَعْدُ»<sup>(١)</sup>.

فالمراد من هذه الأحاديث ليس التشاؤم، وإنما طلب الفأل، ومما يدل على ذلك بداية الحديث الأول من قول بريدة «لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ».

قال ابن عبد البر: (وَهَذَا عِنْدِي - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - لَيْسَ مِنْ بَابِ الطَّيْرَةِ؛ لِأَنَّهُ مُحَالٌ أَنْ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ وَيَفْعَلَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ طَلَبِ الْفَأْلِ الْحَسَنِ، وَقَدْ كَانَ أَخْبَرَهُمْ عَنْ شَرِّ الْأَسْمَاءِ أَنَّهُ حَرْبٌ وَوَمْرَةٌ فَأَكَّدَ ذَلِكَ حَتَّى لَا يَتَسَمَّى بِهَا أَحَدٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ)<sup>(٢)</sup>.

أما الكراهة التي تكون في وجهه ﷺ فهي لانتفاء التفاؤل، فالإنسان إذا أحب شيئاً، وبحث عنه ولم يجده؛ فإنه يحزن عليه، فهذه الكراهة مثل ذلك؛ لأن النبي ﷺ يحب الفأل، فإذا لم يجده في اسم شخصٍ أو مكان فإنه يرى في وجهه أثر ذلك. فليس الأمر تطيراً إذن.

ويدل على ذلك الزيادة التي في رواية ابن وهب، وفيها: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَكَلَّمُ أَمْ أَصُمْتُ؟، فَقَالَ: «بَلِ اصْمُتْ، وَأُخْبِرُكَ بِمَا

عن ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن عبد الرحمن بن جبير عن يعيش الغفاري، وأخرجه ابن وهب في جامعه (٦٥٢).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه (٦١٩٣).

(٢) التمهيد (٧١/٢٤).

أَرَدْتُ»، فَقَالَ: فَأَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «ظَنَنْتَ يَا عُمَرُ أَنَّهَا طَيْرَةٌ»، قَالَ: «لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُهُ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُهُ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ الْفَأَلَ الْحَسَنَ»<sup>(١)</sup>.

وإذا كان كذلك فيمكن القول في هذه الأحاديث وغيرها: إن غرض النبي ﷺ غرض آخر ليس تشاؤماً، ولا يعدو أن يكون لأسباب، منها:

١- أنه ﷺ يغير أسماء من يُسلم جديداً؛ لينقلهم ويقطع الصلة بمعتقد آبائهم السابقين، ومن هذا الباب: تحريم كل اسم معبد لغير الله.

٢- أن النفوس جُبلت على كراهة بعض الأسماء، كحرب، ومرة، وكلب، وحية، وأشباهها وعليه يحمل.

٣- أن النبي ﷺ قد يفرح ويستبشر بالأسماء الحسنة من باب طلب الفأل، وتحقيقه القائم على حسن الظن بالله - عز وجل -.

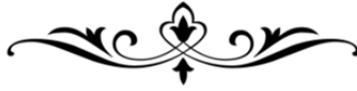
٤- قد يكون غرض النبي ﷺ خاصة في حديث اللقحة؛ التأديب لأصحابه وأمته؛ لكي تُترك الأسماء القبيحة، وتُطلب الأسماء الحسنة من غير إيجاب عليهم وإلزام.

٥- أن كراهة النبي ﷺ لتلك الأسماء القبيحة وظهورها على وجهه؛ إنما لكراهته لتلك الأسماء ذاتها، وليس لخوفٍ من تأثيرها بمعنى أن النبي ﷺ كان يخشى أن يوافق القدر لتلك الأسماء المكروهة فيعتقد أنه كان بتأثيرها، وإلا فإن تأثير الاسم على المسمى ليس مطرداً، فقد عُلم بالتجربة والمشاهدة

(١) الجامع في الحديث لابن وهب (٦٥٥).

أن كثيراً من الاسماء قد لا تتطابق مع المسمى، ومن ذلك ما رواه عبد الرزاق في مصنفه أن عمر رضي الله عنه وجد في بيت رجلٍ من ثقيفٍ خمرًا، وقد كان جلدُهُ في الخمرِ فحرّق بيته، وقال: «ما اسمك؟» قال: رُوَيْشِدُ قَالَ: «بَلْ أَنْتَ فُؤَيْسِقٌ»<sup>(١)</sup>. فهنا لم يكن لاسمه تأثير عليه، وما يثبت هذا الأمر كثير جدًا وهو معلوم بالضرورة.

٦- قد يكون كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهيه عن التسمي ببعض الأسماء من قبيل الاشتمزاز، والكرهية للشر وأهله، وهذا من الإيمان ليس من التشاؤم؛ لأن الترك لهذه الأسماء قائم على أمر شرعي، بخلاف التطير الذي يؤدي إلى ترك الشيء أو فعله من غير أمر شرعي<sup>(٢)</sup>.



(١) (١٠٠٥١).

(٢) ينظر: المنهاج في شعب الإيمان (٢/٢٥).

## المبحث الثالث

### انحرافات في مفهوم الشؤم والفأل عند بعض الأديان السابقة والجاهلية

□ أولاً: انحرافات عند اليهود والنصارى قديماً وحديثاً:

١- في اليهودية نجد أن التلمود في قسم (هجاداه) ينقل قصصاً من الخرافات والأساطير تؤكد وقوعهم في التطير، إذ يرون أن التطير والسحر والشعوذة فيها حكمة وعلم<sup>(١)</sup>. وقد كانوا يتطيرون من الغراب والحمام، والجمادات مثل السفينة إذا أراد أحدهم السفر وكانت جاهزة اعتقد أن السفر خير. ومن تطيرهم أنهم يفتحون التوراة، فيتشائم أو يتفاءل بأول لفظ وقعت عليه أعينهم<sup>(٢)</sup>.

٢- عند النصارى نجد صوراً لا حصر لها من معتقدات النصارى في أوروبا، التي تقوم على اعتقاد الشؤم والفأل بشكل خرافي في أشياء وهمية؛ نختار منها ما يلي:

- يعتقدون أن الباب الذي يغرز فيه صليب مرسوم بمسامير يدخل السعادة في البيت<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: التلمود وموقفه من الإلهيات عرض ونقد، د أبوبكر محمد ثاني، (٣/ ١٧٨٨).

(٢) ينظر: المصدر نفسه، (٣/ ١٧٩٣ - ١٧٩٤).

(٣) ينظر: معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوروبا، بيار كانافاجيور، ترجمة أحمد

- يتفاءلون بزهرة البابونج على أنها إذا قطفت في فجر عيد القديس يوحنا وشرب نقيعها على الريق لم يقع في الزنا لمدة عام كامل<sup>(١)</sup>.

- يعتقدون في السيارة الجديدة التي يشتريها الفرد ولم يقع له حادث خلال ثلاثة، أو ستة، أو تسعة أيام، أمكنه أن يسير بها في أمان<sup>(٢)</sup>.

- يعتقدون بجنية مشؤمة يقال لها: (السيدة البيضاء) من يشاهدها يموت بعد ثلاثة أيام، ويزعمون أنها تحمل في حزامها ألف مفتاح ومفتاحًا تدخل كل مكان، والشخص الذي لا يحترمها حين ظهورها له ترميه بالحجارة<sup>(٣)</sup>.

- شجرة التوت يزعمون أنها تجلب الحظ والسعادة لمن زرعها بالجانب الشرقي من بيته<sup>(٤)</sup>.

- الصليب المعقوف الذي تشكل أطرافه زوايا قوائم باتجاه عقارب الساعة أو عكسها، يعتقدون أنه يرمز إلى الحظ السعيد<sup>(٥)</sup>.

- يعتقدون بتأثير الأعداد فلكل عدد دلالاته الخاصة، ولكل إنسان له رقم مرتبط به؛ لأنهم يجعلون لكل حرف رقمًا يقابله قريبًا مما يُعرف بحساب

الطبال، ص ٢٧.

(١) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٥١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٥٢.

(٤) ينظر: معجم الأفكار والأعلام، هتشنسون، ترجمة خليل راشد الجيوسي، ص ٢٨٩.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ص ٢٨.

الجُمْل (١). فيجمعون حروف الاسم ويخرج الناتج فمثلاً لو خرج الناتج:  
(٣٥) يجمعون  $٨ = ٣ + ٥$ . ثم ينظرون في دلالة هذا الرقم (٢)، وكل هذا من  
التطير الشركي.

-يعتقدون في الغراب طويل الذيل (العقّوق) إذا تقالت مجموعة منه  
وأحدثت ضجيجاً قوياً، فإنه سيكون الجو -بزعمهم- رديئاً، أما إذا ظهر  
منها صوت في الصباح الباكر فالجو سيكون جميلاً (٣).

٣- التطير بالأعداد، فمثلاً: رقم (١٣) تختلف الأديان بعضها عن بعض  
في نظرتهم وتعاملهم مع هذا الرقم ما بين تشاؤم وتفاؤل، وكلها من باب  
الخرافة والوهم.

فمثلاً: يتطير أكثر الغرب النصراني منه فيُحذف من الفنادق، والأماكن  
العامة، والطائرات، والمسارح، ويستبدل برقم: (12A)؛ لمخاوف الناس  
واعتقادهم بشؤمه، ويتشاءمون منه إذا وقع وصادف يوم (١٣) يوم الجمعة،  
حتى إن الواحد منهم يصاب بمرض نفسي اسمه (باراسكافيدكاتريا فوييا).

(١) طريقة في معرفة المستقبل من خلال الحروف، يجعل قدر من العدد في مقابل كل حرف،  
وإجراء الأسماء، والأزمنة، والأمكنة على ذلك، ومن الجمع والطرح ونحو ذلك. ينظر  
بحث بعنوان: حساب الجُمْل - غير منشور - للدكتور/ عبد الرحمن اللويحق، ص ١.  
وينظر: أسرار الحروف وحساب الجمل - عرض ونقد -، رسالتي في الماجستير بجامعة  
أم القرى، ص ٢٣ - ٢٥.

(٢) ينظر: معجم الأفكار، ص ١٩٦ - ١٩٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ٢٠٦.

أما الأديان في الهند والصين فتُعظم هذا الرقم، كذلك في المكسيك والولايات المتحدة الأمريكية، فالنسر الأمريكي فيه (١٣) ريشه في كل جناح، ومع ذلك هناك في أمريكا من يتشام به وبأعداد كبيرة، رغم محاربة الأطباء النفسين لهذه الفكرة الخرافية<sup>(١)</sup>.

### □ ثانيًا: بعض انحرافات الجاهلية في مفهوم الفأل والشؤم:

١- التطير بالأيام والشهور، من ذلك يوم الأربعاء أو بشهر شوال.

فَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَوَّالٍ، وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي؟»، قَالَ: «وَكَاثَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ تُدْخَلَ نِسَاءَهَا فِي شَوَّالٍ»<sup>(٢)</sup>. قال النووي؛ (وَقَصَدَتْ عَائِشَةُ بِهَذَا الْكَلَامِ رَدَّ مَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ عَلَيْهِ وَمَا يَتَخَيَّلُهُ بَعْضُ الْعَوَامِّ الْيَوْمَ مِنْ كَرَاهَةِ التَّزْوِجِ وَالتَّزْوِيجِ وَالدُّخُولِ فِي شَوَّالٍ وَهَذَا بَاطِلٌ لَا أَصْلَ لَهُ وَهُوَ مِنْ آثَارِ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَتَطَيَّرُونَ بِذَلِكَ لِمَا فِي اسْمِ شَوَّالٍ مِنَ الْإِشَالَةِ وَالرَّفْعِ...)<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر للاستزادة: الأرقام أسرار ومعتقدات، عبد الصبور بدر، ص ٤٩ - ٥٥. ومعجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوروبا، بيار كانافاجيور، ترجمة أحمد الطبال، ص ٥٣.

(٢) أخرجه مسلم كتاب النكاح، باب استحباب التزويج والتزويج في شوال، واستحباب الدخول فيه (١٤٢٣).

(٣) شرح النووي على مسلم (٢٠٩/٩)

٢- التشاءوم بالطير والظبي، فيسمون الطير بالسائح الذي يمر من اليسار إلى اليمين، فيتفاءلون به، والبوارح العكس؛ أي: ما مر من اليسار إلى اليمين<sup>(١)</sup>.

٣- التشاءوم بالعطاس، (فَكَانُوا إِذَا عَطَسَ مِنْ يَجْبُونَهُ قَالُوا لَهُ: عَمْرًا وَشَبَابًا، وَإِذَا عَطَسَ مِنْ يَبْغُضُونَهُ قَالُوا لَهُ: وَزِيًا وَقُحَابًا، وَالوَرَى كَالرَّمِي دَاءٌ يُصِيبُ الْكَبِدَ فَيُفْسِدُهَا، وَالقُحَابُ: كَالسَّعَالِ وَزَنًا وَمَعْنَى. فَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا سَمِعَ عَطَاسًا يَتَشَاءَمُ بِهِ يَقُولُ: بَكَ لَا بِي، إِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ شُؤْمَ عَطَاسِكَ بَكَ لَا بِي، وَكَانَ تَشَاءُؤُهُمْ بِالْعَطْسَةِ الشَّدِيدَةِ)<sup>(٢)</sup>.

٤- الحمار، وكان يتفاءل به العرب، قال أحد الشعراء للصوص لما سمع صوت الحمار متفائلاً؛ لأنه أشعره بقدم المارّة:  
نهق الحمار فقلت أيمن طائر... إن الحمار من التجار قريب<sup>(٣)</sup>.

كذلك يتفاءلون بالإبل، والخيل، والحمام، أما التي يتطيرون بها فمنه الغراب، والجراد<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٣٢/٢٥٠)، ومرة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧٧٧/٢).

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٢/٢٦١ - ٢٦٢).

(٣) المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء (ص: ٤٣).

(٤) ينظر للاستزادة عن تطير العرب بالحيوانات: الفأل والطيورة والتنجم، أ.د. إبتسام مرهون

٥- التطير بالأعور من الناس أو البهائم، أو الأعضب أو الأبتّر، والأعضب: الثور أو التيس المكسور أحد قرنيه<sup>(١)</sup>.

٦- التطير بالسفن، فكان العرب يخافونها، ويتشاءمون منها، هذا ولا زال هناك من يتشاءم بها بعد الإسلام، فمثلاً: يُحكى أن المعتمد بن عباد -ملك إشبيليا وقرطبة في الأندلس- بعث إلى (أبي العرب الزبيدي) خمسمائة دينار، وأمره أن يتجهز بها ويتوجّه إليه، وكان بجزيرة صقلية وهو من أهلها، وبعث مثلها إلى أبي الحسن الحصري، وهو بالقيروان، فكتب أبو العرب:

لا تعجبن لرأسي كيف شاب أسيّ      واعجب لأسود عيني كيف لم يشب  
البحر للروم لا يجري السفين به      إلا على غرر والبر للعرب<sup>(٢)</sup>

وقال أحدهم:

قد قلت إذ سار السفين به      والشوق ينهب مهجتي نهياً:  
لو كان لي ملك أصول به      لأخذت «كل سفينة غصباً»<sup>(٣)</sup>

٧- التفاؤل بخلجة العين أي في تحركها واضطرابها.

قال بشر ابن أبي خازم:

(١) الحيوان (٣/ ٢٠٨).

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب (٨/ ١) بتصرف يسير.

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب (٢/ ٢٤٥).

إذا اختلجت عيني أقول لعلها فتاة بني عمرو بها العين تلمع

ولآخر:

إذا اختلجت عيني تيقنت أنني أراك وإن كان المزار بعيداً<sup>(١)</sup>

وقال آخر:

إذا اختلجت عيني رأّت من تُحبُّه فدامَ لعيني ما حَيَّيتُ اختلاجُها

وإن خَرَجَتْ نفسٌ لتوديعِ فيها فتلك به يومَ اللقاءِ ابتهاجُها<sup>(٢)</sup>

٨- التفاضل بشق الملابس، وذلك أن العرب كانوا يزعمون ويتوهمون أن الرجل إذا أحب امرأة وأحبته فشق برقعها وشقت رداءه صلح حبهما ودام، فإن لم يفعل ذلك فسد ما بينهما، قال أحد الشعراء:

وكم قد شققنا من رداء محبر.... ومن برقع عن طفلة غير عانس<sup>(٣)</sup>.

قال الألويسي: (وهذا الوهم باقٍ في الناس اليوم، وربما كان ذلك لدى البعض منهم كالقاعدة المطردة)<sup>(٤)</sup>.

٩- التطير بمنازل القمر والأبراج، وهذا ما يسمى بالتنجيم وما يلحق به

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي (٩٧/٢).

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء العراق ج ٤ المجلد الثاني ٢ (ص: ٧٦١).

(٣) ينظر: بلوغ الأرب، (٢/٣٢٢).

(٤) المصدر نفسه (١/٣٢١).

من الخط على الرمل<sup>(١)</sup>، وعلم الأسارير-قراءة الكف، والأقدام والجباه-،  
وقراءة الفنجان، وقراءة زهرة الطاولة والدومينو، والكوتشينة، أي التنبؤ عن  
طريق الأرقام<sup>(٢)</sup>.

١٠- التشاؤم ببعض العبارات والكلمات، مثل كلمة: السفرجل إذا سمعه  
أو رآه، ويقول: إنه سفرجل، ومثل: الياسمين: يأس ومين. والسوسنة: سوء  
ويبقى سنة<sup>(٣)</sup>.



(١) ويسمة علم الرمل: وهو الاستدلال على أحوال المسألة حين السؤال بأشكال الرمل،  
وهي اثنا عشر شكلاً على عدد البروج، وهي مبنية على الظن، والتخمين. ينظر: أبجد  
العلوم، صديق القنوجي، ص ٥٠٧. وينظر: التنجيم والمنجمون، عبدالمجيد المشعبي،  
٢٩٤.

(٢) ينظر: مقدمة المحقق لكتاب القول في علم النجوم، للبغدادي، ص ١٢٠، والطيرة والفأل،  
سعاد السويد، ص ٦٥ - ٦٦.

(٣) ينظر: أبجد العلوم، ص ٤٤١.

## المبحث الرابع

### أخطاء تطبيقية لها صلة بالفأل والشؤم

وفيه خمسة مطالب:

- ✽ **المطلب الأول:** التفاؤل بأفعال محرمة.
- ✽ **المطلب الثاني:** أخطاء تطبيقية في الأخلاق لها صلة بالطيرة.
- ✽ **المطلب الثالث:** المبالغة في التفاؤل والتشاؤم.
- ✽ **المطلب الرابع:** الخوف الشديد من السحر والعين.
- ✽ **المطلب الخامس:** التفاؤل والتشاؤم بأشياء تطرأ في الطبيعة.

### المطلب الأول

#### التفاؤل بأفعال محرمة

ومن ذلك ما وقع في بداية الثورات العربية في عام ٢٠١١م، التي كانت بدايتها أن أقدم تونسي على إحراق جسده من أجل مظلمة له عند الدولة لم تُرد له، ولا شك أن هذا الفعل مُخالف لصريح الكتاب والسنة: كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٣٩﴾ (٣٩) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيه نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) [النساء: ٢٩-٣٠] وغيرها من الآيات.

وجاء في أحاديث كثيرة<sup>(١)</sup> ما ينهى عن قتل النفس، منها: حديث ثابت ابن الضحاك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةِ غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَلَيْسَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُدَّ بِه يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ

(١) منها: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَكَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَكَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» [أخرجه البخاري كتاب الطب، باب شرب السمِّ والدَّوَاءِ بِهِ وَبِمَا يُخَافُ مِنْهُ وَالْحَبِيثُ (٥٧٧٨)، ومسلم كتاب الإيمان، باب غِلْظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُدَّ بِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، (١٠٩)]. وحديث سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قِصَّةِ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قِتَالِهِ لِلْمُشْرِكِينَ أَنَّهُ لَا يَدْعُ لَهُمْ شَاذَةً وَلَا فَاذَةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَأَتْنِي عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ، وَذُبَابُهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَكَتَلَ نَفْسَهُ... الحديث. [أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لَا يَقُولُ فُلَانٌ شَهِيدٌ (٢٨٩٨) ومسلم، كتاب الإيمان باب غِلْظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُدَّ بِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ (١١٢)]. وحديث جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ، فَجَزَعُ، فَأَخَذَ سَكِينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ، فَمَا رَقَا الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: بَادِرْنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ، حَرَمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» [أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب مَا ذُكِرَ عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٣٤٦٣) ومسلم كتاب الإيمان، باب غِلْظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُدَّ بِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ (١٨٠)].

فَهُوَ كَقَتْلِهِ»<sup>(١)</sup>.

ومع كل هذه الأدلة نجد -للأسف- من يبارك هذا العمل الانتحاري بشئائه على فاعله ثناءً يلزم منه أنهم متفائلون بفعله<sup>(٢)</sup>، بل بعضهم يهدي كتابه إليه تعظيمًا لدوره<sup>(٣)</sup>، دون أن يشير إلى خطئه! سوى أنه نقل عن البعض أنهم قالوا عنه إنه لم يكن ينوي إحراق نفسه، وإنما بقصد التخويف، لكنه في نفس السياق ذكر أن البعض خالفوهم في ذلك<sup>(٤)</sup>.

ولكن في الأحكام الدنيوية لا نحكم على النوايا، وإنما لنا الظاهر، وظاهره أنه انتحر، وهو ما نقلته وسائل الإعلام، كما لا نجزم بأنه في النار، وإنما يبقى على أصله أنه مسلم، وهو تحت المشيئة؛ إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه، والله أعلم بنيته، وحتى لو سلمنا جدلاً أنه لم يقصد ذلك، فمجرد فعله ذلك يُعَدُّ خطأً يجب التنبيه عنه، ولا يجوز التيمّن والتفاؤل به.

وعلى كل هو ذكر ذلك عرضاً -ومن باب الأمانة نذكرها هنا-، ثم إنه

(١) أخرجه البخاري، كِتَابُ الْأَدَبِ بَابُ مَا يُنْهَى مِنَ السَّبَابِ وَاللَّعْنِ (٦٠٤٧) وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ غَلْظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُدَّ بِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ (١١٠).

(٢) ينظر على سبيل المثال: أسئلة الثورة، د. سلمان العودة، ص ١٠١، يوميات الثورة من ميدان التحرير.. إلى سيدي بوزيد.. حتى ساعة التغيير، نواف القديمي.

(٣) ينظر هذا الإهداء في كتاب: يوميات الثورة من ميدان التحرير.. إلى سيدي بوزيد.. حتى ساعة التغيير، نواف القديمي.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ص ٩٣.

يستمر في كتابه بالثناء عليه، فيقول مخاطبًا له بعد أن مات: (هل تعرف ما فعل جسدك المحترق يا...؟! لقد أشعل الكرامة في عروق أوطاننا المظمورة تحت أكوام الفاسدين وأبناء الذوات...) (١). هذا بعض ما ذكر، وإلا فكتابه مليء بالثناء عليه.

فالشاهد من هذا، أن من لازم قوله (٢) أنه تفاعل بشيء محرّم في الشرع، بل إنه أضفى عليه الدور الكبير في الحفاظ على كرامة الإنسان، وإشعال الثورة! حيث يقول: (ما هو مؤكد فقط أن (...)) كان طرفًا في موقف الاحتجاج على كرامة الإنسان (٣).

ويقول في إهدائه له في أول كتابه: (إلى من حقنوا الأمل في شرايين الشعوب.. وبعثوا شعلة الكرامة من تحت ركام الرماد.. وسقوا بنزيف دمائهم أرضًا كانت مواتًا.. وأوقدوا قناديل المستقبل في عتمة الطريق) (٤).

فهذه العبارات، يلزم منها: التفاؤل بعمله، ولا شك أن هذا خطأ كبير؛ لأن من المسلمّ به أن هدف ذلك المنتحر كان محدودًا بشخصه وبمظلمته هو، وحتى لو قلنا: إن هذا الكلام صحيح، فلا يصدق عليه عقلاً ولا شرعاً

(١) المصدر نفسه، ص ٩١.

(٢) ولازم القول ليس بقول، ولكن القصد هنا إظهار الأخطاء التي لها صلة بموضوع الفأل والشؤم.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(٤) المصدر نفسه.

أنه ساهم في كرامة الإنسان إلخ؟!، بل إنه كان في الظاهر متشائمًا ويائسًا وإلا لو كان غير ذلك ما أقدم على الانتحار - عفا الله عنه -.

والحقيقة التي يجب الصدع بها أن يقال: إن التفاؤل يكون بتوحيد الله؛ لأن الفرج يكون معه حتى في الآخرة حين الشفاعة العظمى، لا يُفرج عن الخلائق إلا بعد أن يسجد النبي ﷺ فيفتح عليه «من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتح على أحد قبله»<sup>(١)</sup>.

أما هذا الفعل بالانتحار فهو معصية، والمعصية لها شؤم. قال ابن القيم: (ومن تأثير معاصي الله في الأرض ما يحل بها من الخسف والزلازل، ويمحق بركتها، وقد مر رسول الله ﷺ على ديار ثمود، فمنعهم من دخول ديارهم إلا وهم باكون، ومن شرب مياههم، ومن الاستسقاء من آبارهم، حتى أمر أن يعلف العجين الذي عجن بمياههم للنواضح، لتأثير شؤم المعصية في الماء، وكذلك شؤم تأثير الذنوب في نقص الثمار وما ترى به من الآفات)<sup>(٢)</sup>.

وقال بعد ذكر قصة خروج آدم وحواء من الجنة: (المقصود إخبار الله تعالى للثقلين بما جرى على أبويهما من شؤم المعصية ومخالفة الأمر، فذكر أبويهما أبلغ في حصول هذا المعنى من ذكر أبوي الإنس فقط)<sup>(٣)</sup>.

(١) كما جاء في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة، وأنس، وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الشفاعة.

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص: ٦٥).

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص: ٣٠). وينظر: مفتاح دار السعادة (١/ ٤٣).

والمصلحُ الحق يعرف أن التغيير لا يكون إلا بصالح أحوال الناس بتصحيح معتقدتهم، وليس بتغيير الحقائق والأحكام الشرعية مسايرة للواقع، وأحوال الأمم القوية مادياً، ولا حتى من أجل الوصول لمصالح دنيوية، فالخلق لم يخلقوا إلا لعبادته، أما أن يكون الإصلاح بفعل محرم، ثم يكون محلاً للتفاؤل أو المدح، فهذا يرده الشرع والعقل.

والواقعون في هذا التكييف مخطئون من جهتين:

الأولى: من جهة أنهم أقرّوا فعلاً محرماً - وإن لم يقصدوا ذلك-؛ لأن هذا ظاهر كلامهم، والسامع لم يسمع ما يفيد الإنكار منهم، بل سمع المدح والثناء، وفي أقل الأحوال كان يجب عليهم السكوت أو توضيح ذلك.

والثانية: من جهة أنهم انساقوا لمفاهيم مستوردة، تمجّد هذا الفعل وتوظفه في مطالب قد تكون في بعضها مقبولة شرعاً، كمنع الظلم وغيره، لكنها لا تجعل التوحيد أساساً لها.

وأخيراً، لا نطيل البحث في هذه المسألة، فيكفي بيان الخطأ الذي يعيننا في هذا البحث وهو التفاؤل بالمحرّم.

## المطلب الثاني

### أخطاء تطبيقية معاصرة في الأخلاق لها صلة بالطيرة

الأصل فيما يتعلق بجانب الأخلاق واستنباطها، أن يكون المرجع فيها الشرع؛ لأن الكمال منها ما كان مستنده الكتاب والسنة.

هذا وقد كان دأب العلماء في تأليفهم عن الأخلاق يأخذ اتجاهين:  
 - اتجاهاً يعتمد على نقل الرواية بجمع الأحاديث في باب الأخلاق،  
 وهذا معصوم من الخطأ إذا ثبتت صحة النقل<sup>(١)</sup>.  
 - واتجاهاً يستشهد ببعض نصوص الكتاب والسنة، ولكن في الغالب  
 يعتمد على تجربة الأيام، والاستنتاج<sup>(٢)</sup>، وهذا الاتجاه قد يعتريه الخطأ،  
 وهو ما سيدور البحث حوله، محاولاً استعرض بعض العبارات المعاصرة  
 ذات الصلة بمفهوم الشؤم والفأل.

ومن تلك العبارات: عبارتان منتشرتان في عصرنا هذا، هما:

الأولى: (توقع أسوأ الاحتمالات).

الثانية: (تفاءلوا بالخير تجدوه).

وتفصيل ذلك على النحو التالي:

أولاً: (توقع أسوأ الاحتمالات).

هذه العبارة تدور حول معنى: (أن الإنسان يتوقع أسوأ الاحتمالات في  
 مشروعه، سواء أكان اقتصادياً أم اجتماعياً أم غير ذلك؛ لكي يفرح بالنتيجة  
 إن كانت أفضل، ولا يحزن إن كانت كما توقع في سوتها).

(١) فعلى سبيل المثال: كتاب مكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا المتوفى (٢٨١هـ)، وللطبراني،  
 المتوفى (٣٦٠هـ).

(٢) مثل: كتاب الأخلاق والسير لابن حزم، المتوفى (٤٥٦هـ).

وهذه العبارة في الأصل هي منقولة من كتاب ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ (الأخلاق والسير)، حيث يقول رَحِمَهُ اللهُ: (وطني نفسك على ما تكره؛ يقل همك إذا أتاك، ولم تستضر بتوطينك أولاً، ويعظم سرورك ويتضاعف إذا أتاك ما تحب مما لم تكن قدرته)<sup>(١)</sup>.

ولكي يتضح لنا الموقف الشرعي من هذه القاعدة، لا بد أن نعرضها على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ؛ ليتبين لنا صوابها من خطئها، وهل تقود إلى التشاؤم؟

الجواب: إن هذه القاعدة أو العبارة تدور على عدم التفاؤل، وتوطين النفس على ما تكره، وتقدم معنا أن النبي ﷺ كان يحب الفأل، فقال لما سئل عن الطيرة أو ذكرها: «وَحَيْرُهَا الْفَأْلُ»، وفي لفظ: «أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ»، وفي رواية: «وَأَحَبُّ الْفَأْلِ الصَّالِحِ»<sup>(٢)</sup>.

بل كان النبي ﷺ في الشدائد يتفأل ويقوي عزيمته أصحابه، فعَنْ خَبَابٍ، قَالَ: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ، فَقَعَدَ وَهُوَ مُحَمَّرٌ وَجْهَهُ، فَقَالَ: «لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لِيَمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَيَشَقُّ بِأَثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيَتَمَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكِابُ مِنْ

(١) ص ٩٥.

(٢) تقدم تخريجه.

صَنَعَاءٍ إِلَى حَضْرَمَوْتٍ، مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ»، زَادَ بَيَّانٌ: «وَالذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ»<sup>(١)</sup>.

وقصص النبي ﷺ في التفاؤل كثيرة، كما في غزوة بدر، والخندق، وغيرها مما لا يتسع المكان لذكرها.

والمؤمن يجب أن يكون في حالة سماع ما يكره مستبشراً بالله - سبحانه - متوكلاً عليه، لا أن يوطن نفسه على ما يكره.

قال تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١٧١)</sup> الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ<sup>(١٧٢)</sup> الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ<sup>(١٧٣)</sup> ﴿آل عمران: ١٧١ - ١٧٣﴾.

وإذا تبين هذا نقول: إن الكلام الذي ذكره ابن حزم، الظاهر منه أنه مخالف لسنة النبي ﷺ إلا إذا كان القصد منه الحث على الصبر إذا حل بالمسلم ما يكره، فهذا يختلف، ومع ذلك فالنبي ﷺ يقرن ما بين الحث على الصبر والتفاؤل كما في حديث خباب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق وغيره من الأحاديث.

(١) أخرجه البخاري كتاب مناقب الأنصار، باب مَا لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ (٣٨٥٢).

ولكن ما يظهر من كلام ابن حزم أنه يقصد توطين النفس على شيء لم يقع بعد، ويحث على عدم التفاؤل ويبالغ في ذلك؛ لكي لا يصدّم بما هو أقلّ مما تفاعل، بل يوطن نفسه على ما لا يحب؛ لكي يعظم سروره.

وتقدم في الكلام عن الشؤم المحرّم أنه يكون قبل الوقوع وهذا ما ينقص من التوكل ويخدشه، كأنه أساء الظن بالله.

بل قد يكون هذا من حبس النفس، ومنعها من حقوقها، وحظوظها الدنيوية المأذون فيها شرعاً أو الواجبة شرعاً، أو منعها من الأخذ بالفُسحة التي في ديننا.

وهذا من أصول معاملة الإنسان لنفسه<sup>(١)</sup>.

وإذا تقرر ذلك نقول: إن هذه العبارة أو القاعدة التي ذكرها ابن حزم لا تصح، بل قد تكون من الشؤم المنهي عنه. والله أعلم.

وعلى الضد من هذه القاعدة قاعدة: (تفاءلوا بالخير تجدوه)، وهو ما سنتناوله في الفقرة التالية.

العبارة الثانية: (تفاءلوا بالخير تجدوه).

هذه العبارة كما تقدم تتفق مع النصوص الشرعية ومع سيرة النبي ﷺ، وأنه كان متفائلاً.

(١) ينظر: الأخلاق الفاضلة (قواعد ومنطلقات لاكتسابها) د. عبدالله بن ضيف الله الرحيلي،

وبذلك يتضح أن هذه العبارة في الأصل صحيحة في المعنى، ما لم يدع العمل ويتوكل مستشهداً بهذه العبارة، فهذا يختلف، لكن أصل أن المسلم يعمل.

فقد سئل الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ عن هذه العبارة، فأجاب بأن ليس لها أصل بهذا اللفظ ولكن معناها صحيح<sup>(١)</sup>.

وحديثاً، أثبتت كثير من الدراسات التجريبية علاقة ارتباطاً بين التفاؤل والنجاح، كالتغلب على الضغوط بنجاح، وحل المشكلات، وأيضاً كشفت عن علاقة التشاؤم بالاكتئاب، والفشل<sup>(٢)</sup>.

ومن الألفاظ التي لها صلة بالتطير أيضاً ما يلي:

١ - كلمة: (خير يا طير) وهي دارجة عند بعض الناس، وتقال ربما من غير قصد، وتدخل في باب المناهي اللفظية، وخاصة عندما يُطرق الباب، أو يرن جرس الهاتف<sup>(٣)</sup>.

وهذا لا شك أنه من الطيرة؛ لأنه ينسب الخير إلى الطير، ويطلبه منه،

(١) ينظر: فتاوى نور على الدرب (الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ اللهُ)، بعنوان: (ما صحة هذه العبارة: تفاءلوا بالخير تجدوه، وهل هي حديث). تاريخ الزيارة للموقع: (١٨/٣/١٤٣٧هـ).

(٢) ينظر: بحث في علم النفس بعنوان: (التفاؤل والتشاؤم المفهوم والقياس والمتعلقات)، د. بدر الأنصاري، جامعة الكويت، ص ٥٠.

(٣) ينظر: رسائل عقديّة ودعوية، د. عبدالرحمن بن صالح المحمود، ٢٢١.

وهذا ما وقع التحذير منه، ولا شك أن المسلم يجب عليه أن يبتعد عنها، وخاصة من بلغته الحجة، فإنه يأثم ويقع في الشرك الأصغر..

٢- كلمة: (وجهك وجه شر) أو (وجهك يقطع الرزق) أو (وجهك يقطع الخلف).

وهذه ألفاظ متقاربة، وقد جمعت بين الكذب والتشاؤم، وسوء الظن بالله - عز وجل -؛ لأن الرزق بالمال والولد، وتقدير الأمور، كله من الله - سبحانه -، كما هو معلوم من الدين بالضرورة.

والحكم على هذه الألفاظ ينطبق عليها حكم الشؤم تمامًا، كما تقدم في الأدلة، ومنها حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «الطَّيْرَةُ شَرٌّ»<sup>(١)</sup>.  
فهي إذن من الشرك الأصغر<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثالث

#### المبالغة في التفاؤل والتشاؤم

وهذا الأمر من المبالغة في الغالب يتعلق بحال المسلمين المزري وضعفهم، وإدالة عدوهم عليهم، والناس في هذا طرفان ووسط.

طرف: بالغ في التفاؤل فكان متمنياً لا متفائلاً، أي لا يجمع أسباب النصر، فتراه واقعاً في المعاصي، ولا يعمل بالأسباب، فهذا لا يصدق عليه

(١) تقدم تخريجه، ص ١٥.

(٢) ينظر: المستدرک على معجم المناهي اللفظية، الخراشي، ص ٢١٥.

القول بأنه متفائل بل متمنٍ أو متخاذل.

وطرف: بالغ وتشاءم من المستقبل وانقطع الأمل من قلبه، وظن أن الحق وأهله زائلون لن تقوم لهم قائمة.

وطرف وسط بينهما: ينظرون إلى الفأل على أنه تعلق بفرج الله، حتى ولو كانت المعطيات كلها ضدهم، فالبحر أمام موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والعدو خلفه ومع ذلك: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

قال ابن القيم: (وكذلك ولاية الله تعالى لعبده هي بحسب إيمانه، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨] وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وكذلك معيته الخاصة هي لأهل الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

فإذا نقص الإيمان وضعف، كان حظ العبد من ولاية الله له ومعيته الخاصة بقدر حظه من الإيمان.

وكذلك النصر والتأييد الكامل. إنما هو لأهل الإيمان الكامل، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

فمن نقص إيمانه نقص نصيبه من النصر والتأييد، ولهذا إذا أصيب العبد

بمصيبة في نفسه أو ماله، أو بإدالة عدوه عليه، فإنما هي بذنوبه، إما بترك واجب، أو فعل محرم وهو من نقص إيمانه.

وبهذا يزول الإشكال الذي يورده كثير من الناس على قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

ويجيب عنه كثير منهم بأنه لن يجعل لهم عليهم سبيلاً في الآخرة، ويجيب آخرون بأنه لن يجعل لهم عليهم سبيلاً في الحجة.

والتحقيق: أنها مثل الآيات السابقة، وأن انتفاء السبيل عن أهل الإيمان الكامل، فإذا ضعف الإيمان صار لعدوهم عليهم من السبيل بحسب ما نقص من إيمانهم، فهم جعلوا لهم عليهم السبيل بما تركوا من طاعة الله تعالى. فالمؤمن عزيز غالب مؤيد منصور، مكفي، مدفوع عنه بالذات أين كان، ولو اجتمع عليه من بأقطارها، إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته، ظاهراً وباطناً. وقد قال تعالى للمؤمنين: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْوِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلِكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

فهذا الضمان إنما هو بإيمانهم وأعمالهم<sup>(١)</sup>.

ويستفاد من هذا التحقيق أن المؤمن يجب عليه أن يتفائل بنصر الله مع بذل الأسباب التي من أهمها تزكية القلب بالإيمان.

(١) إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان (٢/ ١٨٢ - ١٨٣)

## المطلب الرابع

### الخوف الشديد من السحر والعين

وهذا منتشر بين الناس، ولا شك أن هذا يدل على ضعف التوكل على الله، فليس من الهدي أن يبالغ الإنسان في خوفه، فقد وصل الأمر بمن أعرفه إلى أن أصبح يأخذ من أثر كل من زاره في بيته، فيقوم مثلاً: بغسل الفنجان الذي شرب منه ضيفه، ويغتسل هو وأهله.

والبعض وصل إلى مرحلة الوسوسة فلا يقابل الناس، وإذا قابلهم ورأوا شيئاً له أمسك بهم وأجبرهم على أن يذكروا اسم الله على ما رأوه، إما سيارة له أو غير ذلك، وهذا مما وقفت عليه بنفسي.

بل مما وصل إليّ أن في بعض حفلات الزواج يطلب من (القهوجية، والعمال) غسل الأكواب والفناجين، والصحون ووضعها في سطل، ثم يغتسل بها أهل الزوج والزوجة.

وهذا غلو يوصل إلى الوسوسة والتطير، ولم تؤمر به، ولا يشرع مثل هذا العمل.

وإنما تشرع الرقية مع التوكل على الله<sup>(١)</sup>.

كذلك السحر نجد بين الناس من يبالغ مع الخدم الذين يأتون من شرق آسيا أو أفريقيا، فيسيء الظن بهم. فمثلاً: لو حدث خلاف يسير بينه وبين

(١) ينظر قريباً لما تم ذكره: رسائل عقديّة ودعوية، د. عبدالرحمن بن صالح المحمود،

زوجه، على الفور، كان ذلك الخادم أو تلك الخادمة محل اتهام بأنه السبب. وهذا لا يعني أن الأمر غير موجود، لكن نقصد هنا المبالغة والغلو في ذلك، دون تثبت.

أما الوقاية والحذر الطبيعي وبذل الأسباب المشروعة: كقراءة سورة البقرة، والتصباح بسبع تمرات من عجو المدينة، فهذا أمر مشروع.

### المطلب الخامس

#### التفاؤل والتشاؤم بأشياء تطرأ في الطبيعة

وأقصد هنا، أنه قد يحدث شيء في السماء أو الأرض في واقعة زمنية، ثم يربط بها ذلك الشيء الحادث تفاؤلاً أو تشاؤماً.

وعلى سبيل المثال: حكى أبو الفرج ناصح الدين ابن الحنبلي (ت: ٦٣٤هـ) في كتابه (أسباب الظفر والانتصار) قصة، جاء فيها: (أن الأمير دُبَيْسَ بن مزيد البدوي [ت: ٤٧٤هـ] لما صافَّ طُغْرُلَ بَكَّ التركيّ [ت: ٤٥٥هـ] وكسرَ دُبَيْسٌ ميمنة طغرل بك وميسرته، نظر (طغرل بك) إلى السماء، فرأى سَبْعًا مصوِّراً من غيمٍ قد فتح فاه نحو عسكره، فألقى نفسه إلى الأرض، فسجد على التراب والتجأ إلى الله تعالى، ثم رفع رأسه، فرأى السَّبْعَ قد استدار إلى نحو عسكر ديبس، فركب طُغْرُلَ بَكَّ، فهزمهم الله تعالى)<sup>(١)</sup>.

فموضع الشاهد للخطأ هنا: تأثير الغيمة على السلطان طغرل بك،

وخوفه منها.

لكن هل هذا التشاؤم من صور الشؤم الشركي؟ الجواب: قطعاً لا؛ لأنه تواضع وتضرع لله، بعد أن وقع في نفسه الخوف، فإذا هو ذهب بالتوكل، لكن أخطأ حين تعلق بمثل هذه الخرافة.

أيضاً يرد سؤال: إذا كان هذا الفعل خطأ ولا يجوز، فلماذا ذكرها ابن الحنبلي في كتابه؟

الجواب: إن ابن الحنبلي ذكرها مستشهداً في كلامه عن التواضع، وأنها من أسباب النصر، بعد أن استشهد بتواضع النبي ﷺ والصحابة، فموضع الشاهد الذي يريده هو تواضع السلطان طغرل بك، ثم أيضاً لا يلزم أن ابن الحنبلي يُقرّ عمل طغرل بك، وتأثير تلك الغيمة، فهذا مما يتجاوز فيه بعض المؤرّخين، وخاصة أن الكتاب ليس في تقرير العقيدة.

وحتى لو افترضنا أن ابن الحنبلي قبل القصة، والمحذور الذي فيها، فإنه ليس بمعصوم، وإنما الأمر مردّه إلى الشرع.

ولذا نقول: إن التعلق بالأحوال السماوية لا علاقة لها بما يحدث في الأرض، ولا يجوز التعلق بها، ولا يعرف من سنة النبي ﷺ.

وإنما المحفوظ من سنته أنه قد يُستأنس في مثل هذه المواضع بالرؤى، وبعض الأسماء الحسنة، كما تقدم معنا.

فهذه الأشياء الوهمية، كالغيوم، وغيرها، هي من الخرافات، وتفتح باب الوسوسة، والإسقاطات أو الإيحاءات؛ فضلاً عن أن الناس يختلفون في

نظرتهم وإبصارهم لهذه الأشياء، فالخواطر النفسية تؤثر فيها، وتدفع بالتكلف، كل بحسب ما في خاطره.

وأضرب لهذا مثلاً معاصراً؛ وذلك حين قُتل الرئيس العراقي صدام حسين، انتشر عند الناس أن صورته ظهرت في القمر، وتداولوها في مواقع شبكة الانترنت، والقنوات الفضائية<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن هذا من الخرافة.

لكن هنا تنبيه وسؤال: هل التفاؤل بما في الطبيعة من مناظر حسنة، كالأشجار، والأنهار، والجبال، والألوان الجميلة، يعدّ من التطير المحرم؟  
الجواب: إن هذا لا يعدّ محرماً؛ لأنه داخل في الفأل الحسن كما تقدم أن النبي ﷺ يحب الفأل الحسن.

يقول ابن بطال: (وقد جعل الله في فطرة الناس محبة الكلمة الطيبة والفأل الصالح والأنس به، كما جعل فيهم الارتياح للبشرى، والمنظر الأنيق، وقد يمر الرجل بالماء الصافي فيعجبه، وهو لا يشربه، وبالروضه المثورة فتسره وهي لا تنفعه)<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: لقاء مع محامي صدام حسين في قناة LBC، والمقطع موجود على اليوتيوب بعنوان: (محامي صدام يؤكد ظهور وجهه على القمر يوم إعدامه)، تاريخ الزيارة لليوتيوب: ٢٨/ ديسمبر/ ٢٠١٥م الموافق ١٧/ ٣/ ١٤٣٧هـ.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٤٣٧).

## المبحث الخامس

### تطبيقات وتفسيرات ليبرالية لها صلة بالفأل والشؤم

وفيه مطلبان:

- ✽ المطلب الأول: أخطاء في مفهوم التشاؤم والفأل من منطلق ليبرالي.
- ✽ المطلب الثاني: تفسير ليبرالي لشؤم المرأة الوارد في حديث الشؤم في ثلاثة.

#### المطلب الأول

##### أخطاء في مفهوم التشاؤم والفأل من منطلق ليبرالي

تقدم الحديث عن الانحرافات عند بعض الأديان، والأخطاء بشكل عام، وهنا سيكون مدار البحث عن الانحرافات من منطلق فكري علماني ليبرالي. وقد يقول قائل: لماذا نخوض في مفهوم الفأل والشؤم بهذا المنطلق العلماني<sup>(١)</sup>، وهو في الأصل لا يعترف بالدين؟

(١) التيارات التغريبية العلمانية، يمكن أن نقسمها إلى اتجاهين: (الأول: اتجاه ماركسي مادي. الثاني: اتجاه علماني). فالأول: يُعرف بالاتجاه المادي الجدلي، وهو اتجاه فكري فلسفي مادي، ينكر وجود الله - عز وجل - يعدّ المادة أساس كل شيء، وأنها متغيره، ويفترض أو يجعل التحول والتغير في الأحداث التاريخية من نظام الإقطاع تدرجاً إلى نظام الطبقات أمراً لا مفر منه، فأى مقاومة لأي نظام طبقي سيولد صراعاً طبقياً، وهو بهذه الأفكار يعدّ =

للجواب عن هذا السؤال نقول:

أولاً: إن العلمانيين أو الليبراليين<sup>(١)</sup> ليسوا سواء، فمنهم: العلماني القُح الذي ينكر الدين بالكلية، ولا يهتم إلا بالدنيا، ويغلب العقل والعلم.

الدين مخدرًا للشعوب. أما الاتجاه الثاني: فهو اتجاه فكري عقدي ينطلق من فلسفات غربية، يفصل الحياة بجميع جوانبها عن الدين، ويدعو لتخلي عن الدين، وينادي بتطبيق القوانين الوضعية، باعتبار أن القانون يصاغ من أجل المصلحة، وبالتالي هو يتغير تبعًا للمصلحة، ولذلك هم لا يرون بقاء الشريعة الواحدة تحكم الناس لمئات وألوف السنين بلا تعديل، بل يعتبرونه جمودًا. ويدخل في إطار العلمانية أسس ومصطلحات رئيسية منها: (الديمقراطية، الليبرالية). ينظر: المعجم الشامل لمصطلحات الفلاسفة، د. عبد المنعم الحفني، ص ٧٢٤، معجم الأفكار والأعلام، هتشنسون، ص ٤٥١، الموقف المعاصر من المنهج السلفي، د. مفرح القوسي، ص ٧٨ - ٨٠. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٨٦٧).

(١) الليبرالية: مذهب فكري أو (حركة وأيديولوجية بورجوازية) ظهرت إلى الوجود خلال النضال ضد الإقطاع وتعني التحررية، ويعتقد أن وظيفة الدولة الأساسية هي حماية حريات المواطنين مثل حرية الفكر، والتعبير، والملكية الخاصة، والحرية الشخصية، ويقوم على أسس علمانية يعظم الإنسان، ويرى أنه مستقل بذاته في إدراك حاجاته. وهي من حيث وجودها النظري والفلسفي تشهد تباينات تصل إلى درجة الاختلاف الشديد، ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا (١/ ٤٦٥). المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، ص ٣٤٩. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢/ ١١٣٥ - ١١٣٦)، حقيقة الليبرالية، د. عبد الرحيم السلمي، ص ١٠١ - ١٠٢. نقد الليبرالية، الطيب بو عزة، ص ١٩. موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، د. صالح الدميحي، ص ٥٣ - ٥٩.

ومنهم: العلماني المسلم، أو النصراني، أو اليهودي، وهذا يراعي العبادات، ويؤمن بالآخرة، ولكنه في المصلحة والتشريع لا يؤمن بالدين والشرع.

فمنهم: من يقبل العقيدة دون الشريعة، بشرط ألا تكون أساساً للانتماء. ومنهم: من يقبل الأخلاق، مثل (الصدق، والأمانة...) ولكن يرفض الأخلاق التي تتعارض مع مفاهيمه العلمانية، منها: على سبيل المثال: ما يتعلق بالمرأة.

ومنهم: من يقبل العبادات: كالصلاة، والصيام، وغيرها. ومنهم: من يقبل من التشريعات ما يسمى بالأحوال الشخصية<sup>(١)</sup>.

وقد يُجاب بطريقة أخرى، وذلك بالقول: إن الاتجاهات التغريبية؛ لها طريقتان في التعامل من النصوص الشرعية:

- الأولى: (لا تاريخي) أي يقفز إلى الفكر الغربي صراحةً مجتازاً الظاهرة الإسلامية كما يسمونها، ولا يلقي لها بالاً، بل يعدّون مجرد نقدها ودراساتها تخلفاً ورجعية.

- الثانية: (تاريخي) يتدرج في طرح الفكر التغريبي وفق مراحل واقعية تاريخية حتمية، فيبدأ بنقد الإسلام ومشاكله الكلاسيكية<sup>(٢)</sup>، ثم ينتقل إلى

(١) ينظر: الخطاب الإسلامي في الصحافة العربية، د. محمد أحمد يونس، ص ٤٧٦.

(٢) يقصدون بهذه العبارة أي فكر يدعو للتمسك بما هو قديم.

مرحلة التقديمية<sup>(١)</sup>.

إذن مما سبق، يظهر أن الاتجاه الذي يرتبط بالتراث الإسلامي - كما يسمونه - هو مكمّن الخطورة؛ لأنه يدعي الإصلاح، ويتقدّد الواقع والدين من داخل الإسلام، ويستشرف المستقبل، فيتفاءل ويتشاءم بما يوافق منهجه، وفكره.

ولذا كان من الواجب أن نُظهر هذا الخطأ المرتبط بالشؤم والفأل الذي وقعوا فيه؛ لكي نعرف فساد الأصل الذي ساقهم إلى هذا المفهوم الخاطي، وإذا اتضح هذا نعرف الأصل والضابط الصحيح للفأل والشؤم.

ولذا نقول: إن مفهوم التشاؤم والتفاؤل بالمستقبل عند التيارات التغريبيّة العلمانية؛ ينطلق من فكرة، وهي: ضرورة اللحاق بالفكر الغربي في جميع المجالات، والانتصار للمصلحة على وصاية الدين - كما يزعمون -

فمثلاً: طه حسين يدعو إلى الاتصال بأوروبا، حتى يصل إلى أن يكون جزءاً من أوروبا لفظاً ومعنى وحقيقة وشكلاً<sup>(٢)</sup>. إذن، فهو يتفاءل بوسيلة

(١) وهذا التقسيم نقلته من تقرير أحد المنادين بالاتجاه الثاني وهو: هشام صالح. ينظر إلى تعليقه في حاشية كتاب: من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي لمحمد أركون، ص ٢١ - ٢٢.

(٢) ينظر: مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، ص ٣٣. وينظر مزيداً من الحقائق حول طه حسين بحث: الوجه الآخر لطفه حسين (من مذكرات السيدة سوزان «معك» أنور الجندي)، ص ٨ وما بعدها، ضمن عنوان في دائرة الضوء.

التخلي عن الدين؟! . وقريباً من هذا التوجه، يذهب الكثير منهم إلى الانفتاح على التيارات والفلسفات الغربية، وخاصة في موضوع الابتعاث، فيرون التوسع فيه، بل إن بعضهم يتتقد فكرة السعي للحفاظ على هوية وثقافة المبتعثين في الغربة، ويدعو إلى الانفتاح الثقافي على شتى التيارات الفكرية. وعدم الاقتصار على العلم التجريبي، وهذا عنده لا يكون إلا بتغيير العقلية الجاهلة، المنغلقة، المقيته - كما يسميها-؛ لذا يدعو إلى فتح وتركيز الابتعاث في تخصصات العلوم الإنسانية، والفلسفية؛ لأنها ذات طابع كلي، وهي الأقدر والأكثر في التحديث، وبناء مشروع حضاري - بزعمه-<sup>(١)</sup>.

فهذه الأفكار يتفاءل حيث يقول: (هذا المشروع الذي يفتح آمالنا على عالم بلا حدود)<sup>(٢)</sup>.

وفي موضوع التشاؤم وعلى نفس الخطى السابقة، يبالغ أحدهم في التشاؤم من المستقبل إلى درجة كبيرة من الإحباط، بل يزعم أن العالم الإسلامي يجز العالم إلى التخلف<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: السلفية والتنوير صراع الإرادات والأفكار، بين خيار الجمود وخيارات التغيير،

محمد علي المحمود، ص ٣٦٦ - ٣٦٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦٩.

(٣) ينظر: ندوة بعنوان: كيف نفلت من قبضة التخلف، إبراهيم البليهي، التي عقدت في

الكويت، بتاريخ: ١٠ / ١ / ٢٠١٢ م. مركز تنوير للثقافة والحوار، تقديم الدكتورة: ابتهاج

الخطيب، (موجودة في اليوتيوب) تاريخ الزيارة ٢٧ / ديسمبر / ٢٠١٥ م،

١٤٣٧ / ٣ / ١٦ هـ.

ونقول: هذه الدعوى باطلة؛ لأن الأساس والأصل خاطئ، ولذا فإن النتيجة ستكون عكس ما يرمي إليه، وتوضيح ذلك من جهتين:

الأولى: أن النصوص من الكتاب والسنة تدل على أن الصلاح والقوة للمجتمع الإسلامي متوقف على أصليين:

الأصل الأول: الإيمان، والتقوى، وطاعة الله - عز وجلّ -.

الأصل الثاني: الأخذ بالأسباب بالعلم التجريبي الدنيوي، والذي هو وسيلة خادمة لمقاصد وغايات عقديّة.

والأدلة على ذلك كثيرة، منها: قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وأما الإعراض عن طاعة الله فيترتب عليه نكد عيش، وقلة بركة وتعب في الدنيا، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]. وذكر الله من التوحيد، ويأتي في عبادات متنوعة منها: الصلاة، والصوم، وغيرهما.

ومعيشة الضنك تكون في الدنيا، وفي البرزخ، وفي يوم القيامة، ويؤكد ذلك أن الله - سبحانه وتعالى - عطف على الآية نفسها ما يكون عليه حال المعرض من عذاب يوم القيامة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾، ففرق - سبحانه وتعالى - بين حال هذا العاصي في الدنيا وبين حاله في الآخرة. فهذا دليل على تحقق الصلاح مع الإيمان والطاعة،

وتحقق المكروه والتعب والنصب مع السيئة، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠] (١).

إذن، لا بد من التمسك بالدين، أما التخلي عنه - كما يزعم - فهذا لا يجني إلا الدمار.

وأما الجهة الثانية: من جهة الواقع التاريخي الذي يشهد أن الفلاح والإصلاح لا يكون إلا بالتمسك بالدين، لا بالتخلي عنه؛ وذلك من جانبين:

الأول: بالنظر في فترة القوة لهذه الأمة في صدرها الأول، يتضح أن أسباب القوة تكمن في تمسكهم بعقيدتهم.

والثاني: بالنظر إلى واقع تخلف الأمة قديماً وحديثاً، وضعفها، والأسباب التي أدت إلى ذلك، وأنها كانت بسبب تخليها عن عقيدتها. فلو نظرنا إلى الدول العربية والإسلامية التي سبقت قبل مئة سنة تقريباً في موضوع التغريب والابتعاث، نجد أنها لم تجن إلا مزيداً من التخلف، والضعف، والفقير.

ولا يسعنا هنا التفصيل، فيكفي الإشارة فقط (٢)، والقصد توضيح هذا

(١) ينظر إلى مزيد من التفصيل: فقه النوازل، محمد بن حسين الجيزاني (١/ ٦٠ - ٦٥).

(٢) ينظر حول هذا الموضوع في: الانحرافات العقديّة والعلمية في القرنين الثالث عشر  
=

التصور الخاطيء للفأل والشؤم.

فبالخلاصة: إن الخلل في الاعتقاد والمنهج يتبعه خطأ في التفاؤل، وتصور المستقبل، ورسم المنهج الصحيح للإصلاح.

## المطلب الثاني

تفسير شؤم المرأة الوارد في حديث «الشؤم في ثلاثة»

### من منطلق ليبرالي

لن نخوض في هذا المطلب كثيراً، لكن من المهم أن نشير إلى أن هذا الموضوع له علاقة بالمفهوم الليبرالي لتحرير المرأة.

وهذا المفهوم لا يتردد في نقد الأصول التي شرّعها الله للرجل والمرأة<sup>(١)</sup>،

---

والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة لعلي بن بخيت الزهراني، والضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم لحمد بن صالح السحيباني، ص (٢٥ - ١٤٥)، وأسباب الضعف في الأمة الإسلامية للدكتور محمد السيد الوكيل، سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم، د. حسن بن صالح الحميد، ص ٤٢٣ - ٧١٤.

(١) لقد تميّز الإسلام عن غيره من الديانات المحرّفة في موضوع المرأة، بأن أعطاهما حقها واحترمها، فمثلاً: المرأة في الديانة اليهودية والنصرانية: يتشأمون من المرأة التي يصفونها بالشر كما ورد في العهد القديم، وليس لها أي حقوق، ولا ترث المرأة زوجها، وزوجها يرثها، ولا يجوز لها البيع ولا الشراء. وأن المولود إذا كان أنثى تكون الأم الوالد نجسة لمدة أسبوعين، أما إذا كان ذكراً فتكون نجسة فقط لمدة أسبوع، أي عليان نصف من مدة ولادة الأثنى، وكذلك في الأديان الوضعية، فمثلاً عند الهندوسية تحث تعاليمهم على اجتناب المرأة وعدم الاقتراب منها، وليس لها أي حق؛ لأنها نجسة - في نظرهم - .

بل قد يتهم الآيات والأحاديث بالتناقض في مسألة القوامة والميراث والحجاب<sup>(١)</sup>، وبعضهم يتأول الآيات تأويلاً بعيداً عن معناها بما يصدق عليه أنه تحريف للآيات ويصل إلى غلو شديد، إلى درجة أن بعضهم حرّف معنى كلمة النساء في الآيات القرآنية كما في قوله تعالى: ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ [آل عمران: ١٤].

فغيّر معنى النساء في الآية، وزعم أن المراد منه ليس الجنس، وإنما

---

والبراهمية: لا تتمتع فسها المرأة بأي حقوق ويجوز الاستيلاء عليها بالقوة لاتخاذها زوجة. ينظر للاستزادة حول هذا الموضوع: عودة الحجاب، محمد بن أحمد المقدم (٢/ ٤٧ - ٧٣). اليهودية، د. أحمد شلبي، ٣٠٠ - ٣٠٢، والعنصرية اليهودية، د. أحمد الزغبى، (٣/ ٦٧٢ - ٦٧٨). التوراة بين الحقيقة والأسطورة والخيال، إبراهيم ناصر، ١٩٢. العنصرية اليهودية، د. أحمد الزغبى، (٣/ ٦٧٧ - ٦٧٩). الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبدالواحد وافي، ص ١٩٦ - ١٩٧. أديان الهند الكبرى، د. أحمد شلبي، ص ٦٨. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبدالواحد وافي، ص ١٩٦ - ١٩٧.

(١) ينظر على سبيل المثال: بحث بعنوان: (مفهوم المرأة اجتماعياً ودينياً)، منى كريم، مقدم في جامعة أمريكية (AUK) بإشراف د/ عفاف البطانية، منقول من موقع جسد الثقافة (<http://aljsad.com/forum85/thread85085>). تاريخ الزيارة: ١٦/٣/١٤٣٧هـ،

بمعنى شهوة امتلاك الجديد والبديع من المستجدات والصناعات<sup>(١)</sup>.

كذلك في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالَّذِينَ حَسِبْتُمْ أَن لَّمْ يَنْفَعُوا شَيْئاً بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّذِينَ يُتَخَفُونَ نُشُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ بِرَبِّكُمْ وَأَهْبِرُوهُمْ فِي أَلْمُضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ فإِنَّ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾ [النساء: ٣٤].

فالرجال والنساء في الآية ليس لبيان الجنس هنا - بزعمه - (وإنما المقصود حال مجموعة من الناس - ذكورا وإناثا - تحقق فيهم مقام الرجولة ومقام النساء)<sup>(٢)</sup>.

وهذا يسميه بعضهم: التفسير القابل للتكيف (من فرد إلى فرد ومن زمان ومكان إلى زمان ومكان في الانطلاق حتى قيام الساعة) أو (التفسير المتواصل)<sup>(٣)</sup>.

هذا بشكل عام عن مفهوم المرأة الليبرالي<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح، سامر إسلامبولي، ص ١١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٩. وينظر قريبا من هذا المنهج في التحريف: القرآن والمرأة، إعادة قراءة النص القرآني من منظور نسائي، آمنة ودود، ترجمة سامية عدنان، ص ١٠٩ - ١٤٣.

(٣) القرآن والمرأة، إعادة قراءة النص القرآني من منظور نسائي، آمنة ودود، ترجمة سامية عدنان، ص ١٤٧.

(٤) ينظر للاستزادة بالإضافة للمصادر السابقة: المرأة والعدالة من منظور ليبرالي، د. شبيخة

يوسف بن جاسم، ص ٦٥ - ١٧٦.

وأما ما يتعلق على وجه التحديد بشؤم المرأة فأحدهم يصف حديث الشؤم في ثلاثة على أنه من باب تحقير المرأة<sup>(١)</sup>، وهذا مجرد دعوى أصلها راجع إلى التيار الأنثوي الذي نشأ في الغرب في القرن التاسع عشر<sup>(٢)</sup> -

والحديث ليس فيه تحقير للمرأة وإنما المراد منه - كما تقدم - أن الرجل قد يجد من امرأته كرهاً أو عدم اتفاق، أو ربما يجد فيها سوء عشرة، فلا يكون الحل إلا بتركها، وهذا من باب التسهيل واليسر، وحسباً لمادة الخوف والقلق والوحشة بينهما.

ويمكن الرد على هذا الكلام من جهتين:

الأولى: أنه لم يقل أحد من العلماء: إن المراد من الحديث التحقير للمرأة وانتقاص من قيمتها، فكيف يقال: إن معناه تحقير؟! إذن هي مجرد فكرة ذهنية أسقطت على الحديث.

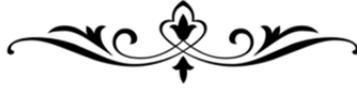
الجهة الثانية: أنه جاء في الحديث ذكر الدابة (الفرس)، ومعلوم أن المسلمين عجمهم وعربهم، يعظمون الفرس والدابة عموماً، فهل يقال: إن

(١) ينظر: بحث بعنوان: (مفهوم المرأة اجتماعياً ودينياً)، منى كريم، مقدم في جامعة أمريكية (AUK) موقع جسد الثقافة (http://aljsad.com/forum85/thread85085).

تاريخ الزيارة: ١٦/٣/١٤٣٧هـ.

(٢) ينظر: بحث للباحثة البريطانية (آي. جي ويلكنسن): بعنوان التيار الأنثوي تراجع الرموز.. بعد زمن التنبيه!! ص، ١٠٠، مجلة البيان، العدد ٢٢٨هـ، شعبان، ١٤٢٧هـ، سبتمبر

معنى الحديث تحقير الدابة؟! فهذا لم يقل به أحد، كذلك الدار شيء محمود عند الناس عامة فهل يقال أن معناه في الحديث تحقير لشأنها؟! إذن هي مجرد دعوى لا دليل عليها، وهي كما تقدم تعتمد على صورة ذهنية سلبية لدى الكاتبة أثرت على تفكيرها، فلا ترى إلا ما في ذهنها من إملاءات فكرية<sup>(١)</sup>.



---

(١) بل إن الباحثة تتهم القرآن بالتناقض، ينظر: المصدر نفسه.

## نتائج البحث

١- الطيرة والتشاؤم متقاربان في المعنى، وقد يستخدم أحدهما في معنى الآخر، لكن الطيرة أعم من التشاؤم، وهما تُثنيان العزم، وتُضعفان القلب عن إتيان الأمر بتأثير أمر وهمي لا حقيقة له، ولا علاقة له بالأسباب المشروعة.

٢- (الفأل هو ما يظن عنده الخير، عكس الطيرة والتطير، غير أنه تارة يتعين للخير، وتارة للشر وتارة يكون متردداً بينهما)<sup>(١)</sup>.

٣- الفأل المحرم هو من فروع علم النجوم التي من ضمنها: علم الاختيارات، وعلم الرمل، وعلم الفأل، وعلم القرعة، وعلم الطيرة.

٤- الطيرة لا تكون إلا إذا عمل بها، سواء أكان تطيراً منعه من الإتيان بعمل ما، أم كان فألاً قصده معتمداً عليه فأمضاه.

٥- يعدُّ التطير -بشكل عام- من الشرك الأصغر، وقد تقدم في البحث التفصيل في الحالات الأخرى.

٦- الأدلة في الطيرة والفأل جاءت على أكثر من صورة؛ (تنفي الطيرة وتثبيتها في نفس السياق، تنفي الطيرة وتثبت الفأل على أنه من الطيرة، تنهى عن الطيرة، تنفي الطيرة وتثبت اليمن في الثلاثة، تثبت مطلقاً الشؤم؛ إما بصيغة الجزم أو التعليق).

(١) الفروق (٤/٢٤٠).

٧- من خلال بحث الأقوال والجمع بين الأحاديث التي تنفي الطيرة والأحاديث التي تثبتها في ثلاثة أشياء تبين أن المسلك الأول باتجاهيه - المثبت والمفسر - كانا في النتيجة متفقين في الجملة، أما المسالك الأخرى ففيها جانب من الصواب وفيها الخطأ.

٨- التطير المعفو عنه لا بد أن تتحقق فيه شروط؛ منها: انتفاء الوسوسة، تحقق الصبر ولو يسيراً، حسن الظن بالله.

٩- تم ذكر الفروق بين الشؤم المعفو عنه والشؤم المحرّم.

١٠- بعض الأحاديث قد يتوهم منها أنه ﷺ كان يتشاءم من بعض الأمور، ولكن اتضح أن المراد منها ليس التشاؤم، وإنما طلب الفأل. وحدثاً.

١١- تم ذكر بعض الأمثلة لما يتطير به بعض أهل الأديان والناس قديماً وحديثاً.

١٢- في الواقع المعاصر وقع بعض الكتاب والإعلاميين في تطبيق خاطئ للفأل؛ وذلك حين أثنوا على فعل محرّم، وهو الانتحار، ويلزم منه أنهم متفائلون به.

١٣- القاعدة التي ذكرها ابن حزم (وطن نفسك على ما تكره؛ يقلُّ همك إذا أتاك، ولم تستضر بتوطنك أولاً، ويعظم سرورك ويتضاعف إذا أتاك ما تحب مما لم تكن قدرته) = لا تصح، بل قد تكون من الشؤم المنهي عنه، وتكون قاعدة: (تفاءلوا بالخير تجدوه) صحيحة في المعنى، وموافقه للأدلة.

١٤ - اتضح أن هناك أخطاءً لها صلة بالتطير المحرم؛ وذلك يوقع البعض في المبالغة في التفاؤل والتشاؤم.

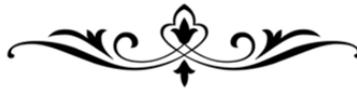
١٥ - اتضح أن المبالغة في الخوف من السحر والعين، قد يوقع الإنسان في الوسوسة والتطير.

١٦ - اتضح أن هناك من يتعلق بأشياء في الطبيعة وهمية مثل الغيوم تفاعلاً وتشاؤماً.

١٧ - اتضح أن الخطأ في تفسيرات الفأل والتشاؤم بمنطلق ليبرالي، ناجم من الخلل العقدي، تبعه تصور خاطئ للمستقبل، والمنهج الصحيح للإصلاح.

١٨ - التفسيرات الليبرالية لأحاديث المرأة، ومن ضمنها حديث: «الشؤم في ثلاثة» مجرد دعوى، أصلها راجع إلى التيار الأنثوي الذي نشأ في الغرب في القرن التاسع عشر.

تم البحث والله الحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



## فهرس المراجع

- الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، تحقيق: الدكتور صالح بن مقبل بن عبد الله العصيمي، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

- أبجد العلوم، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين (دراسة وترجيح) الدكتور سليمان بن محمد الديخي، مكتبة دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط الثانية: ١٤٣١هـ.

- أديان الهند الكبرى: الهندوسية، الجينية، البوذية، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط الحادية عشرة: ٢٠٠٠م.

- الأربعين في أصول الدين، الإمام أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الغزالي، دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

- الأربعين في أصول الدين، الإمام فخر الدين الرازي، (ت: ٦٠٦هـ)، تقديم وتحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. بدون تاريخ طبع.

- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، إمام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨ هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له وفهرسه: الدكتور محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

- الأرقام: أسرار ومعتقدات، عبد الصبور بدر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط الأولى: ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

- أسئلة الثورة، د. سلمان العودة، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، ط الأولى: ٢٠١٢م.

- أسباب الظفر والانتصار، تأليف: ابن الحنبلي، أبي الفرج، عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد (٦٣٤هـ)، دراسة وتحقيق: أحمد العاقور، دار القمة، الإسكندرية، دار الإيمان، الإسكندرية، ط الأولى: ٢٠١١م.

- الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢١ - ٢٠٠٠م.

- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبد الواحد

- وإفي، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، تاريخ الطبع: ٢٠٠٣ م.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- الأخلاق الفاضلة (قواعد ومنطلقات لاكتسابها)، د. عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، ط الأولى: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م.
- الأخلاق والسير (أو رسالة في مداواة النفوس، وتهذيب الأخلاق، والزهد في الرذيلة)، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، المتوفى: ٤٥٦هـ، تحقيق: إيفا رياض، راجعه وقدم له وعلق عليه: عبدالحق بن ملاحقي التركماني، مركز البحوث الإسلامية في السويد، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط الثانية: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.
- أسباب الضعف في الأمة الإسلامية، د. محمد السيد الوكيل، دار المجتمع، جدة، المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م.
- أصول الدين، الإمام أبي المنصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي، حققه وعلق عليه: أحمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة. دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط الأولى: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.
- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، لأبي سليمان حمد بن

محمد الخطابي، ت ٣٨٨هـ، تحقيق ودراسة: محمد بن سعد بن عبدالرحمن آل سعود، طبعة جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة، ط الأولى: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

- الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع الهجريين وأثارهما في حياة الأمة، لعلي بن بخيت الزهراني، تقديم الشيخ: محمد قطب، دار طيبة، مكة المكرمة، دار آل عمار، الشارقة. الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الألوسي البغدادي، تحقيق: محمد بهجة الأثري، دار الكتاب المصري، بدون تاريخ طبع.

- تأويل مختلف الحديث، الإمام ابن قتيبة الدينوري ت (٢٧٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ طبع.

- التلازم بين العقيدة والشريعة وآثاره، د. طارق بن سعيد القحطاني، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط الأولى: ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

- التلمود وموقفه من الإلهيات عرض ونقد، د أبوبكر محمد ثاني، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط الأولى: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

- (التفاؤل والتشاؤم المفهوم والقياس والمتعلقات)، د. بدر محمد الأنصاري، مطبوعات جامعة الكويت، ط الأولى: ١٩٩٨م.

- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، محمد بن

- جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني - القاهرة، بدون تاريخ طبع.
- التوراة بين الحقيقة والأسطورة والخيال، إبراهيم ناصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط الأولى: ٢٠٠٩م.
- التويخ والتنبيه، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري، أبي الشيخ الأصبهاني (ت: ٣٦٩هـ) تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة الفرقان - القاهرة.
- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن سراج الدين، أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن حمود المشيقح، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- التوكل على الله وعلاقته بالأسباب، الدكتور عبدالله بن عمر الدميحي، دار الهدى النبوي، مصر - المنصورة، دار الفضيلة، المملكة العربية السعودية - الرياض، ط الثالثة: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.
- جامع المسانيد والسُنن الهادي لأقوم سنن، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: د عبد الملك بن عبد الله الدهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت

- لبنان، طبع على نفقة المحقق، ويطلب من مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة، الطبعة الثانية: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- الجامع في الحديث لابن وهب، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: ١٩٧ هـ)، تحقيق: د مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير، أستاذ الحديث وعلومه المساعد - كلية أصول الدين - القاهرة، دار ابن الجوزي - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق: مُحَمَّد أجمل الإصلاحي، خرج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ط دار عالم الفوائد بجدة، ط الأولى: ١٤٢٩ هـ.
- حاشية السندي على سنن النسائي، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨ هـ)، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط الثانية: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو الحسن نورالدين محمد بن عبد الهادي السندي (ت: ١١٣٨ هـ) تحقيق: نورالدين طالب، دار النوادر - سوريا، لبنان، الكويت، ط الأولى: ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ هـ.
- الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٤ هـ.
- خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء العراق جـ ٤ المجلد الثاني، عماد الدين الكاتب الأصبهاني، محمد بن محمد صفي الدين بن

نفيس الدين حامد بن أله، أبو عبد الله (المتوفى: ٥٩٧هـ)، حققه وشرحه: محمد بهجة الأثري، الجمهورية العراقية - وزارة الإعلام - مديرية الثقافة العامة - سلسلة كتب التراث (٢٤)، بدون تاريخ طبع.

- الخطاب الاسلامي في الصحافة العربية، د. محمد أحمد يونس، دار القلم، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط الأولى: ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م  
- درة الغواص في أوهام الخواص، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري (المتوفى: ٥١٦هـ) تحقيق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٨/١٩٩٨هـ.

- رسائل عقديّة ودعوية، د. عبدالرحمن بن صالح المحمود، دار الهدي النبوي، جمهورية مصر العربية، المنصورة، دار الفضيلة، الرياض، ط الأولى: ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

- رسالة التوحيد المسمى بتقوية الإيمان، إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله بن عبد الرحيم العُمري الدهلوي (المتوفى: ١٢٤٦هـ)، نقلها للعربية وقدم لها: أبو الحسن علي الحسن الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ) اعتنى بها: سيد عبد الماجد الغوري، دار وحي القلم، دمشق، سورية، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م.

- رسالة في توضيح ما يجوز من الشؤم وما لا يجوز، نايف بن محمد العتيبي، تقديم د. ناصر بن عبدالكريم العقل، دار الصميعي، الرياض، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

- رفع الاشتباه عن العبادة والإله وتحقيق معنى التوحيد والشرك بالله،

الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (ت: ١٣٨٦هـ)،  
تحقيق: عثمان بن معلم محمود بن شيخ علي، دار عالم الفوائد، ط  
الأولى: ١٤٣٤هـ.

- زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو  
إسحاق الحصري القيرواني (المتوفى: ٤٥٣هـ)، دار الجيل، بيروت، بدون  
تاريخ طبع.

- السببية عند الأشاعرة، جمعان بن محمد الشهري، دار طبية الخضراء،  
مكة المكرمة، ط الأولى: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

- سمط اللآلي في شرح أمالي القالي سمط اللآلي في شرح أمالي القالي  
[هو كتاب شرح أمالي القالي / لأبي عبيد البكري؛ نسخه وصححه وحقق  
ما فيه وخرجه وأضاف إليه عبد العزيز الميمني]، أبو عبيد عبد الله بن  
عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ) تحقيق:  
عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، بدون تاريخ طبع.  
- السلفية والتنوير صراع الإرادات والأفكار، بين خيار الجمود  
وخيارات التغير، محمد علي المحمود، الانتشار العربي، بيروت، ط  
الأولى: ٢٠١٤م.

- سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم، الدكتور: حسن بن  
صالح الحميد، دار الهدى النبوي، مصر، دار الفضيلة، السعودية، ط الثانية:  
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

- سنن الترمذي، حكم على أحاديث وآثاره وعلّق عليه، العلامة مجمد  
ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة

المعارف، الرياض، ط الأولى.

- شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤١٥ هـ - ١٤٩٤ م.

- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوُجِردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخرّيج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية بومباي - الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

- شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

- الشمائل الشريفة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: حسن بن عبيد باحيشي، دار طائر العلم للنشر والتوزيع - بدون تاريخ طبع.

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ) دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه: محمد حسين شمس الدين، ط

الأولى: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم، (عصر ملوك الطوائف في الأندلس أنموذجاً)، تأليف: حمد بن صالح السحيباني، من إصدارات المنتدى الإسلامي (٣٩)، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

- الطيرة والفأل دراسة عقديّة، للباحثة: سعاد بنت محمد السويد، بدون دار طبع، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ.

- عارضة الأحوذى لشرح صحيح الترمذي، بشرح الإمام ابن العربي المالكي، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ طبع.

- العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، د. أحمد بن عبدالله بن إبراهيم الزغبى، مكتبة العبيكان، الرياض، ط الأولى: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

- عمل المرأة في الميزان، د. محمد علي البار، المملكة العربية السعودية، جدة، ط الرابعة: ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

- عودة الحجاب، محمد بن أحمد المقدم، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط التاسعة: ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى:

- ١٣٢٩هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الثانية: ١٤١٥ هـ.
- كتاب التوكل على الله، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ) دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان الطبعة الأولى: ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- كتاب المنهاج في شعب الإيمان، الإمام الحافظ أبي عبد الله الحسين بن الحسن الحلبي، (ت: ٤٠٣هـ) تحقيق: محمد فودة، دار الفكر، ط الأولى: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض، بدون تاريخ نشر.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ)، مكتبة المثنى - بغداد، ط: ١٩٤١ م.
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، ط الأولى: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السّلامي، البغدادي، ثمّ الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، دار ابن حزم، الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م.

- الفأل والطيرة والتنجيم في الفكر الإسلامي والموروث الأدبي، أ.د. إبتسام مرهون الصفار، دار المنهاج، عمان، الأردن، ط الأولى: ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

- فتاوى إسلامية لأصحاب الفضيلة العلماء سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، جمع وترتيب: محمد بن عبدالعزيز المسند، دار الوطن، الرياض، ط الأولى: ١٤١٥هـ.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

- الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، حققه ورتبه: أبو مصعب «محمد صبحي» بن حسن حلاق، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء - اليمن.

- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (ت: ١٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، الطبعة السابعة: ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى:

- ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى: ١٣٥٦هـ.
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط السابعة: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- القول السديد شرح كتاب التوحيد، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، مطبوع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي، بإشراف أبناء الشيخ، والدار العربية، دار الميمان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الأولى: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- القرآن والمرأة، إعادة قراءة النص القرآني من منظور نسائي، أمّنة ودود، ترجمة سامية عدنان، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط: ٢٠٠٦م.
- القول في علم النجوم، أبو بكر علي بن أحمد بن ثابت، المعروف بالخطيب البغدادي، ن ٤٦٢هـ، ت: يوسف بن محمد السعيد، دار أطلس، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الأولى: ١٤٢٠هـ.
- المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح، سامر إسلامبولي، الأوائل، سورية، دمشق، بدون تاريخ طبع.

- المرأة والعدالة من منظور ليبرالي، د. شيخة يوسف بن جاسم، دار الحروف، الكويت، ط العربية الأولى: ٢٠٠٩م.
- المستدرک علی معجم المناهي اللفظية، سليمان بن صالح الخراشي، دار طيبة، ط الثانية: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، مصر، ط ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- المسند للشاشي، أبو سعيد الهيثم بن كليب بن سريج بن معقل الشاشي البُنْكَثِي (ت: ٣٣٥هـ)، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ.
- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، ط: ١٩٨٧م.
- مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ) تحقيق: سعد بن نجدت عمر، مركز الرسالة للدراسات وتحقيق التراث، الطبعة الأولى: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

- معجم الأفكار والأعلام، هتشنسون، ترجمة خليل راشد الجيوسي، مراجعة وتدقيق: رانية نادر، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط الأولى: ٢٠٠٧م.

- معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوروبا، بيار كانافاجيور، ترجمة أحمد الطبال، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط الأولى: ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

- معنى حديث الشؤم في ثلاثة ومبايته للطيرة الشركية، الدكتور محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي، دار طيبة، المملكة العربية السعودية- الرياض، ط الأولى: ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن حسن قائد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط الثانية: ١٤٣٦هـ.

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ) دار الساقى، ط الرابعة: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

- المفهوم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: د. محي الدين ديب مستو، يوسف علي بديوي، أحمد محمد السيد، محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط السادسة: ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

- (مفهوم المرأة اجتماعياً ودينياً)، منى كريم، بحث مقدم في جامعة أمريكية (AUK) بإشراف د/ عفاف البطانية، منقول من موقع جسد الثقافة

<http://aljsad.com/forum85/thread85085>

- من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، لمحمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط الأولى: ١٩٩١م.
- منحة الملك الجليل شرح صحيح محمد بن إسماعيل، تأليف: عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي، دار التوحيد، الرياض، ط الأولى: ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٢هـ.
- منة المنعم في شرح صحيح مسلم، الشيخ صفى الرحمن المباركفوري، دار السلام، الرياض، ط الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- منهج القاضي أبي بكر ابن العربي في شرح الأسماء الحسنى، د. موفق بن عبدالله علي كدسة، دار الدراسات العلمية، مكة المكرمة، ط ٢٠١٥م.
- منهج أبي بكر ابن العربي وآراؤه في الإلهيات، رسالة ماجستير، سعد بن فلاح العريفي، جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ.
- الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية (دراسة نقدية)، تأليف: د. مفرح بن سليمان القوسي، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الأولى: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين (دراسة تحليلية نقدية) د. صالح بن محمد بن عمر الدميحي، طبعة مجلة البيان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الأولى: ١٤٣٣هـ.

- نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، طبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- الوجه الآخر لطفه حسين من مذكرات السيدة سوزان «مَعَك» أنور الجندي، ضمن عنوان في دائرة الضوء، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، بدون تاريخ طبع.
- اليهودية، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط الثانية عشر: ١٩٩٧م.
- يوميات الثورة من ميدان التحرير.. إلى سيدي بوزيد.. حتى ساعة التغيير، نواف القديمي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط الأولى: ٢٠١٢م.

## فهرس الموضوعات

- ملخص البحث..... ١٣٩
- التمهيد: تعريف الطيرة والفرق بينها وبين والفأل..... ١٥٣
- المبحث الأول: دفع موهم التعارض في أحاديث الفأل والشؤم ..... ١٦٦  
المطلب الأول: الأحاديث الواردة في الفأل والشؤم التي قد  
يوهم ظاهرها التعارض ..... ١٦٦  
المطلب الثاني: جمع أقوال أهل العلم وتوجيهاتهم في  
الأحاديث التي ظاهرها التعارض وترجيح الصواب منها..... ١٧٢
- المبحث الثاني: الإشكال المتوهم أن النبي ﷺ كان يقع في  
قلبه شيء من التطير ..... ١٩٩  
المبحث الثالث: انحرافات في مفهوم الشؤم والفأل عند بعض  
الأديان السابقة والجاهلية ..... ٢٠٣
- المبحث الرابع: أخطاء تطبيقية لها صلة بالفأل والشؤم ..... ٢١١  
المطلب الأول: التفاؤل بأفعال محرمة ..... ٢١١  
المطلب الثاني: أخطاء تطبيقية معاصرة في الأخلاق لها صلة بالطيرة... ٢١٦  
المطلب الثالث: المبالغة في التفاؤل والتشاؤم ..... ٢٢٢  
المطلب الرابع: الخوف الشديد من السحر والعين ..... ٢٢٥

- المطلب الخامس: التفاؤل والتشاؤم بأشياء تطرأ في الطبيعة ..... ٢٢٦
- المبحث الخامس: تطبيقات وتفسيرات لبرالية لها صلة بالفأل والشؤم ... ٢٢٩
- المطلب الأول: أخطاء في مفهوم التشاؤم والفأل من منطلق لبرالي .. ٢٢٩
- المطلب الثاني: تفسير شؤم المرأة الوارد في حديث «الشؤم  
في ثلاثة» من منطلق لبرالي ..... ٢٣٦
- نتائج البحث..... ٢٤١
- فهرس المراجع ..... ٢٤٤
- فهرس الموضوعات..... ٢٦١

# الإيمان بالحوض المورود والمسائل العقدية المتعلقة به

د. محمد تيقموني

أكاديمي جزائري - أستاذ مساعد بقسم  
العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة  
وأصول الدين، جامعة الملك خالد



## ملخص البحث

يُعنى هذا البحث بجمع المسائل العقدية المتعلقة بالحوض، من حيث تعريفه، والأدلة على ثبوته، وإجماع أهل السنة على وجوب الإيمان به، ودراسة صفاته الواردة في النصوص الحديثية، وكيفية الجمع بين الروايات الواردة في طوله وعرضه، وتحرير نزاع أهل العلم في موضع الحوض في عرصات القيامة، ومعرفة من يذاد عنه يوم القيامة، مع الرد على المخالفين في ذلك، وأن الحوض غير الكوثر، بل الحوض يمد من نهر الكوثر، وبيان موطن منبر النبي ﷺ يوم القيامة، والتحقيق في أن لكل نبي حوضاً يوم القيامة، وأعظمها وأكثرها وارداً يوم القيامة هو حوض النبي ﷺ.

كما أوصي الباحثين وطلاب العلم بالاهتمام بالقضايا المتعلقة باليوم الآخر، وتحقيق المسائل ودراستها، حسب ما تقتضيه النصوص الشرعية، وإبطال العقائد الفاسدة التي تعلق بها بعض المخالفين.

د. محمد تيقموني

tahkeem@windowslive.com

*Summary of the Research:*

## ***The Belief in the Basin***

*Prepared by:*

***Dr. Muhammad Tayqmonin***

*Algerian Academic - Assistant Professor in the Department of  
Creed and Ideologies, in the Faculty of Sharia and Theology  
in the King Khalid University*

### ***Abstract***

*This research aims to compile the creed issues related to the Basin (al-Hawd), in terms of its definition, the evidences that prove its existence, and the consensus of the Sunnis that it's obligatory to believe in it. As well as the research studies the attributes of the Basin mentioned in Hadith texts, how to combine the narrations about its length and width, as well as a resolution of the scholars disagreement about the position of the Basin on the day of Resurrection, and whom will be driven away from the Basin on that Day. The research also refutes the people that went astray in this issue and explains that the Basin is not the same thing as Kawthar (a river in Paradise), rather the Basin is derived from Kawthar. The essay explains the position of the Prophets (may Allah exalt his mention and send peace to him) minbar on the Day of Resurrection and verifying the issue that every prophet will have a Basin the Day of Resurrection and the greatest of these basins is the*

*Basin of the Prophet Mohammed (may Allah exalt his mention and send peace to him)*

*I recommend the researchers and the students of knowledge to give attention to the issues relating to the Last Day by investigating and study them according to the religious texts. As well as I recommend them to refute the corrupted beliefs of the deviators.*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلّل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد، فإن الإيمان بالحوض أحد مفردات الإيمان باليوم الآخر، وهو حوض النبي ﷺ، في عرصات القيامة، ترده أمته ﷺ، وخصه الله تبارك وتعالى أن يكون أكثر الناس وروداً إليه، ومن شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً.

وقد جاءت السنة الصحيحة بإثباته، وتعداد أوصافه، وهذا ما جعل أهل العلم يعتنون بذكر مسألة ثبوت الحوض والقضايا المتعلقة به في كتب الاعتقاد، ولم تخل مصنفات المحدثين - غالباً - من جمع الأحاديث الواردة في ذلك، في كتب خاصة، أو مبوبة في بعض التاليف، ومن ذلك:

١ - كتاب فيه ما رُوي في الحوض والكوثر، لبقِيّ بن مَخْلِدٍ رحمه الله تعالى<sup>(١)</sup>.

٢ - الذيل على جزءِ بقِيّ بن مَخْلِدٍ من أحاديثِ الحوض<sup>(٢)</sup>، لأبي القاسم خَلْفِ بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال<sup>(٣)</sup>.

وعامةُ أئمةِ السُّنّةِ قد ذكروا في كتبهم جملة من الأخبارِ الواردة في الحوض، وبوبوا عليها تبويباتٍ عدة، ومن ذلك:

١ - الإمام محمد بنُ إسماعيل البخاري رَحِمَهُ اللهُ، إذ بَوَّبَ في صحيحه<sup>(٤)</sup>:  
باب في الحوض.

(١) بقِيّ بن مَخْلِدٍ بن يزيد، أبو عبد الرحمن الأندلسي القرطبي، العلامة الحافظ، صاحب التفسير والمسند اللذين لا نظير لهما، مات سنة ٢٧٦ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٨٥/١٣)، الأعلام للزركلي (٦٠/٢).

وكتابه ما روي في الحوض والكوثر طبع مرات عدة، منها: بتحقيق: أ.د. عبد القادر محمد عطا صوفي، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٣ هـ، المدينة المنورة.

(٢) مطبوع بتحقيق: أ.د. عبد القادر محمد عطا صوفي، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٣ هـ، المدينة المنورة.

(٣) خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال، أبو القاسم، الأنصاري القرطبي، الحافظ الناقد، محدث الأندلس في عصره، وصاحب تاريخ الأندلس، مات سنة ٥٧٨ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣٩/٢١)، الأعلام للزركلي (٣١١/٢).

(٤) انظر: صحيح البخاري (١١٩/٨).

٢- وبوّب شرّاح صحيح مسلم على الأحاديث الواردة فيه<sup>(١)</sup>: باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

٣- وبوّب عليه أبو داود في سننه<sup>(٢)</sup>: باب في الحوض.

٤- وبوّب عليه الترمذي في جامعه<sup>(٣)</sup>: باب ما جاء في صفة الحوض.

٥- وبوّب عليه ابن ماجه في سننه<sup>(٤)</sup>: باب ذكر الحوض.

٦- وبوّب عليه ابن أبي عاصم في كتابه السنة<sup>(٥)</sup>: باب في ذكر حوض

النبي ﷺ.

٧- وذكر ابن منده في كتاب الإيمان<sup>(٦)</sup>: باب ذكر وجوب الإيمان

بالحوض.

إلى غير ذلك من تبويبات أهل العلم للمسائل المتعلقة بالحوض<sup>(٧)</sup>.

ولم أقف - حسب علمي - على من جمع بحثاً متكاملًا أكاديميًا يلّم

(١) انظر: صحيح مسلم (٤/١٧٩٢).

(٢) انظر: سنن أبي داود (٤/٣٨٠).

(٣) انظر: سنن الترمذي (٤/٦٢٧).

(٤) انظر: سنن ابن ماجه (٢/١٤٣٧).

(٥) انظر: السنة لابن أبي عاصم (٢/٣٢١).

(٦) انظر: كتاب الإيمان لابن منده (٢/٩٧٢).

(٧) انظر: الشريعة للأجري (٣/١٢٥٣)، شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (٦/١١١٦)،

أصول السنة لابن أبي زمنين (ص ١٠٨)، البعث والنشور للبيهقي (ص ٨٨).

مسائله في كتابه مستقلة محققة مرتبة، وإنما وجدت مشورة في بعض الكتابات، وغالب من تعرض لدراسة اليوم الآخر تعرض لذكر مسائل الحوض، وذلك بين مقل ومستكثر، ولكن لم أجد من استوفى ذلك في بحث أكاديمي مفرد.

فأحببت جمع ذلك، ووقع اختياري على: «الإيمان بالحوض المورد والمسائل العقدية المتعلقة به» كما وردت بذلك السنة الثابتة، على ضوء أقوال العلماء المحققين.

### أهمية الموضوع:

تبرز أهمية الموضوع من خلال النقاط التالية:

١- إن الإيمان بالحوض يعد أحد مفردات الإيمان باليوم الآخر، وهذا الأخير، يمثل أحد أركان الإيمان، فإذا تحققت معرفة العبد بما يكون يوم القيامة في الحوض المورد، فإنه يستكمل بذلك إيمانه باليوم الموعود.

٢- إن دراسة هذه القضايا يوقفك على حقيقة الانحراف الذي وقع فيه المخالفون، فإن النصوص الحديثية وإن تواترت في إثبات الحوض، وأجمع أهل السنة على ذلك، فقد خالف ذلك كله أهل البدع، ولم يكتروا به، فما خالف أصول عقائدهم، فإنه يرد بتأويل أو تضعيف، أو تحريف.

٣- إن طرُق مثل هذه القضايا يتضح به الجانب العملي الذي أصّله أهل العلم من اتفاق أهل السنة والجماعة على مسائل الاعتقاد عموماً.

فإنك إذا تأملت كلام السلف في الحوض تجد هذه النقولات عنهم - مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار - على وتيرة واحدة في بيان الاعتقاد، ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا، ولا تفرقًا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وذلك لوحة مصدرهم في التلقي، وتمسكهم بنصوص الكتاب والسنة<sup>(١)</sup>.

#### منهج البحث:

اتبعت في كتابة البحث المنهج العلمي، ويتلخص ذلك في الأمور الآتية:

- ١- جمع المادة العلمية وتنزيلها على كل مبحث ومطلب.
- ٢- عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.
- ٣- تخريج الأحاديث تخريجًا مختصرًا، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بالعزو إلى موضعه في الصحيح، وإذا لم يكن الحديث في أحد الصحيحين، أذكر من خرجه من أئمة السنة، ثم أختتم ذلك بالحكم عليه حسب ما قرره وقاله أهل العلم بالحديث ما وجدت إلى ذلك سبيلًا.
- ٤- توثيق النقول من مصادرها، ونسبتها إلى قائلها، وإن أعوزني الأمر استعنت بالمراجع، لتوثيق بعض أقوال المخالفين.

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة لقوام السنة الأصبهاني (٢/ ٢٢٤-٢٢٥).

٥- ترجمة الأعلام غير المشهورين الواردة أسماؤهم في البحث.

٦- تفسير الكلمات الغريبة، والتعريف بالأماكن.

### خطة البحث:

وقد قسمتُ البحثَ إلى مقدمة؛ وفيها: بيان أهمية البحث ومنهجي فيه، وخطته، ثم جعلته في تمهيدٍ وأربعةٍ مباحثٍ:

التمهيد: تعريفُ الحوض. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الحوض في اللغة.

المطلب الثاني: تعريف الحوض في الاصطلاح.

المبحث الأول: إثباتُ الحوض في السنة المطهرة. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأحاديث الواردة في الحوض.

المطلب الثاني: تواتر الأحاديث الواردة في الحوض.

المطلب الثالث: ورود الحوض في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أقوالُ الصحابةِ ومَن بعدهم في إثباتِ الحوضِ وبيان موقف المخالفين منه.

المبحث الثالث: صفةُ الحوضِ. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صفة ماء الحوض وأنيته.

المطلب الثاني: طول الحوض وعرضه.

المطلب الثالث: موضع الحوض.

المبحث الرابع: المسائل العقديّة المتعلّقة بالحوض. وفيه أربعة

مطالب:

المطلب الأول: الذين يذادون عن الحوض ويمنعون منه.

المطلب الثاني: ماء الحوض من الكوثر.

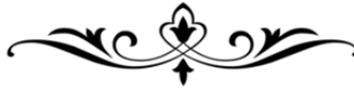
المطلب الثالث: منبر النبي ﷺ على حوضه يوم القيامة.

المطلب الرابع: لكل نبي حوض.

ثم الخاتمة.

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



## التمهيد

### تعريف الحوض

#### المطلب الأول: تعريف الحوض في اللغة:

الحوضُ في اللغة، مِنْ حَاضَ الماءَ بِمعنى: حاطَهُ، وجمعه، والحوضُ: مجتمعُ الماءِ، ويقالُ في الجمعِ: أحواضٌ وحِياضٌ<sup>(١)</sup>.  
والمرادُ به هنا ما يكونُ في عرصاتِ القيامةِ من الحوضِ المورودِ.

#### المطلب الثاني: تعريف الحوض في الاصطلاح:

بين أهل العلم: أنه حوضٌ حقيقيٌّ عظيمٌ، وموردٌ كريمٌ، وأنه مخلوقٌ، موجودٌ اليوم، يكونُ في عرصاتِ يومِ القيامةِ للنبيِّ ﷺ، يمدُّ الحوضُ من نهرِ الكوثرِ، ماؤه أشدُّ بياضاً من اللبنِ، وأحلى من العسلِ، وأطيبُ ريحاً من المسكِ، وهو في غايةِ الاتساعِ، عرضُه وطولُه سواءٌ، يَرِدُهُ مَنْ شاءَ اللهُ ورودهُ من أمّةِ محمدٍ ﷺ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَداً<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (٢/١٢٠)، لسان العرب لابن منظور (٧/١٤١)،

القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص ٨٢٦)، تاج العروس للزبيدي (١٨/٣٠٨).

(٢) انظر: التذكرة للقرطبي (٢/٧٠٢)، شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/٥٩)، العقيدة

الواسطية لابن تيمية - مع شرح الشيخ ابن عثيمين - (ص ٥١٥)، شرح العقيدة

الطحاوية لابن أبي العز (١/٢٨٠-٢٨١)، عمدة القاري للعيني (٢٣/٢١٢)، عقيدة أهل

السنة والجماعة - ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين - (٣/٢٥٢)، شرح

لمعة الاعتقاد للشيخ ابن عثيمين (ص ١٢٣).

## المبحث الأول

### إثبات الحوض في السنة المطهرة

لقد اشتهرت الأحاديث الصحيحة الواردة عن النبي ﷺ في إثبات الحوض المورود يوم القيامة، ويتبين ذلك من خلال ذكر جملة من الروايات، مع تنصيب أهل العلم على تواترها.

#### المطلب الأول: الأحاديث الواردة في الحوض:

لقد تواردت النصوص الحديثية على إثبات الحوض للنبي ﷺ في عرصات القيامة، رواه عنه جمع كبير من الصحابة، أذكر منها ما يلي، مقتصرًا على أحاديث الصحيحين اختصاراً:

#### ١- رواية أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أ- قال النبي ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»<sup>(١)</sup>.

ب - وقال النبي ﷺ: «إن حوضي أبعدُ من أئلة من عدن، لهو أشدُّ بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولأنيته أكثرُ من عددِ النجوم، وإني لأصدُّ عنه كما يصدُّ الرجلُ إبلَ الناسِ عن حوضه، قالوا: يا رسولَ الله،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العمل في الصلاة، باب فضل ما بين القبر والمنبر، برقم: (١١٩٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، برقم: (١٣٩١).

أُتِرفُنَّا يومئذٍ، قال: نعم، لكم سِيماً ليست لأحدٍ من الأمم، تردون عليَّ غُرّاً مُحجَّلين<sup>(١)</sup> من أثرِ الوُضوءِ<sup>(٢)</sup>.

ج - وفي رواية لأبي حازم<sup>(٣)</sup>، عن أبي هريرة: «ولِيُصَدَّنَّ عني طائفةٌ منكم فلا يصلون، فأقول: يا رب هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملكٌ، فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟»<sup>(٤)</sup>.

د - وفي رواية عبد الرحمن بن يعقوب<sup>(٥)</sup> عن أبي هريرة: «ألا ليُذادَنَّ<sup>(٦)</sup> رجالٌ عن حوضي كما يُذاد البعيرُ الضالُّ، أناديهم: ألا هلمَّ، فيقال: إنهم قد بدَّلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً»<sup>(٧)</sup>.

(١) السِيما: هي العلامة، والغرة: بياض في جبهة الفرس، والتحجيل: بياض في يديها ورجليها، قال العلماء: سمي النور الذي يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة، غرة وتحجيلاً؛ تشبيهاً بغرة الفرس. شرح النووي على مسلم (٣/ ١٣٥)، هدي الساري لابن حجر (ص ١٦٢).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، برقم: (٢٤٧).

(٣) سلمان أبو حازم الأشجعي، الكوفي، من الثقات، مات على رأس المائة. انظر: تقريب التهذيب (٢٤٧٩).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، برقم: (٢٤٧).

(٥) عبد الرحمن بن يعقوب الجهني المدني، مولى الحرقة، من الثقات. انظر: تقريب التهذيب (٤٠٤٦).

(٦) أي: ليُطردن. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١٧٢/ ٢).

(٧) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، برقم: (٢٤٩).

هـ - وفي رواية سعيد بن المسيب عن أبي هريرة: «يرد عليّ يوم القيامة رهطٌ من أصحابي، فيحلّون<sup>(١)</sup> عن الحوض، فأقول: يا ربّ أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدّوا على أدبارهم القهقريّ<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية عن سعيد عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «بينا أنا قائمٌ إذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم، فقال: هلمّ، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقريّ، ثم إذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم، فقال: هلمّ، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقريّ، فلا أراه يخلصُ منهم إلا مثلُ همَلِ النعم<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

## ٢ - رواية أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

وقوله: (سحقاً سحقاً): أي: بعدا لهم بعدا. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٥٤/١٥)، فتح الباري (٤٧٣/١١).

(١) يحلّون: بتشديد اللام وبالهمزة أي: يطردون. انظر: هدي الساري (ص ١٠٧).

(٢) أي الرجوع إلى خلف. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٤٥/١٣)، فتح الباري لابن حجر (٤٧٤/١١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض، برقم: (٦٥٨٥).

(٤) همَلِ النعم: هي الإبل بغير راع. انظر: هدي الساري (ص ٢٠٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض، برقم: (٦٥٨٧).

أ - قال النبي ﷺ: «إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريقِ كعددِ نجومِ السماء».

وفي رواية لمسلم: «ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة»، وفي رواية أخرى له: «ترى فيه أباريقَ الذهبِ والفضةِ كعددِ نجومِ السماء»<sup>(١)</sup>.

ب - وقال النبي ﷺ: «ليردنَّ عليَّ ناسٌ من أصحابي الحوض، حتى عرفتهم اختلجوا دوني»<sup>(٢)</sup>، فأقول: أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك». وفي رواية مسلم: «ليردنَّ عليَّ الحوضَ رجالٌ ممَّن صاحبني، حتى إذا رأيتهم ورُفِعوا إليَّ اختلجوا دوني، فلاقولنَّ: أي ربُّ أصيحابي أصيحابي، فليقالنَّ لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»<sup>(٣)</sup>.

٣ - رواية عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

قال النبي ﷺ: «أنا فرطكم»<sup>(٤)</sup> على الحوض، وليرفعنَّ معي رجالٌ منكم،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض، برقم: (٦٥٨٠)، ومسلم في

صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم: (٢٣٠٣).

(٢) قوله: (اختلجوا دوني) أي: اقتطعوا أو انتزعوا مني. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي

(١٥/٦٤)، هدي الساري (ص ١١٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض، برقم: (٦٥٨٢)، ومسلم في

صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم: (٢٣٠٤).

(٤) فرطكم: أي هو الذي يتقدم الوارد ليصلح لهم الحياض ونحوها من أمور الاستقاء،

ثم ليختلجَنّ دوني، فأقول: يا ربَّ أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

وفي رواية مسلم: «ولأنازعنَّ أقواماً، ثم لأغلبنَّ عليهم، فأقول: يا ربَّ أصحابي أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»<sup>(١)</sup>.

٤ - رواية عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا:

قال النبي ﷺ: «حوضي مسيرة شهرٍ، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً»، وفي رواية مسلم: «حوضي مسيرة شهرٍ، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورك، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً»<sup>(٢)</sup>.

٥ - رواية حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

قال النبي ﷺ: «إن حوضي لأبعد من أيلة من عدن، والذي نفسي بيده إني لأذودُ عنه الرجال كما يذودُ الرجل الإبل الغريبة عن حوضه، قالوا: يا

فمعنى: «فرطكم على الحوض» سابقكم إليه كالمهيئ له. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٥٣/١٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض، برقم: (٦٥٧٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم: (٢٢٩٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض، برقم: (٦٥٧٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم: (٢٢٩٢).

رسول الله وتعرفنا؟ قال: نعم، تردون عليّ غرّاً محجّلين من آثارِ الوضوء، ليست لأحدٍ غيركم»<sup>(١)</sup>.

٦- رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن أمامكم حوضاً كما بين جرباءً وأذرح، فيه أباريقُ كنجومِ السماء، من وردّه فشرّب منه لم يظمأ بعدها أبداً»<sup>(٢)</sup>.

٧- رواية أبي ذرٍّ رضي الله عنه:

قال: قلت: «يا رسولَ الله ما آنيةُ الحوض؟ قال: والذي نفس محمدٍ بيده لآنيته أكثرُ من عددِ نجومِ السماءِ وكواكبها، ألا في الليلةِ المظلمةِ المصحيةِ، آنيةُ الجنّةِ، مَنْ شربَ منها لم يظمأَ آخرَ ما عليه، يشحُبُ<sup>(٣)</sup> فيه ميزابان من الجنّةِ، من شربٍ منه لم يظمأَ، عرضُه مثلُ طولِه، ما بين عمانَ إلى أيلةَ، ماؤه أشدُّ بياضاً من اللبنِ وأحلى من العسلِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، برقم: (٢٤٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض، برقم: (٦٥٧٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته، برقم: (٢٢٩٩).

(٣) يشخب، من الشخب، وهو: السيلان، وأصله ما خرج من تحت يد الحالب عند كل عمرة وعصرة لضرع الشاة. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٦٠ / ١٥).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته، برقم: (٢٣٠٠).

٨- رواية ثوبان<sup>(١)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

قال النبي ﷺ: «إني لبعقر<sup>(٢)</sup> حوضي أذودُ الناسَ لأهل اليمنِ، أضربُ بعصايَ حتى يرفض عليهم، فسئل عن عرضِه، فقال: من مقامي إلى عمانَ، وسئل عن شرابه، فقال: أشدُّ بياضاً من اللبنِ وأحلى من العسل يُغْتُ فيه ميزابان<sup>(٣)</sup> يمدّانه من الجنة، أحدهما من ذهبٍ والآخرُ من ورقٍ»<sup>(٤)</sup>.

## ٩- رواية عقبة بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

«أن النبي ﷺ خرج يوماً، فصلّى على أهلِ أحدِ صلاته على الميتِ، ثم انصرفَ إلى المنبرِ فقال: إني فرطُ لكم، وأنا شهيدٌ عليكم، وإنّي - والله - لأنظرُ إلى حوضي الآنَ، وإني أعطيتُ مفاتيحَ خزائنِ الأرضِ أو مفاتيحَ الأرضِ...»، وفي رواية للبخاري: «صلّى رسولُ الله ﷺ على قتلى أحدٍ بعد ثمانين سنين كالمودّع للأحياءِ والأمواتِ، ثم طلع المنبرَ، فقال: إني بين

(١) ثوبان الهاشمي، مولى النبي ﷺ، صحبه ولازمه، وكان صحابياً مشهوراً، نزل بعد النبي ﷺ الشام، ومات بحمص سنة أربع وخمسين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/٤١٣)، تقريب التهذيب (٨٥٨).

(٢) عُقر الحوض - بالضم -: موضع الشاربة منه: أي أطردهم لأجل أن يرد أناس من أمته ﷺ. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣/٢٧١).

(٣) يُغْتُ فيه ميزابان: معناه يدفقان فيه الماء دفقاً متتابعاً شديداً. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/٦٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم: (٢٣٠١).

أيديكم فرطاً، وأنا عليكم شهيدٌ، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظرُ إليه من مقامي هذا، وإني لستُ أخشى عليكم أن تُشركوا، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها، قال: فكانت آخرَ نظرةٍ نظرَتها إلى رسولِ الله ﷺ.

وفي رواية لمسلم: «إني فرطُكم على الحوضِ، وإن عرضَه كما بين أيلةٍ إلى الجحفةِ، إني لستُ أخشى عليكم أن تُشركوا بعدي، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها، وتقتتلوا فتَهلكوا كما هلكَ من كان قبلكم، قال عقبه: فكانت آخرَ ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ على المنبرِ»<sup>(١)</sup>.

١٠ - رواية سهل بن سعد<sup>(٢)</sup> وأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا:

عن أبي حازم<sup>(٣)</sup> قال: سمعت سهل بن سعد، يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «أنا فرطُكم على الحوضِ، فمن وردَه شربَ منه، ومن شربَ منه لم يظمأ بعده أبداً، ليردُ عليّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفوني، ثم يحالُ بيني وبينهم».

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، برقم: (١٣٤٤)، وكتاب المغازي، باب غزوة أحد، برقم: (٤٠٤٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم: (٢٢٩٦).

(٢) سهل بن سعد بن مالك بن خالد، بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة، الأنصاري الخزرجي، أبو العباس الساعدي، له ولأبيه صحبة، وهو من مشاهير الصحابة، مات سنة ثمان وثمانين، وقيل بعدها، وقد جاز المئة. انظر: الإصابة لابن حجر (٣/٢٢٠)، تقريب التهذيب (٢٦٥٨).

(٣) سلمة بن دينار، أبو حازم الأعرج، الأفرز التمار، المدني القاص، مولى الأسود بن سفيان، ثقة عابد، مات في خلافة المنصور. انظر: تقريب التهذيب (٢٤٨٩).

قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش<sup>(١)</sup>، وأنا أحدثهم هذا، فقال: هكذا سمعت سهلاً؟ فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري، لسمعته يزيد فيه قال: «إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما بدّلوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا لمن بدّل بعدي»<sup>(٢)</sup>.

١١ - رواية جابر بن سمرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

قال النبي ﷺ: «أنا الفرطُ على الحوض»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية لمسلم أيضاً: «ألا إني فرطُ لكم على الحوض، وإن بُعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة، كأنَّ الأباريقَ فيه النجوم»<sup>(٤)</sup>.

١٢ - رواية جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

قال النبي ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض»<sup>(٥)</sup>.

(١) النعمان بن أبي عياش، الزرقي الأنصاري، أبو سلمة المدني، من الثقات. انظر: تقريب التهذيب (٧١٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾، برقم: (٧٠٥٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم: (٢٢٩٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، برقم: (١٨٢٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم: (٢٣٠٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض، برقم: (٦٥٨٩)، ومسلم في

١٣ - رواية حارثة بن وهب<sup>(١)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

عن حارثة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: سمعت النبي ﷺ، وذكر الحوض فقال: «كما بين المدينة وصنعاء»<sup>(٢)</sup>.

١٤ - رواية أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

قال النبي ﷺ: «إني على الحوضِ حتى أنظر مَنْ يردُّ علي منكم، وسيؤخذُ ناسٌ دوني، فأقول: يا رب مني ومن أمي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك، والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم»<sup>(٣)</sup>. وزاد في رواية مسلم: «فكان ابن أبي مليكة<sup>(٤)</sup> يقول: اللهم إنا نعوذُ بك أن نرجعَ على أعقابنا أو أن نُفتنَ عن ديننا».

١٥ - رواية عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

- 
- صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم: (٢٢٨٩).
- (١) حارثة بن وهب الخزاعي، صحابي، نزل الكوفة، وأمه أم كلثوم بنت جرول بن مالك الخزاعية، وله رواية عن النبي ﷺ وعن حفصة بنت عمر وغيرها. انظر: الإصابة لابن حجر (١/٦١٩)، تقريب التهذيب (١٠٦٤).
- (٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض، برقم: (٦٥٩١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم: (٢٢٩٨).
- (٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض، برقم: (٦٥٩٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم: (٢٢٩٣).
- (٤) عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مُليكة، يقال اسم أبي مليكة: زهير، التيمي المدني، أدرك ثلاثين من الصحابة، ثقة فقيه، مات سنة ١١٧ هـ. انظر: تقريب التهذيب (٣٤٥٤).

قال النبي ﷺ: «إني على الحوضِ أنتظرُ مَنْ يردُّ عليَّ منكم، فوالله ليقطننَّ دوني رجالٌ فلاقولنَّ: أي ربّ مني ومن أمّتي، فيقول: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، ما زالوا يرجعون على أعقابهم»<sup>(١)</sup>.

١٦- رواية أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

قال النبي ﷺ: «إني لكم فرطٌ على الحوضِ، فيأيّ لا يأتينَّ أحدكم فيذبُّ عني كما يذبُّ البعيرُ الضالُّ، فأقول: فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً»<sup>(٢)</sup>.

إلى غير ذلك من الأحاديث المروية في الحوض المورود.

### المطلب الثاني: تواتر الأحاديث الواردة في الحوض:

تقدم في المطلب السابق ذكرُ جملةٍ من الأحاديث الواردة في الحوض، وهي كثيرة جداً، رواها جمعٌ من الصحابة، عدّهم بعضُ أهل العلم أكثرَ من خمسين راويًا، بحيث يحصلُ العلمُ القطعيُّ بثبوته<sup>(٣)</sup>، ولهذا نصَّ كثيرٌ من

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم: (٢٢٩٤).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم: (٢٢٩٥).

(٣) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٧/٢٦٠)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي (٦/٩٠)، شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/٥٣)، تهذيب السنن لابن القيم (١٣/٥٦-٥٧)، النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١/٢١٢)، فتح الباري لابن حجر (١١/٤٦٧-٤٦٩)، لوامع الأنوار البهية =

العلماء على تواتر الأحاديث الواردة في الحوض، ومن ذلك: قول ابن عبد البر: «الأحاديث في حوضه ﷺ متواترة صحيحة ثابتة كثيرة»<sup>(١)</sup>.

وقال القاضي عياض عن حديث الحوض: «وهو حديث ثابت متواتر النقل، رواه جماعة من الصحابة»<sup>(٢)</sup>.

وتبعهم على ذلك المحققون من أهل العلم منهم: أبو العباس القرطبي، والنووي، وابن كثير، وابن حجر، والسفاريين<sup>(٣)</sup>.

### المطلب الثالث: ورود الحوض في القرآن الكريم:

ذهب بعض أهل العلم إلى أن الكوثر هو الحوض، ويشهد لذلك ما ورد في صحيح مسلم، عن أنس قال: «بيننا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءً، ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت عليّ آناً سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾<sup>(١)</sup> فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْرُزْ<sup>(٢)</sup> إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿﴾ [الكوثر: ١-٣]، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم؟ قال: فإنه نهر وعدنيه ربي

للسفاريين (٢/١٩٤).

(١) التمهيد (٢/٢٩١). وانظر: (٢/٣٠٩).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/٢٦٠).

(٣) انظر: المفهم للقرطبي (٦/٩٠)، شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/٥٣)، النهاية في

الفتن والملاحم لابن كثير (١/٢١٢)، فتح الباري لابن حجر (١١/٤٦٧)، لوامع

الأنوار البهية للسفاريين (٢/١٩٤).

عز وجل عليه خيرٌ كثيرٌ، هو حوضٌ تردُّ عليه أمتي يومَ القيامةِ، أنيته عددُ النجوم، فيختلجُ العبدُ منهم فأقول: ربِّ إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثتُ بعدك»<sup>(١)(٢)</sup>.

إلا أن المحققين من أهل العلم بينوا أن الصحيح في المسألة: أن الحوض ليس هو الكوثر، وأن الكوثر نهرٌ في الجنة، وذلك للأمر الآتية:

١- قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]. وقد روى غير واحدٍ من السلف في تفسير الآية، أن الكوثر نهرٌ في الجنة<sup>(٣)</sup>.

٢- ما جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، من رواية أبي عبيدة<sup>(٤)</sup>، عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال: سألتها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قالت: «نهرٌ أُعطيهِ نبيكم ﷺ، شاطئاه عليه درٌّ مجوفٌ، أنيته كعددِ النجوم»<sup>(٥)</sup>.

٣- عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «بينما أنا أسيرٌ في الجنة إذا أنا بنهرٍ حافتاه قبابُ الدرِّ المُجوفِ، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر»

(١) أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب الصلاة، باب حجة من قال البسمة آية من أول كل سورة سوى براءة، برقم: ٤٠٠.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/٢١٦-٢١٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٤/٦٤٥)، تفسير ابن كثير (٨/٥٠٢).

(٤) أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود، مشهور بكنيته، والأشهر أنه لا اسم له غيرها، ويقال: اسمه عامر، كوفي، ثقة، مات بعد سنة ثمانين. انظر: تقريب التهذيب (٨٢٣١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة (إنا أعطيناك الكوثر)، برقم: ٤٩٦٥.

الذي أعطاك ربك، فإذا طينه أو طيبه مسكٌ أذفرُ»<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

٤- عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثرُ نهرٌ في الجنة، حافّاه من ذهبٍ، ومجرّاه على الدرِّ والياقوتِ، تربته أطيّب من المسكِ، وماؤه أحلى من العسلِ، وأبيض من الثلجِ»<sup>(٣)</sup>.

٥- جاء في الأحاديث المتقدمة أن الحوضَ يمدُّ من نهرِ الكوثرِ، فقد ورد في حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يشخبُ فيه ميزابان من الجنة»، وفي رواية ثوبانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يغتُّ فيه ميزابان يمدّانه من الجنة، أحدهما من ذهبٍ، والآخر من ورقٍ»<sup>(٤)</sup>، ونصّ كثير من العلماء على أن الحوضَ يمدُّ من الكوثرِ<sup>(٥)</sup>.

٦- ومما يؤيد ذلك أن الحوضَ يذاذُ عنه أناس، ويؤمنون منه، ويكونُ

(١) قوله: (طيبه مسكٌ أذفرُ)، أي: طيب الريح. انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٦١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض، برقم: ٦٥٨١.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الكوثر، برقم: (٣٣٦١)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب صفة الجنة، برقم: (٤٣٣٤)، والإمام أحمد في مسنده (٩/ ٢٥٧)، وابن أبي شيبة في المصنف برقم: (٣٢٣١٩)، وغيرهم، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصححه أيضاً: ابن حجر، والألباني، ومحققو المسند. انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٧٠)، صحيح سنن الترمذي للألباني، برقم: (٢٢٧٧)، صحيح الترغيب والترهيب للألباني برقم: (٣٧١٩)، التعليق على مسند الإمام أحمد - طبعة مؤسسة الرسالة - (٩/ ٢٥٧).

(٤) سبق تخريجهما.

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/ ٦٣-٦٤)، النهاية في الفتن لابن كثير (١/ ٢١٤)، (٢٣٣)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩٨)، شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٧٩)، فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٦٦-٤٦٧، ٤٧٣).

ذلك في عرصات القيامة، ومن هؤلاء المرتدّون، كما سيأتي بيانه في المبحث الأخير، وأما الكوثر فهو نهرٌ في الجنة، ولا يردّه إلا من وفقه الله لذلك، وأدخله الجنة<sup>(١)</sup>.

وأما توجيهُ رواية أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وفيها: «إنه نهرٌ وعدنيه ربي عز وجل عليه خيرٌ كثيرٌ، هو حوض ترد عليه أمّتي يوم القيامة آيته عدد النجوم»، فيكون من ثلاثة أوجه:

أ - إن غاية ما فيها: أنه سُمّي الحوض كوثرًا، وأطلق عليه ذلك، لكونه يمدُّ منه.  
ب - إن الكوثر في كلام العرب هو الخير الكثير، ومنه سُمّي الحوض كوثرًا؛ لما فيه من الخير الكثير والماء الكثير.

ج - كما سُمّي الحوض كوثرًا لكثرة الواردة والشاربة منه من أمة محمد ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فإن الصواب أن الآية: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، إنما عني بذلك الكوثر وهو نهرٌ في الجنة، وليس المراد بذلك الحوض، والله تعالى أعلم.

وفيما سبق من الأدلة وما سيأتي غنية في إثبات الحوض لبنينا محمد ﷺ.

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/٤٦٦-٤٦٧، ٤٧٣).

(٢) انظر: التذكرة للقرطبي (٢/٧٠٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/٢١٧)، شرح صحيح مسلم للنووي (٤/١١٣)، النهاية في الفتن لابن كثير (١/٣٧٧)، فتح الباري لابن حجر (٨/٧٣٢، ١١/٤٦٦ - ٤٦٧، ٤٧٣).

## المبحث الثاني

### أقوال الصحابة ومن بعدهم في إثبات الحوض،

#### وبيان موقف المخالفين منه

إلى جانب الأحاديث الواردة في الحوض فقد وردَ عن الصحابة ومن جاء بعدهم تحذيرهم من التكذيب بالحوض، ويُنووا وجوبَ الإيمان به، كما سيأتي عرض ذلك فيما يأتي:

#### ١- أثر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

رُوي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «إنه سيخرج بعدكم قومٌ يُكذِّبون بالرجم، ويكذِّبون بالدجال، ويكذِّبون بالحوض، ويكذِّبون بعذابِ القبر، ويكذِّبون بقومٍ يخرجون من النار»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف برقم: (٦٧٥١، ٢٠٨٦٠)، من طريق معمر، وهناد بن السري في الزهد برقم: (١٩١)، وابن أبي عاصم في السنة برقم: (٣٤٣، ٦٩٧)، من طريق أشعث، والبيهقي في البعث والنشور برقم: (١٧٧)، من طريق حماد بن سلمة، ثلاثتهم عن علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، عن عمر. ورواه الإمام أحمد في مسنده (٢٣/١)، من طريق هشيم، عن علي بن زيد بن جدعان، وليس فيه ذكر الحوض.

وسنده ضعيف، فيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، كما في تقريب التهذيب لابن حجر (٤٧٣٤)، وانظر: الكاشف للذهبي (٣٩١٦). وفي سنده أيضاً: يوسف بن مهران، وهو البصري، لين الحديث، كما في تقريب التهذيب (٧٨٨٦).

## ٢- أثر أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «دخلتُ على عُبيدِ اللهِ بنِ زيادٍ<sup>(١)</sup> وهم يتراجعون في ذكرِ الحوضِ، قال: فقال: جاءكم أنس، قال: يا أنسُ ما تقول في الحوضِ؟ قال: قلت: ما حسبتُ أني أعيشُ حتى أرى مثلكم يمترون في الحوضِ، لقد تركتُ بعدي عجائزَ ما تُصلي واحدةٌ منهن صلاةً إلا سألتُ ربَّها أن يوردها حوضَ محمدٍ ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية عن أنس: «أن زياداً أو ابنَ زيادٍ ذكرَ عنده الحوضُ، فأنكرَ ذلك، فبلغَ ذلك أنساً، فقال: أما والله لأسوأنه غداً، فقال: ما أنكرتم من الحوضِ؟ قالوا: سمعتَ النبيَّ ﷺ يذكرُه، قال: نعم، ولقد أدركتُ عجائزَ بالمدينة لا يُصلين صلاةً إلا سألنَ اللهَ تعالى أن يوردهنَّ حوضَ محمدٍ ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

(١) عبيد الله بن زياد بن أبيه، أبو حفص، أمير العراق، مات سنة ٦٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/٥٤٥)، الأعلام للزركلي (٤/١٩٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (١/٧٨)، والبيهقي في البعث والنشور برقم: (١٧٥)، من طريق حميد عن أنس. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وذكر ابن حجر أن سنده صحيح. فتح الباري (١١/٤٦٨).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم: (٣٠٥٠٩)، وابن أبي عاصم في السنة برقم: (٦٩٨)، وأبو يعلى في مسنده برقم: (٣٣٥٥)، والبيهقي في البعث والنشور برقم: (١٧٤)، من طريق ثابت عن أنس. قال ابن حجر: سنده صحيح. فتح الباري (١١/٤٦٨)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (٦٩٨).

٣- أثر أبي برزة الأسلمي<sup>(١)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

عن أبي طالوت<sup>(٢)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «شهدتُ أبا برزة دخلَ على عبيدِ الله بنِ زيادٍ، فحدثني فلانٌ - سماه مسلم<sup>(٣)</sup> - وكان في السّماط<sup>(٤)</sup>، فلما رآه عبيدُ الله قال: إن محمدَ يَكم هذا الدّحاح، ففهمها الشّيخُ، فقال: ما كنتُ أحسبُ أني أبقي في قومٍ يُعيروني بصحبةِ محمدٍ ﷺ، فقال له عبيدُ الله: إن صحبةَ محمدٍ ﷺ لك زينٌ غيرُ شينٍ، ثم قال: إنما بعثتُ إليك لأسألكَ عن الحوضِ، سمعتَ رسولَ الله ﷺ يَذكر فيه شيئاً، فقال أبو برزة: نعم لا مرّةً ولا ثنتين، ولا ثلاثاً، ولا أربعاً، ولا خمساً، فمن كذّبَ به فلا سقاؤه اللهُ منه، ثم خرَجَ مغضباً»<sup>(٥)</sup>.

(١) نضلة بن عبيد أبو برزة الأسلمي، صحابي مشهور بكنيته، أسلم قبل الفتح، وغزا سبع غزوات، ثم نزل البصرة وغزا خراسان، ومات بها بعد سنة خمس وستين على الصحيح. انظر: الإصابة لابن حجر (٣٨/٧)، تقريب التهذيب (٧١٥١).

(٢) عبد السلام بن أبي حازم شداد، العبدي، أبو طالوت البصري، من الأعلام الثقات. انظر: تقريب التهذيب (٤٠٦٦).

(٣) مسلم بن إبراهيم الأزدي، الفراهيدي، أبو عمرو البصري، ثقة مأمون مكثّر، مات سنة ٢٢٢ هـ، وهو أكبر شيخ لأبي داود، ويروي هنا عن أبي طالوت. انظر: تقريب التهذيب (٦٦١٦).

(٤) السماط: الجماعة من الناس. انظر: النهاية في غريب الحديث (٤٠١/٢).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، برقم: (٤٧٥١)، وأحمد في مسنده (٤٢١/٤)، من طريق أبي طالوت، عن أبي برزة. وصحح الأثر الألباني في صحيح أبي داود (٤٧٤٩)، ومحققو مسند الإمام أحمد (٤٢١/٤).

إلى جانب ذلك فقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات الحوض للنبي ﷺ، وأن أمته سترده يوم القيامة، ومن شرب منه، فلا يظمأ بعده أبداً<sup>(١)</sup>.

ومن أقوال أهل السنة في ذلك:

١- قول سفيان بن عيينة: «السنة عشرة: فمن كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئاً فقد ترك السنة: إثبات القدر، وتقديم أبي بكر وعمر، والحوض، والشفاعة، والميزان، والصراط»<sup>(٢)</sup>.

٢- وقال ابن المديني: «السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها، أو يؤمن بها لم يكن من أهلها... والتصديق والإيمان بالحوض؛ أن لرسول الله ﷺ حوضاً يوم القيامة ترد عليه أمته، عرضه مثل طول مسير شهر، آيته كعدد نجوم السماء، على ما جاء في الأثر ووصف، ثم الإيمان بذلك، والإيمان بعذاب القبر»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة (ص ١٩١، ٢٢٣ - ٢٢٥)، التمهيد لابن عبد البر (٢/ ٢٩١)، إكمال المعلم للقاضي عياض (٧/ ٢٦٠)، المفهم لأبي العباس القرطبي (٦/ ٩٠)، شرح مسلم للنووي (١٥/ ٥٣)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/ ٤٨٦)، درء التعارض (٨/ ٥٠٣)، فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٦٧)، شرح لمعة الاعتقاد - ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين - (٥/ ٦٧).

(٢) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٥٥).

(٣) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٥٦ - ١٥٨).

٣- وقال أحمد بن حنبل: «أصولُ السُّنَّةِ عندنا: التمسكُ بما كان عليه أصحابُ رسولِ الله ﷺ، والافتداءُ بهم... والإيمانُ بالحوضِ، وأن لرسولِ الله ﷺ حوضاً يوم القيامةِ ترد عليه أمتهُ، عرضُه مثلُ طولِه مسيرةَ شهرٍ، أنيتهُ كعددِ نجومِ السماء، على ما صحَّت به الأخبارُ من غير وجهٍ»<sup>(١)</sup>.

٤- وقال قتيبةُ بن سعيد: «هذا قولُ الأئمةِ المأخوذُ في الإسلامِ والسنةِ: الرضا بقضاءِ الله... واتباعُ كلِّ أثرٍ جاء عن رسولِ الله ﷺ إلا أن يعلمَ أنه منسوخٌ، فيتَّبَع ناسخه، وعذابُ القبرِ حقٌّ، والميزانُ حقٌّ، والحوضُ حقٌّ، والشفاعةُ حقٌّ، وقومٌ يخرجون من النارِ حقٌّ، وخروجُ الدجالِ حقٌّ»<sup>(٢)</sup>.

٥- وسُئِل أبو حاتم وأبو زرعة الرَّازيان: «عن مذاهبِ أهلِ السنةِ في أصولِ الدين، وما أدركا عليه العلماءُ في جميعِ الأمصارِ، وما يعتقدان من ذلك، فقالا: أدركنا العلماءُ في جميعِ الأمصارِ حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً، فكان من مذهبِهِم: الإيمانُ قولٌ وعملٌ، يزيدُ وينقصُ...، والحوضُ المكرمُ به نبيناُ حقٌّ، والشفاعةُ حقٌّ، والبعثُ من بعد الموتِ حقٌّ»<sup>(٣)</sup>.

٦- وقال ابنُ أبي زيدِ القيرواني في مقدمة الرسالة - وقد ذكر في أولها أنها جملةٌ مختصرةٌ من واجبِ أمورِ الديانةِ مما تنطقُ به الألسنةُ وتعتقدُه القلوبُ -: «والإيمانُ بحوضِ رسولِ الله ﷺ تردهُ أمتهُ، لا يظمأُ من شربِ منه، ويذاذُ

(١) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٦٥ - ١٦٦).

(٢) انظر: شعار أصحاب الحديث لأبي أحمد الحاكم (ص ٣١ - ٣٢).

(٣) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٧٦ - ١٧٧).

عنه مَنْ بَدَّلَ وَغَيْرَ»<sup>(١)</sup>.

٧- وقال ابنُ بَطَّة العُكْبَرِي<sup>(٢)</sup>: «ونحنُ الآنُ ذاكرونُ شرحِ السنّةِ ووصفها... مما أجمعَ على شرحنا له أهلُ الإسلامِ وسائرُ الأُمّةِ من بعثِ الله نبيّه ﷺ إلى وقتنا هذا...، ثم الإيمانُ بالحوضِ والشفاعةِ»<sup>(٣)</sup>.

٨- وقال ابنُ أبي زَمِين<sup>(٤)</sup>: «وأهلُ السنّةِ يؤمنون بأن للنبيِّ محمدٍ ﷺ حوضاً أعطاه الله إياه، مَنْ شربَ منه شربةٌ لم يظمأَ بعدها أبداً»<sup>(٥)</sup>.

٩- وقال أبو الحسن الأشعري عند ذكرِ جملةٍ ما عليه أهلُ الحديثِ والسنّةِ، فقال: «ويُقرُّون بشفاعةِ رسولِ الله ﷺ، وأنها لأهلِ الكبائرِ من أمتِهِ، وبعذابِ القبرِ، وأن الحوضَ حقٌّ، والصراطُ حقٌّ، والبعثُ بعد الموتِ

(١) مقدمة الرسالة لابن أبي القيرواني (ص ٥٤، ٦٠).

(٢) عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، أبو عبد الله العكبري، ابن بطّة الحنبلي، الإمام القدوة، العابد الفقيه المحدث، شيخ العراق، مصنف كتاب الإبانة الكبرى، مات سنة ٣٨٧ هـ. انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٠ / ٣٧١)، سير أعلام النبلاء (١٦ / ٥٢٩).

(٣) الشرح والإبانة على أصول السنّة والديانة (ص ١٩١، ٢٢٣ - ٢٢٥).

(٤) محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد، أبو عبد الله المري، الأندلسي، الألبيري، الإمام القدوة الزاهد، شيخ قرطبة، مات سنة ٣٩٩ هـ. ترتيب المدارك للقاضي عياض (٤ / ٦٧٢)، سير أعلام النبلاء (١٧ / ١٨٨).

(٥) أصول السنّة (ص ١٥٨).

حقّ،...» (١).

وقال أيضاً: «وأجمعوا على أن شفاعَةَ النبيِّ ﷺ لأهل الكبائرِ من أمته، وعلى أنه يخرجُ من النارِ قومًا من أمته بعدما صاروا حمماً، فيطرحون في نهرِ الحياة، فينبُتون كما تنبتُ الحَبَّةُ في حميلِ السَّيلِ، وعلى أن لرسولِ الله ﷺ حوضاً يوم القيامة، تردهُ أمتهُ لا يظمأُ من شربِ منه، ويزادُ عنه من بدّل، وغيرَ بعده» (٢).

١٠ - وقال ابنُ عبد البر: «الأحاديثُ في حوضه ﷺ متواترةٌ صحيحةٌ ثابتةٌ كثيرةٌ، والإيمانُ بالحوضِ عند جماعةِ علماءِ المسلمين واجبٌ، والإقرارُ به عند الجماعةِ لازمٌ، وقد نفاه أهلُ البدعِ من الخوارجِ والمعتزلةِ، وأهلُ الحقِّ على التصديقِ بما جاء عنه في ذلك ﷺ» (٣).

وقال أيضاً: «تواترُ الآثارِ عن النبيِّ ﷺ في الحوضِ حملَ أهلِ السنةِ والحقِّ وهم الجماعةُ على الإيمانِ به وتصديقه» (٤).

١١ - وقال قوامُ السنّةِ الأصبهاني: «ونحن إذا تدبّرنا عامّةً ما جاء في أمرِ الدينِ من ذكرِ صفاتِ الله، وما تعبّدَ الناسُ به من اعتقاده، وكذلك ما ظهرَ بين المسلمين، وتداولوه بينهم، ونقلوه عن سلفهم، إلى أن أسندوه إلى

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (ص ٢٩٣).

(٢) رسالة إلى أهل الثغر (ص ٢٨٨ - ٢٨٩).

(٣) التمهيد (٢/ ٢٩١).

(٤) التمهيد (٢/ ٣٠٩).

رسول الله ﷺ من ذكر عذاب القبر، وسؤال منكرٍ ونكيرٍ، والحوض، والميزان، والصراط، وصفات الجنة، وصفات النار وتخليد الفريقين فيهما، أمورٌ لا ندركُ حقائقها بعقولنا، وإنما ورد الأمرُ بقبولها والإيمان بها، فإذا سمعنا شيئاً من أمور الدين، وعقلناه، وفهمناه، فله الحمد في ذلك والشكر، ومنه التوفيق، وما لم يمكننا إدراكه وفهمه، ولم تبلغه عقولنا آمنّا به، وصدّقناه»<sup>(١)</sup>.

إلى غير ذلك من أقوال أهل السنة والجماعة الواردة في بيان وجوب الإيمان بالحوض<sup>(٢)</sup>.

إلا أن طائفة من أهل البدع خالفت أهل السنة فذهب الخوارج والمعتزلة إلى إنكار الحوض، وغلوا في تأويل الأحاديث الواردة فيه<sup>(٣)</sup>.

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٢١).

(٢) انظر: السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٦٤٥ - ٦٤٧)، الشريعة للأجري (٣/ ١٢٥٣)، اعتقاد أهل السنة لأبي بكر الإسماعيلي (ص ٤٨)، الحائثية لابن أبي داود مع شرح د. عبد الرزاق البدر (ص ٧٨)، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤/ ٥٥)، شرح السنة للبرهاري (ص ٧٢)، شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٧)، الاعتقاد لأبي الحسين بن أبي يعلى (ص ٣٣)، عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي مع شرح د. عبد الرزاق البدر (ص ٢٨١ - ٢٨٤)، الواسطية لابن تيمية - مع شرح الشيخ ابن عثيمين - (ص ٥١٥)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص ١٩٩ - ٢٠١)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ١٩٤).

(٣) انظر: الإبانة لأبي الحسن الأشعري (ص ٢٤٥)، مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (ص ٤٧٣)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٥٢٧)، جامع الرسائل لابن تيمية =

والحقيقة أنه ليس لمن أنكره مستند شرعي، ثم على سبيل التنزل لا استحالة عقلية تلزم من حمل النصوص الواردة فيه على ظاهرها، وحقيقتها، ولا حاجة تدعو إلى تأويلها، والأحاديث التي سبق ذكر بعضها كافية في ردّ هذا القول، ولا سيما مع القول بتواترها، وإجماع السلف على القول بمقتضى تلك النصوص.

قال أبو الحسن الأشعري: «وأنكرت المعتزلة الحوض، وقد روي عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة، وروي عن أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين بلا خلاف»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن حزم: «وأما الحوض فقد صحت الآثار فيه، وهو كرامة للنبي ﷺ ولمن ورد عليه من أمته، ولا ندري لمن أنكره متعلقا، ولا يجوز مخالفة ما صح عن النبي ﷺ في هذا وغيره»<sup>(٢)</sup>.

فكل من خالف في إثبات الحوض؛ فهو مبتدع، وأحرى أن يطرد عنه<sup>(٣)</sup>.

---

(٥ / ٨٠)، فتح الباري لابن حجر (١١ / ٤٦٧)، لوامع الأنوار البهية للسفاري (٢ / ٢٠٢).

(١) الإبانة لأبي الحسن الأشعري (ص ٢٤٥)،

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤ / ٥٥).

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١ / ٤٦٧)، لوامع الأنوار البهية للسفاري (٢ / ٢٠٢)،

الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد للفضولان (ص ٢٩٣).

## المبحث الثالث

### صفة الحوض

ثبت في الحديث الصحيح أن الحوض المورود موجوداً الآن، فعن عقبه بن عامرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أن النبي ﷺ خرج يوماً،... فقال: إني فرطُ لكم، وأنا شهيدٌ عليكم، وإني والله لأنظرُ إلى حوضي الآن»<sup>(١)</sup>، ونص على ذلك أهل العلم، قال النووي: «هذا تصريح بأن الحوض حوض حقيقي على ظاهره كما سبق، وأنه مخلوق موجود اليوم»<sup>(٢)</sup>.

وللحوض عدة صفاتٍ تميّز بها في عرصات القيامة، سيأتي التفصيل فيها في المطالب التالية:

#### المطلب الأول: صفة ماء الحوض وأنيته:

يتبين من خلال عرض الروايات الصحيحة الواردة في الحوض على ما قرّره أهل العلم أن ماء الحوض له صفات عدة، وهي:

#### ١ - لون الماء: أشدُّ بياضاً من اللبنِ والثلج.

ففي رواية ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ سُئِلَ عن شرابه؟ فقال: «أشدُّ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٥٩/١٥). وانظر: فتح الباري لابن حجر (٤٧٥/١١)،

شرح لمعة الاعتقاد (ص ١٢٤)، شرح العقيدة الواسطية كلاهما لابن عثيمين (ص

ببياضاً من اللبن»<sup>(١)</sup>، وفي رواية أبي هريرة: «لهو أشدُّ بياضاً من الثلج»<sup>(٢)</sup>،  
وفي رواية عبد الله بن عمرو: «وماؤه أبيض من الورق»<sup>(٣)</sup>.

## ٢- طعم الماء: أحلى من العسل.

فقد جاء في رواية أبي هريرة: «وأحلى من العسل باللبن»<sup>(٤)</sup>، وفي رواية  
أبي ذر وثوبان: «وأحلى من العسل»<sup>(٥)</sup>.

## ٣- ريح الماء: أطيب من المسك.

ففي رواية عبد الله بن عمرو: «وريحُه أطيب من المسك»<sup>(٦)</sup>.

فماء الحوض طيب اللون والرائحة والذوق، ومن شرب منه لم يظماً  
بعده أبداً، ولم يعطش<sup>(٧)</sup>.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم تخريج الحديثين.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) انظر لتفاصيل أوصاف الحوض: المفهم لأبي العباس القرطبي (٩٢/٦)، التذكرة في  
أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (٧٠٢-٧٠٦)، شرح صحيح مسلم للنووي  
(١٥/٥٤-٥٥)، النهاية لابن كثير (١/٢٣٣)، فتح الباري لابن حجر (١١/٤٧٢)،  
العقيدة الواسطية - مع شرحها لابن عثيمين - (ص ٥١٥، ٥١٦)، شرح العقيدة  
الطحاوية (١/٢٨٠-٢٨١)، شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين (ص ١٢٣ - ١٢٤).

## ٤ - آنية الحوض: أباريقه أكثر من نجوم السماء.

وردت في ذلك عدة روايات: ففي رواية أبي هريرة: «ولآنيته أكثر من عددِ النجوم»<sup>(١)</sup>، وفي رواية أنس: «وإن فيه من الأباريقِ كعددِ نجومِ السماء»، وفي أخرى: «ترى فيه أباريقَ الذهبِ والفضةِ كعددِ نجومِ السماء».

ووقع في رواية عبد الله بن عمرو: «وكيزائه كنجومِ السماء»، وفي رواية ابن عمر: «فيه أباريقُ كنجومِ السماء». وفي رواية أبي ذر: «والذي نفسُ محمدٍ بيده لآنيته أكثرُ من عددِ نجومِ السماء وكواكبها، ألا في الليلةِ المظلمةِ المصحيةِ، آنيةُ الجنةِ، من شربَ منها لم يظمأَ آخرَ ما عليه»، وفي رواية جابر بن سمرة: «كأنَّ الأباريقَ فيه النجومُ»<sup>(٢)</sup>.

فيستفاد من هذه الروايات أن للحوض آنيةً هي من أواني الجنة، وهي كثيرةٌ جداً، وذهبَ بعضُ أهلِ العلمِ إلى أن المرادَ بهذه الرواياتِ الإشارةُ إلى كثرةِ العددِ من بابِ المبالغةِ، وهو معروفٌ في الشرعِ واللغةِ، ولا يعدُّ كذباً إذا كان المخبرُ عنه في حيزِ الكثرةِ.

إلا أن الصحيح: أن هذا العدد للآنية على ظاهره، وأن هذه الآنية أكثرُ عدداً من نجومِ السماء، وهذا ترجيحُ النووي رحمه الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريج هذه الروايات.

(٣) انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٦/ ٢٦٠)، شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/ ٥٦،

٦٠)، شرح الواسطية لابن عثيمين (ص ٥١٥).

كما أن في هذه الروايات إشارةً إلى تشبيه الآنية بالنجوم من حيث اللمعان، فهي كالنجوم جمالاً ولَمَعاناً وضياءً<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني: طول الحوض وعرضه:

لقد وردت روايات كثيرة في بيان سعة الحوض، وأنه حوضٌ عظيمٌ في غاية الاتساع، طوله وعرضه سواء - أي معتدل التربع -، كلُّ زاويةٍ من زواياه مسيرة شهر، كما ورد ذلك في رواية عبد الله بن عمرو، ورواية أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا<sup>(٢)</sup>.

واختلفت الروايات في تحديد ناحيتي الحوض:

- ففي حديث أبي هريرة، وحذيفة: «أبعد من أيلة<sup>(٣)</sup> من عدن<sup>(٤)</sup>». وفي رواية أبي ذرٍّ: «ما بين عُمان<sup>(٥)</sup> إلى أيلة».

(١) انظر: عمدة القاري للعيني (٢٣/٢١٤)، شرح الواسطية لابن عثيمين (ص ٥١٦).  
(٢) انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٦/٢٥٨)، المفهم للقرطبي (٦/٩١-٩٢)، النهاية في الفتن لابن كثير (١/٢٣٣)، شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٨١).

(٣) مدينة مشهورة، وتعرف اليوم باسم: العقبة، ميناء المملكة الأردنية الهاشمية، على رأس خليج يضاف إليها: خليج العقبة. انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٦/٢٥٩)، شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/٥٧)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية لعاتق البلادي (ص ٣٥).

(٤) تقدم تخريجهما.

(٥) عُمان: بلد على ساحل البحر من جهة البحرين، وهي اليوم سلطنة عمان، عاصمتها: مسقط. انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/٤٧١)، معجم المعالم الجغرافية لعاتق

- وفي رواية أنس: «حوضي كما بين أيلةً وصنعاءَ من اليمن»، وفي لفظ: «ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاءَ والمدينة». وفي رواية جابر بن سمرة: «إن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاءَ وأيلةً». وفي رواية ثوبان: «فَسُئِلَ عن عرضه، فقال: من مقامي إلى عمان»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية عقبة بن عامر: «إن عرضه كما بين أيلةً إلى الجحفة»<sup>(٢)</sup>.

- وفي رواية عبد الله بن عمر: «إن أمامكم حوضاً كما بين جرباءَ وأذرح»<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>. إلى غير ذلك من الروايات.

وقد ذكر ابن حجر أن هذا الاختلاف في تحديد المسافة على ثلاثة أوجه؛ الأول: أن بعض الروايات تدور على نحو شهرٍ من المسافة أو تزيد أو تنقص.

---

البلادي (ص ٢١٦).

(١) تقدم تخريجها.

(٢) الجحفة: هي بنحو سبع مراحل من المدينة بينها وبين مكة، وتوجد اليوم آثارها شرق مدينة رابغ بحوالي: ٢٢ كيلاً، إذا خرجت من رابغ تؤم مكة كانت إلى يسارك حوز السهل من الجبل. انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٦/٢٥٩)، شرح النووي على صحيح مسلم (٥٨/١٥)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية لعاتق البلادي (ص ٨٠).

(٣) جرباء، وأذرح: هما اليوم قريتان في المملكة الأردنية الهاشمية، تقعان شمال غربي مدينة معان على قرابة ٢٢ كيلاً، وبينهما حوالي ثلاثة أيام. انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٦/٢٥٩)، شرح النووي على صحيح مسلم (٥٨/١٥)، معجم المعالم الجغرافية لعاتق البلادي (ص ٨١).

(٤) تقدم تخريجها.

الثاني: أنّ بعض الروايات ترجع إلى نصف شهرٍ أو تزيد قليلاً أو تنقص.

الثالث: جاء في رواية تقدير ذلك بثلاثة أيام تقريباً<sup>(١)</sup>.

وهذا الاختلاف في قدر الحوض ليس موجباً للاضطراب، والتعارض، فإنه لم يأت في حديثٍ واحدٍ، بل في أحاديثٍ مختلفة الرواة عن جماعةٍ من الصحابة سمعوها في موطنٍ متباينة.

وقد تعددت آراء أهل العلم في الجمع بين هذه الروايات:

أولاً: إن النبي ﷺ ضربها في كل واحدٍ منها مثلاً لبعده أقطار الحوض وسعته، وقرب ذلك من الأفهام لبعده ما بين البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد، بل للإعلام ببعده المسافة، وعظم الحوض. وهذا رأي القاضي عياض، وتبعه عليه أبو العباس القرطبي، وأبو عبد الله القرطبي<sup>(٢)</sup>.

وسبب ذكره للجهات المختلفة: إنما كان بحسب من حضره ممّن يعرف تلك الجهات، فيخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/٤٧١).

(٢) انظر: إكمال المعلم لعياض (٦/٢٥٩-٢٦٠)، المفهم للقرطبي (٦/٩٣)، التذكرة للقرطبي (٢/٧٠٦)، شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/٥٨)، فتح الباري لابن حجر (١١/٤٧١).

(٣) انظر: المفهم (٦/٩٢)، التذكرة للقرطبي (٢/٧٠٦)، فتح الباري لابن حجر (١١/٤٧١)، لوامع الأنوار البهية للسفاري (٢/٢٠١، ٢٠٢).

ثانياً: إن هذا الاختلاف يرجع إلى اختلاف الطول والعرض<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة، فالأكثر ثابت بالحديث الصحيح، فإن النبي ﷺ أخبر أولاً بالمسافة اليسيرة، ثم أعلم بالمسافة الطويلة فأخبر بها، فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافةً. وهذا رأي النووي<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: إن الاختلاف راجع إلى السير البطيء والسير السريع. وهذا ترجيح الحافظ ابن حجر<sup>(٣)</sup>.

وقد اعترض على الرأي الأول: أن ضرب المثل والتقدير إنما يكون فيما يتقارب، وأما هذا الاختلاف المتباعد الذي يزيد تارة على ثلاثين يوماً وينقص إلى ثلاثة أيام فلا<sup>(٤)</sup>.

وقد اعترض على الرأي الثاني: أن هذا مخالف للأحاديث الواردة في

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/٤٧٠-٤٧٢)، لوامع الأنوار البهية للسفاري (٢٠٢/٢).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/٥٨)، فتح الباري لابن حجر (١١/٤٧٢)، لوامع الأنوار البهية للسفاري (٢٠٢/٢).

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/٤٧٢)، لوامع الأنوار البهية للسفاري (٢٠٢/٢)، شرح الواسطية لابن عثيمين (ص ٥١٧).

(٤) وإن كانت الرواية - التي تفيد أن المسافة بين طرفيه ثلاثة أيام - قد انتقدها الحافظ ابن حجر، لكن بقي الفرق بين مسافة الشهر ونصفه، فالاعتراض لا يزال وجيهاً. انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/٤٧٢)، لوامع الأنوار البهية للسفاري (٢٠٢/٢).

الباب، ففي حديث عبد الله بن عمرو: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء»، وفي حديث أبي ذر: «عرضه مثل طولهِ»<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن يعترض على الرأي الثالث: بأن هذا الجمع ليس فيه إعمالٌ لجميع الروايات، والأقربُ منه هو القول الرابع، فإن فيه إعمالاً لمجمل تلك الروايات، والله تعالى أعلم<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثالث: موضع الحوض:

اختلف أهل العلم في موضع الحوض في عرصات القيامة:

١- فذهب بعض أهل العلم إلى أن الحوض بعد الصراط والنجاة من النار.

وهو ظاهرُ صنيع البخاري في إيرادِه لأحاديث الحوض بعد ذكر الصراط، واستظهره الحافظُ ابن حجر<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/٤٧٢)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/٢٠٢).  
 (٢) انظر لهذه المسألة: إكمال المعلم للقاضي عياض (٦/٢٦٠)، المفهم للقرطبي (٩٢/٦)، التذكرة للقرطبي (٢/٧٠٦)، شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/٥٨)، فتح الباري لابن حجر (١١/٤٧٠-٤٧٢)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/٢٠١)، (٢٠٢).

(٣) انظر: صحيح البخاري (٨/١١٧-١١٩)، التذكرة للقرطبي (٢/٧٠٢)، زاد المعاد لابن القيم (٣/٦٨٢-٦٨٣)، فتح الباري لابن حجر (١١/٤٦٦)، إرشاد الساري للقسطلاني (٩/٣٣٥).

وهو ترجيحُ القاضي عياض، وأبي العباس القرطبي، ووافقهم النووي، وغيره من أهل العلم<sup>(١)</sup>.

٢- وذهب بعض العلماء المحققين إلى أن الحوض قبل الصراط.

وهو ترجيحُ الغزالي، وأبي عبد الله القرطبي، وابن أبي العز، وابن كثير، والشيخ ابن عثيمين، وغيرهم<sup>(٢)</sup>.

### الأدلة:

١- استدل أصحاب القول الأول بأدلة عدة منها:

أ- الأحاديث الواردة في الحوض، وفيها: «من شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً»<sup>(٣)</sup>.

ووجه الاستدلال أن من شرب من الحوض فلا يظمأ بعده أبداً، ولا

(١) انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٧/٢٥٧)، المفهم للقرطبي (٦/٩١)، شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/٥٤)، فتح الباري لابن حجر (١١/٤٦٦)، إرشاد الساري (٩/٣٣٥)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/١٩٥-١٩٦).

(٢) انظر: التذكرة للقرطبي (٢/٧٠٢)، زاد المعاد لابن القيم (٣/٦٨٢-٦٨٣)، شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٧٩)، النهاية في الفتن لابن كثير (١/٢٣٥-٢٣٦)، فتح الباري لابن حجر (١١/٤٦٦)، إرشاد الساري (٩/٣٣٥)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/١٩٥-١٩٦)، شرح الواسطية لابن عثيمين (ص ٥١٦).

(٣) انظر: حديث عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عمر، وأبي ذر، وسهل بن سعد، وقد سبق تخريجها.

يعذب بعد ذلك بالنار<sup>(١)</sup>.

ب - حديثُ أبي ذرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يشخُبُ فيه ميزابان من الجنة»، وفي رواية ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يغتُّ فيه ميزابان يمدَّانه من الجنة»<sup>(٢)</sup>.

ووجه الاستدلال: أن ظاهرَ الحديثين أن الحوضَ بجانبِ الجنة لينصبَّ فيه الماء من الكوثرِ، ولو كان الحوض دون الصراطِ لحالت النارُ بينه وبين الماء الذي يصبُّ من الكوثرِ في الحوض<sup>(٣)</sup>.

ج - حديثُ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «سألتُ النبيَّ ﷺ أن يشفعَ لي يوم القيامة، فقال: أنا فاعلٌ، قال: قلتُ: يا رسولَ الله فأين أطلبُك؟ قال: اطلبني أوَّلَ ما تطلبني على الصراطِ، قال: قلتُ: فإن لم ألقك على الصراطِ؟ قال: فاطلبي عند الميزانِ، قلت: فإن لم ألقك عند الميزانِ؟ قال: فاطلبي عند الحوضِ، فإنني لا أخطئُ هذه الثلاثَ المواطنِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٢٥٧/٧)، المفهم للقرطبي (٩١/٦)، شرح صحيح مسلم للنووي (٥٤/١٥)، فتح الباري لابن حجر (٤٦٦/١١)، إرشاد الساري للقسطلاني (٣٣٥/٩).

(٢) سبق تخريجهما.

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (٤٦٦/١١).

(٤) أخرجه الترمذي، برقم: (٢٤٣٣)، والإمام أحمد (٢٠/٢١٠)، برقم: (١٢٨٢٥)، من حديث النضر بن أنس بن مالك عن أبيه. والحديث حسنه الترمذي، وقال: حسن غريب. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٢٦٣٠)، وفي صحيح الترغيب والترهيب برقم: (٣٦٢٥).

ووجه الاستدلال: أن ظاهر الحديث تقدم الصراطِ على الحوض<sup>(١)</sup>.

د - حديث لقيط بن عامر<sup>(٢)</sup>: «أنه خرجَ وافداً إلى رسول الله ﷺ... ثم ينصرفُ نبيكم ﷺ ويفترقُ على أثره الصالحون، فيسلكون جسراً من النارٍ فيطأُ أحدكم الجمرَ، فيقول: حس، يقول ربُّك عز وجل: أوانه، ألا فتطلعون على حوضِ الرسولِ على أظماً - والله - ناهلةً عليها قطُّ ما رأيتها...»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٤٦٦/١١)، إرشاد الساري للقسطلاني (٣٣٥/٩).

(٢) لقيط بن عامر بن المتفق بن عامر العامري، أبو رزين العقبلي، وافد بني المتفق، روى عنه ابن أخيه وكيع بن عدس، وعبد الله بن حاجب وعمرو بن أوس الثقفي. انظر: الإصابة لابن حجر (٦٨٦/٥).

(٣) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند ٢٦/١٢١، برقم: ١٦٢٠٦، وفي السنة برقم: (١١٢٠)، وابن أبي عاصم في السنة برقم: (٦٣٦)، وابن خزيمة في التوحيد برقم: (٢٧١)، والطبراني في المعجم الكبير (٢١١/١٩)، برقم: (٤٧٧)، من طريق عبد الرحمن بن عياش السمعي، عن دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب، عن أبيه، عن عمه لقيط بن عامر.

قال دلهم: وحدثني أبي الأسود عن عاصم بن لقيط: (أن لقيطاً خرج وافداً...) الحديث. قال ابن القيم في زاد المعاد (٦٧٧-٦٧٨/٣): «هذا حديث كبير جليل، تنادي جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة، لا يعرف إلا من حديث عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن المدني، رواه عنه إبراهيم بن حمزة الزبيري، وهما من كبار علماء المدينة، ثقتان محتج بهما في الصحيح، احتج بهما إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري، ورواه أئمة أهل السنة في كتبهم، وتلقوه بالقبول، وقابلوه بالتسليم والانقياد، ولم يطعن أحد منهم فيه، ولا في أحد من رواه...»

ثم قال: وقال ابن منده: روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصنعاني، وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهما، وقد رواه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين جماعة من

ووجه الاستدلال منه تقدم ذكر الصراطِ على الحوض<sup>(١)</sup>.

## ٢- واستدل أصحاب القول الثانية بأدلة عدة منها:

أ- الأحاديث الواردة في الحوض، منها: حديث أنس: «حتى إذا رأيتهم ورُفِعوا إلي اختلجوا دوني، فلاقولنَّ: أي ربُّ أصحابي أصحابي، فليقالنَّ لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

وفي حديث عبد الله بن مسعود: «ليختلجنَّ دوني، فأقول: يا ربُّ أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»، وفي رواية أسماء: «يقال: هل شعرت ما عملوا بعدك، والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم»، وفي رواية أم سلمة: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً»<sup>(٢)</sup>.

ووجه الاستدلال: أن الحوض يختلج عنه، ويمنع منه أقوام قد ارتدوا

---

الأئمة منهم: أبو زرعة الرازي، وأبو حاتم، وأبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ولم ينكره أحد، ولم يتكلم في إسناده، بل روه على سبيل القبول والتسليم، ولا ينكر هذا الحديث إلا جاحد، أو جاهل، أو مخالف للكتاب والسنة. هذا كلام أبي عبد الله بن منده. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٤٠): «رواه عبد الله، والطبراني بنحوه، وأحد طريقي عبد الله إسناده متصل، ورجالها ثقات، والإسناد الآخر، وإسناد الطبراني مرسل عن عاصم بن لقيط: أن لقيطاً. وقد أشار الألباني إلى ضعف الإسناد لجهالة عبد الرحمن بن عياش ودلهم وأبيه. انظر: السلسلة الصحيحة برقم: ٢٨١٠، تخريج السنة لابن أبي عاصم برقم: (٦٣٦).

(١) انظر: زاد المعاد (٣ / ٦٧٧-٦٧٨، ٦٨٢-٦٨٣)، فتح الباري لابن حجر (١١ / ٤٦٧).

(٢) سبق تخريجها.

على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط<sup>(١)</sup>.

ب - عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «بينا أنا قائمٌ إذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم، فقال: هلمّ، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، ثم إذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم، فقال: هلمّ، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»<sup>(٢)</sup>.

ووجه الاستدلال: أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط، لأن الصراط هو جسرٌ ممدودٌ على جهنم، فمن جازه سلم من النار<sup>(٣)</sup>.

ج - من جهة النظر: أن المقام يقتضي تقدم الحوض، حيث إن الناس في حاجة إلى الشرب في عرصات القيامة قبل عبور الصراط<sup>(٤)</sup>.

وقد اعترض على دليل القول الثاني: بأن الأحاديث الواردة في الدود تحمل على أنهم يقربون من الحوض بحيث يرونه، ويرون النار، فيدفعون

(١) انظر: النهاية في الفتن لابن كثير (١/ ٢١٤)، شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٧٩)، فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٦٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض، برقم: (٦٥٨٧).

(٣) انظر: التذكرة للقرطبي (٢/ ٧٠٣)، زاد المعاد (٣/ ٦٨٢ - ٦٨٣)، فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٦٦)، إرشاد الساري (٩/ ٣٣٥).

(٤) انظر: التذكرة للقرطبي (٢/ ٧٠٣)، شرح الواسطية لابن عثيمين (ص ٥١٦).

إلى النار قبل الخلوص من بقية الصراط<sup>(١)</sup>.

وقد جمع ابن القيم بين هذه النصوص، وبين أنه ليس بين أحاديث رسول الله ﷺ تعارض ولا تناقض ولا اختلاف، وحديثه كله يصدق بعضه بعضاً، فحديث أبي هريرة وغيره من الأحاديث السابقة دالة على أن الناس يردون الحوض قبل الصراط، وأما حديث أنس وما ذكر معه لا يناقض كون الحوض قبل الصراط، فإن قوله ﷺ: «طوله شهر، وعرضه شهر»، يدل على سعته، فما الذي يحيل امتداده إلى وراء الجسر، فيرده المؤمنون قبل الصراط وبعده.

وقد أشار إلى ذلك أيضاً ابن كثير، والسيوطي، وقال مرعي الحنبلي: «إن هذا في غاية التحقيق»<sup>(٢)</sup>.

إلا أن ابن القيم ختم كلامه بقوله: «فهذا في حيز الإمكان، ووقوعه موقوفٌ على خبر الصادق»<sup>(٣)</sup>، والله تعالى أعلم.

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٤٦٦/١١)، إرشاد الساري للقسطاني (٣٣٥/٩).  
 (٢) انظر: زاد المعاد لابن القيم (٦٨٢/٣ - ٦٨٣)، النهاية في الفتن لابن كثير (٢١٤/١)، (٢٣٥-٢٣٦)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١٩٥-١٩٦).  
 (٣) زاد المعاد (٦٨٣/٢). وانظر لهذه المسألة: إكمال المعلم للقاضي عياض (٢٥٧/٧)، المفهم للقرطبي (٩١/٦)، التذكرة للقرطبي (٧٠٢-٧٠٣)، شرح صحيح مسلم للنووي (٥٤/١٥)، شرح العقيدة الطحاوية (٢٧٩/١)، النهاية في الفتن لابن كثير (٢١٤/١)، فتح الباري لابن حجر (٤٦٦/١١ - ٤٦٧)، إرشاد الساري للقسطاني (٣٣٥-٣٣٦)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١٩٥-١٩٦)، شرح الواسطية لابن عثيمين (ص ٥١٦).

## المبحث الرابع

### المسائل العقديّة المتعلّقة بالحوض

لقد تقرّر عند أهل السنة والجماعة أن الحوض يكون في عرصات القيامة، يرده المؤمنون من أمة النبي ﷺ يوم القيامة، والنبي ﷺ يتقدمهم إليه، بل ثبت في السنة أنه ﷺ يَمْنَعُ النَّاسَ - من غير أمته -، ويطردهم من وروده؛ وذلك تكريماً لأُمَّته.

ففي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وإني لأصدُّ عنه كما يصدُّ الرجل إبلَ الناسِ عن حوضه، قالوا: يا رسول الله، أتعرفنا يومئذٍ، قال: نعم، لكم سيمًا ليست لأحدٍ من الأمم، تردون عليَّ غرًّا محجلين من أثر الوضوء»، وفي رواية حذيفة: «والذي نفسي بيده إني لأذودُّ عنه الرجال كما يذودُّ الرجل الإبلَ الغريبةَ عن حوضه»<sup>(١)</sup>.

ونبه الحافظ ابن حجر على أن المراد بهذه الأحاديث إرشاد النبي ﷺ كلَّ أحدٍ إلى حوض نبيه كما سيأتي: «إن لكل نبي حوضاً»، وأنهم يتباهون بكثرة من يتبعهم، فيكون ذلك من جملة إنصافه ورعاية إخوانه من النبيين، لا أنه يطردهم بخلاً عليهم بالماء<sup>(٢)</sup>.

وقد بقيت بعض المسائل المتعلّقة بالحوض يحسن ذكرها في المطالب التالية.

(١) تقدم تخريجها. وانظر: المفهم للقرطبي (١/٥٠٦).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/٤٧٤).

### المطلب الأول: الذين يذادون عن الحوض ويمنعون منه:

ثبت في الأحاديث الصحيحة السابقة أن أناساً يأتون إلى حوض النبي ﷺ، فيذادون عنه ويبعدون منه، ويمنعون من الشرب منه، وفي ذلك عدة روايات، منها:

- رواية أبي حازم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وليصدنّ عني طائفةٌ منكم فلا يصلون، فأقول: يا ربّ هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملك، فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟».

- وفي رواية العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة: «ألا ليزادنّ رجالٌ عن حوضي كما يذاذُ البعيرُ الضالُّ، أناديهم: ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً».

- رواية أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ليردنّ علي الحوض رجالٌ ممن صاحبي، حتى إذا رأيتهم ورفعوا إلي اختلجوا دوني، فلا أقولنّ: أي ربّ أصبحي أصبحي أصبحي، فليقالنّ لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

- رواية عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وليرفعنّ معي رجالٌ منكم، ثم ليختلجنّ دوني، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»<sup>(١)</sup>.

- رواية أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي»<sup>(٢)</sup>.

(١) سبق تخريج هذه الروايات.

(٢) تقدم تخريجها.

- وفي رواية أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «لا يأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال، فأقول: فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً»<sup>(١)</sup>.

وقد ورد في بعض الروايات الأخرى ما يبين صنفاً آخر من المطرودين من حوض النبي ﷺ، ومن تلك الروايات:

- رواية سعيد بن المسيب عن أبي هريرة: «يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي، فيحلّون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري».

وفي رواية أخرى عن سعيد عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «بيننا أنا قائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم».

- رواية أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «وسيوخذ ناس دوني، فأقول: يا رب مني ومن أممي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك، والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم»<sup>(٢)</sup>. وبنحوها رواية عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وقد فهم أهل العلم من هذه الروايات أن الذين يذادون عن الحوض هم:

(١) تقدم تخريجها.

(٢) تقدم تخريج هذه الروايات.

١- المنافقون والمرتدون الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ، وفي عهد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢- كل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله فهو من المطرودين.

٣- الظلمةُ المسرفون في الجورِ والظلم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي.

ومن أقوال أهل العلم في بيان ذلك: قول الخطابي: «لم يرتدَّ من الصحابة أحد، وإنما ارتدَّ قومٌ من جفأة الأعرابِ ممن لا نصرَةَ له في الدين، وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عبد البر: «كل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوضِ المبعدين عنه والله أعلم، وأشدُّهم طرداً من خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم مثل الخوارج على اختلافٍ فرقيها، والروافضِ على تباينِ ضلالها، والمعتزلة على أصنافِ أهوائها، فهؤلاء كلُّهم يبدلون، وكذلك الظلمةُ المسرفون في الجورِ والظلم وتطمس الحق وقتل أهله، وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجميعُ أهل الزيغِ والأهواءِ والبدعِ، كلُّ هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا عنوا بهذا الخبر، ولا يخلد في النار إلا كافرٌ جاحدٌ ليس في قلبه مثقالُ حبةٍ خردلٍ من إيمانٍ»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: فتح الباري (١١/٣٨٥).

(٢) التمهيد (٢٠/٢٦٢-٢٦٣).

وقال القرطبي: «قال علماؤنا: وكلُّ مَنْ ارتدَّ عن دينِ الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه، وأشدُّهم طرداً مَنْ خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطمس الحق، وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والبدع والأهواء»<sup>(١)</sup>.

إلى غير ذلك من أقوال أهل العلم.

فليس المراد من الحديث: الصحابة الكرام البررة، وإنما يشمل من كان من أمته ﷺ، وأتباعه، ويدخل فيهم المرتد والمنافق، وغيرهما ممن نص عليه آنفاً.

ولهذا قال ابن قتيبة في تأكيد ما تقدم: «فكيف يجوز أن يرضى الله عز وجل عن أقوام، ويحمدهم ويضرب لهم مثلاً في التوارة والإنجيل، وهو يعلم أنهم يرتدون على أعقابهم بعد رسول الله ﷺ؟!»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا ردُّ على الرافضة وغيرهم من المخالفين، ممن يتخذ مثل هذه الأحاديث ذريعةً للطعن في الصحابة الكرام<sup>(٣)</sup>.

(١) التذكرة (٢/ ٧١٠ - ٧١١).

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٣٥).

(٣) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص ٢٣٣)، شرح أصول الكافي للمازندراني (١١/ ٢٧٧)، ثم اهتديت لمحمد التيجاني (ص ١٢٣ - ١٢٤)، صحيح شرح العقيدة

وقد فند أهل العلم جميع شبهاتهم، وبينوا المعاني الصحيحة التي دلت عليه تلك النصوص<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني: ماء الحوض من الكوثر:

ثبت في الأحاديث المتقدمة أن الحوض يمدُّ من شراب الجنة، من نهر الكوثر، فقد ورد في حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يشخُب فيه ميزابان من الجنة»، وفي رواية ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يغتُّ فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق»<sup>(٢)</sup>.

وقد نص أهل العلم على ذلك، وأن الحوض يمد من الكوثر بالميزابين، فيدققان فيه الماء دفقاً متتابعاً شديداً<sup>(٣)</sup>.

الطحاوية لحسن علي السقاف (ص ٥٦٢ - ٥٦٤)، الصحبة والصحابة بين الإطلاق اللغوي والتخصيص الشرعي لحسن فرحان المالكي (ص ٢٢٦ - ٢٢٧).  
 (١) انظر: صحيح البخاري (٤/١٦٧)، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص ٢٣٣ - ٢٣٥)، السنة لابن أبي عاصم (٢/٣٦٠)، المتقى للباجي (١/٣٤٣)، التمهيد (٢٠/٢٦٢ - ٢٦٣)، شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/٦ - ٧)، إكمال المعلم للقاضي عياض (٢/٥١، ٥٢، ٧/٢٦٩)، الشفا للقاضي عياض (٢/٥٥٩ - ٥٦٢)، شرح النووي على صحيح مسلم (٣/١٣٦ - ١٣٧، ١٥/٦٤)، التذكرة للقرطبي (٢/٧١٠ - ٧١١)، الاعتصام للشاطبي (١/٢٢٠)، فتح الباري (١١/٣٨٥ - ٣٨٦، ١٣/٤ - ٥)، لوامع الأنوار للسفاري (٢/١٩٧)، شرح الواسطية لابن عثيمين (ص ٥١٦).  
 (٢) سبق تخريجهما.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/٦٣ - ٦٤)، النهاية في الفتن (١/٢١٤، ٢٣٣)، شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٧٩)، فتح الباري لابن حجر (١١/٤٦٦ - ٤٦٧)، شرح

### المطلب الثالث: منبرُ النبي ﷺ على حوضه يوم القيامة:

ورد في حديث أبي هريرة: «منبري على حوضي»<sup>(١)</sup>، وقد ذكر أهل العلم قولين في معنى ذلك:

- ١- أي: ينقل منبره بعينه - الذي قال هذه المقالة وهو فوقه - يوم القيامة فينصب على الحوض، وهو قول كثير من أهل العلم.
  - ٢- ملازمة الأعمال الصالحة ولا سيما عند المنبر، يوردُ صاحبه الحوض، ويقتضي شربه منه.
- إلا أن الأول هو الأظهر، والله تعالى أعلم<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الرابع: لكل نبي حوض:

لقد تواترت النصوص الحديثية الصحيحة على اختصاص النبي ﷺ بالحوض الأعظم لا يشركه فيه نبي غيره، وأما سائر الأنبياء فقد ورد في السنن عن سمرة مرفوعاً: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهُونَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً»<sup>(٣)</sup>.

لمعة الاعتقاد لابن عثيمين (ص ١٢٤).

(١) تقدم تخريجه.

- (٢) انظر: شرح ابن بطال على البخاري (٣/ ١٨٤ - ١٨٥)، التمهيد لابن عبد البر (٢/ ٢٩٠ - ٢٩١)، المنتقى للباقي (١/ ٣٤١)، شرح صحيح مسلم للنووي (٩/ ١٦٢)، فتح الباري لابن حجر (٤/ ١٠٠، ١١/ ٤٧٥)، عمدة القاري للعيني (٢٣/ ٢٢٠)، شرح الواسطية لابن عثيمين (ص ٥١٦).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٤٤٣)، والبخاري في تاريخه الكبير (١/ ٤٤)، والطبراني

والمعنى يؤيده، فإن الله عز وجل بحكمته وعدله كما جعل للنبيّ محمداً ﷺ حوضاً يردّه المؤمنون من أمته؛ كذلك يجعل لكل نبيّ حوضاً، حتى ينتفع المؤمنون بالأنبياء السابقين، ولكن الحوض الأعظم هو حوض النبي ﷺ (١).

والله تعالى أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.  
والحمد لله رب العالمين.

في المعجم الكبير (٧/٢١٢، برقم: ٦٨٨١)، وغيرهما من حديث سعيد بن بشير عن قتادة، عن الحسن عن سمرة. قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح.

وقال ابن حجر: «لكن أخرج الترمذي من حديث سمرة رفعه: (إن لكل نبي حوضاً)، وأشار إلى أنه اختلف في وصله وإرساله، وأن المرسل أصح. قلت: والمرسل أخرجه ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لكل نبي حوضاً...)»، ثم ذكر للحديث عدة طرق. فتح الباري (١١/٤٦٧).

ولهذا حسن الألباني الحديث بمجموع طرقه. انظر: السلسلة الصحيحة (١٥٨٩). وأقره الشيخ ابن عثيمين. انظر: شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين (ص ١٢٥).

(١) انظر: التذكرة للقرطبي (٢/٧١٣)، تهذيب السنن لابن القيم (١٣/٥٧)، شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٨١)، فتح الباري لابن حجر (١١/٤٦٧، ٤٧٤)، لوامع الأنوار للسفاري (٢/٢٠٢)، شرح الواسطية لابن عثيمين (ص ٥١٧)، شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين (ص ١٢٥).

## الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنه في خاتمة هذا البحث يمكن تسجيل النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، وذلك في الأمور الآتية:

١- إن الحوض المورد الذي اختص به النبي ﷺ دلت عليه السنة المتواترة، وإجماع أهل السنة، وعلى هذا فلا حجة للمخالفين في إنكاره.

٢- إن المراد من قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، هو نهر في الجنة أعطاه الله تعالى لنبيه ﷺ، وليس هو الحوض.

٣- لم يزل أعلام الأمة من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان يحذرون الناس من التكذيب بالحوض، وسطر أهل العلم في مصنفاتهم وجوب الإيمان به، وبغيره من أصول مسائل الاعتقاد.

٤- للحوض صفات عدة، فماؤه أشد بياضاً من اللبن، والثلج، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك، كل ذلك جاءت به السنة النبوية الصحيحة. وأما أنيته فهي أكثر من عدد نجوم السماء، وهي كالنجوم جمالاً ولمعاناً وضياءً.

٥- وأما طول الحوض وعرضه، فقد تعددت أقوال أهل العلم في ذلك، والذي يظهر أن اختلاف الروايات في تحديد ناحيتي الحوض راجع إلى

السيرِ البطيءِ والسيرِ السريعِ، وبذلك يجمع بين الروايات الواردة في المسألة.

٦- اختلفَ أهلُ العلمِ في موضعِ الحوضِ في عرصاتِ القيامةِ على قولين: أهو قبل الصراط أم بعده، ولكل قول أدلته، واستظهر ابن القيم أنه لا مانع من أن يكون ورود الناس على الحوض قبل الصراط وبعده، لسعة الحوض، ولا يمكن الجزم بذلك إلا بخبر صادقٍ عن النبي ﷺ.

٧- جاء في بعض الروايات الصحيحة أن أناساً من أمة النبي ﷺ يذاودون عن الحوض، وبين أهل العلم أن المراد بذلك: المنافقون والمرتدون، والمبتدعة من أهل الأهواء، والظلمة المسرفون في الجور، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وليس المراد بذلك الصحابة الذين جاءت النصوص الشرعية في بيان فضلهم.

وبذلك يتبين ضلال من أراد الطعن في صحابة رسول الله ﷺ من الرافضة وغيرهم من أهل الأهواء، الذين يلوون أعناق النصوص لتسويغ مذاهبهم الباطلة، وأقوالهم الشاذة، وقد قيض الله لهم أهل العلم الذين يبنون عوار مناهجهم، وفساد أهوائهم.

٨- دلت السنة الصحيحة على أن الحوض يمدُّ من شرابِ الجنة من نهرِ الكوثر بالميزابين، فيدفقان فيه الماء دفقاً متتابعاً شديداً.

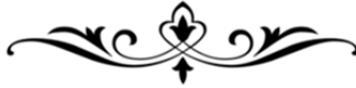
٩- من حكمة الله تعالى وعَدله أنه كما جعل للنبيِّ محمدٍ ﷺ حوضاً يرده المؤمنون من أمته؛ كذلك جعل لكل نبيٍّ حوضاً، حتى ينتفع المؤمنون

بالأنبياء السّابقين، ولكن الحوض الأعظم، وأكثرها وارداً هو حوض النبي

ﷺ

وفي الختام أوصي الباحثين وطلاب العلم بالاهتمام بالقضايا المتعلقة  
باليوم الآخر، وتحقيق المسائل ودراستها، حسب ما تقتضيه النصوص  
الشرعية، وإبطال العقائد الفاسدة التي تعلق بها بعض المخالفين.

والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه  
أجمعين.



## فهرس المصادر والمراجع

١. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري.  
تأليف: أحمد بن محمد القسطلاني، ط: ٧، ١٣٢٣ هـ، المطبعة الكبرى  
الأميرية، مصر.
٢. الإصابة في تمييز الصحابة.  
تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي،  
دار الجيل، ط: ١، بيروت، لبنان.
٣. أصول السنة.  
تأليف: ابن أبي زمنين. ومعه: رياض الجنة بتخريج أصول السنة، تحقيق:  
عبد الله بن عبد الرحيم البخاري، ١٤١٥ هـ، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة  
النورة.
٤. الاعتقاد  
تأليف: ابن أبي يعلى، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، ط: ١،  
١٤٢٣ هـ، دار أطلس الخضراء، الرياض.
٥. اعتقاد أهل السنة.  
تأليف: أبي بكر الإسماعيلي، تحقيق: جمال عزون، ط: ١، ١٤٢٠ هـ، دار  
ابن حزم، الرياض.
٦. الأعلام.  
تأليف: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط: ١٥، ٢٠٠٢ م،

- بيروت، لبنان.
٧. إكمال المعلم بفوائد مسلم.
- تأليف: القاضي عياض، تحقيق: يحيى إسماعيل، ط: ١، ١٤١٩ هـ، دار  
الوفاء، مصر.
٨. الإيمان.
- تأليف: ابن منده، تحقيق: علي محمد بن ناصر فقيهي، مؤسسة الرسالة.
٩. البعث والنشور.
- تأليف: البيهقي، تحقيق: محمد زغلول، ط: ١، ١٤٠٨ هـ، مؤسسة الكتب  
الثقافية.
١٠. تاج العروس من جواهر القاموس.
- تأليف: محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: جماعة من الباحثين، وزارة  
الإعلام، الكويت، ط: ١، ١٤٢١ هـ.
١١. التاريخ الكبير.
- تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٢. تاريخ بغداد.
- تأليف: أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت،  
لبنان.
١٣. تأويل مختلف الحديث.
- تأليف: ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الجيل،  
١٣٩٣ هـ، بيروت، لبنان.

- ١٤ . تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي .  
تأليف: عبد الرزاق البدر، ط: ١، ١٤٢٤ هـ، غراس للنشر والتوزيع، الكويت.
- ١٥ . التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة .  
تأليف: أبي عبد الله القرطبي، تحقيق: الصادق محمد، ط: ١، ١٤٢٥ هـ، دار المنهاج، الرياض.
- ١٦ . ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك .  
تأليف: القاضي عياض، تحقيق: سعيد أعراب وغيره، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٠٣ هـ، المغرب.
- ١٧ . تفسير القرآن العظيم .  
تأليف: أبي الفداء ابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، ط: ٢، ١٤٢٢ هـ، دار طيبة، الرياض.
- ١٨ . تقريب التهذيب .  
تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، ١٤٠٦ هـ، دار الرشيد.
- ١٩ . التمهيد لما في الموطأ من المعنى والأسانيد .  
تأليف: ابن عبد البر، تصوير: مكتبة الأوس، المدينة النبوية.
- ٢٠ . تهذيب السنن .  
تأليف: ابن القيم - مطبوع مع مختصر سنن أبي داود -، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وغيره، دار المعرفة، بيروت، لبنان، وطبعة أخرى مع عون

المعبود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢١. التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل.

تأليف: ابن خزيمة، تحقيق: إبراهيم الشهبان، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٨ هـ.

٢٢. ثم اهتديت.

تأليف: محمد التيجاني، مؤسسة الفجر، ١٤١٤ هـ، لندن.

٢٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

تأليف: ابن جرير الطبري، مطبعة: مصطفى البابي الحلبي، ط: ٣. وطبعة بتحقيق: أحمد شاكر وغيره.

٢٤. جامع الترمذي.

تأليف: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وشرح: العلامة أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط: ١، ١٤١٩ هـ.

٢٥. الجامع لأحكام القرآن.

تأليف: شمس الدين القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض.

٢٦. الحائية - مع شرح د. عبد الرزاق البدر -.

تأليف: ابن أبي داود، بشرح وتعليق: د. عبد الرزاق البدر، ط: ١، ١٤٢٣ هـ، دائرة الشؤون الإسلامية، الشارقة.

٢٧. الحجّة في بيان المحجّة وشرح عقيدة أهل السنة.

تأليف: إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق:

- محمد بن ربيع بن هادي، ١٤١٩ هـ، دار الراية، الرياض.
٢٨. الذيل على جزء بقي بن مخلد من أحاديث الحوض.  
تأليف: ابن بشكوال، تحقيق: عبد القادر محمد عطا صوفي، مكتبة العلوم  
والحكم، ١٤١٣ هـ، المدينة المنورة.
٢٩. رسالة إلى أهل الثغر.  
تأليف: علي بن إسماعيل أبي الحسن الأشعري، تحقيق: عبدالله شاكر  
محمد الجنيدي، ط: ١، ١٩٨٨ م، مكتبة العلوم والحكم.
٣٠. زاد المعاد في هدي خير العباد.  
تأليف: ابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة،  
بيروت، لبنان، ط: ٣، ١٤١٨ هـ.
٣١. الزهد.  
تأليف: هناد بن السري، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، ط: ١، ١٤٠٦ هـ،  
دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.
٣٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها.  
تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، طبعة جديدة،  
١٤١٥ هـ، الرياض.
٣٣. السنة.  
تأليف: عبد الله بن الإمام أحمد، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، دار  
عالم الكتب، الرياض، ط: ٤، ١٤١٦ هـ.
٣٤. السنة.

تأليف: ابن أبي عاصم. ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة، للألباني.  
المكتب الإسلامي، ط: ٣، ١٤١٣ هـ، بيروت، لبنان.

٣٥. سنن ابن ماجه.

تأليف: ابن ماجه القزويني، تحقيق: خليل شيحا، دار المعرفة، ط: ١،  
١٤١٦ هـ، بيروت، لبنان.

٣٦. سنن أبي داود.

تأليف: أبي داود السجستاني، تحقيق: عزت عبيد الدعاس، ط: ١، ١٣٨٨ هـ،  
دار الحديث، بيروت، لبنان. وطبعة دار ابن حزم، ط: ١، ١٤١٩ هـ، بيروت،  
لبنان.

٣٧. سنن النسائي - المجتبي - .

تأليف: النسائي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، ط: ٣، ١٤١٤ هـ،  
دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣٨. سير أعلام النبلاء.

تأليف: شمس الدين الذهبي، تحقيق: بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت،  
لبنان، ط: ٢، ١٤٢٢ هـ.

٣٩. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.

تأليف: هبة الله اللالكائي، تحقيق: الدكتور أحمد الغامدي، دار طيبة،  
الرياض، ط: ٧، ١٤٢٢ هـ.

٤٠. شرح العقيدة الطحاوية.

تأليف: ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره، وزارة

- الشؤون الإسلامية والأقاف والدعوة والإرشاد، ط: ١٣، ١٤١٩ هـ،  
السعودية.
٤١. شرح أصول الكافي.  
تأليف: المازندراني، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠ م.
٤٢. شرح صحيح البخاري.  
تأليف: علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال، تحقيق: ياسر بن إبراهيم،  
ط: ٢، ١٤٢٣ هـ، مكتبة الرشد، الرياض.
٤٣. شرح صحيح مسلم.  
تأليف: يحيى بن شرف النووي، ط: ١، ١٣٤٧ هـ، المطبعة المصرية.
٤٤. شرح لمعة الاعتقاد.  
تأليف: محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود،  
١٤١٥ هـ، دار طبرية، الرياض.
٤٥. الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة.  
تأليف: ابن بطة العكبري، تحقيق: رضا معطى، ط: ٢، ١٤١١ هـ.
٤٦. الشريعة.  
تأليف: أبي بكر الآجري، تحقيق: د: عبد الله الدميحي، ط: ٢، ١٤٢٠ هـ،  
دار الوطن، الرياض.
٤٧. شعار أصحاب الحديث.  
تأليف: أبي أحمد الحاكم.
٤٨. الشفا بتعريف حقوق المصطفى.

- تأليف: القاضي عياض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٤٩. الصحبة والصحابة بين الإطلاق اللغوي والتخصيص الشرعي.
- تأليف: حسن فرحان المالكي، مركز الدراسات التاريخية، ١٤٢٥ هـ.
٥٠. صحيح البخاري.
- تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري، ط: ١، ١٤٢٢ هـ، دار طوق النجاة، ط: ١، ١٤١٧ هـ، طبعة دار السلام، ١٤١٧ هـ، الرياض.
٥١. صحيح الترغيب والترهيب.
- تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط: ١، ١٤٢١ هـ، الرياض.
٥٢. صحيح سنن الترمذي.
- تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط: ٢، ١٤٢٢ هـ، الرياض.
٥٣. صحيح سنن أبي داود - الأصل -.
- تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ط: ١، ١٤٢٣ هـ، الكويت.
٥٤. صحيح شرح العقيدة الطحاوية.
- تأليف: حسن علي السقاف، دار الإمام الرواس، ١٤٢٨ هـ، بيروت، لبنان.
٥٥. صحيح مسلم.
- تأليف: مسلم بن الحجاج، تحقيق وتصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- ٥٦ . العقيدة الواسطية. (مطبوع مع شرحها للشيخ ابن عثيمين).  
تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، دار الثريا، الرياض.
- ٥٧ . عمدة القاري شرح صحيح البخاري.  
تأليف: بدر الدين العيني، تحقيق: عبد الله محمود، ط: ١، ١٤٢١ هـ، دار  
الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٥٨ . فتح الباري شرح صحيح البخاري.  
تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن  
عبد الله بن باز، إخراج: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت لبنان.
- ٥٩ . الفصل في الملل والأهواء والنحل.  
تأليف: علي بن أحمد بن حزم، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ٦٠ . القاموس المحيط.  
تأليف: الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، ط: ٢، ١٤٠٧ هـ، بيروت، لبنان.
- ٦١ . الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة.  
تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي، تحقيق: محمد عوامة،  
١٤١٣ هـ، الطبعة: الأولى، دار القبلة للثقافة الإسلامية.
- ٦٢ . كتاب فيه ما روي في الحوض والكوثر.  
تأليف: بقي بن مخلد، تحقيق: عبد القادر محمد عطا صوفي، مكتبة العلوم  
والحكم، ١٤١٣ هـ، المدينة المنورة.
- ٦٣ . لسان العرب.  
تأليف: جمال الدين ابن منظور المصري، دار صادر، ط: ١، ١٤١٣ هـ

- بيروت، لبنان.
٦٤. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية.
- تأليف: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، ط: ٣، ١٤١١ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
٦٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.
- تأليف: نور الدين الهيثمي، مؤسسة المعارف، ١٤٠٦ هـ، بيروت، لبنان.
٦٦. مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين.
- جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا، ط: ١، ١٤١٦ هـ، الرياض.
٦٧. المستدرک علی الصحیحین.
- تأليف: أبي عبد الله الحاكم، وبذيله التلخيص للذهبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٦٨. مسند أبي يعلى.
- تأليف: أبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية، بيروت، لبنان، ط: ١، ١٤١٣ هـ.
٦٩. مسند الإمام أحمد.
- تأليف: الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، تحقيق: لجنة من الباحثين، ط: ١، ١٤١٣ هـ، بيروت، لبنان.
٧٠. المصنف.

- تأليف: عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: ٢، ١٤٠٣هـ.
٧١. المصنف.
- تأليف: أبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، ط: ١، ١٤٢٧هـ، جدة.
٧٢. المعجم الكبير.
- تأليف: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، ط: ٢، دار إحياء التراث العربي.
٧٣. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية.
- تأليف: عاتق البلادي، ط: ١، ١٤٠٢هـ، دار مكة، مكة المكرمة.
٧٤. معجم مقاييس اللغة.
- تأليف: أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
٧٥. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم.
- تأليف: أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محيي الدين مستو وغيره، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط: ٢، ١٤٢٠هـ.
٧٦. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين.
- تأليف: علي بن إسماعيل أبي الحسن الأشعري، تحقيق: هلموت ريتز، ط: ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧٧. مقدمة الرسالة.

تأليف: ابن أبي زيد القيرواني، تعليق: بكر أبي زيد، ط: ١، ١٤١٤ هـ، دار  
العاصمة، الرياض.

٧٨. المتقى شرح الموطأ.

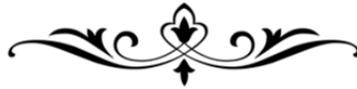
تأليف: أبي الوليد الباجي، ط: ١، ١٣٣٣ هـ، مطبعة السعادة، مصر.

٧٩. النهاية في غريب الحديث والأثر.

تأليف: أبي السعادات ابن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي وغيره،  
المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

٨٠. النهاية في الفتن والملاحم.

تأليف: ابن كثير، تحقيق: أحمد شعبان وغيره، ط: ١، ١٤٢٣ هـ، مكتبة  
الصفاء، القاهرة.



## فهرس الموضوعات

- ٢٦٥..... ملخص البحث
- ٢٦٨..... المقدمة
- ٢٧١..... أهمية الموضوع:
- ٢٧٢..... منهج البحث:
- ٢٧٣..... خطة البحث:
- ٢٧٥..... التمهيدي: تعريف الحوض
- ٢٧٥..... المطلب الأول: تعريف الحوض في اللغة:
- ٢٧٥..... المطلب الثاني: تعريف الحوض في الاصطلاح:
- ٢٧٦..... المبحث الأول: إثبات الحوض في السنة المطهرة.
- ٢٧٦..... المطلب الأول: الأحاديث الواردة في الحوض:
- ٢٨٦..... المطلب الثاني: تواتر الأحاديث الواردة في الحوض:
- ٢٨٧..... المطلب الثالث: ورود الحوض في القرآن الكريم:
- المبحث الثاني: أقوال الصحابة ومن بعدهم في إثبات الحوض،
- ٢٩١..... وبيان موقف المخالفين منه
- ٣٠٠..... المبحث الثالث: صفة الحوض
- ٣٠٠..... المطلب الأول: صفة ماء الحوض وآيته

- المطلب الثاني: طول الحوض وعرضه ..... ٣٠٣
- المطلب الثالث: موضعُ الحوض ..... ٣٠٧
- المبحث الرابع: المسائلُ العقديّةُ المتعلّقةُ بالحوضِ ..... ٣١٤
- المطلب الأول: الذين يذادون عن الحوضِ ويمنعون منه ..... ٣١٥
- المطلب الثاني: ماءُ الحوضِ من الكوثر ..... ٣١٩
- المطلب الثالث: منبرُ النبي ﷺ على حوضه يوم القيامة ..... ٣٢٠
- المطلب الرابع: لكل نبي حوض ..... ٣٢٠
- الخاتمة ..... ٣٢٢
- فهرس المصادر والمراجع ..... ٣٢٥
- فهرس الموضوعات ..... ٣٣٧

# الأصول المنهجية للطرق الصوفية

د. سليمان بن صفية

أكاديمي جزائري - أستاذ جامعي - دكتور -

بكلية العلوم الإسلامية - جامعة الجزائر ١



## ملخص البحث

إنّ البدع والأهواء أمراض معدية، وآفات مهلكة، لا زالت تقوّض أركان السنّة الغراء، وتحدث شرخاً في دين الأمة الإسلامية، بل تفرّق وحدتها، وتشتت اجتماعها، وتهدم بنيناها.

ولذا جاء النهي والشديد، والتحذير والوعيد، من ركوب سهوة البدع والضلالات لما لها من عظيم الأثر، وجسيم الخطر، على الفرد والأمة.

ومن تلكم البدع التي ضربت بأطنابها وألقت بضلالها على الأمة الإسلامية منذ قرون خلت، ولا تزال تواصل زحفها في المجتمعات الإسلامية بل والغربية، بدعة التصوّف التي كان ابتداءؤها غلو في الزهد والتعبّد، ثم ارتقى الحال بأصحابها فخلطوا دينهم بلبس الرقاع واعتقاد الحلول وغير ذلك من الضلالات.

لأجل ذلك جاء هذا البحث ليضع خلاصة ما عليه الطرق الصوفية من أصول منهجية.

والأصول المنهجية تشمل: أصول التلقي التي أقام عليها المتصوفة مذهبهم.

كما يشمل القواعد العملية التي تنتظم تحتها الكثير من الفروع، ويدخل ضمن هذا: الأصول العقدية، والتعبدية، والسلوكية.

فأورد الباحث أولاً: تعريفاً بالصوفية، ونشأتها، وأطوارها، وأشهر طرقها.

ثمّ أردفه ببيان: أصول التلقي عند الطرق الصوفية؛ سواء في ذلك المصادر الأصلية عندهم، كالكشف، والذوق، والوُجد، أو المصادر الثانوية؛ كأقوال وأفعال المشايخ والأقطاب، ودعوى تلقي المريدين عن أشياخهم المقبورين، وكذا دعوى التلقي عن الأنبياء عليهم السلام، ودعوى رؤية الصحابة رضي الله عنهم.

ثمّ جاء بيان الأصول العقديّة عند الطرق الصوفية؛ كوحدة الوجود (الحلول والاتحاد)، وتقديس المشايخ والأقطاب.

ثمّ الأصول التعبديّة عند الطرق الصوفية؛ كالغلو في العبادة، وتعبّد الله تعالى بما لم يشرعه، وإسقاط التكاليف الشرعية.

ثمّ الأصول السلوكية عند الطرق الصوفية؛ كالتدرج في المقامات، ومزاولة الرياضة الصوفية.

د. سليمان بن صفيّة

bensefiasalim@hotmail.com

## *The Methodological Foundations of the Sufi Orders*

*By: Dr. Sulayman bin Safiyyah*

*Algerian Academic – University Lecturer – Doctor in the  
Faculty of Islamic Sciences*

### ***Abstract***

*Innovations and vain desires are infectious diseases and mortal illnesses that continues to damage the very foundations of the noble Sunnah and creates problems within the religion of the Islamic Nation. It divides and disperse its unity and destroys its formation.*

*Severe prohibitions, warnings and threats came against innovations and deviations because it has such a great affect and bring such a severe danger upon individuals and the community.*

*Sufism is from these innovations that has damaged and mislead the Islamic Nation in the past, and continues its attacks against the Islamic and even the western communities.*

*It all started as a form of asceticism and worshipping, and after that its followers advanced and started to believe in incarnation and other deviations. This research was written to explain the methodological foundations of the Sufi orders.*

*The methodological foundations includes: the foundations of the sources that the Sufis established their religious doctrines upon.*

*It also includes the practical principles that implies a lot of different branches. The following things are incorporated in this: the foundations of their theology, worship and behavior.*

*The researcher mentioned firstly the definition of Sufism, its beginning and stages as well as its most famous orders.*

*He then continued to explain the following points: the very sources of the Sufi orders. This includes both their priory sources like kashf, dhawq and wajd, as well as their secondary sources like the statements and actions of their sheikhs and leaders and their claim that their adherents receive knowledge from their buried sheikhs. They also claim that they receive knowledge from the prophets and that they see the companions of the Prophet (may Allah be pleased with them).*

*Afterwards the research explained the theological foundations for the Sufi Orders like pantheism, incarnation, and sanctification of sheikhs and leaders.*

*Furthermore the researcher explained the foundations of worship for the Sufi orders like: exaggerations in worship, worshiping Allah in a way that He hasn't legislated and the deduction of Islamic obligations.*

*Thereafter the research explained the foundations for behavior amongst the Sufi Orders like the advancement in positions and the practicing of Sufi exercises.*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد، فإنّ البدع والأهواء أمراض معدية، وآفات مهلكة، لا زالت تقوّض أركان السنّة الغراء، وتحدث شرخاً في دين الأمة الإسلامية، بل تفرّق وحدتها، وتشتت اجتماعها، وتهدم بنائها.

ولذا جاء النهي الشديد، والتحذير والوعيد، من ركوب سهوة البدع والضلالات لما لها من عظيم الأثر، وجسيم الخطر، على الفرد والأمة.

ومن تلكم البدع التي ضربت بأطنابها وألقت بضلالها على الأمة الإسلامية منذ قرون خلت، ولا تزال تواصل زحفها في المجتمعات الإسلامية، بدعة التصوّف التي كان ابتداءؤها غلواً في الزهد والتعبّد، ثم ارتقى الحال بأصحابها فخلطوا دينهم بلبس الرقاع واعتقاد الحلول وغير ذلك من الضلالات.

لأجل ذلك وددت أن أضع خلاصة لما عليه هذه الطرق من أصول منهجية؛ ليتضح السبيل ويستبين الدليل.

أهمية البحث:

١- إنّ معرفة الأصول والقواعد التي تستند إليها أغلب الطرق الصوفية، هو سبيل للوقاية من شرّك هذه البدع، فمعرفة سبل الغواية تقي العبد - بعد

توفيق الله - من غائلتها.

٢- الإمام بأصول وقواعد الصوفية في التلقي، يكشف للباحث أعظم الأسباب التي أدت إلى الانحراف عن الجادة والصواب.

٣- إن ضبط الأمور المنتشرة المتعددة، وإجمال الأحكام الكثيرة المتفرقة أوعى لحفظها، وأدعى لرسوخها. فهذه الأصول تجمع شتات ما تفرق من آراء المتصوفة.

٤- إن هدم الأصول والقواعد المنحرفة التي سار عليها أغلب المتصوفة يُسهّل كشف عوار مذهبهم، لأنّ هدم الأصل يؤدي إلى هدم البنيان والفروع بالتبع.

#### حدود البحث:

البحث يُعنى بإبراز القواعد والأصول العلمية والعملية التي بنى عليها المتصوفة مذهبهم وطرقهم، وصارت منهجاً لهم، وتواطأ المتقدم منهم عليها والمتأخر، دون التعرّض لفروع مذهبهم وآرائهم.

والباحث لم يتطرق إلى نقد مذهبهم، لأنّ المقصود إبراز أصولهم ومعرفة حقيقتها، أما النقد فيحتاج إلى بحث مستقل.

#### والأصول المنهجية تشمل:

• أصول التلقي التي أقام عليها المتصوفة مذهبهم؛ إذ الأصل يأتي بمعنى

الدليل، في اللغة والاصطلاح<sup>(١)</sup>.

• كما يشمل القواعد العملية التي تنتظم تحتها الكثير من الفروع، ويدخل ضمن هذا: الأصول العقديّة، والتعبديّة، والسلوكيّة؛ إذ الأصول تأتي بمعنى القواعد الجامعة<sup>(٢)</sup>.

### منهج البحث:

استخدم الباحث منهجين اثنين في دراسته، وهما:

١- المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء كلام أئمة الصوفية من خلال كتبهم، للوقوف على حقيقة مذهبهم.

٢- المنهج الاستنباطي: وذلك باستنباط الأصول والقواعد الجامعة التي سار عليها المتصوفة، وذلك من خلال مقالاتهم.

### خطة البحث:

قسّم الباحث هذه الدراسة إلى تمهيد وأربعة مطالب، وهي على النحو الآتي:

التمهيد: وفيه تعريف بالصوفية، ونشأتها، وأطوارها، وأشهر طرقها.

(١) انظر: الأصول والفروع حقيقتهما والفرق بينهما والأحكام المتعلقة بهما، لسعد بن ناصر

الشثري، ص ٢٩.

(٢) نظر: المصدر السابق، ص ٣٤.

المطلب الأوّل: أصول التلقّي عند الطرق الصوفية.

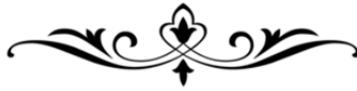
المطلب الثاني: الأصول العقديّة عند الطرق الصوفية.

المطلب الثالث: الأصول التعبديّة عند الطرق الصوفية.

المطلب الرابع: الأصول السلوكية عند الطرق الصوفية.

الخاتمة، والفهارس اللازمة.

والله الموفّق، والهادي إلى سواء السبيل.



## التمهيد

### (تعريف الصوفية، ونشأتها، وأطوارها، وأشهر طرقها)

أولاً: تعريف الصوفية:

تباينت آراء أعلام الصوفية وغيرهم، في تحديد مفهوم للصوفية<sup>(١)</sup>، ولاشتقاقها<sup>(٢)</sup>.

- فعرفها الجنيد بقوله: «التصوّف تصفية القلب عن موافقة البريّة، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الربانية، والتعلّق بعلوم الحقيقة، واتباع الرسول

(١) قال السهروردي: «وأقوال المشايخ في ماهية التصوّف تزيد على ألف قول؛ بل ذكروا أن الأقوال المأثورة في حدّ التصوّف زهاء الألفين»، انظر: عوارف المعارف، للسهروردي، ص ٥٣.

(٢) قيل: إن لفظ «الصوفي» جامد غير مشتق.

وقيل: إنّه مشتق من الصفاء، أو الصفو.

وقيل: إنّ اللفظ مأخوذ من الصوف؛ لأنّ لباس الصوف كان يكثر في الزهاد، ورجحه ابن تيمية.

وقيل: إن الصوفية نسبة إلى الصفة التي ينسب إليها كثير من الصحابة، لكن النسبة إلى الصفة لا تجيء على الصوفي، بل على الصّفيّ.

وقيل: نسبة إلى الصف الأول، لأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة، والمناجاة.

انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١١ / ٥ - ٦، و«التصوّف المنشأ والمصدر». إحسان إلهي ظهير، ص ٢٥.

في الشريعة»<sup>(١)</sup>.

- وعرفها - غير الصوفيّة - كابن الجوزي فقال: «عبر الصوفية عن صفة التصوّف بعبارات كثيرة وحاصلها: أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة»<sup>(٢)</sup>.

ومن أجمع ما عرفت به الصوفية أنها: «حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي كنزعاتٍ فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري. ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقاً مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخى المتصوفة تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة، لا عن طريق اتباع الوسائل الشرعية، ولذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية: الهندية والفارسية واليونانية المختلفة»<sup>(٣)</sup>.

## ثانياً: نشأة الصوفية وتطورها

اختلف أهل العلم في تاريخ نشأة الصوفية وظهورها إلى قولين، هما<sup>(٤)</sup>:

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف، للكلاّباذي، ص ٣٤.

(٢) «تليس إبليس» ص ١٤٧.

(٣) «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» من إعداد: الندوة العالمية للشباب الإسلامي ١/ ٢٤٩.

(٤) وقيل: إن ظهور التصوّف كان قبل الجاهلية، وهو قول غاية في الضعف، ذكره أبو السراج الطوسي من المتصوفة في كتابه اللمع، ص ٤٢ - ٤٣.

القول الأول: أن أصل نشأة الصوفية ظهر في القرن الأول للهجرة.  
وهذا رأي أبي سراج الطوسي من المتصوفة<sup>(١)</sup>، وقد استدلل لرأيه  
بدليلين:

- ١- أن اسم التصوف كان معروفاً في وقت الحسن البصري، حيث زعم أنه قال: «رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً من المال فلم يأخذه».
- ٢- رواية عن سفيان الثوري أنه قال: «لولا أبو هشام الصوفي ما عرفت دقيق الرياء».

القول الثاني: أن أصل نشأة الصوفية ظهر في القرن الثاني من الهجرة.  
اختاره القشيري<sup>(٢)</sup> وابن الجوزي<sup>(٣)</sup>، وابن خلدون، وابن تيمية.  
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «في أثناء المائة الثانية صاروا يعبرون عن ذلك - أي الزهد - بلفظ الصوف، لأنّ لبس الصوف يكثر في الزهاد»<sup>(٤)</sup>.  
وقال: «في أواخر عصر التابعين حدث ثلاثة أشياء: الرأي، والكلام، والتصوف... فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد وعبد الواحد (ت: ١٥٠هـ) من

(١) انظر: اللمع لأبي سراج الطوسي (ص ٤٢).

(٢) انظر: الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري، ص ٦٣.

(٣) «تلييس إبليس» ص ٢٠٠.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٩/١١.

أصحاب الحسن، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن خلدون: «إن نشأة التصوف كانت في القرن الثاني، عندما أقبل الناس على الدنيا، وانصرف أناس للزهد والعبادة فسموا بالصوفية»<sup>(٢)</sup>.

### المناقشة والترجيح:

ما استدلّ به أبو سراج الطوسي مُنتَقِدٌ من وجوه:

١- أنّ ما ذكره من روايات يفتقر إلى الصحة، إذ ذكره بلا إسناد، وقد عُرِفَ عن الصوفية التساهل في رواية الأحاديث، وتساهلهم في رواية الآثار من باب أولى.

٢- على التسليم بصحة هذه الروايات فيمكن توجيهها بأن يقال:

• إنّ الحسن البصري توفي سنة: ١١٠ هـ؛ أي بداية القرن الثاني، فيحتمل أنه قد رأى هذا الصوفي في آخر حياته.

• إنّ سفيان الثوري ولد سنة: ٩٧ هـ، وهذا يدلّ دلالة قاطعة على أنّ التقاءه بأبي هشام الصوفي كان في القرن الثاني للهجرة<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق ٦/١١ - ٧.

(٢) مقدمة ابن خلدون، ص ٤٦٧.

(٣) انظر: «جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري في الردّ على الصوفية»،

لمحمد بن أحمد الجوير، ص ١٤٤.

ولعل الراجح - والله أعلم -:

أن بداية نشأة التصوف كانت في أوائل القرن الثاني للهجرة، حيث كان في بدايته مختلطاً بالمبالغة في الزهد والعبادة، ثم اشتهر وتطور إلى فكر مستقل له أصول وطقوسه وإشاراته، في القرن الثالث للهجرة.

### ثالثاً: أطوار التصوف

مرّ التصوف بثلاثة مراحل، هي:

المرحلة الأولى: وتشمل القرن الثاني من الهجرة النبوية، وهذه الفترة الزمنية شهدت ظهور عباد وزهاد ونسك، السمة البارزة فيهم التمسك بالمنهج الرباني والسير على منهج المصطفى ﷺ وسلامة الاعتقاد، ما عدا بعض المغالاة والتشدد في أمور العبادة<sup>(١)</sup>.

المرحلة الثانية: وتشمل القرن الثالث والرابع والخامس من الهجرة، وتميّزت هذه المرحلة بخلط الزهد بعبارات الباطنية، وانتقل فيها الزهد من الممارسة العملية والسلوك التطبيقي إلى مستوى التأمل التجريدي والكلام النظري، ولذلك ظهر في كلامهم مصطلحات: الفناء، والكشف، ووحدة الوجود، وشاع بينهم التفرقة بين الشريعة والحقيقة، وتسمية أنفسهم أرباب

(١) الردود العلمية في دحض حجج وأباطيل الصوفية، د. محمد الجوير (ص ٣٨)، وجهود علماء السلف في القرن السادس الهجري في الرد على الصوفية، د. محمد الجوير

الحقائق وأهل الباطن، وسموا غيرهم من الفقهاء أهل الظاهر والرسوم<sup>(١)</sup>.  
 المرحلة الثالثة: وتشمل القرن السادس والسابع وما بعدها، ونجد أن  
 التصوف في هذه المرحلة قد نحى فيها منحىً خطيراً؛ وذلك عندما مزج  
 أفكاره بالفكر الفلسفي، وعمد أصحابه إلى مزج أذواقهم الصوفية بأنظارهم  
 العقلية، مستخدمين في التعبير عنها، مصطلحات فلسفية<sup>(٢)</sup>.

#### رابعاً: أشهر الطرق الصوفية:

تطلق (الطريقة) عند الصوفية على معنيين:

- ١- السبيل الذي يسلكه الصوفي لقطع المنازل، والترقي في المقامات،  
 وممارسة الرياضات<sup>(٣)</sup>.
  - ٢- وتطلق الطريقة ويراد بها: جماعة صوفية، لها شيخ تنتسب إليه،  
 وتخضع لفكره وتوجيهه، أو تعاهد خليفته أو نائبه على الالتزام بالورد،  
 والطاعة الدائمة للشيخ، والولاء للطريقة<sup>(٤)</sup>.
- والطريقة بهذا المعنى هي المقصودة في هذا البحث.

---

(١) طلائع الصوفية، أبو العزائم جاد الكريم بكير (ص ١٠).  
 (٢) انظر: «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب» ١/ ٢٥٠، الردود العلمية في دحض  
 حجج وأباطيل الصوفية، د. محمد الجوير، ص ٥٤.  
 (٣) انظر: «اصطلاحات الصوفية»، لعبد الرزاق القاشاني، ص ٨٥.  
 (٤) انظر: «الطرق الصوفية في مصر» لأبي الوفا التفتازاني، ص ٢٠.

وقد بدأ تكوين الطرق الصوفية في نهاية القرن الثاني للهجرة، حين التفّ جماعة من الأتباع والمريدين حول شيوخ التصوّف الأوائل<sup>(١)</sup>. وهذه الطرق المتعدّدة ليست فرقاً مختلفة العقائد، متباينة الأهداف، فالتصوّف مهما تعدّدت طرقه؛ مذهب واحد يتفق في الأصول والأهداف.

يقول ابن عجيبة الفاسي الصوفي: «... بخلاف مذهب الصوفية؛ فهي متفقة في المقصد والعمل وإن اختلفت المسالك، فمرجع كلام القوم في كل باب لأحوالهم، وإلا؛ فلا تنافي بين أقوالهم لمن تأملها، وذلك بخلاف مذهب غيرهم، والوجه فيه أن الحق واحد، وطريقه واحدة، وإن اختلفت مسالكها فالنهاية واحدة، والذوق واحد... ومذهب الصوفية هو الاتفاق في الأصول والفروع، أما الأصول فنهايتهم الشهود والعيان، وهم متفقون فيه؛ لأنه أمر ذوقي لا يختلف»<sup>(٢)</sup>.

والخلافات الموجودة بين الطرق الصوفية، هي في الرسوم العملية، والنواحي الشكلية، كالزّي والأوراد، والأحزاب، وصفة الخلوة، وسند الطريقة، أما صلب العقيدة، وحقيقة المنهج فهم متفقون عليه<sup>(٣)</sup>.

(١) ومن هذه الطرق: الطيفورية: نسبة لأبي يزيد طيفور البسطامي. الخرازية: نسبة لأبي سعيد لخراز. الجنيديّة: نسبة للجنيدي بن محمد. وكل هذه الطرق اندثرت، ثم نشأت طرق أخرى أكثر تنظيمًا بداية من القرن السادس الهجري، انظر: «عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية»، لأحمد بن عبد العزيز القصير، ص ١٨٣.

(٢) «الفتوحات الإلهية شرح المذاهب الأصلية»، لأحمد بن عجيبة الفاسي، ص: ١٠١.

(٣) انظر: «المدخل إلى التصوف الإسلامي»: لأبي الوفا التفتازاني، ص ٢٨٦.

## ومن أشهر الطرق الصوفية:

١- القادرية: مؤسسها هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني (ت: ٥٦١هـ)، اشتغل بالتدريس والوعظ ونشر التصوّف، نسب إليه أنواع الرياضات والمجاهدات والقول بالحلول ووحدة الوجود، وتعدّ القادرية أصلاً لكثير من الطرق التي نشأت بعدها، كالعدوية، والمدينية، والرفاعية، والخلوتية، وغيرها.

٢- الأحمدية (الرفاعية، البطائحية): نسبة لأحمد بن أبي الحسن الرفاعي المغربي ثم البطائحي، (ت: ٥٧٨هـ). وقد انتسب إليه جماعة كثير؛ فيهم الزغل والدخن، وظهر فيهم الشرك والغلو، كجعلهم روح الرفاعي مركبة من خلاصة أرواح الأنبياء، بل ومن نور وجه الله تعالى، واعتقاد تصرفه في الكون، وأنه كعبة القاصدين، وغير ذلك من أنواع الغلو والشرك.

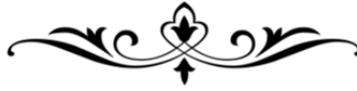
٣- الشاذلية: طريقة صوفية تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي (ت: ٦٥٦هـ)، يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية، وإن كانت تختلف عنها في سلوك المريدين وطريقة تربيته بالإضافة إلى اشتغالهم بالذكر المفرد (الله) أو مضمراً (هو).

٤- التيجانية: وهي فرقة صوفية يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية، ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي ﷺ، مقابلة مادية، واللقاء به لقاءً حسيّاً في هذه الدنيا، وأن النبي ﷺ قد خصهم بصلاة (الفتاح لما أُغلق) التي تحتل لديهم مكانة عظيمة.

مؤسسها هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد سالم التيجاني، وقد عاش ما بين (١١٥٠هـ) و(١٢٣٠هـ) بالمغرب العربي.

٥- الختمية: هي طريقة صوفية، تلتقي مع الطرق الصوفية الأخرى في كثير من المعتقدات، مثل: الغلو في شخص الرسول ﷺ، وادعاء لقياه وأخذ تعاليمهم وأورادهم وأذكارهم التي تميزوا بها عنه مباشرة. هذا إلى جانب ارتباط الطريقة بالفكر والمعتقد الشيعي وأخذهم من أدب الشيعة وجدالهم، ومحاولة المعاصرين منهم ربط الطائفة بالحركة الشيعية المعاصرة.

تأسست على يد محمد عثمان بن محمد أبو بكر بن عبد الله الميرغني المحجوب المكي (١٢٦٨هـ) ويلقب (بالختم) إشارة إلى أنه خاتم الأولياء<sup>(١)</sup>.



(١) انظر: التجانية، د. علي بن محمد آل دخيل الله، ص ٤٤، والصوفية في نظر الإسلام،

عاطف سميح الزين، ص ٥٤٤، و«الموسوعة الميسرة» ص ٢٧٥ - ٣٠٣.

## المطلب الأوّل

### أصول التلقّي عند الطرق الصوفيّة

مصادر التلقّي الرئيّسة عند الطرق الصوفيّة ترجع إلى ثلاثة مصادر، وهي: الكشف، والذوق، والوجد، وتحت كلّ منها: أقسام، ودرجات. وقد خالفت الصوفيّة بهذه المصادر كتابَ الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وقدموها عند التعارض. وفيما يأتي عرض لهذه المصادر:

#### أولاً: الكشف:

##### أ- تعريفه:

«هو الاطلاع إلى ما وراء الحجاب، من المعاني الغيبية، والأمر الحقيقية وجودًا وشعورًا»<sup>(١)</sup>. وهو بذلك يشمل عندهم العلوم الكونية والأحكام الشرعية.

والكشف بهذا المعنى جعل الصوفيّة يزهدون في علوم الشريعة، ويتكلون على هذا الكشف المزعوم في معرفة أحكام الدّين<sup>(٢)</sup>.

قال أبو الحسن الشاذلي: «علوم النظر أو هام، إذا قرنت بعلوم الإلهام»<sup>(٣)</sup>.

(١) التعريفات، للجرجاني، ص ٢٣٧.

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي ١/ ١٠٤.

(٣) «اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر» للشعراني ١/ ٢٨، نقلًا عن «المصادر العامة

للتلقّي عند الصوفيّة»، ص ٢١٢.

وقال الغزالي -مقرراً منهج الصوفية في الاستدلال بالكشف-: «هم الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسمع، ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة، فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف أولوه»<sup>(١)</sup>.

### ب- أقسام الكشف وأنواعه:

#### ١- رؤية النبي ﷺ ولقائه يقظة بعد موته:

ويعتبر من أوثق المصادر التي يستقي منها الصوفية علومهم ومعارفهم، وقد أعمت كتب التراجم الصوفية بذكر ما تمّ بينهم وبين النبي ﷺ من السؤالات، والمباحثات، والمصافحات، والمبايعات، وغير ذلك من الأمور.

قال الشعراني عن أحمد الزواوي: «وقال لي مرة: إن طريقنا أن نكثر من الصلاة على النبي ﷺ، حتى يصير يجالسنا يقظة، ونصحه مثل الصحابة، ونسأله عن أمور ديننا، وعن الأحاديث التي ضعفها الحفاظ عندنا، ونعمل بقوله ز فيها»<sup>(٢)</sup>.

ويدعي أهل التصوف التلقي عن النبي ﷺ: الأوراد والأدعية والأذكار، ومناقب الشيوخ وطرائقهم وأتباعهم، وتفسير بعض الآيات القرآنية

(١) المصدر السابق ٣/ ٧٦.

(٢) «لواقح الأنوار القدسية» للشعراني، ١/ ١٥٧.

وتصحيح الأحاديث، وأخذ الأحكام الشرعية، وغير ذلك<sup>(١)</sup>.

## ٢- إهداء لقاء الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ:

من تصفّح كتب الصوفية، وجد أنّ شخصية الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ، حظيت لديهم باعتراف بالغ، بحيث أصبح الأخذ عنه ولقياه عندهم، أمراً لا يقبل اللجاج، بل واستفاضت به الأخبار، قال ابن عطاء الله السكندري الصوفي: «واعلم أنّ بقاء الخضر قد أجمع عليه هذه الطائفة، وتواتر عن أولياء كل عصر لقاءه، والأخذ عنه، واشتهر ذلك إلى أن بلغ الأمر حدّ التواتر الذي لا يمكن جحده، والحكايات في ذلك كثيرة..»<sup>(٢)</sup>.

وأخبار القوم في لقيا الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ، والأخذ عنه سائر الأمور والأحكام، مبثوثة في بطون كتبهم يتعدّد حصرها<sup>(٣)</sup>.

## ٣- الإلهام (العلم اللدني):

«وهو ما يلقي في الروع، بطريق الفيض من علم من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجّة»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر هذه اللقاءات والاجتماعات على سبيل المثال في كتاب: «المصادر العامة للتلقيني عند الصوفية»، ص ٢٢٩ - ٢٣٨، فقد أسهب في ذكر أمثلة لها من كتب القوم.

(٢) لطائف المنن، لابن عطاء السكندري، ص ١٥١.

(٣) انظر على سبيل المثال هذه الأخبار والحكايات في «الرسالة القشيرية»، ص ٥١، ٧٧،

١٦٦، ١٧٢، و«طبقات الكبرى للشعراني»، ١/ ٧٦، ٨٢، ٩١، ٩٨، ١٤٧، ١٥٤...

(٤) «التعريفات» للجرجاني، ص ٥١.

والإلهام عند الصوفية سمي للوحي، فلا فرق عندهم بين وحي الأنبياء وإلهام الأولياء.

قال الغزالي: «ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك، بل في مشاهدة الملك المُلقى للعلم، فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو يزيد البسطامي: «أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، يقول أمثالنا: حدثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون، حدثني فلان، وأين فلان؟ قالوا: مات»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو المواهب الشاذلي الصوفي: «لا إنكار على من قال: حدثني قلبي عن ربي، لأن المراد أخبرني قلبي عن ربي من طريق الإلهام الذي هو وحي الأولياء»<sup>(٣)</sup>.

### والإلهام عند الصوفية درجات:

الأول: الإلهام عن طريق ملك يلقي العلم للشخص الملهم، كما قال الغزالي آنفاً.

والثاني: الإلهام للعبد من الوجه الخاص بين كل إنسان وربّه عز وجل،

(١) «إحياء علوم الدين» ٢١/٣.

(٢) «الفتوحات المكية» لابن عربي ١/٣٦٥.

(٣) طبقات الكبرى للشعراني ٦٨/٢.

بارتفاع الوسائط، فلا يعلم به أحد، ولا ملك الإلهام أيضًا<sup>(١)</sup>.

والإلهام عند الصوفية موجب لردّ الوحي، وتقرير الأحكام وتبديل الشرع، بدعوى التلقي عن الله مباشرة، كما أورد الشعراني ذلك عن كبارهم<sup>(٢)</sup>.

وقد أفرد المتصوفة كتبًا بثوا فيها ما ادعوه من تلقي العلم عن الله بالإلهام، ومن ذلك كتاب الفتوحات المكية لابن عربي، حيث قال: «فوالله ما كتبت منه حرفًا، إلا عن إملاء إلهي، وإلقاء رباني، أو نفث روحاني في روع كياني»<sup>(٣)</sup>.

#### ٤ - الفراسة:

الفراسة عند الصوفية ليست هي الفراسة الخلقية التي تعني الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأخلاق الباطنة، كالأستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل، بل التي يعنونها هي: الفراسة الإلهية، أو الإلهامية، وهي نور إلهي في عين بصيرة المؤمن، يعرف به حال الناس وما في نفوسهم، من غير أن يحصل هناك علامة جسمانية، ولا أمانة محسوسة، وذلك لإشراق النفوس الصافية، التي وهبت هذه القوة القدسية، فأدركت بها الغيوب<sup>(٤)</sup>.

(١) «اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر» للشعراني ٢ / ٨٤، نقلًا عن «المصادر العامة

للتلقي عند الصوفية»، ص ٢٧٥.

(٢) انظر: طبقات الشعراني ١ / ١٧٣.

(٣) الفتوحات المكية، لابن عربي ٣ / ٤٥٦.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية، ص ١٠٥.

فالفراصة عند الصوفية من جملة وسائل الاطلاع على البواطن والكشف عن خواطر المريدين، لتنبههم على ما يحسن الوقوف معه من هذه الخواطر، وما ينبغي أطراحه، قال السهروردي: «فللشيخ إشراف على البواطن، وتنوع الاستعدادات، فيأمر كل مرید من أمر معاشه، ومعاذه ما يصلح له»<sup>(١)</sup>.

وقال الغزالي: «وما حكى من تفرس المشايخ، وإخبارهم عن اعتقادات الناس، وضمائرهم، يخرج عن الحصر»<sup>(٢)</sup>.

#### ٥- الهواتف:

الهاتف: هو سماع خطاب بواسطة الأذن، يسمع الصوت، ولا يرى صاحبه، بمنزلة الأعمى، يسمع الخطاب ولا يرى المتكلم به، وقد يكون يقظة أو مناماً أو بين ذين<sup>(٣)</sup>.

وقد اعتنت دواوين التصوّف بتسجيل وقائع الهواتف التي اتفقت لهم أو لمشايخهم، أو لغيرهم من المترجمين، وما ذاك إلا لعظيم منزلتها عندهم، فهي تنبههم على آفات النفوس، وترشدتهم إلى تصحيح المعاملات، وهي مصدر لأنواع من المعارف عندهم.

(١) انظر: «عوارف المعارف» ص ٨١.

(٢) إحياء علوم الدين ٣ / ٢٥.

(٣) انظر: إحياء علوم الدين ٢ / ٢٦٨، وانظر تعريفات أخرى في كتاب: المصادر العامة

للتلقي عند الصوفية»، ص ٢٨٥.

والتنبيه على الآداب المتعلقة بالعبودية، والإرشاد إلى الفضائل ومعالي الأخلاق، وغير ذلك من الأمور.

قال الشعراني: «سمعت إبراهيم الخواص يقول: طلبت الحلال في كل شيء حتى طلبته في صيد السمك، فأخذت قصبه وجعلت فيها شعراً وجلست على الماء فألقيت الشصّ، فخرجت سمكة فطرحتها على الأرض وألقيت الثانية، فخرجت لي سمكة فأنا أطرحها الثالثة، إذا من ورائي لطفة لا أدري من يد من هي ولا رأيت أحداً، وسمعت قائلاً يقول: أنت لم تصب رزقاً في شيء إلا أن تعمد إلى من يذكرنا فتقتله، قال: فقطعت الشعر وكسرت القصبه وانصرفت»<sup>(١)</sup>.

والهاتف عند الصوفية أنواع، وهو لا يخلو إما أن يكون<sup>(٢)</sup>:

- أ- ملكاً.  
ب- أو ولياً من الأولياء.  
ج- أو جنّاً صالحاً.  
د- أو الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ.  
هـ- أو الله عز وجلّ.  
و- أو إبليس لعنه الله.

#### ٦- الإسراءات والمعاريح:

قال الشعراني في تعريفها: «قد صرّح المحققون بأن للأولياء الإسراء

(١) الرسالة القشيرية، ص ٨٤.

(٢) انظر: أقسام هذه الهواتف، وأمثلة لها في كتب القوم، مثل: طبقات الشعراني ٧/٢، والرسالة القشيرية، ص ٨٤، وقد ألف ابن أبي الدنيا كتاباً أسماه: الهواتف. ذكر فيه بعض الأمثلة لهواتف الملك والجن وغيرهم.

الروحاني إلى السماء، بمثابة المنام يراه الإنسان، ولكل منهم مقام معلوم لا يتعداه، وذلك حين يُكشف له حجاب المعرفة، فكل مكان كُشف فيه الحجاب: حصل المقصود به، فمنهم من يحصل له ذلك بين السماء والأرض، ومنهم من يحصل له ذلك المقصود في السماء الدنيا، ومنهم من ترقى روحه إلى سدرة المنتهى، إلى الكرسي، إلى العرش»<sup>(١)</sup>.

وقد اعتنى المتصوفة بهذه الإسراءات والمعاريج، وألفوا فيها الكتب الكثيرة، مثل: معراج ابن عربي، المسمى: «الإسراء إلى مقام الأسرى»، وإسراء عبد الكريم الجيلي المذكور في كتابه: «الإنسان الكامل»، وغيرها<sup>(٢)</sup>.

ويحرص مشايخ الصوفية على وصف معاريجهم على نحو معراج النبي ﷺ، حيث يجعلون هذه الإسراءات والمعاريج على أحوال عدّة: إما بمثابة المنام يراه النائم، أو بين النوم واليقظة، أو يقظة بالروح والجسد<sup>(٣)</sup>.

وهم يزعمون في هذه المعاريج تلقي التكاليف والأحكام الشرعية، وتفسير النصوص، والبشارة بالمناقب، وغيرها.

## ٧- الكشف الحسي:

ومرادهم به: «هو الكشف عما وراء الحجب الحسيّة، العلوية والسفلية،

(١) كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان، للشعراني، بواسطة: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، ص ٢٩٣.

(٢) انظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، ص ٢٩٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٩٧.

والاطلاع على حقائق الموجودات - من العرش إلى الفرش - إما بعين البصر، وإما بعين البصيرة»<sup>(١)</sup>.

قال ابن عربي: «... وكشف الله عن بصري وبصيرتي، فرأيت بعين البصر ما لا يُدرك إلا به، ورأيت بعين البصيرة، ما لا يُدرك إلا بها، فواخيت بين الإيمان والعيان»<sup>(٢)</sup>.

فهم يدعون رؤية أفعال الخلائق، ورؤية الغيب، وملكوت السماوات والأرض، بعين البصر، وبعين البصيرة<sup>(٣)</sup>.

#### ٨- الرؤى المنامية:

أقام الصوفيّة المنامات مقام الحقائق، وجعلوها مصدرًا للتشريع، فأحلوا بها الحرام، وحرّموا الحلال، وأولوا النصوص<sup>(٤)</sup>.

قال الشاطبي: «وأضعف هؤلاء احتجاجًا قوم استندوا في أخذ الأعمال

(١) انظر: إحياء علوم الدين ١٣/٣.

(٢) الفتوحات المكية ٣/٣٢٣.

(٣) انظر: أمثلة لمقالاتهم وحكاياتهم في كتاب: المصادر العامة للتلقّي عند الصوفية، ص ٢٩٥ - ٣٠٧.

(٤) وقد صنّف الصوفية تصانيف كثيرة في منامات الأولياء والأقطاب، مثل: «المنامات» لعلي بن عمر القرشي الشاذلي، و«الإلهامات في رؤيا المنامات» لعقيل بن عمر العلوي المكي، انظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة ٢/١٨٤٥، و«هدية العارفين» للباباني ٣٥٢/١.

إلى المقامات، وأقبلوا وأعرضوا بسببها، فيقولون: رأينا فلاناً الرجل الصالح، فقال لنا: اتركوا كذا واعملوا كذا، ويتفق مثل هذا كثيراً للمتمرسين برسم التصوف»<sup>(١)</sup>.

قال أحمد بن إدريس الصوفي: «من رأى النبي ﷺ فقد رآه حقاً، وإن كان على غير صورته، وإذا أمره، أو نهاه عن شيء، فإن كان في الصورة المنعوت بها ﷺ فما أمره به في النوم: كأمره في اليقظة، وأنه يُتبع، وكذلك ما نهى عنه»<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: الذوق:

ورد تعريفه في «معجم مصطلحات الصوفية»، بأنه: «نور عرفاني، يقذفه الحق، بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون فيه بين الحق والباطل، من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره... وأول التجليات: الذوق»<sup>(٣)</sup>.

فالذوق عند الصوفية حالٌ يفجأ العبد في قلبه، وهو نور يحصل في قلوب الأولياء بسبب تجلي الله فيها - حسب زعمهم -، وهو أول مبادئ التجلي، وليس لبصر العين، وسمع الأذن فيه نصيب.

(١) «الاعتصام» للشاطبي ١/ ١٨٩.

(٢) سعادة الدارين، ص ٤٦٩، نقلاً عن كتاب: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، ص ٣١٠.

(٣) معجم مصطلحات الصوفية، للحفني، ص ١٠٤.

والذوق عند الصوفية له إطلاقان: عام وخاص.

• **الذوق العام:** ينتظم تحته جميع الأحوال والمقامات، بل يرى الغزالي أنه بإمكان السالك، أن يتذوق حقيقة النبوة، ويدرك خاصيتها، بالمنازلة، لا عن تسامع وتخابر فقط<sup>(١)</sup>.

• **الذوق الخاص:** يرتبط عندهم بالتجليّ الإلهي<sup>(٢)</sup>، على تفاوت درجات التجليّ التي يذكرونها، فأول مبادئ التجليّ عندهم يسمى الذوق، ثم الشرب، ثم الريّ.

يقول ابن عربي: «اعلم أنّ لكلّ تجلّ مبدأ، هو ذوق لذلك التجليّ، وهذا لا يكون إلا إذا كان التجليّ الإلهي في الصور، أو في الأسماء الإلهية...»<sup>(٣)</sup>.

واحتجاج الصوفية بالأذواق: أمرٌ معلوم، فإنهم يستدلون به على تصحيح كثير من الأحوال، وذلك لما قد يجدونه من آثار ولذة، يرون فيها مصلحة لأديانهم، كمن يستدلّ على حلّ السماع الصوفي، لما يذوقه من أثره على نفسه، من تصحيح لحال، أو تهيبج لشوق إلى الله تعالى، ونحو ذلك.

قال ابن القيم: «فهؤلاء الاتحادية - وهم أكفر الخلق - يحتجون بالذوق والوجد على كفرهم وإلحادهم... ويقول القائل ثبت عندنا بالكشف

(١) انظر: المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، للغزالي، ص ١٤٧ - ١٥٠.

(٢) التجليّ هو: إشراق أنوار إقبال الحقّ على قلوب المقبلين عليه، وقيل: ما ينكشف

للقلوب من أنوار الغيوب، انظر: «معجم مصطلحات الصوفية»، ص ٤١ - ٤٣.

(٣) الفتوحات المكية ٢/ ٥٤٨.

والذوق ما يناقض صريح العقل... وهذا الاحتجاج قد سلكه أرباب السماع المحدث الشيطاني الذي هو محض شهوة النفس وهوها، واحتجوا على إباحة هذا السماع بما فيه من الذوق والوجد واللذة»<sup>(١)</sup>.

وهذا الذوق يجعلونه حاكمًا لا محكومًا عليه في كثير من الأمور، ويقدمونه على النصوص الشرعية، ويؤولونها وفقًا لأذواقهم، ولهذا قال قائلهم: «الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسمع - يريد الأدلة الشرعية - فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه، وما خالف أولوه»<sup>(٢)</sup>.

### ثالثًا: الوجد:

الوجد كما عرّفه الجرجاني هو: «ما يصادف القلب، ويرد عليه بلا تكلف وتصنع، وقيل هو بروق تلمع ثم تخدم سريعًا»<sup>(٣)</sup>.

وقد اضطربت أقوال الصوفية في تحديد مفهوم الوجد عندهم، وحاول الغزالي تلخيص زبدة أقوالهم فقال: «والأقاويل المقررة في السماع والوجد كثيرة... فلنشتغل بتفهم المعنى الذي الوجد عبارة عنه، فنقول: إنه عبارة عن حالة يثمرها السماع، وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه، وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين: فإنها إما أن ترجع إلى مكاشفات

(١) مدارج السالكين، لابن القيم ٤٤٢/٣.

(٢) إحياء علوم الدين ١/١٠٤.

(٣) التعريفات للجرجاني، ص ٣٢٣.

ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبيهات، وإما أن ترجع إلى تغيرات وأحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف والحزن...، وهذه الأحوال يهيجها السماع ويقويها...، فقد يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه»<sup>(١)</sup>.

ويستعان لتحقيق الوجد عند الصوفية، بوسائل صناعية، كآلات اللهب والطرب، من الأوتار المصوتات، والدفوف، ويصاحب ذلك أصوات القوالين، بالأشعار المطربة والملحنة، فيكون لذلك تأثير على النفوس - بسكرها - أشدّ مما يصيب العقل من شراب الخمر في الكؤوس، فتستغويهم الشياطين، بإلقاء ما قد يظنونه مكاشفات رحمانية، وعلوماً عرفانية ربانية، حصلت في قلوبهم، يزعمون أنها حديثة العهد بربها، لا كعلوم أهل الرسوم، متوارثة جيلاً عن جيل، وميتاً عن ميت<sup>(٢)</sup>.

فالوجد عند الصوفية سبب لانكشاف الأمور الغيبية، حيث اعتبروه من مصادر التلقّي عندهم، التي بنوا عليها اعتقاداتهم وسلوكياتهم.

#### رابعاً: المصادر الثانوية:

هناك مصادرٌ غير ما تقدّم يتلقى عنها الصوفية، وهي كثيرة متنوّعة، من أبرزها ما يأتي:

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ٢٩٣.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين ٢/ ٢٩١، والرسالة القشيرية، ص ٥٢٣.

## ١ - أقوال وأفعال المشايخ والأقطاب:

أضفى الصوفية على أقوال وأفعال مشايخهم صفة القدسية، واعتقدوا فيها العصمة من الخطأ والزلل والنسيان، وجعلوها المعين الذي يستقون منه علومهم ومعارفهم.

قال القشيري: «إن هؤلاء -الصوفية- حججهم في مسائلهم أظهر من حجج كل أحد، وقواعد مذهبهم أقوى من قواعد كل مذهب، والناس: إما أصحاب النقل والأثر، وإما أرباب العقل والفكر، وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة؛ فالذي للناس غيب، فهو لهم ظهور..... فهم أهل الوصال، والناس أهل الاستدلال»<sup>(١)</sup>.

## ٢ - تلقي المريدين عن أشياخهم المقبورين:

وعن ذلك يقول علي الخواص الصوفي: «إنما كان مشايخ القوم يُجيبون تلامذتهم من قبورهم؛ دون مشايخ الفقهاء، في الفقه، لصدق الفقراء في اعتقادهم في أشياخهم، دون الفقهاء»<sup>(٢)</sup>.

وزعم الشعرائي أنه زار قبر أبي العباس الحريثي، فرآه خرج من القبر، وقال له: عليك بالصبر، ثم اختفى<sup>(٣)</sup>.

(١) «الرسالة القشيرية» ص ٥٧٠.

(٢) طبقات الكبرى للشعرائي ١٥٤ / ٢.

(٣) المصدر السابق ١٧١ / ٢.

### ٣- التلقّي عن الأنبياء عليهم السلام - غير نبينا ﷺ -:

فقد زعم المتصوفة تلقي أنواعاً من العلوم عن الأنبياء، ولقائهم بهم، كإبراهيم وذكرياء ويونس، قال الغزالي: «ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات، والمشاهدات، حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتاً، ويقتبسون منهم فوائد»<sup>(١)</sup>.

### ٤- ادعاء رؤية الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ:

حيث يدعي بعضهم أن القطب يجتمع في الديوان، بالخلفاء الأربعة الراشدين، والحسن والحسين، وفاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ. وزعم الصيادي الصوفي أنه رأى أبا بكر الصديق، فعلمه دعاء الخاشعين، ورأى علياً فطلب منه أن يسمعه حزب الوسيلة لأحمد الرفاعي<sup>(٢)</sup>.

(١) المنقذ من الضلال، ص ١٤٠.

(٢) انظر: بوارق الحقائق، ص ٤٠٢، بواسطة: المصادر العامة للتلقّي عند الصوفية،

## المطلب الثاني

### الأصول العقديّة عند الطرق الصوفية

توطئة:

لقد تطوّر الفكر الصوفي في باب الاعتقاد، فبعد أن كان أوائل المتصوفة على مذهب أهل السنة والجماعة، ترقى بهم الحال إلى التأثر بعلم الكلام، ثم انتهى بهم الحال إلى اعتقاد الفلاسفة والملاحدة.

وهذا الطور الأخير هو الذي سار عليه جمهور المتصوّفة بعد ذلك، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والجنيد رَحِمَهُ اللهُ تكلم بكلام الأئمة العارفين، فإن كثيراً من الصوفية وقعوا في نوع من الحلول والإنحاد، كما ذكر ذلك أبو نعيم في الحلية، وكما ذكره القشيري في رسالته.

والشيوخ الأكابر الذين ذكرهم أبو عبد الرحمن السلمي في: (طبقات الصوفية)، وأبو القاسم القشيري في (الرسالة) كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة ومذهب أهل الحديث؛ كالفضيل بن عياض، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري، وعمرو بن عثمان المكي، وأبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي وغيرهم، وكلامهم موجود في السنة وصنفوا فيها الكتب.

لكن بعض المتأخرين منهم كان على طريقة بعض أهل الكلام في بعض فروع العقائد، ولم يكن فيهم أحد على مذهب الفلاسفة، وإنما ظهر

التفلسف في المتصوفة المتأخرين، فصارت المتصوفة:

١- تارة على طريقة صوفية أهل الحديث، وهم خيارهم وأعلامهم.

٢- وتارة على اعتقاد صوفية أهل الكلام، فهؤلاء دونهم.

٣- وتارة على اعتقاد صوفية الفلاسفة، كهؤلاء الملاحدة<sup>(١)</sup>.

وعليه؛ فقد استقر غلاة الصوفية من المتأخرين على جملة من أصول العقائد المنحرفة، وفي ذلك يقول الهجويري -وهو أحد أقطاب الصوفيّة-: «ومهما كانوا -أي الصوفية- مختلفين في المعاملات والمجاهدات والمشاهدات والرياضات، فإنّهم موافقون ومتفقون في أصول وفروع الشرع والتوحيد»<sup>(٢)</sup>.

ومشايع الطرق الصوفية عادة ما يخفون عقائدهم عن العامّة، ولا يبدو منها إلا النزر القليل، وفي ذلك يقول الجنيد: «لا ينبغي للفقير -أي الصوفي- قراءة كتب التوحيد الخاص إلا بين المصدّقين لأهل الطريق، أو المسلّمين لهم»<sup>(٣)</sup>.

وكان الجنيد لا يتكلّم في علم التوحيد الصوفي إلا في قعر بيته، بعد أن يغلق أبواب داره ويأخذ مفاتيحها تحت وركه، ويقول: «أتحبون أن يكذب

(١) الصفديّة، لابن تيمية ١/ ٢٦٥ - ٢٦٦.

(٢) كشف المحجوب، للهجويري ٢/ ٤٠٣.

(٣) الطبقات الكبرى، للشعراني ١/ ١١.

الناس أولياء الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

ويقرّر علماء الصوفية أنه لن يبلغ الصوفي درجة الكمال حتى يكون ملازمًا للتقية، وذلك بأن يكون له عقيدتان:

١ - عقيدة ظاهرة، يعلنها أمام الناس، يبين لهم موافقته لهم على معتقدتهم.

٢ - عقيدة باطنة، يدين بها في قلبه، ويخفيها عن عامة الناس.

يقول ابن عجيبة: «والتحقيق: أن التعلّق بأوصاف الربوبية يكون في الباطن، والتحقق بأوصاف العبودية يكون في الظاهر»<sup>(٢)</sup>.

ولكن رغم ذلك ظهرت بعض العبارات الدالة على معتقد القوم، وفيما يأتي بيان لحقيقة هذه الأصول.

**أولاً: وحدة الوجود (الحلول والاتحاد):**

وحدة الوجود عقيدة كبرى عند الصوفية، تعني - بأوجز عبارة -: أن الله تعالى والعالم شيء واحد!

قال الغزالي: «جميع الموجودات مرآة للوجود الحقّ، فالظاهر بذاته هو الله سبحانه، وما سواه آيات ظهوره ودلائل نوره»<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق.

(٢) إيقاظ الهمم شرح متن الحكم، لابن عجيبة، ص ٢٣٤.

(٣) «معارج القدس في مدارج معرفة النفس» للغزالي، ص ٥.

ومن أفراد هذا الاعتقاد - عندهم - ما يأتي:

• اعتقادهم عدم الكائنات: حيث يدعي المتصوّفة أنّ الله تعالى هو الذي له الوجود وحده، أما الكائنات والمخلوقات فهي معدومة أزلاً وأبداً، ويرون أنّ عقول غير الصوفية تتوهم وجود المخلوقات.

يقول الجيلي - الصوفي -<sup>(١)</sup>:

ليس الوجود سوى خيال عند  
يدري الخيال بقدره المتعاضم  
ويقول ابن عربي: «الكون خيال»<sup>(٢)</sup>.

• اعتقادهم أنّ الكائنات هي الله تعالى: ينكر المتصوّفة وجود الكائنات؛ لاعتقادهم أنها كلها هي الله تعالى.

يقول القاشاني: «كل خلق تراه العيون فهو عين الحقّ، ولكن الخيال المحجوب سمّاه خلقاً، لكونه مستوراً بصورة الخلقية»<sup>(٣)</sup>.

ويقول النابلسي: «وما هما - أي: الخالق والمخلوق - اثنان، بل عين واحدة»<sup>(٤)</sup>.

• اعتقادهم تجلّي الله في صور المخلوقات: يعتقد المتصوّفة أنّ الله تعالى

(١) الإنسان الكامل، للجيلي ٢/ ٤٠.

(٢) فصوص الحكم، لابن عربي، ص ٢٤٣.

(٣) شرح فصوص الحكم، للقاشاني، ص ١٥٢.

(٤) حكم شطح الولي، للنابلسي، ص ١٩٦.

يظهر في صور المخلوقات المختلفة، لا بمعنى يحلّ أو يتحد بالمخلوق، وذلك لأنّ الله كان وجودًا مطلقًا، ليس له اسم ولا صفة، ثم أراد أن يرى نفسه في مرآة هذا الوجود، وأن تظهر أسماؤه وصفاته.

يقول أحمد الفاروقي السرهندي: «التوحيد الوجودي: أن يعلم السالك ويعتقد الموجود واحدًا، ويعتقد ويظنّ غيره معدومًا، وأن يزعم أن الغير مع اعتقاده عدميته، مجالي ذلك الواحد ومظاهره»<sup>(١)</sup>.

• ادعائهم بأنّ الكائنات الدنسة هي الله تعالى: صرح أئمة الصوفية بأنّ الكائنات الدنسة السافلة هي الله في الحقيقة، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

يقول ابن سبعين: «اختلط - الله تعالى - في الإحاطة الزوج مع الفرد، واتحد النجو - وهو الغائط - مع الورد»<sup>(٢)</sup>.

ويقول الششتري - متغزّلاً بالذات الإلهية -<sup>(٣)</sup>:

محبوبى قد عمّ الوجود      وقد ظهر في بيض وسود  
وفي النصارى مع اليهود      وفي الخنازير والقروود

• وحدة الوجود هي غاية التصوّف: إنّ المعنى الحقيقي للتصوف -

(١) المكتوبات، لأحمد السرهندي ٥٦/١.

(٢) رسائل ابن سبعين، ص ١٤٣.

(٣) إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لابن عجيبة، ص ٥٥.

قديمه وحديثه-: هو: الرياضات النفسية التي يقوم بها السالك، ليستشعر من خلالها اندماج كل شيء في الوجود الإلهي، أو ليحس أنه هو والكون والله شيء واحد، حتى يفنى - بزعمهم - وجوده البشري الموهوم، في الوجود الحق الإلهي.

قال النفري في شرح الحكم العطائية - عن وحدة الوجود-: «وهذا المعنى الذي ضمّنه المؤلف هذه المسألة هو الغرض الأقصى، الذي هو مرمى نظر الصوفية، وكل ما صنّفوه ودونوه وأمروا به ونهوا عنه؛ من أفعال وأقوال وأحوال، إنما هي وسائل إلى هذا المقصد الشريف، والمقام المنيف.. وليس هو المقصود لهم بالذات، وإنما غرضهم من ذلك ما يلزم عنه من انفراد الله تعالى بالوجود»<sup>(١)</sup>.

● عقيدة وحدة الوجود هي عقيدة سائر الطرق الصوفية: وهذه نماذج من مقالات أعلامها ومؤسسيها.

القادرية: يقول عبد القادر الجيلاني: «الحمد لله الذي وُجد في كل شيء، وحضر عند كل شيء»<sup>(٢)</sup>.

الشاذلية: يقول أبو الحسن الشاذلي: «اللهم زجّ بي في بحار الأحدية، وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة، حتى لا أرى

(١) غيث المواهب العلية للنفري ١/ ٢٨٨.

(٢) الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية، جمع إسماعيل القادري، ص ٣٨.

ولا أسمع ولا أحس إلا بها»<sup>(١)</sup>.

النقشبندية: يقول بهاء الدين النقشبندي: «التواضع للخلق لا يجوز إلا إذا نظرت إليهم بأنهم مظاهر للحق تبارك وتعالى، فيكون التواضع حينئذ إلى الظاهر بهم؛ لا إليهم»<sup>(٢)</sup>.

الخلوتية: يقول إسماعيل حقي الخلوتي: «للتوحيد ثلاث مراتب: توحيد المبتدئين: لا إله إلا الله، وتوحيد المتوسطين: لا إله إلا أنت، وأما الكُمَّل: فلا إله إلا أنا»<sup>(٣)</sup>.

#### • وحدة الوجود تناقض الحلول والاتحاد:

الحلول - عند من يعتقدُه-: «نزول الذات الإلهية في الذات البشرية، ودخولها فيها، فيكون المخلوق ظرفاً للخالق بزعمهم».

والاتحاد - عند من يعتقدُه-: «هو اختلاط وامتزاج الخالق بالمخلوق، فيكونا بعد الاتحاد ذاتاً واحدة»<sup>(٤)</sup>.

وعقيدة الحلول والاتحاد تناقض عقيدة وحدة الوجود؛ لأنَّ الحلول يستلزم حالاً ومحلاً، والاتحاد يستلزم شيئين يحصل اتحادهما، وهذه اثنية، وهي متفية عند الصوفية، فإذا كان الوجود واحداً فلا حلول ولا اتحاد.

(١) جامع الصلوات، ليوسف النبهاني، ص ٩٣.

(٢) الأنوار القدسية للسهنوي، ص ١٤٨.

(٣) روح البيان، لإسماعيل حقي ٢/٣٩٨.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ٢/٣٨٦، والتعريفات للجرجاني، ص ٦.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «حقيقة قول هؤلاء: إن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى، ليس وجودها غيره، ولا شيء سواه البتة، ولهذا من سماهم حلولية، أو قال هم قائلون بالحلول رأوه محجوبًا عن معرفة قولهم خارجًا عن الدخول إلى باطن أمرهم، لأن من قال: إن الله يحل في المخلوقات، فقد قال بأن المحل غير الحال، وهذا اثنيانية عندهم، وإثبات لوجودين؛ أحدهما: وجود الحق الحال. والثاني: وجود المخلوق المحل، وهم لا يقرون بإثبات وجودين البتة»<sup>(١)</sup>.

ولهذا كثرت أقوال الصوفية في ردّ الحلول والاتحاد، والقول ببطلاهما؛ قال أحمد السرهندي: الحلول والاتحاد كفر<sup>(٢)</sup>.

ورغم ذلك فقد وجدت بعض عبارات المتصوفة فيها استخدام اسمي الحلول والاتحاد، أو ما يشير إليهما، ومن ذلك:

قول الحلاج<sup>(٣)</sup>:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا  
نحن روحان حللنا بدنا  
وقوله أيضًا:

سبحان من أظهر ناسوته  
سُررنا لاهوته الثاقب  
وقول ابن عربي: «فالأحدية لله، والاتحاد للعبد»<sup>(٤)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ١٤٠.

(٢) المواهب السرمدية، لمحمد أمين كردي، ص ١٩٠.

(٣) ديوان الحلاج، ص ٤٧.

(٤) الفتوحات المكبة، لابن عربي ١١/ ٣٧١.

وإنما عنى الصوفية بلفظي الاتحاد والحلول هو وحدة الوجود، ولهذا قال ابن عربي: «إذا سمعت الاتحاد من أهل الله، أو وجدته في مصنفاتهم، فلا تفهم منه ما فهمت من الاتحاد الذي يكون بين الوجودين، فإن مرادهم من الاتحاد ليس إلا شهود الوجود الحق الواحد المطلق، الذي الكلّ به موجود، فيتحد به الكلّ من حيث كون كل شيء موجودًا به، معدومًا بنفسه، لا من حيث إن له وجودًا خاصًا أتحد به، فإنه محال»<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: تقديس المشايخ والأقطاب:

جعل الصوفية لشييوخهم مقامًا رفيعًا، واعتقدوا فيهم القداسة والولاية والعصمة، بل ربما جعلوا لبعضهم مقامًا أرفع من مقام النبوة، ومقارباً لمقام الألوهية.

واستصحب هذا الاعتقاد جملة من الانحرافات العقديّة، مثل: دعوى علم الأولياء الغيب، وقدرتهم على المنع والعطاء والإحياء والإماتة، ومن ذلك أيضًا تقديس قبور الأولياء، وصرف أنواع العبادة إليها ودعاءها من دون الله عز وجل، والأخبار عنهم في ذلك مستفيضة؛ ومن مظاهر هذا التقديس:

(١) ابن الفارض والحب الإلهي، لمحمد مصطفى حلمي، ص ٣١٩، نقلاً عن كتاب: الجلالة

## أ- اعتقادهم ربوبية الأولياء:

مما هو معلوم من الدين بالضرورة أنّ الله تعالى هو وحده خالق الكون ومالكه والمتصرف فيه، لا يشركه في ذلك أحد، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ﴾ [الإسراء: ١١١].

ولكن الصوفية اعتقدوا ربوبية الأولياء، وقد بالغوا في بيان عموم ملك القطب والغوث<sup>(١)</sup> ونفوذه وتصرفه، وجعلوه شريكاً لله في أفعاله.

فقد أشار أحمد الرفاعي إلى أنّ العارف إذا انتهى إلى مقام الغوثية، يرفع الله منزلته، فيكون عين سرّ الله في أرضه، به ينزل الغيث، وبه يُرفع البلاء، وبه تُنزل البركات، حتى لا تنبت شجرة، ولا تخضر ورقة إلا بنظره<sup>(٢)</sup>.

ومن أفراد هذا الاعتقاد ما يأتي:

• اعتقادهم أنّ الولي بإمكانه أن يقول للشيء: كن، فيكون: يقول ابن عربي: «ما ثمّ إلا عبد وربّ، والعبد لا يتميّز عن الربّ إلا بالافتقار، فإذا ذهب الله بفقره كساه حلّة الصفة الربانية، فأعطاه أن يقول للشيء كن فيكون»<sup>(٣)</sup>.

(١) القطب أو الغوث عند الصوفية، هو الخليفة الباطن وسيد أهل الزمان، انظر: تقديس

الأشخاص في الفكر الصوفي، لمحمد أحمد لوح، ١/٩٣.

(٢) انظر: قلادة الجواهر، لمحمد أبي الهدى الصيادي، ص ٢١٦.

(٣) الفتوحات المكية، لابن عربي ١١/٥٨.

• اعتقادهم أنّ الأولياء يحيون الموتى: نقل النبّهاني في معرض بيانه كرامات عبد الرحمن الجامي النقشبندي: أنه جلس في زمن الربيع على شاطئ نهر ملآن، وإذا بقتنفة ميتة قد أقبلت على وجه الماء، فأخذها مولانا الجامي، ومسح بيده ظهرها، فظهر أثر الحياة فيها، ثم لما توجه جهة المدينة أقبلت تسعى خلفه<sup>(١)</sup>.

• اعتقادهم أنه بإمكان الولي أن يهدي من أحب، هداية توفيق وإلهام: يقول علاء الدين العطار: «إنّ لي بعون الله تعالى، وبركة سيدي شاه نقشبند قوة لو توجّهت إلى جميع الخلائق لجعلتهم من الواصلين»<sup>(٢)</sup>.

ويقول أحمد السرهندي: «إنّ الله أعطاني قوة عظيمة في أمر الهداية بحيث لو توجّهت إلى خشبة لاخضرت»<sup>(٣)</sup>.

• اعتقادهم أنّ الأولياء يعلمون الغيب: يقول الدباغ: «ليس كل من يحضر الديوان من الأولياء يقدر على النظر في اللوح المحفوظ، بل منهم من يقدر على النظر فيه، ومنهم من يتوجه إليه ببصيرته»<sup>(٤)</sup>.

ويقول أيضًا: «إنّ الولي يكشف بأمور، منها: أفعال العباد في خلواتهم، ومنها مشاهدة الأرضين السبع أو السماوات السبع...»<sup>(٥)</sup>.

(١) جامع كرامات الأولياء، للنبّهاني ٢/ ١٥٤.

(٢) المواهب السرمدية، للكردى، ص ١٤٥.

(٣) المرجع السابق، ص ١٨٥.

(٤) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ١/ ٢٠٧، نقلًا عن الإبريز، ص ١٨٨.

(٥) المصدر السابق ١/ ٢١٠.

• اعتقادهم أنّ الولي المتمكن له التصرف المطلق في الأكوان: يقول ابن عربي: «ولأصحاب هذا المقام التصريف والتصرّف في العالم»<sup>(١)</sup>. وقال أحمد التيجاني: «حقيقة القطبانية: هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً، في جميع الوجود، جملة وتفصيلاً.. فهو خليفة الله في تصريف الحكم وتنفيذه.. فلا يصل إلى الخلق شيئاً كائناً ما كان من الحق إلاّ بحكم القطب»<sup>(٢)</sup>.

### ب- اعتقادهم ألوهية الأولياء:

العبادة بجميع أنواعها حقّ لله تعالى وحده، لا يجوز أن تصرف لأحد من خلقه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

فأئمة المتصوفة خالفوا أمر الله تعالى، وناقضوا كتابه، حيث شرعوا لأتباعهم عبادة الأولياء، والتقرّب إليهم بأنواع القربات، بزعم أنهم تحققوا بالألوهية، فاستحقوا العبادة، ومن نماذج ذلك:

• دعوتهم المريدين لتعظيمهم وعبادتهم: يقول علي وفا: «إذا رأى العارف -أي الولي- أنه عين معروفة -أي: عين الله- فلا بأس في تعظيم

(١) الفتوحات المكية ٣/ ٢٥٧.

(٢) جواهر المعاني، لعلي حرازم ٢/ ٨٠.

العباد له»<sup>(١)</sup>.

• زعمهم أن الشرك في الألوهية تمرين للمريد على عبادة الله: أي يعبد الولي أولاً، ثم إذا تمكّن في عبوديته تهيأ لعبادة الله.

يقول علي وفا: «اجعل نفسك عبداً لله، وكالعبد لشيخك، بحكم الواسطة»<sup>(٢)</sup>.

• دعوة الأقطاب مريديهم التوجه إليهم بأنواع العبادة:

- كالصلاة: قال أبو العباس الرميسي: «لو كان الحق سبحانه وتعالى يرضيه خلاف السنية، لكان التوجه إلى القطب الغوث أولى من التوجه إلى الكعبة»<sup>(٣)</sup>.

- والحج: يقول شيخ الطريقة البرهامية إبراهيم الدسوقي، يحث أتباعه على الحج له، بزعم أن له من القداسة والشرف مثل ما للكعبة والمسجد الحرام<sup>(٤)</sup>:

حجوا إلى فذاتي كعبة نُصبت      والسرف فيها كسر البيت والحرم  
- والدعاء: يقول أبو الحسن الشاذلي: «إذا كثرت عليك أيها المريد

(١) الطبقات الكبرى، للشعراني ٣١ / ٢.

(٢) الأنوار القدسية، للشعراني ٨ / ٢.

(٣) الطبقات الكبرى، للشعراني ١٤ / ٢.

(٤) جوهرة الدسوقي، ص ٩٦.

الخواطر والوساوس، فتوجّه بقلبك إلى شيخك»<sup>(١)</sup>.

وقال إبراهيم الدسوقي: «إذا صدق المرید مع شيخه، ونادى شيخه من مسيرة ألف عام؛ أجابه، حيًّا كان أو ميتًا، فليتوجه الصادق بقلبه إلى شيخه، في كل أمر داهمه في دار الدنيا، فإنه يسمع صوت شيخه، ويغيثه مما هو فيه»<sup>(٢)</sup>.

ودعاء المريدين لأقطابهم ومشايخهم مشتهر ومستفيض، فكتبهم ملأى بالأوراد والأدعية التي فيها استغاثة بأوليائهم من دون الله.

ومن ذلك دعاء الرفاعية لشيخهم أحمد الرفاعي<sup>(٣)</sup>:

يا رفاعي وقعت في أعتابك فتدارك عبدًا يلوذ بابك

• اعتقادهم أنّ الأولياء يغفرون الذنوب ويمحون الخطايا: فقد ادعى الصوفية أنّ الأولياء يمحوون الخطايا والذنوب عن مريديهم من اللوح المحفوظ، قال بعضهم: «لا يكون الشيخ شيخًا صوفيًّا حتى يستطيع محو خطيئة تلميذه من اللوح المحفوظ»<sup>(٤)</sup>.

وزعموا أنّ شخصًا دخل على الرفاعي وعلى جبهته مكتوب سطر

(١) الأنوار القدسية، للشعراني ١/ ١٢٠.

(٢) المرجع السابق ١/ ١٨٩.

(٣) الرفاعية، لعبد الرحمن دمشقية، ص ١٣٠.

(٤) نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية، لليافعي،

الشقاوة، فمحاها الشيخ ببركته<sup>(١)</sup>.

• **تقديسهم لقبور أوليائهم وتعظيمها:** فالطرق الصوفية دأبت على تعظيم قبور الأولياء وزيارتها، والتبرك بها، والاستعانة، وتقديم النذور والقرايين لها، والشواهد على ذلك كثيرة:

يقول الجنيد عن قبر معروف الكرخي: «قبر معروف ترياق مجرب يستسقى به، ويتبرك الناس بزيارته»<sup>(٢)</sup>.

وقال الشعراني عن حياة بن قيس الحراني: «وهو أحد الأربعة الذين يتصرفون في قبورهم بأرض العراق، وكان أهل خراسان يستسقون به فيسقون»<sup>(٣)</sup>.

### ج- اعتقادهم مشاركة الأولياء لله في أسمائه وصفاته:

لله تعالى الأسماء الحسنى والصفات العلاء، التي دلّ عليها القرآن والسنة، فيجب إثباتها له مع نفي التشبيه، قال تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

ولكن المتصوفة ناقضوا هذه الآيات وزعموا أن الأولياء - لفنائهم الكامل في الله، وتجردهم من البشرية - مشاركون لله تعالى في أسمائه وصفاته.

(١) طبقات الأولياء، لسراج الدين ابن الملقن، ص ٩٨.

(٢) الرسالة القشيرية، ص ٦٧.

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٥٣.

يقول الجيلي عما أسماه «منظر الاستواء»: «وفي هذا المنظر يستوي اتصاف العبد بصفات الله تعالى، واتصافه بصفات نفسه.. فيكون في أوصاف الله كما هو في أوصاف نفسه»<sup>(١)</sup>.

ويقول عن «منظر التمكن»: «في هذا المشهد يتجلى الحق تعالى للعبد بذاته وحضرته، فيتصف العبد حينئذ بأسمائه وصفاته»<sup>(٢)</sup>.

ويقول عبد الرحمن الجامي: «السير إلى الله لا ينتهي إلا بعد قطع بادية الوجود بقدّم الصدق، والسير في الله لا يكون إلا بعد التحقق بالفناء المطلق، فيعطيه الله وجوداً موهوباً، وذاتاً مطهرة من لوث الحدثان، فيها يتصف بأوصاف الله»<sup>(٣)</sup>.

ويزعم أحد المتصوفة المتقدمين أن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافاً للعبد السالك<sup>(٤)</sup>.

ويقول علي حرازم: «الشيخ التجاني خليفة الله في جميع المملكة الإلهية بلا شذوذ، متصف بجميع صفات الله وأسمائه الحسنی؛ حتى كأنه عينه»<sup>(٥)</sup>.

(١) المناظر الإلهية، للجيلي، ص ١٩٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١١٩.

(٣) نفحات الأنس، للجامي، ص ٩.

(٤) عوارف المعارف، ص ٢٣٦.

(٥) جواهر المعاني، لعلي حرازم ٨٩/٢.

## المطلب الثالث

### الأصول التعبدية عند الطرق الصوفية

العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة كالخوف، والخشية، والتوكل، والصلاة، والزكاة، والصيام، وغير ذلك من شرائع الإسلام<sup>(١)</sup>.

ولا يقبل الله من العبادة إلا ما كان خالصًا لوجهه، وصوابًا باتباع هدي نبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيَكْمَلُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، ولا يكون العمل حسنًا حتى يكون خالصًا لله عز وجل، على شريعة رسول الله ﷺ. فمتى فقد العمل واحدًا من هذين الشرطين بطل وحبط<sup>(٢)</sup>.

وقد انحرفت الطرق الصوفية في ركني العبادة؛ ألا وهما الإخلاص والمتابعة.

أما الإخلاص: فقد تقدّم معنا صرف الطرق الصوفية لأنواع العبادات القلبية والبدنية لأقطابهم ومشايخهم.

وأما المتابعة: فقد انحرفت الطرق الصوفية فيها، حيث تعبدت الله بما لم يشرعه، وفيما يأتي بيان لأبرز أصول انحراف الطرق الصوفية في جانب الاتّباع:

(١) مجموع الفتاوى ١٠/١٤٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٣٠٨.

## أولاً: الغلو في العبادة

الغلو هو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد<sup>(١)</sup>، وجاء ذم الغلو في الدين والعبادة في نصوص الكتاب والسنة، منها قوله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]، وقال ﷺ: «إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»<sup>(٢)</sup>. وكان ﷺ يقول: «لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»<sup>(٣)</sup>.

ولكن طوائف الصوفية - خصوصاً المتقدمين منهم - غلت في مجال العبادة غلوًا كبيرًا، تجاوزت به الحدّ المشروع، حتى غدا الغلو سمة وأصلًا في التبعّد عندهم، وفيما يأتي نماذج من ذلك:

١- التشدّد في العبادة: ومن ذلك قول السهروردي: «جمع من المشايخ كانوا يديمون الصوم في السفر والحضر على الدوام، حتى لحقوا بالله، وكان عبد الله بن حبار قد صام نيفًا وخمسين سنة لا يفطر في السفر والحضر»<sup>(٤)</sup>.

(١) فتح الباري، لابن حجر ١٣/٢٧٨.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه ٩/١٣٤، رقم: ٣٠٢٠، وأحمد في مسنده ٥/٢٩٨، رقم: ٣٢٤٨، وابن أبي شيبة في مصنفه ٣/٢٤٨، رقم: ١٣٩٠٩، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣/٢٧٨.

(٣) متفق عليه، البخاري ٥/١٩٤٩، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، رقم ٤٦٧٥، ومسلم ٢/١٠٢٠، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة، رقم ٢٤٨٧، واللفظ له.

(٤) عوارف المعارف، للسهروردي، ص ٢٩٩.

وقال ابن عجيبة الحسني: «قد كان منهم من يقطع الليل كله في ركعة، ويختتم القرآن في كل ليلة»<sup>(١)</sup>.

ويحكي عبد السلام الفيتوري عن نفسه أنه يسبح سبعين ألفاً وباسم الجلالة خمسمائة ألف في كل يوم وليلة، ويختتم القرآن قبل أن يستقر الضياء<sup>(٢)</sup>.

٢- ترك الأخذ بالرخص: فالصوفية يقولون: إن طريقهم طريق الشدة ويرون العمل بالرخص انحطاطاً عن الحقيقة، كما يقول ابن عربي: «إن التصوف طريق الشدة ليس للرخاء فيه مدخل، لأن الرخص إنما هي للعامّة»<sup>(٣)</sup>.

وقال النفزي الرندي: «إذا رأيت المرید انحطّ عن رتبة الحقيقة إلى رخص الشريعة؛ فاعلم أنه قد نقض عهده من الله»<sup>(٤)</sup>.

### ثانياً: تعبد الله تعالى بما لم يشرعه

مبنى العبادة على الاتباع، إذ الأصل في العبادة التوقف، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

(١) إيقاظ الهمم، لابن عجيبة، ص ٤٦٠.

(٢) الوصية الكبرى للفيتوري، ص ٦٦.

(٣) الأمر المربوط لابن عربي، ضمن ذخائر الأعلام له أيضاً، ص ٢٦٨.

(٤) غيث المواهب العلية للنفزي ١/ ١٩٩.

ولكن أقطاب الطرق الصوفية شرعوا لأنفسهم ومريديهم أنواعاً من العبادات ما أنزل الله بها من سلطان، ضاهوا بها الشريعة، ومن نماذج ذلك:

### أ- الصلاة:

ابتدع المتصوفة بعض الصلوات ورتبوا عليها الأجور العظيمة، وحثوا عليها المريدين، مستدلين بأحاديث مكذوبة، ومن أشهر هذه الصلوات:

١ - صلاة الكفاية: وهي ركعتان يصليهما أي وقت كان، ويقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب، وسورة الإخلاص عشر مرات، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، خمسين مرة ثم يسلم<sup>(١)</sup>، وهي صلاة مبتدعة كما ذكر أهل العلم<sup>(٢)</sup>.

٢ - صلاة الخير: ذكرها الجيلاني فقال: «فأما الصلاة الواردة في ليلة النصف من شعبان فهي مائة ركعة بألف مرة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في كل ركعة عشر مرات»، وأشار إلى أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة، وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة<sup>(٣)</sup>.

وهي صلاة مبتدعة لم يرد فيها خبر ولا أثر<sup>(٤)</sup>.

(١) الغنية ٢/ ١٤٦ - ١٤٧.

(٢) انظر: السنن والمبتدعات، ص ١٣٢.

(٣) الغنية للجيلاني ١/ ١٩٢.

(٤) انظر: الباعث على إنكار البدع لأبي شامة، ص ١٢٤.

٣- صلاة الخصماء: قال الجيلاني: «وهي أربع ركعات بتسليمة واحدة يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إحدى عشرة مرة، وفي الثانية الفاتحة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات، وثلاث مرات ﴿قُلْ يَتَّيْبَهَا الْكٰفِرُونَ﴾ وفي الثالثة الفاتحة وعشر مرات ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿أَلَهَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ مرة، وفي الرابعة الفاتحة وخمس عشر مرة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وآية الكرسي مرة، ثم يجعل ثوابها لخصمائه يكفيه الله أمرهم يوم القيامة إن شاء.

ويصلي هذه الصلاة في سبعة أوقات: أول ليلة رجب، وليلة النصف من شعبان، وآخر جمعة من رمضان، ويومي العيد، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء»<sup>(١)</sup>.

### ب- الصوم:

١- الوصال في الصيام: نهى النبي ﷺ عن الوصال، حيث قال: «لا صام من صام الدهر»<sup>(٢)</sup>، ولكن مشايخ الصوفية رغبوا فيه، قال أبو طالب المكي، عن صيام الدهر: «.. إن كان يريد صلاح قلبه، وانكسار نفسه، واستقامة حاله في صوم الدهر، فليصمه، فهو حينئذ كالواجب عليه، إذا كان تقواه وصلاحه فيه»<sup>(٣)</sup>.

(١) الغنية ٢/ ١٤٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب صوم داود عليه السلام - حديث: ١٨٩٥.

(٣) قوت القلوب ١/ ٨٨.

وكتب تراجم الصوفية ملأى بذكر أخبار وصال مشايخ الصوفية للصيام<sup>(١)</sup>.  
 ٢- تخصيص أيام بالصيام: اعتقد الصوفية الفضل في صيام أيام معينة، دون مستند شرعي، ومن ذلك: صيامهم أياماً من رجب، وكذا ليلة النصف من شعبان<sup>(٢)</sup>.

### ج- الذكر والدعاء:

#### ١- الاستغناء عن الدعاء:

لقد نحا غلاة الصوفية في مسألة الدعاء منحى خطيراً؛ عندما استغنوا عن مسألة الله تعالى، بحجة علمه سبحانه، ومن أقوالهم الدالة على ذلك:  
 نقل الكلاباذي قولهم: «علمه بحالي يغني عن سؤالي، قال أبو سعيد الخراز: بينما أنا عشية عرفة، نازعتني نفسي، بأن أسأل الله تعالى، فسمعت هاتفاً يقول: أبعد وجود الله، تسأل غير الله؟»<sup>(٣)</sup>.  
 ويقول الطوسي: «أصلنا السكوت، والاكتفاء بعلم الله عز وجل»<sup>(٤)</sup>.

#### ٢- ابتداعهم في الذكر والدعاء:

(١) انظر: غيث المواهب العلية للنفزي ١/ ١٩٩، عوارف المعارف للسهروردي ص ٣٣١، واللمع للطوسي، ص ٢٢٠، والرسالة القشيرية ١/ ١٢٧.  
 (٢) انظر: البدع الحولية، للتويجري، ص ٢٢١، وص ٢٨٢.  
 (٣) التعرف لمذهب أهل التصوف، ص ٧٦.  
 (٤) اللمع، ص ٢٨٩.

الذكر أفضل العبادات، وله عند الصوفية مكانة عظيمة، فهو أقرب طريق موصل للصوفي إلى هدفه المنشود، حيث نقل الشعراني إجماع الصوفية «على أن عمدة الطريق الإكثار من ذكر الله، حتى لا يكون للمريد شغل إلا به وحده»<sup>(١)</sup>.

ولكن الصوفية ابتدعوا في ألفاظ الذكر وصفته وعدده، ومن أمثلة ذلك:

• **صرف الأتباع والمريدين عن أفضل الذكر: أفضل الذكر قول: «لا إله إلا الله»<sup>(٢)</sup>**، ومشايخ الصوفية قللوا من شأن هذه الكلمة في نفوس أتباعهم، ليمهدوا الطريق أمام أورادهم المبتدعة، يقول أبو المواهب الشاذلي: «إنما اختار أهل التعريف: الله الله، فقط دون لا إله إلا الله لوحشتهم من توهم ثبوت الألوهية حتى ينفوها»<sup>(٣)</sup>.

• **ابتداعهم في صيغ الذكر وألفاظه: ومن أوجه هذا الابتداع:**

١- اختراع كل طريقة لورد مخصوص؛ ينسب لمشايخ الطريقة، ورتبوا عليه الأجور العظيمة، فالشاذلية يذكرون أن إمامهم أبا الحسن الشاذلي فُتح عليه بترديد (حزب الفتح) المشهور عندهم<sup>(٤)</sup>، وللرفاعية ورد (روح الطالب)<sup>(٥)</sup>.

(١) الأنوار القدسية، للشعراني ١/ ٣٥.

(٢) رواه الترمذي في سننه ١١/ ٢٣٩، رقم: ٣٣٠٥، والنسائي ٦/ ٢٠٨، رقم: ١٠٦٦٧، وابن ماجه ١١/ ٢٤٥، رقم: ٣٧٩٠، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣/ ٤٨٤.

(٣) الفتوحات الإلهية ٢/ ٦٩.

(٤) المفآخر العلية في المآثر الشاذلية، لأحمد بن محمد بن عياد، ص ٢١٨.

(٥) السير والمساعي، لإبراهيم أفندي الرفاعي، ص ٤١.

٢- اختراع ألفاظ مخصوصة في الذكر: اختلفت الألفاظ التي اختارها أئمة الصوفية لمريديهم، ليذكروا الله بها، ومن أنواعها:

- الذكر بالاسم المفرد أو الضمير الغائب: وذلك بترديد أحد أسماء الله (الله، الله، ..) أو (حي، حي، ..) وغيرهما، أو الضمير الغائب (هو، هو، ..)، وزعم الصوفية أنّ (لا إله إلا الله) ذكر العوام، و(الله) ذكر الخواص، و(هو) ذكر خواص الخواص<sup>(١)</sup>، وأوراد الطرق شاهدة بذلك<sup>(٢)</sup>.

- الذكر بكلام يُعلّم وحدة الوجود ويرسّخها في قلب الصوفي: استخدم الصوفية الأذكار لنشر عقيدة وحدة الوجود، بطريق غير مباشر، بألفاظ مجمّلة أو غامضة، وأحياناً صريحة واضحة، ومن أمثلتها ما يسمى بالصلاة المشيشية، وهو ورد مشهور بين طرق الصوفية، جاء فيه: اللهم زجّ بي في بحار الأحديّة، وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقتني في بحر الوحدة...»<sup>(٣)</sup>.

- الذكر بألفاظ أعجمية غير مفهومة المعنى: ومن أمثلتها ذكر عند القادرية جاء فيه: «بسوسم سوسم دسوم حوسم كاه بركاه إهيا شراها أدونايا أصباؤت آل شدّاي توكل يا عنقود وينقود الملك»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: المواهب السرمديّة، ص (٥، ١٦٤).

(٢) انظر ورد الرفاعي في قلادة الجواهر، ص ٣٥٥، وورد الشاذلي في المفخر العلية، ص ٢١٤.

(٣) جامع الصلوات للنبهاني، ٩٣.

(٤) الفيوضات الربانية، ص ١١٠.

ومن أذكار الشاذلية: «طهور بدعق محبيه صورة محببة سقفاطيس سقاطيم أحون قاف آدم حم أمين»<sup>(١)</sup>.

- الذكر الملقق من آيات متقطعة: لقد قام بعض مشايخ الصوفية بتأليف أذكار طويلة، انتخبوها من بعض الآيات القرآنية، مقطوعة عن أولها وآخرها، جعلوها في سياق واحد، ومن ذلك: (حزب السيف القاطع) عند الرفاعية، ومنه: ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: ٩٨]، ﴿فَوْقَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّامُكْرُوءٍ﴾ [غافر: ٤٥]، ﴿مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]، ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩]، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢]، ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩]، ويستمرون في ذكر أجزاء من الآيات ما يقارب خمس صفحات<sup>(٢)</sup>.

- الذكر بأذكار شرعية تقال بصفة مبتدعة: ومن ذلك: قراءة النقشبندية سورة الشرح تسعاً وسبعين مرة، وسورة الإخلاص ألف مرة وواحدة، مع إغلاق الباب، وتغميض العينين، ودوام تصور الشيخ<sup>(٣)</sup>، ومن أذكار الختمية: قول: (لا إله إلا الله) ألفي مرة، وفي نهاية كل مائة منها يقول: (محمد رسول الله)<sup>(٤)</sup>.

(١) المفآخر العلية، ص ٢٧١.

(٢) قلادة الجواهر، ص ٣٦٤ - ٣٦٩.

(٣) تنوير القلوب، لمحمد أمين كردي، ص ٥٥٢.

(٤) مجموع الأوراد الكبير، لمحمد عثمان الميرغني، ص ٤٧.

## د- السماع:

السماع هو استماع الصوفية للأشعار الملحنة من منشد حسن الصوت، قال ابن عجيبة: «السماع: هو استماع الأشعار بالنغم والموسيقى»<sup>(١)</sup>، وتكون مقرونة بالرقص والتمايل والتواجد؛ وهم بذلك يعتبرونها من سبل التقرب إلى الله تعالى.

قال السهروردي: «ربما صار الرقص عبادة، بحسن النية»<sup>(٢)</sup>.

وقد أقر أحد كبرائهم بأنه (قد تواتر النقل عن الصوفية، قديماً وحديثاً، شرقاً وغرباً، أنهم كانوا يجتمعون لذكر الله، ويقومون ويرقصون)<sup>(٣)</sup>.

وللسماع عند الصوفية مكانة بالغة فهو الطريق للفيوضات الرحمانية - بزعمهم - قال أحمد التجاني: «كم من عارف يفاض عليه في حضوره بالسماع من الحضرة القدسية، من فيوض الأحوال والمعارف، فيرتقي به من المقامات، ما لا يرتقيه بالعبادة والصفاء الأوقات في مائة عام»<sup>(٤)</sup>.

وقد أنكر أئمة الإسلام بدعة السماع غاية الإنكار، وألّفوا فيها مصنّفات<sup>(٥)</sup>.

(١) الفتوحات الإلهية، ص ١٨٣.

(٢) عوارف المعارف، ص ١٨٠.

(٣) الفتوحات الإلهية، ص ١٩٤.

(٤) جواهر المعاني ١/ ١٤١.

(٥) مثل كتاب: (السماع) لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي، و(الكلام على مسألة السماع) لابن القيم.

## ثالثاً: إسقاط التكاليف الشرعية

يزعم الصوفية أن هنالك مرتبة إذا وصلها العابد الصوفي، سقطت عنه التكاليف الشرعية، وحلت له المحرّمات؛ يتأولون في ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، أي: تصل إلى مقام المكاشفة، فعندئذ تسقط وترفع عنك التكاليف الشرعية<sup>(١)</sup>.

قال القشيري في تفسير الآية: «التزم شرائط العبودية إلى أن ترقى، بل تكفى بصفات الحرية»<sup>(٢)</sup>، ويقول أيضاً مؤكداً مزاعم الصوفية، رفع التكاليف الشرعية: «الكيس من كان يحكم وقته، إن كان وقته الصحو فقيامه بالشرعية، وإن كان وقته المحو، فالغالب عليه أحكام الحقيقة»<sup>(٣)</sup>.

وقال أحمد بن عطاء: «العارف لا تكليف عليه»<sup>(٤)</sup>.

ومن صور خروجهم على الشرعية بحكم رفع التكاليف عنهم: أن رجلاً من المتصوفة كان يحضر الملاهي، ويعمل عمل أهل البدع، ويقول: هذا لا يؤثر، لأنني وصلت إلى مقام لا يؤثر فيّ معه الاختلاف<sup>(٥)</sup>.

(١) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، لمرتضى الزبيدي ٢/ ٢٨٤.

(٢) لطائف الإشارات، للقشيري، ٢/ ٢٨٣.

(٣) الرسالة القشيرية، ص ١١٨.

(٤) الطبقات الكبرى ١/ ٩٦.

(٥) قوت القلوب ٢/ ٦٢.

ويقول محمد طاهر المقدسي<sup>(١)</sup>:

دع التصوف والزهد الذي      به جوارح أقوام من الناس  
وعجّ على دير داريا فإن به الرُّه      بآن ما بين قسيس وشماس  
واشرب معتّقة من كفّ كافرة      تسقيك خميرين من لحظ ومن كاس



(١) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، لسبط بن الجوزي، ٢/ ٥٨٥.

## المطلب الرابع

### الأصول السلوكية عند الطرق الصوفية

نهج الصوفية على اختلاف طرقهم أنواعاً من الرياضات والمجاهدات، وترقوا في الأحوال والمقامات، بغية تهذيب النفوس والسمو بها، وبنوا هذه الأحوال والمقامات والرياضات على أصول، توضيحها في الآتي:

#### أولاً: التدرج في المقامات:

وضع أئمة الصوفية لمريديهم طريقاً ومنهجاً للوصول بهم إلى تهذيب النفوس، ومن ثم الرقي بها إلى الفيضات ووحدانية الوجود، وهذا الطريق يمر بمراحل عدّة، بعضها أعلى من بعض، وكل مرحلة من مراحل الطريق الصوفي تنتهي بعمل من أعمال القلوب، يكون نتيجة لما قبله، وسبباً لما بعده.

قال الطوسي: «فإن قيل: ما معنى المقامات؟ يقال: معناه مقام العبد بين يدي الله عزّ وجل، فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانتقطاع إلى الله عزّ وجل»<sup>(١)</sup>.

ويقول أبو الوفا التفتازاني: «وهو - أي: المريد - ينتقل من مقام إلى مقام في سلوكه، حتى إذا استوفى هذه المقامات فإنه يصل إلى معرفة الله؛ ويرى

(١) اللمع، ص ٦٥.

الحقّ متجليًا في الكون»<sup>(١)</sup>.

وقد اختلفت الطرق الصوفية في تحديد عدد المقامات ومراحلها، ف قيل: هي أربعة مقامات، وقيل تسعة، وقيل عشرة، وأوصلها بعضهم إلى تسعة عشر مقامًا<sup>(٢)</sup>.

ومن أبرز هذه المقامات ما يأتي:

### ١ - مقام الزهد:

يقرّر الصوفية أنه لا سبيل لتفريغ نفس المرید من الخطرات والوساوس إلا بترك الدنيا بالكلية، بزعم أنها الحجاب الأعظم عن التحقق بالألوهية.

يقول السهروردي: «المرید الطالب إذا أراد أن يدخل الخلوة، فأكمل الأمر أن يتجرّد من الدنيا»<sup>(٣)</sup>.

فهم يحثونه على العزوف عن الدنيا بالكلية، فلا يدّخر طعامًا، ولا يسكن بيتًا، ولا يتزوج امرأة، ولا يجمع مالًا، ولا يعمل بصناعة ولا زراعة، ولا يطلب علمًا، فكلّ هذه مما يعوّق السالك، ويقطعه عن الوصول.

• أما الزهد في الطعام: فيكون باقتصار المرید على ما يدفع الجوع؛ عند

(١) كتاب الله، توحيد وليس وحدة، لمحمد البتاجي، ص ٢٧، نقلًا: عن مجلة التصوّف

الإسلامي، العدد ٧٠، ربيع الأول، عام ١٤٠٥ هـ، ص ٥ - ٧.

(٢) انظر: الموسوعة الصوفية، للحفني، ص ١٦٥.

(٣) عورف المعارف، ص ٢٢١.

خوف ضرر منه؛ من أدنى ما وجد، ولا يدخر، ولا يتقيّد بغداء ولا عشاء<sup>(١)</sup>.  
يقول الجنيد: «ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع  
وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسّنات»<sup>(٢)</sup>.

ويقول أحمد الرفاعي: «أكره للمريد دخول الحمّام ترفها، ولبس الثياب  
النقية البيض، وأحبّ له: الجوع والعري والفقر والذلّ»<sup>(٣)</sup>.

• أما الزهد في المنكح: فقال فيه عبد القادر الجيلاني: «وأما المريد فإن  
التزويج حرام عليه من حيث الباطن، فإذا وصل إلى مقصوده هنالك فإن  
أراد ملكه أن يزوجه زوجته..»<sup>(٤)</sup>.

ويقول السهروردي: «والأولى في زماننا مجانية التزويج، وقمع النفوس  
بالرياضة والجوع والسهر والسفر»<sup>(٥)</sup>.

• وأما الزهد في المال: فيكون بأن يُخرج كلّ ما يملكه.

قال أبو حامد الغزالي: «يرفع حجاب المال عن المريد بخروجه عن  
ملكه، حتى لا يبقى له إلا قدر الضرورة؛ فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه

(١) انظر: نشر المحاسن الغالية، لليافعي، ص ١٤٣.

(٢) الرسالة القشيرية، ص ٨٦.

(٣) الأنوار القدسية ١ / ١٣٢.

(٤) الفتح الرباني، ص ٢٨٣.

(٥) آداب المريدين، للسهروردي، ص ١١٤.

فهو مقيد به، محجوب عن الله عزّ وجلّ<sup>(١)</sup>.

وترغيباً للسالكين في الزهد، وتأكيداً على أهميته؛ يروي المتصوّفة قصصاً تذكر أحوال مریدین تحقّقوا بالزهد فوصلوا إلى الفتح الأعظم، ومریدین قصّروا عن ذلك فحجبتهم الدنيا عن مرادهم<sup>(٢)</sup>.

ولا خفاء أنّ الإسلام بريء من الزهد الصوفي، حيث أباح الطيبات، ورغب في النكاح، وحثّ على العمل، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

## ٢-مقام التوكّل:

بعد ترك المرید الدنيا بالكلية بوصوله إلى مقام الزهد الصوفي، ينقله شيخه إلى مقام التوكّل الصوفي، وذلك بأن يوطن المرید نفسه على ترك الدنيا، فلا يهتم بأمر المعاش، ويترك الإرادة والاختيار، بحيث يكون مستسلماً لما يحدث له.

وقد ظنت الصوفية أنّ التوكّل لا يصحّ إلا بترك مباشرة الأسباب - وإن كانت مشروعة بل واجبة-، كما لا يصحّ التوكّل عندهم إلا بإضاعة العبد حظه، وإيثاره للخموم والراحة، قال سهل التستري: «أول مقام التوكّل أن يكون العبد بين يدي الله عزّ وجلّ كالमित بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء،

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٧٥.

(٢) انظر: طبقات الصوفية، ص ١٢٦، واللمع، ص ٧٥.

لا يكون له حركة ولا تدبير»<sup>(١)</sup>.

ومن أخبار تواكلهم وتركهم للأسباب؛ قول محمد بن عبد الله أبو حمزة الصوفي: «إني لأستحيي من الله أن أدخل البادية وأنا شبعان، وقد اعتقدت التوكل؛ لئلا يكون شعبي زادًا تزودته»<sup>(٢)</sup>.

وهذا أبو مدين -الملقب عندهم بالقطب الغوث- ترك الحرفة بعد تصوّفه، وكان يأخذ ما يعطيه الناس، معللاً ذلك بأن الضيافة ثلاثة أيام، وهو ضيف الله، واليوم عند الله كألف سنة<sup>(٣)</sup>.

### ٣- مقام المحبة:

ينقل الشيخ مريده بعد ذلك إلى مقام أعلى وهو مقام الحبّ الصوفي لله بزعمهم، وهو حبّ بدعي اختص به الصوفية، لكونه قائماً على عشق الله، والهيام فيه، والسكر الشديد من لذة هذا الحبّ.

سُئل الإمام أبو سعيد الخراز عن هذه المحبة فقال: «طوبى لمن شرب كأساً من محبته، وذاق نعيمًا من مناجاة الجليل، وقربه بما وجد من اللذات بحبه، فملاً قلبه حبًّا، وطار بالله طربًا، وهام إليه اشتياقًا، فيا له من وامق متصل بربه كلف دنف، ليس له سكن غيره ولا مألوف سواه»<sup>(٤)</sup>.

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي، ص ٣٦٥.

(٢) الرسالة القشيرية، ص ٢٣٨.

(٣) الفتوحات المكية ٩/٤١٧.

(٤) اللمع، ص ٨٧.

ويوجّه مشايخ الصوفية مريديهم إلى وجوب أن يكون حبهم لله منزهاً عن العلاقات والأغراض، ويعنون بذلك أنهم لا يحبونه لينالوا رضاه وجنته، أو ليسلموا من سخطه وأليم عقابه، وإنما هو حبّ مجرد عن هذه الأمور. قال أحد أئمة الصوفية: «حقيقة المحبة: أن ينسى العبد حظّه من الله، وينسى حوائجه إليه»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو الحسن الشاذلي: «لا يترقى مريد قط إلا إن صحّت محبة الله له، ولا يحبه الله حتى يبغض الدنيا وأهلها، ويزهد في نعيم الدارين»<sup>(٢)</sup>. وقالت رابعة العدوية: «ما عبدته خوفاً من ناره، ولا حباً لجنته، فأكون كالأجير السوء، بل عبدته حباً له، وشوقاً إليه»<sup>(٣)</sup>.

وحقيقة هذا المقام: أنهم يوجهون المريد إلى أن يحب الله، لا من جنس محبة العبد الضعيف لمولاه وسيده، بل من جنس محبة العاشق لمعشوقه، حتى إنه من شدّة هذه المحبة: يقوم ويقعد، ويدور ويتواجد، ويصرخ، ويتخبط ويصرع<sup>(٤)</sup>.

قالت رابعة العدوية: «سكرتُ من حبّ ربي الليلة، فأصبحت وأنا مخمورة»<sup>(٥)</sup>.

(١) الرسالة القشيرية، ص ٥٢٣.

(٢) الأنوار القدسية ١/ ١٢٣.

(٣) إحياء علوم الدين ٤/ ٢١٠.

(٤) انظر: تنوير القلوب، ص ٥٢١.

(٥) ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، لأبي عبد الرحمن السلميّ، ص ٣٠.

ولا شك أن هذه المحبة بعيدة عن المحبة الشرعية المتضمنة للذل والخضوع، والمقرونة بالخوف والرجاء.

### ثانياً: مزاولة الرياضة عند الصوفية

الرياضة الصوفية هي القسم العملي من التصوّف، وهي الأعمال الشاقة، التي يحمل السالك نفسه عليها، لتضعف من بدنه ونفسه وعقله، فيتهيأ لقبول الفيوضات الربانية، وانسلاخه من البشرية. ويطلق عليها المتصوفة مسمى (المجاهدة).

قال محمد الكسنزاني القادري: «المجاهدة: هي اجتهاد السالك في إزالة العوائق المتركمة في طريق سيره، باتباع الأساليب التي يوجهه بها شيخه، دون كلل أو ملل، والتي لها الأثر الكبير في اختصار الطريق وبلوغ المرام»<sup>(١)</sup>. ويذكر الصوفية أن لرياضتهم أركاناً أربعة؛ هي: الجوع، والخلوة، والسهر، والصمت. قال عبد القادر العيدروسي: «أصول التصوّف في الابتداء تدور على أربعة أشياء: قلة الطعام، وقلة الكلام، وقلة المنام، واعتزال الأنام»<sup>(٢)</sup>.

#### ١- الجوع:

وهو أول أركان الرياضة الصوفية، وأساسها، وباقي الأركان ناشئة عنه،

(١) الأنوار الرحمانية، لمحمد الكسنزاني، ص ١٣٣.

(٢) تاريخ النور السافر، لعبد القادر العيدروسي، ص ٢٨٤.

فمن جاع قلّ كلامه، وكثر سهره، وأحبّ اعتزال الناس<sup>(١)</sup>.

قال أحد أئمة الصوفية: «إنّ الله تعالى ما صافى أحدًا إلا بالجوع، ولا مشوا على الماء إلا به، ولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع»<sup>(٢)</sup>.

ولا يعني المتصوفة بالجوع الصوم الشرعي، إنما يقصدون به ترويض النفس بتعذيبها مدّة طويلة، بترك الطعام بالكلية، أو بالتغذي على الحشائش والأعشاب البرية.

قال محمد أمين كردي في ترجمة عبد الله الدهلوي النقشبندي: «بقي أربعين يومًا لا يكتحل طرفه بنوم، ولم يذق الطعام إلا قليلًا، ومع ذلك لم ينو الصيام؛ مقاومة لرعونة نفسه»<sup>(٣)</sup>.

واشتغل حبيب الله جان النقشبندي بالرياضات الشاقة، والخلوة في الصحاري والبراري، واقتصر على التغذي بورق الأشجار...<sup>(٤)</sup>.

## ٢- الخلوة:

الخلوة عند الصوفية هي انعزال الصوفي عن الناس، وجلوسه في مكان معين، لترويض نفسه، وتفريغ قلبه من الخطرات المانعة من إدراك أسرار

(١) انظر: الأنوار القدسية ١/ ٥٥.

(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ٨٣.

(٣) المواهب السرمدية، ص ٢٣٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٢١.

الطريق، قال العروسي: «الخلوة في اصطلاحهم: الاعتكاف في مكان مخصوص، لينقطع فيه لعبادة ربه، بإشارة مرشد ناصح»<sup>(١)</sup>.

وتكون الخلوة في بيت معدّ لذلك، وقد تكون في بيت خرب، أو مغارة في جبل، أو مسجد مهجور، أو مقبرة دارسة، أو سرداب تحت الأرض، أو بئر قديمة<sup>(٢)</sup>.

واشترطوا لهذه الخلوة شروطاً، كالمداومة على الجوع قبلها، والتجافي عن النوم بعد دخولها، وأن يعتقد أنّ هذه الخلوة قبره، وأن يديم التفكير في شيخه، وغير ذلك من الشروط التي ذكرها<sup>(٣)</sup>.

ويعتقد الصوفية أنّ هذه الخلوة ترفع الحجب بين العبد وربّه.

قال السهروردي: «إنّ العبد إذا أخلص لله وأحسن نيته وقعد في الخلوة أربعين يوماً أو أكثر، فمنهم من يباشر باطنه صفو اليقين، ويُرفع الحجاب عن قلبه، ويصير كما قال قائلهم: رأى قلبي ربي»<sup>(٤)</sup>.

وقرّر أبو الحسن الشاذلي أنّ من أول ثمرات الخلوة: كشف الغطاء<sup>(٥)</sup>.

(١) حاشية العروسي على شرح زكريا الأنصاري للرسالة القشيرية، لمصطفى العروسي ١٣٧/٢.

(٢) انظر: اللمع، ص ٥٠٠.

(٣) انظر: اللمع، ص ٢٧٧، والرسالة القشيرية، ص ١٩٦، وعوارف المعارف، ص ٢٠٧.

(٤) عوارف المعارف، ص ٢١٥.

(٥) المفاهر العلية، ص ٦٧.

## ٣- السهر:

السهر الطويل، ومجافاة الفرش، من أركان الرياضة الصوفية، حيث يدعون أنه يجلو القلب، ويصفيه، ويُنورّه، فيصير القلب كالكوكب الدُّري، والمرأة المجلّوة، فيلوح فيه جمال الحق، ويُشاهد فيه رفيع الدرجات<sup>(١)</sup>.

وأجمع أئمة الصوفية على أن بلوغ السالك مرتبة اليقين، وحصوله على الفتح يكون في السهر والمداومة عليه<sup>(٢)</sup>.

ولم يكن إحياء الصوفية الليل للصلاة، ولا للقراءة، بل كان لممارسة الرياضات الصوفية، قال النفري: «قال (الله) لي: الليل لي، لا للقرآن يتلى، الليل لي، لا للمحامد والثنا»<sup>(٣)</sup>.

## ٤- الصمت:

يؤمر المرید - أثناء سيره على الطريق الصوفي - أن يلتزم الصمت، فلا يتحدّث مع أحد في خلوته أو خارجها، غير شيخه، مع استمراره على ترديد الأذكار التي لقنها له شيخه.

قال ابن عربي: «وأما الصمت: فهو ألا يتكلّم مع مخلوق من الوحش والحشرات، التي لزمته في سياحته، أو في موضع عزلته، وإن ظهر له أحد من

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٧٦.

(٢) الأنوار القدسية ١/ ٣٥.

(٣) المواقف، للنفري، ص ٦٢.

الجنّ أو الملاً الأعلى فيغمض عينيه عنهم...»<sup>(١)</sup>.

وقد شبّه الصوفية كلام المرید بكلام المصلي؛ فكما أن الكلام في الصلاة لغير مصلحتها من مبطلات الصلاة؛ فكذلك عندهم كلام المرید في أثناء سلوكه مع غير شيخه<sup>(٢)</sup>.

جاء في إحدى وصايا الطريقة الخلوتية: «على المبتدئ أن يصمت بلسانه عن لغو الحديث وبقلبه عن جميع الخواطر؛ فإن من صمت لسانه وقلبه انكشفت له الأسرار»<sup>(٣)</sup>.

(١) الفتوحات المكية ٤/٢٥٨.

(٢) انظر: المنح القدوسية، لأحمد المستغامي، ص ١٩٧.

(٣) تحفة السالكين، للسمنودي، ص ٤٤.

## الخاتمة

وبعد هذا التطواف في أصول الطرق الصوفية نخلص إلى جملة من النتائج، ولعلّ أبرزها:

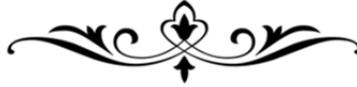
١- بداية نشأة التصوف كانت في القرن الثاني للهجرة، حيث كان مختلطاً بالمبالغة في الزهد والعبادة، ثم اشتهر وتطور إلى فكر مستقل له أصوله وطقوسه في القرن الثالث للهجرة.

٢- مصادر التلقي الرئيسة عند الطرق الصوفية ترجع إلى ثلاثة مصادر؛ وهي: الكشف، والذوق، والوجد، وتحت كلّ منها أقسام، ودرجات، وقد خالفت الصوفية هذه المصادر، كتاب الله تعالى وسنة رسوله ز، وقدموها عند التعارض.

٣- تجتمع الطرق الصوفية في أصول العقائد المنحرفة، وهي وحدة الوجود التي يعنون بها: أنّ الله تعالى والعالم شيء واحد، وتقديس المشايخ والأقطاب ورفعهم إلى مقامات الألوهية والربوبية.

٤- انحرفت الطرق الصوفية في ركني العبادة؛ في الإخلاص؛ بصرفهم لأنواع العبادات القلبية والبدنية لأقطابهم ومشايخهم. وفي المتابعة؛ حيث تعبدت الله بما لم يشرعه، فغلت في العبادة، وابتدعت في صفتها وعددها وزمانها، ووصلت إلى إسقاط التكليف عنم بلغ درجة اليقين عندهم.

٥- نهج الصوفية - على اختلاف طرقهم - أنواعاً من الرياضات والمجاهدات، وترقّوا في الأحوال والمقامات، بغية تهذيب النفوس والسمو بها، فجعلوا مقامات المرید: ترتقي من الزهد إلى التواكل إلى المحبة وهكذا، وألزموه بأنواع الرياضات: كالجوع، والخلوة، والسهر، والصمت.



## فهرس المراجع

١. ابن الفارض والحب الإلهي، لمحمد مصطفى حلمي، دار المعارف، القاهرة، ط ٢.
٢. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، لمرتضى الزبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣. إحياء علوم الدين، لمحمد بن محمد الغزالي أبي حامد، دار المعرفة - بيروت.
٤. اصطلاحات الصوفية، لعبد الرزاق القاشاني، تحقيق: عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، ط ١، ١٤١٣هـ.
٥. الأصول والفروع حقيقتهما والفرق بينهما والأحكام المتعلقة بهما، لسعد بن ناصر الشثري، كنوز إشبيليا، الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ.
٦. الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، لعبد الكريم الجيلي، تحقيق: أبي عبد الرحمن صلاح بن محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
٧. الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، لعبد الوهاب الشعراني، تحقيق: طه عبد الباقي سرور، مكتبة المعارف، بيروت.
٨. الأنوار القدسية في مناقب الطريقة النقشبندية، لعبد المجيد الخاني، جمع إبراهيم السنهوتي، دار السعادة، مصر.

٩. إيقاظ الهمم شرح متن الحكم، لابن عجيبة الحسيني، تحقيق: عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٦ م.
١٠. إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لأحمد بن محمد بن عجيبة، تحقيق: محمد أحمد حسب الله، دار المعارف، بيروت.
١١. الباعث على إنكار البدع والحوادث، لعبد الرحمن بن إسماعيل أبي شامة، تحقيق: مشهور حسن، دار الراجية، الرياض، ١٤١٠ هـ.
١٢. تاريخ النور السافر، لعبد القادر العيدروسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ..
١٣. التجانية: لعلي بن محمد آل دخيل الله، الرياض، دار طيبة.
١٤. تحفة السالكين ودلالة السائرين، لمحمد المنير السمنودي، المكتبة المحمودية، القاهرة.
١٥. التصوّف المنشأ والمصدر، لإحسان إلهي ظهير، طبعة: إدارة ترجمان السنة - لاهور - توزيع: بيت السلام - الرياض.
١٦. التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد بن إبراهيم الكلاباذي، طبعة: مكتبة الكلية الأزهرية.
١٧. التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني. دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥ هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: إبراهيم الأبياري
١٨. تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، لمحمد أحمد لوح، دار ابن القيم، الدمام، ط ١، ١٤٢٢ هـ.

١٩. تلبس إبليس، لعبد الرحمن بن علي بن محمد أبي الفرج (ابن الجوزي)، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥ - ١٩٨٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. السيد الجميلي
٢٠. تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، لمحمد أمين كردي، تحقيق: محمد علي أدلي، دار الإيمان، ١٤١٣هـ.
٢١. جامع الصلوات، ليوسف النبھاني، مطبعة المدني، القاهرة، ط ١، ١٣٨٦هـ..
٢٢. جامع كرامات الأولياء، ليوسف النبھاني، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٤١١هـ.
٢٣. جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري في الرد على الصوفية: لمحمد بن أحمد الجوير، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٤هـ
٢٤. جواهر المعاني في فيض أحمد التجاني، لعلي حرازم، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٧هـ.
٢٥. جوهرة الدسوقي، لإبراهيم الدسوقي، مكتبة الجمهورية العربية، القاهرة.
٢٦. حاشية العروسي على شرح زكريا الأنصاري للرسالة القشيرية، لمصطفى العروسي، نشر: عبد الوكيل الدروبي، دمشق.
٢٧. حكم شطح الولي، لعبد الغني النابلسي، ضمن كتاب: شطحات الصوفية، لعبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط ٢، ١٩٧٦م.
٢٨. ديوان الحلاج، للحسين بن منصور الحلاج، مكتبة الكليات الأزهرية،

القاهرة.

٢٩. ذخائر الأعلام لمحمد بن علي بن عربي. مكتبة الكليات الأزهرية،

القاهرة.

٣٠. ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، لأبي عبد الرحمن السلمى، تحقيق:

محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤١٣ هـ.

٣١. الردود العلمية في دحض حجج وأباطيل الصوفية، لمحمد بن أحمد

الجوير، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٤ هـ.

٣٢. رسائل ابن سبعين، لعبد الحق ابن سبعين، تحقيق: عبد الرحمن

بدوي، الدار المصرية.

٣٣. الرسالة القشيري، لعبد الكريم القشيري، تحقيق: عبد الحلیم محمود،

دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٩ هـ.

٣٤. الرفاعية، لعبد الرحمن دمشقية، ط ١، ١٤١٠ هـ.

٣٥. السير والمساعي، لإبراهيم أفندي الرفاعي، مكتبة النجاح، ليبيا.

٣٦. شرح فصوص الحكم، لعبد الرزاق القاشاني، مكتبة مصطفى البابي

الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٨٦ هـ.

٣٧. الصفدية، لأحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد

رشاد سالم، ط ٢، ١٤٠٣ هـ.

٣٨. الصوفية في نظر الإسلام: لعاطف سميح الزين، الشركة العالمية

للكتاب - بيروت.

٣٩. طبقات الأولياء، لسراج الدين ابن الملقن، تحقيق: نور الدين شريفة، ط ٢، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٦هـ.

٤٠. الطبقات الكبرى، لعبد الوهاب الشعراني، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٤١. الطرق الصوفية في مصر، لأبي الوفا التفتازاني، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٤١٢هـ.

٤٢. عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، لأحمد بن عبد العزيز القصير، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٤هـ.

٤٣. عوارف المعارف، لأبي حفص شهاب الدين السهروردي، ط ١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٦م.

٤٤. الغنية لطالبي طريق الحق، لعبد القادر الجيلاني، مطبعة الحلبي، القاهرة، ط ٣، ١٩٥٦م.

٤٥. غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، لمحمد بن إبراهيم النفري، تحقيق: عبد الحلیم محمود، دار المعارف، القاهرة.

٤٦. الفتوحات الإلهية شرح المذاهب الأصلية، لأحمد بن عجيبة الفاسي، تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، عالم الفكر، القاهرة.

٤٧. الفتوحات المكبة، لمحمد بن علي بن عربي، دار صادر، بيروت.

٤٨. فصوص الحكم، لمحمد بن علي بن عربي، تعليق: أبو العلا عفيفي،

دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٩. الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية، جمع إسماعيل القادري، شركة مصطفى بابي الحلبي، القاهرة.

٥٠. قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر، لمحمد أبي الهدى الصيادي، مكتبة الرفاعي، القاهرة.

٥١. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣ هـ.

٥٢. كشف المحجوب، لعثمان بن سعيد الهجويري، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٠ هـ.

٥٣. لطائف الإشارات، للششيرى، تحقيق: إبراهيم بسيوني، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١ م.

٥٤. لطائف المنن، لابن عطاء السكندري، تحقيق: عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط ٢.

٥٥. اللمع في التصوف، لأبي سراج الطوسي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

٥٦. مجموع الأوراد الكبير، لمحمد عثمان الميرغني، مكتبة القاهرة، القاهرة.

٥٧. مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية. مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.

٥٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية،

- تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٣، ١٣٩٣ هـ.
٥٩. المدخل إلى التصوف الإسلامي: لأبي الوفا التفتازاني، دار الثقافة، ط ٢.
٦٠. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، لسبط بن الجوزي، تحقيق: جنان جليل محمد الهموندي، الدار الوطنية، بغداد، ١٩٩٠ م.
٦١. معارج القدس في مدارج معرفة النفس، لأبي حامد الغزالي، دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٧٥ م.
٦٢. معجم مصطلحات الصوفية، لعبد المنعم الحنفي، دار المسيرة، بيروت.
٦٣. المفاهر العلية في المآثر الشاذلية، لأحمد بن محمد بن عياد، مكتبة القاهرة، ط ٢، ١٤١٦ هـ.
٦٤. مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون. دار القلم - بيروت - ١٩٨٤ م، الطبعة الخامسة.
٦٥. المكتوبات، لأحمد الفاروقي السرهندي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٦. المناظر الإلهية، لعبد الكريم لجيلي، تحقيق: نجاح الغنيمي، دار المنار، القاهرة، ط ١، ١٤٠٧ هـ.
٦٧. المنح القدوسية، لأحمد مصطفى العلوي المستغانمي، دار ابن زيدون، بيروت، ط ١، ١٩٨٦ م.
٦٨. المنقذ من الضلال والمفصح بالأحوال، لأبي حامد الغزالي، دار الفكر، بيروت.

٦٩. المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية، لمحمد أمين كردي، مطبعة السعادة، مصر.

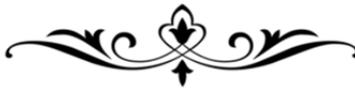
٧٠. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، من إعداد: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الرياض، ط٤، ١٤٢٠هـ.

٧١. نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية، لعفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي، تحقيق: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٢. نفحات الأنس من حضرات القدس، لعبد الرحمن الجامي، دار التراث العربي، مصر.

٧٣. هدية العارفين، لإسماعيل البغدادي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢ هـ.

٧٤. الوصية الكبرى، لعبد السلام الأسمر الفيتوري، طرابلس، ليبيا، ١٩٧٦ م.



## فهرس الموضوعات

|     |  |
|-----|--|
| ٣٤١ | ملخص البحث .....   |
| ٣٤٥ | مقدمة .....  |
| ٣٤٨ | التمهيد: (تعريف الصوفية، ونشأتها، وأطوارها، وأشهر طرقها) ..... |
| ٣٤٩ | أولاً: تعريف الصوفية .....                                     |
| ٣٥٠ | ثانياً: نشأة الصوفية وتطورها .....                             |
| ٣٥٣ | ثالثاً: أطوار التصوف .....                                     |
| ٣٥٤ | رابعاً: أشهر الطرق الصوفية .....                               |
| ٣٥٦ | ومن أشهر الطرق الصوفية .....                                   |
| ٣٥٨ | المطلب الأول: أصول التلقي عند الطرق الصوفية .....              |
| ٣٥٨ | أولاً: الكشف .....   |
| ٣٦٧ | ثانياً: الذوق .....  |
| ٣٦٩ | ثالثاً: الوُجْد .....  |
| ٣٧٠ | رابعاً: المصادر الثانوية .....                                 |
| ٣٧٣ | المطلب الثاني: الأصول العقديّة عند الطرق الصوفية .....         |
| ٣٧٣ | توطئة .....  |

- أولاً: وحدة الوجود (الحلول والاتحاد)..... ٣٧٥
- ثانياً: تقديس المشايخ والأقطاب..... ٣٨١
- أ- اعتقادهم ربوبية الأولياء..... ٣٨٢
- ب- اعتقادهم ألوهية الأولياء..... ٣٨٤
- ج- اعتقادهم مشاركة الأولياء لله في أسمائه وصفاته..... ٣٨٧
- المطلب الثالث: الأصول التعبدية عند الطرق الصوفية..... ٣٨٩
- أولاً: الغلو في العبادة..... ٣٩٠
- ثانياً: تعبد الله تعالى بما لم يشرعه..... ٣٩١
- أ- الصلاة..... ٣٩٢
- ب- الصوم..... ٣٩٣
- ج- الذكر والدعاء..... ٣٩٤
- د- السماع..... ٣٩٨
- ثالثاً: إسقاط التكاليف الشرعية..... ٣٩٩
- المطلب الرابع: الأصول السلوكية عند الطرق الصوفية..... ٤٠١
- أولاً: التدرج في المقامات:..... ٤٠١
- ١- مقام الزهد..... ٤٠٢
- ٢- مقام التوكل..... ٤٠٤
- ٣- مقام المحبة..... ٤٠٥

- ٤٠٧ ..... ثانيًا: مزاولة الرياضة عند الصوفية
- ٤٠٧ ..... ١- الجوع
- ٤٠٨ ..... ٢- الخلوة
- ٤١٠ ..... ٣- السهر
- ٤١٠ ..... ٤- الصمت
- ٤١٢ ..... الخاتمة
- ٤١٤ ..... فهرس المراجع
- ٤٢٢ ..... فهرس الموضوعات

# الأناشيد الشيعة

## دراسة تحليلية نقدية

د. ندى بنت حمزة خياط

أكاديمية سعودية – أستاذ مساعد بقسم  
الدراسات الإسلامية، جامعة طيبة



## ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فالأناشيد الشيعية هي: أبيات شعرية أو كلمات أدبية ملحّنة تتضمن مضامين دينية تتوافق مع المذهب الشيعي، وتشمل مواضيع اجتماعية أخرى. ولهذا النشيد مكانة كبيرة عند الشيعة في تسييرهم نحو أهداف ملالهم، وقد مرّ النشيد الشيعي بمرحلة كان محصوراً فيها في داخل الحسينيات، ثم انتقل إلى مرحلة النشيد المصور (الفيديو كليب)، ويتناول النشيد الشيعي مجموعة كبيرة من المواضيع، مستمدة -في مجملها- من صلب عقائد الشيعة الاثني عشرية، كالغلو في الأئمة ودعائهم والتبرك بقبورهم، وتحريفهم للحوادث التاريخية، وقولهم بالرجعة، والإمام الغائب المهدي المنتظر، وتزويرهم لما حدث بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

ويمتاز النشيد الشيعي بمجموعة من الخصائص، التي تركز على إثارة العواطف وتمير العقائد المصادمة للعقل، وقد عرض البحث مجموعة من النماذج لتلك الأناشيد مع تحليلها ونقدها والرد على العقائد المنحرفة المضمّنة فيها، ومن أهم المقترحات التي توصلت لها الدراسة: ضرورة

التصدي لهذا الخطر بإجراء المزيد من الدراسات التي تكشف حقائق هذه الأناشيد، والدعوة لحجب القنوات ومواقع الإنترنت التي تبث هذه العقائد الضالة، ومحاولة إيجاد البديل الصالح النافع لشباب الأمة.

د. ندى بنت حمزة خياط

nada4100@gmail.com

## *An Analytical Study of: Shia Songs*

*Written by: Dr. Nada bint Hamzah Khiyat*

*Saudi Academic – Assistant Professor in the Department  
of Islamic Studies, in Taibah University*

### ***Abstract***

*Research Title: An Analytical Study of: Shia Songs.*

*All praise is due to Allah, the Lord of all worlds, and may Allah exalt the mention and send peace to the last of all prophets, his family and all of his companions.*

*Shia Songs are poetic verses and lyrics about religious topics in line with Shia's Ideology (Shiism). They also deal with other social topics. Because of that reason these songs are very valuable for the Shia as they make them follow what their Mullahs aim at. The Shia used to listen to these songs inside their worship places (Hussainiyat) in the past. A new epoch begun after that and they made these songs as video clips. The Shia songs deals with different topics and many of them are derived from the beliefs of the Twelver Shia, like: exaggeration when it comes to their leaders, invoking them and seeking blessing from their graves. They also include the distortion of historical events, their belief in raj'ah (the belief that dead people will come back to life in this world) and the belief in their absent imam, as well as a falsification of that which happened between the Prophet's Companions (May Allah be pleased with all of them). The Shia songs are distinguished by certain characteristics, which focus on agitation of emotions and insertion of illogical beliefs. This*

*research treated some examples of these songs, analyzed and refuted the deviant beliefs in them. The most important suggestions that this study concluded is as follows: the necessity of confronting this danger by writing further researches that reveal the contains of these songs, and appealing to block the channels and websites that spread these corrupted beliefs, and trying to find a good and beneficial substitute for the youths of this nation.*

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فمن المعلوم ما في عقائد الشيعة من مخالفات ومفارقات منهجية، تأباها الفطر السليمة، وتنفر منها العقول المستنيرة، ولا ينكر وجودها أو يُخفف من حدتها إلا غرّ مكابر، ويرى المتأمل في المذهب الشيعي أن أصحابه يُروّجون لهذه العقائد بطرق شتى وبأساليب عدّة؛ ومن تلك الأساليب سلاحٌ قويٌّ يلعب بالمشاعر والعواطف فيلهبها، ويخدّر النفوس الغافلة فيُسيرها، ويتصل هذا السلاح اتصالاً مباشراً بطقوسهم البدعية وتعبداتهم الشركية، وهذا السلاح هو سلاح الأناشيد والمواويل والأشعار التي تلقى في مناسباتهم الدينية المتعددة، وفي حُسينياتهم التي لا حدّ لها ولا حصر؛ ومن المعلوم ما لهذا السلاح من تأثير قوي في تسير الأتباع وترويج الأفكار، وعلى الرغم من أهمية هذا الموضوع فإنني لم أعثر على دراسة خاصة به سبرت معالمه، رغم أهميته البالغة وخطورة تبعاته العظيمة، نظراً لما نراه ونسمعه من تبادل لهذه الأناشيد بين شباب أهل السنة والجماعة عبر التقنية الحديثة (البلوتوث). ولا يخفى على القارئ حلاوة لحنها وعذوبة أنغامها، مع جهل متناقليها بهول ما تضمنته من ألغام عقديّة وخرافات فكرية.

إضافة لهذا فقد أردت التنقيب وكشف اللثام عن مصدر من مصادر

الشيعة يرجع إليه عوامهم غير كتبهم العلمية التي حظيت بالدراسة والنقد، ولم أقصد بذلك الغرابة والتفرد بالطرح، ولكن لعلي أساهم في طرق آفاقٍ جديدةٍ في سد منافذ المد الشيوعي الغاشم.

وأما بالنسبة للخطة التي سأسير عليها في بحثي - بإذن الله تعالى - فهي عبارة عن مقدمة وفصلين وخاتمة.

**الفصل الأول:** أضواء على النشيد الشيوعي، وفيه تمهيد وستة مباحث،

وهي:

التمهيد وفيه: التعريف بالشيعة ونظرة سريعة إلى واقعهم المعاصر.

المبحث الأول: مفهوم النشيد الشيوعي وأثره في نشر التشيع.

المبحث الثاني: المراحل التي مرَّ بها النشيد الشيوعي.

المبحث الثالث: موضوعات النشيد الشيوعي.

المبحث الرابع: خصائص النشيد الشيوعي.

المبحث الخامس: خطر النشيد الشيوعي.

المبحث السادس: مقترحات عملية للتعامل مع النشيد الشيوعي.

**الفصل الثاني** وعنوانه: نماذج من الأناشيد الشيوعية مع نقدها، وفيه أربعة

مباحث، وهي:

المبحث الأول: نقد نشيد (ما أتوب وأنا شيوعي).

المبحث الثاني: نقد نشيد (هدم قبور أئمة البقيع).

المبحث الثالث: نقد نشيد (يا لما تنسى ثارك).

المبحث الرابع: نقد نشيد (هموم الناصبي).

وخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات.

وقد ذُيِّلت بحثي بقائمة للمراجع والفهارس.

والله أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يلهمني الرشد والصواب، وأن يجعل عملي لبنة في دحض الانحرافات العقدية التي اجتاحت أسوار أمتنا، إنه سميع مجيب.

الباحثة

## الفصل الأول

### أضواء على النشيد الشيعي

#### تمهيد:

#### تعريف الشيعة ونظرة سريعة إلى واقعهم المعاصر

بادئ ذي بدءٍ نلقي الضوء على معنى كلمة شيعة في اللغة، ثم نذكر مفهوم الشيعة وواقعهم المعاصر باختصار:

فالشيعة في اللغة هم: «كل قوم اجتمعوا على أمرٍ فهم شيعة، وكل من عاون إنساناً وتحزب له فهو شيعةٌ له، وأصله من المشايعة وهي المطاوعة والمعاونة»<sup>(١)</sup>.

فالمراد بالشيعة لغة: الأتباع والأنصار وخاصّة الأعداء.

ويعرّف علماء الفرق الشيعة بأنهم: الفرقة التي زعمت أن علياً هو الأحق في وراثة الخلافة دون الشيخين وعثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جميعاً نصّاً، وحصروا الإمامة في ذريته من بعده، فهي لا تخرج عن أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيرهم أو بتقية من عندهم<sup>(٢)</sup>. وهذا التعريف ذكره بعض علماء

(١) تاج العروس (٤٠٥/٥) للزبيدي، دار ابن القيم، دمشق، الطبعة الأولى، سنة: ١٩٩٩ م

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (٦٥/١) لأبي الحسن الأشعري، الطبعة الأولى، المكتبة

العصرية، والملل والنحل (١٤٦/٦) لأبي الفتح عبد الكريم الشهرستاني، تصحيح:

أحمد فهمي محمد التوفّر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.

الفرق، ويُلاحظ على هذا التعريف أنه لا يشمل فرقة الزيدية، وهي من فرق الشيعة، فهم لا يقولون بأن علياً هو الأحق في وراثة الخلافة دون الشيخين وعثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمُ جميعاً نصاً. والتعريف المختار في هذا البحث هو أن الشيعة «اسم لكل من فضل علياً على الخلفاء الراشدين قبله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ورأى أن أهل البيت أحق بالخلافة»<sup>(١)</sup>.

والشيعة -بوصفهم فرقة- هم المقابل لأهل السنة والجماعة في المعتقدات والأفكار، بدءاً بعقيدتهم في الإمامة، وعروجاً إلى موقفهم الخاص من صحابة رسول الله ﷺ، والقول بالرجعة والمهدي المنتظر، وغيرها من عقائد مخالفة مبتدعة.

وحينما نظر إلى واقع هذه الفرقة المعاصر، نجد أن أصحابها يسارعون بخطى حثيثة، وبجهود متكاثفة لنشر التشيع في عالمنا العربي والإسلامي، وأن هذا التسارع يسير بخطى ممنهجة وذات رؤى واضحة مدركة للقفزات المتتالية، التي رسموا خطوطها المدروسة، فهم يسعون لتسخير جميع الإمكانيات الحديثة للترويج لأفكارهم الاعتقادية، وآرائهم الطائفية، فغزوا الفضاء الإعلامي بعددٍ كبير من القنوات الفضائية<sup>(٢)</sup>، هذا بالإضافة لحضورهم الكبير على الشبكة العنكبوتية، وإنشائهم لمواقع مختلفة صبغوها بالصبغة

(١) الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ٢٠٩، عبد القادر بن شيبه الحمد، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة.

(٢) انظر مقال: الفضائيات التبشيرية على الأقمار السنية لهيثم الزعفان، من موقع جريدة المصريين: (<http://almesryoon.com>).

الدينية، والدعوة للوحدة الإسلامية -على حد زعمهم-، والتظاهر بحب آل البيت، والانتصار لمذهبهم، وهنا مكنم الخطر؛ إذ إن بعض أبناء الإسلام تبنوا بعض أفكارهم وعقائدهم دون أن يعلموا أنهم قد تشيعوا<sup>(١)</sup>، والأدهى والأمرُّ هو تلك الأحلام المتفائلة من قبل بعض أبناء الطبقة الإسلامية المثقفة بدعواتٍ للتقارب والتصالح ونبذ المذهبية بين الفينة والأخرى، جهلاً منهم بطبيعة الخلاف والمفارقة بين أهل السنة والشيعة، وإخفاقاً منهم في معرفة طبيعة هذه الفرقة المتلونة، المتعبدة لله بعقيدة التقية.

## المبحث الأول

### مفهوم النشيد الشيعي وأثره في نشر التشيع

النشيد الديني بصفة عامة يطلق على: الأشعار والكلمات الأدبية الملحّنة التي تتضمن معاني دينية أو معاني ملتزمة بالضوابط الشرعية<sup>(٢)</sup>.

وعند الحديث عن مفهوم النشيد عند الشيعة لا بد لنا من التعرّيج أولاً على بعض المصطلحات التي ترد عندهم في هذا الموضوع؛ مثل: اللطميات والمأتم والرادود.

فاللطميات عندهم مفردة تطلق على المراثية التي تنشد، ويلطم

(١) انظر مقال: خطر الشيعة، للدكتور راغب السرجاني، من موقع:

(www.Islam story.com).

(٢) انظر: كتاب أصول النشيد الإسلامي المعاصر، ص ٧ وما بعدها، للدكتور علي بن حمزة

العمري، دار الأمة للنشر والتوزيع، ط ١.

الحاضرون على صدورهم حزناً وتفاعلاً مع المناسبات الحزينة «واستخدام كلمة اللطم هنا مجاز؛ لأن اللطم إنما يكون على الوجه»<sup>(١)</sup>، وغالباً ما يكون ذلك في (المأتم أو الحسينية)، وهما المكان الذي تقام فيه مراسم العزاء والمناسبات الدينية عند الشيعة، و(يغلب على أهل العراق والكويت تسميته بالحسينية، ويغلب على أهل البحرين تسميته بالمأتم)<sup>(٢)</sup>.

وغالباً ما يطلق على الذي يؤدي هذه المرثية بصوته: الرادود، حيث يؤدي الرادود المقطع من الشعر أو الكلمات الملحنة، ويردد معه الجمهور الحاضر أجزاءً من الأبيات الشعرية.

وأما النشيد الشيعي: فهو أشعار أو كلمات نثرية أدبية ملحنة يؤديها منشد - رادود - بمفرده أحياناً، ومع مجموعة من المرددين غالباً، وتتضمن معاني، دينية كما تشمل مضامين اجتماعية استجدت في العصر الحاضر<sup>(٣)</sup>. فهو بذلك يشمل اللطميات ويزيد عليها مضامين أخرى.

وتحظى الأناشيد الشيعية بمكانة عظيمة عند الشيعة في الترويج للمذهب، يقول أحد مراجعهم في بيان مكانة النشيد: «وكما نحتاج إلى أهل الاختصاص لدراسة العطاء الكبير والتراث الفني لأهل البيت عليهم

(١) انظر: إرشاد السائل ص (٨٤)، للسيد الكلباكائي، بيروت، ط ١، ١٤١٣ هـ.

(٢) انظر الموسوعة الحرة: (<https://ar.wikipedia.org/wiki>).

(٣) راجع مقالة بعنوان: الحزن الكربلائي.. نشيد الشيعة بين الديني والسياسي، لأحمد

الدريني وأحمد محمد حسن، من الرابط: ([Khttp://alalbait.com/?p=1061](http://alalbait.com/?p=1061)).

السلام، في مختلف حقول المعرفة والعلم، من الفقه والتفسير والعلوم الطبيعية والإنسانية، كالفلك، والكيمياء، والطب، والنفس، والاجتماع، فإننا نحتاج أيضاً إلى ذوي المواهب الفنية، والكفاءات الأدبية الذين يجيدون عرض سيرة آل البيت عليهم السلام، وتصوير مواقفهم الرسالية المشرفة بلغة جماهيرية، لتكون مفهومة لعامة الناس، قادرة على التخاطب مع وجدانهم ومشاعرهم، وأحاسيسهم..»<sup>(١)</sup>.

ثم يستطرد قائلاً: «إن العلماء يخاطبون العقول والأفكار، وليس كل الناس يُقبلون على الخطاب العلمي أو يستوعبونه، لكن مخاطبة القلوب والمشاعر لغة يتجاوب معها ويتفاعل معها الجميع».

ومن هذا النقل يتضح أثر النشيد الشيعي، وما يفعله في النفوس من إلهابٍ مقصودٍ للمشاعر، وإثارةٍ متعمدةٍ للعواطف؛ لإيصال الفكر الشيعي لقلوب شريحة عريضة من الناس، ومن ثم إقناع عقولهم بما فيها من بدعٍ وأباطيل، فالنشيد أصلٌ ديني مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعتقد الشيعي لا ينفك عنه، يقول أحد أشهر منشديهم: «أساس حركتنا الفنية هي خدمة للمورث الإسلامي - على حد زعمه -، وأهمه هو أهل بيت العصمة والطهارة روعي لهم الفداء»<sup>(٢)</sup>.

(١) الكاتب هنا هو حسن الصفار رجل الدين الشيعي، وهو مفكر سعودي، ولد سنة ١٩٥٨م في مدينة القطيف، وكلامه هنا من تقديمه لديوان المدائح المنظومة من موقعه:

(www.saffar.org)

(٢) هو المنشد والملحن اللبناني: أحمد همداني، قال ذلك في حوار أجرته معه قناة الكوثر،

فالنشيد لدى هذه الفرقة هو حركة فكرية، تدّعي نشر الإسلام وعلوم أهل البيت.

## المبحث الثاني

### المراحل التي مرّ بها النشيدُ الشيعي

عند التتبع لأحوال النشيد الشيعي، والوقوف في محطاته والتأمل في أطروحاته نجد أن هناك مرحلتين أساسيتين مرّ بهما النشيد الشيعي، وهاتان المرحلتان هما:

المرحلة الأولى: والتي تمثلها الحسينيات، وارتباط النشيد بها ارتباطاً وثيقاً لا ينفك عنها.

والمرحلة الثانية: وهي التي يمثلها النشيد المصور المعاصر، المسمى بـ(الفيديو كليب).

وعند الحديث عن المرحلة الأولى لا بد من التطرق لمعنى الحسينيات ومكانتها والمناسبات التي يدور النشيد في فلکها؛ ليتصور القارئ البعد المرحلي للقضية.

فالحسينيات: عبارة عن مجالس تُبنى لإقامة العديد من المناسبات الدينية، كالعزاء في أيام عاشوراء، وغيرها من مناسبات متعددة يلتقون فيها

ويجتمعون ليُثار حماسهم الشيعي وحبهم المنحرف لآل البيت، فهي المنبر الإعلامي الأول، والمجمع الرحب للشيعة، لها طابع القداسة، بل يهتمون بها أكثر من اهتمامهم بالمساجد، ولا يوجد شيعي إلا وقد دخلها وسمع ما يدور فيها، وتنتشر هذه الحسينيات في أماكن تواجدهم انتشاراً كبيراً حيث يوجد في الحي أكثر من حسينية توقف عليها الأوقاف<sup>(١)</sup>.

وعن أهمية المشاركة في الشعائر الحسينية يقول أحد مفكريهم: «إن ممارسة الشعائر الحسينية تعكس مدى استعداد الأمة للتضحية والإيثار، وأنها في ممارستها الشعائرية هذه تثبت على أنها وصلت إلى حالة الانشداد الروحي والمعنوي بقضية الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ»<sup>(٢)</sup>، فحضور هذه الشعائر، وسماع ما فيها من خطب وأناشيد له أهمية بالغة عند هذه الفرقة في تغذية مشاعرهم بالفكر الشيعي، وبعض من يعتقدون ظلماً أنهم قتلوا الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أعني أهل السنة.

وهذه الحسينيات تمثل المرحلة الأولى من مراحل النشيد الشيعي، واستمرت المرحلة إلى عصرنا الحاضر بقوتها وعنفاها تؤثر في أبناء الطائفة

(١) انظر: الفرق بين المساجد والحسينيات، تقرير مصور، على شبكة أنا المسلم:

(www.muslim.net).

ومقال: الشعائر الحسينية ماذا تعني عند الإمام المهدي، لمحمد علي الحلو على موقع:

(www.llazeinnab.org/vb/showthreadphp)

(٢) هو السيد محمد علي الحلو، وقد اشتهر بخدمة المذهب الشيعي تأليفاً ودفاعاً، ومن

أبرز كتبه: الشبهات المهدوية، وكلامه هنا من مقالته السابقة: (الشعائر الحسينية).

حتى بعد ظهور المرحلة الثانية، وهي ما تعرف بمرحلة النشيد المصور، فظهوره لا يُلغي قوة تأثير (الحسينيات)، بل استمرت المرحلتان تعاضد إحداهما الأخرى.

والمرحلة الثانية، وهي مرحلة النشيد المصور أو ما يعرف بـ(الفيديو كليب)، حيث يظهر النشيد مع مقاطع تصويرية ترتبط بكلمات النشيد وتعبر عنها، وقد واكب فيها النشيد الشيعي في هذه المرحلة لغة عصره، مستخدماً في ذلك الأسلوب والأداء العصري، حيث «انتقلت فعاليات التعزية الشيعية وما تحمله من رؤى وقيم من المستوى السمعي إلى المستوى البصري، وكم للصورة من أثر في نقل الرسالة والتعبير عن الولاء لأهل البيت -على حد زعمهم-»<sup>(١)</sup>، فانتقلوا من مرحلة السماع والترديد مع المنشد إلى مرحلة جديدة يستخدمون فيها ما يعرف في عالم الفن بالكورال<sup>(٢)</sup>، كما استخدموا الصورة الفنية المتقنة باستخدام ما يعرف بالجرافيك<sup>(٣)</sup>، وكذلك المؤثرات تُمرر الأفكار والمعتقدات للمشاهد والمستمع دون أن يشعر أو يعي خطورتها، ومن غير أن يميز بين صحيحها وسقيمها، وقد امتلأت قنواتهم الفضائية بهذا

(١) جريدة الوقت الشيعية، العدد ١٠٥٢ بتاريخ ١٠/١/١٤٣٠هـ، من موقع الجريدة على الإنترنت: (www.alwaqt.com).

(٢) الكورال: هو عبارة عن إنشاد مجموعة من الأشخاص بتوجيه من مدير، يقدمون الفن، مثل الصوت الخارجي الذي يسرد المشاهد الخارجية في النشيد، راجع الرابط: (http://www.almaany.com/ar/dict/arar)

(٣) الجرافيك: هو عملية فيه تجمع بين الكلام والرسومات والاتصال لتوصيل رسالة فعالة من هذا التصميم، راجع الرابط: (http://forums.cgway.net/cg32915)

الفن بمرحلتيه الأولى والثانية حسب ما يطلبه المشاهدون ليل نهار، بدعاوى ولائهم الخالص لآل البيت رضوان الله عليهم، وإظهاراً لحزنهم المزعوم على مقتل الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وحزنهم كذلك من الظلم والاضطهاد الذي يعتقدون حصوله لبعض أهل البيت، وغير ذلك من مواضيع يصورونها للمشاهد في أناشيدهم، مما سيذكر في المبحث التالي بإذن الله تعالى.

### المبحث الثالث

#### موضوعات النشيد الشيعي

من خلال استقرائي لمجموعة من الأناشيد الشيعية الموجودة على الشبكة الإلكترونية بحسب جهدي وطاقتي وجدت أن موضوعاتها مستمدة من صلب مسائل الاعتقاد لديهم، وعليها هالة من الحزن وطابع من القهر والظلم، فأحزانهم وعزاؤهم ومآتمهم التي يدينون الله بها كثيرة جداً، بل هي الصبغة الطاغية على العقلية الشيعية كما يظهر بالإضافة لوجود شيء من مناسبات الأفراح والموايد والأعياد.

ومن أظهر تلك المواضيع:

- الغلو الفاحش في أئمة آل البيت رضوان الله عليهم جميعاً، وتأليه علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ووصف آل البيت بصفات المولى عز وجل، يقول أحد أشهر رواديدهم الحسينيين<sup>(١)</sup> في أحد الأناشيد:

(١) الرادود الحسيني هو المنشد الشيعي، وسمي رادوداً؛ لأنه يُردد القصائد على الجمهور،  
=

(علي يا قل هو الله أحد علي لم يكن له كفواً أحد)<sup>(١)</sup>!!

ويصف نشيد آخر الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بأنه هو المتحكم في الكون، وهو الذي أهلك فرعون وقارون، وهو المتخصص بإنفاذ العقاب والثواب، يقول أحد أشهر رواديدهم الحسينيين<sup>(٢)</sup>:

|                      |                      |
|----------------------|----------------------|
| علي عالي على كل عالي | علي يا موكل من الرب  |
| علي ما نصّبك منصوب   | لكن بالنصّ منصّب     |
| فرعون وخسف قارون     | يا شهب على جند إبليس |
| يا مُهر النبي سليمان | يا محضّر عرش بلقيس   |
| برد وسلام ذبج النار  | وأنت النصر بالثابوت  |
| بالجبّ أنقذت يوسف    | عذت يونس بطن الحوت   |

وحسيني؛ لأنه منسوب إلى الإمام الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وانتسابه للحسين يعني أنه هو من

يذكر مصائب الحسين ومصائب أهل البيت رضوان الله عليهم - على حد زعمهم - .

وراجع مقال: نشيد الشيعة بين الديني والسياسي، لأحمد الدريني وأحمد محمد حسن،

على الرابط: (<http://alalbayt.com/?p=1061>).

(١) انظر موقع منتديات زينب: (<http://yazeinb.org>).

والرادود المنشد لهذه الأنشودة هو الملا جلال الكربلائي وهو من أشهر الرواديد

الشيعة، راجع الرابط: ([www.mollajalil.com](http://www.mollajalil.com)).

(٢) الرادود باسم الكربلائي، راجع الرابط:

(<https://www.youtube.com/watch?v=KoaCXhx02I4>)

إنت الفنا على أهل اللات      إنت السخط إنت الموت  
يا مدّر ثمود وعاد      يا نعمة وعذاب الصوت  
حكم الغيث حكم الريح      حكم الخلد حكم النار  
بإذن الله تحت يدك      والكون الذي مرّكب<sup>(١)</sup>

- ومن موضوعاته المهمة التي يدندنون حولها موضوع المهدي الغائب المنتظر الذي هو شغلهم الشاغل وقضيتهم الكبرى، وقد جاء في كلمات بعض أناشيدهم وصفه بأنه:

يا مهدي خذ إذن من الرحمن      أدركني يا شريك القرآن  
يا روح الإنسانية      سرّك سرّ التوحيد<sup>(٢)</sup>

وفي نشيد قناة المهدي:

حيث ناداك إله السماء      انشر العدل في الخافقين  
بارك الله تعالى فيك      يا سرّ الوجود<sup>(٣)</sup>

- ومن الموضوعات التي يتركز النشيد الشيعي حولها موضوع شد

(١) كلمات الشاعر: جابر الكاظمي.

(٢) للرادود نزار القطري، من موقعه على الإنترنت، راجع الرابط:

(http://www.nazaralqatari.net)

(watch?v=gircrozu - yu/www.youtube.com)

(٣) راجع الرابط:

الرحال للمرقد والتبرك بأهلها والاستغاثة بهم<sup>(١)</sup>.

- ومن الموضوعات كذلك قصصهم المكذوبة المختلقة على أصحاب رسول الله ﷺ، كحادثة الولاية، يقول أحد روايديهم:

|                |                            |
|----------------|----------------------------|
| قد أكمل الدين  | يوم الغدير                 |
| حيدر الكرار    | صار أميري                  |
| اليوم تمت نعمة | بعد الرضايا                |
| واكتمل الإسلام | في آخر آية                 |
| درب الهداية    | نور الولاية <sup>(٢)</sup> |

ويتغنى النشيد الشيعي كذلك ببعض المدن التي يُضفون عليها القداسة والطهارة ليضاهئون قداسة مكة والمدينة شرفهما الله، ويشدون الرحال لها مثل مدينة النجف<sup>(٣)</sup> وجاء في تغنيهم لها:

حول محمد للنجف دمه يجري بعد الصلاة بمسجدك أدى الزيارة<sup>(٤)</sup>

(١) راجع قصيدة (هدم قبور أئمة البقيع) ص ٣٣ من البحث.

(٢) للرادود جليل الكربلائي، راجع الرابط:

(<http://shiavoice.com/play-12219.html>)

(٣) مدينة النجف: تقع في محافظة النجف في العراق، وهي من المدن الشيعية المقدسة، ويوجد فيها ضريح الإمام علي رضي الله عنه.

(٤) راجع الرابط: (<http://www.roadeed.net/showthread.php?t=12102>)

- ومن موضوعات النشيد الشيعي مظلومية آل البيت، ومسلوبية حقوقهم، يقول رادودهم:

عشنا فترة ظلم ما إلها نظير      بين مجرم بين إرهابي وأجير  
شلون زمرة لا ديانة ولا ضمير      واللي يذبح عشرة يتسمى أمير (١)

- ومما تطرق إليه النشيد الشيعي كذلك دعوتهم لوحدة الصف، وجمع الكلمة بين أبناء الطائفة، واعتماد المراجع كافة بلا تفريق بين مرجع وآخر، يقول أحد رواديدهم:

لا تقول أنا شيرازي أنا سيستاني      لا تقول أنا أحقافي وأنا روحاني  
خامتي لا تقول أوهم خرساني      لا تقول أنا تبريزي وأنا ميلاني  
كُننا شيعة والمنهج واحد      قدوتي كل المراجع والنبي وآله أتباع (٢)

ومن الموضوعات كذلك احتفالاتهم بموالد أئمتهم من آل البيت رضوان الله عليهم وأعيادهم؛ تشييداً لانتصاراتهم الفكرية كعيد يوم الغدير، يقيمونه في الثامن عشر من شهر ذي الحجة ويزعمون أنه يوم تنصيب علي رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ (٣).

(١) راجع الرابط: (<http://www.youtube.com/watch?v=kiwsr73ZlxU>)

(٢) راجع الرابط: (<http://www.noaim.net/vb/showthread.php?t=45175>)

(٣) للاطلاع على تلك المناسبات وللوقوف على موضوعاتها، راجع على سبيل المثال:

الموقع الرسمي للرادود الحسيني ملا جليل كربلائي على الرابط:

- وقد دخلت ظاهرة جديدة في مواضيع النشيد الشيعي المعاصر، وهي الإشادة بجهود بعض رموزهم الدينية والفكرية، وتمجيد آثار قائد ثورتهم الأعظم إمامهم الخميني الذي تزعم قيادة ثورتهم الإيرانية، بل وصل الأمر إلى إقامة مجالس عزاء على ذكراه، وهذا من الخطورة بمكان إذ إن البكاء والشجن على زعيم ثورتهم لا يُعد تقديساً لذاته كشخص، وإنما هو دعوة للالتفاف حول إمام جديد يُحقق الآمال والطموحات السياسية والتوسعية<sup>(١)</sup>. ومن الأمثلة على هذه الظاهرة كلمات النشيد:

|              |                   |
|--------------|-------------------|
| نعشق الشهادة | في درب الحسين     |
| درب القيادة  | بايعنا الخميني في |
| لنصر الحسين  | مضينا ومضينا      |

(<http://www.mollajalil.net/videos.php?action=show&id=260>)

وموقع الرادود نزار القطري على الرابط:

(<http://www.nazaralqatari.net/index.php?show=sounds&lang=arabi>)

وموقع قناة فورتين الإنشادية على الرابط: (<http://ch14.tv>).

(١) كما أنشد (مع الفجر قوموا) المنشد أحمد همدان، من موقع:

([http://arabic.irib.ir/Pages/Sound\\_gallery/downloadsound.asp?id=2629](http://arabic.irib.ir/Pages/Sound_gallery/downloadsound.asp?id=2629))

وراجع اللقاء الذي أجرته معه قناة الكوثر على موقعها على الإنترنت:

(<http://www.alkawthartv.ir>)

وراجع مقالا سابقا: نشيد الشيعة بين الديني والسياسي، لأحمد الدريني وأحمد محمد

حسن، على الرابط: (<http://alalbayt.com/?p=1061>).

ومنهج الخميني مصدر السعادة  
كلنا إيمان كلنا إرادة<sup>(١)</sup>

## المبحث الرابع

### خصائص النشيد الشيعي

إن الدارس للأنشيد الشيعية يجد - بعد تأمل - مجموعة من الخصائص التي تتميز بها هذه الأنشيد، وهي خصائص أغلبية تظهر في أغلب الأنشيد الشيعية، وربما يتخلف بعضها في بعض الأنشيد، ومن أبرز هذه الخصائص:

- أن النشيد الشيعي هو قالب تصب فيه عقائد هذه الفرقة وليس وسيلة ترويح وتسلية فقط.

- يحظى الرّادود الحسيني بمكانة عظيمة، وحفاوة بالغة، فهو الداعية الأسمى الملهم الذي يركب المنبر الحسيني، ويبدأ بالتوجيه والإرشاد، فهو في هذا لا يختلف عن طالب العلم المعمم فكلاهما سواء، ولا بد أن (يؤثر في الناس والمجتمع بسلوكه وعطائه، وبإخلاصه للمنبر الحسيني؛ فكل مخلص للمنبر هو مقرب للإمام الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكل من تقرب للحسين رُوحِي فداه هو تقرب إلى الله عز وجل، وكل من تقرب وأصلح شأنه مع الله

(١) راجع نشيد: في درب الحسين نعشق الشهادة، عساكري، على الرابط:

(<https://www.youtube.com/watch?v=FVZQv1-o5H4>)

أصلح الله أموره وشأنه وحببه للناس)<sup>(١)</sup>

- لذلك تُجرى مع الرّادود اللقاءات الصحفية، والمقابلات التلفزيونية، وتطلق عليه ألقاب التفخيم، كالملا والحاج والسيد وغيرهما.

- ويمكننا أن نتصور مقدار هذه التعظيم الذي يناله الرّادود حين نستمع إلى أحدهم كيف يصف زملاءه في هذا الفن، عندما سُئل عن رأيه فيهم فقال معظماً لهم: (السؤال جداً صعب، ومن أنا حتى أقول رأيي في هؤلاء؟ هؤلاء خَدَمَةُ الحسين، من أنا حتى أقول رأيي فيهم، أنا أصغر من أن أبدي رأيي بهؤلاء العمالقة، أنا أصغر من هذا، فجزاهم الله خيراً، أنهم يحيون مناسبات ومجالس الحسين بأفضل طريقة)<sup>(٢)</sup>

- التأثير العاطفي ملموس جداً في النشيد الشيعي، بل هو المسيطر عليه، فاللحن الحزين يدك الأفتدة ويحرك الأشجان هذا بالإضافة إلى جودة الأداء وجزالة العبارة وقوة النغم، واستشعار المنشد لمعاني الأسى والألم والاضطهاد<sup>(٣)</sup>.

(١) من موقع: (<http://saihat.net/vb/archive/index.php/t-94758.html>)

(٢) هذا من كلام الرادود: نزار القطري في حوار أجرته معه قناة الكوثر، راجع موقعها على الإنترنت: (<http://www.alkawthartv.ir>)

(٣) من الأمثلة على ذلك: نشيد (يا مظلوم)، للرادود حسين الأكرف، في موكب عزاء ليلة الأربعين لأهالي البحرين إلى كربلاء المقدسة، للمشاهدة راجع الرابط:

([https://www.youtube.com/watch?v=28HuKf\\_MMhU](https://www.youtube.com/watch?v=28HuKf_MMhU))

ونشيد (لا تنسى الوصية)، للرادود باسم الكربلائي، للمشاهدة راجع الرابط:

- يتميز صوت الرّادود غالباً بالرّخامة وتعدد الطبقات، وتفاوت النبرات؛ مما يشد السامع لكلمات النشيد<sup>(١)</sup>.
- كما يصاحب النشيد المصور (الفيديو كليب) عادة مشهداً حزيناً وصورة مؤثرة، ومسرحية مكذوبة لمقتل أحد الرموز، مما يؤثّر في نفس المشاهد بالغ الأثر<sup>(٢)</sup>.
- تُؤدّي غالب الأناشيد باللهجة العاميّة، وتعتمد على نطق الحروف، فتُمدُّ حروف ويتسارع في نطق أخرى، مما يصعب فهم بعضها لغير المعتاد على سماع هذه اللهجة<sup>(٣)</sup>.

.(https://www.youtube.com/watch?v=6XPqLkDsK8k)

(١) من الأمثلة على ذلك (أوبريت المد الشيوعي ٢٠١٥ م)، للمنشد أحمد البهادلي، يعرض على قناة الفرقدين، من إنتاج شركة الخليج، للمشاهدة راجع الرابط:

.(https://www.youtube.com/watch?v=kCpGRh0xzhI)

(٢) من الأمثلة على ذلك فيديو كليب عراقي (يا خويه شيال العلم)، للشاعر: حيدر يعقوب الأسدي، للمشاهدة راجع الرابط:

.(https://www.youtube.com/watch?v=W\_w4z6U5tIA)

وكذلك يمكن مشاهدة فيديو كليب: (اللهم عجل فرج مهدينا)، الرادود مجتبي الغزالي، على الرابط:

(https://www.youtube.com/watch?v=xzV\_Kj3NDWU)

(٣) من الأمثلة على ذلك فيديو كليب (جنوني)، للمنشد: حسين فيصل، من إصدار (ارد انشدك)، محرم ١٤٣٦، للمشاهدة راجع الرابط:

.(https://www.youtube.com/watch?v=FyFKrYz0iHY)

- يلاحظ ندرة الأناشيد الداعية للتحلي بفضائل الأخلاق، وتقويم السلوك، ومعاني الإيمان الصادق بالله عز وجل ونبه محمد ﷺ<sup>(١)</sup>.
- يطغى طابع الألم ويثار في موضوع النشيد دائماً، ويلاحظ من خلال:
- بكاء الرّادود ونحيبه هو وجمهوره في أثناء الأداء، ونادراً ما يكون هناك من لا يبكي<sup>(٢)</sup>.
- كما يلاحظ ذلك من خلال صراخ الرّادود بالحاضرين إن وَجَدَ منهم كلاً أو فتوراً في الترديد؛ ليرددوا معه بصوت أقوى وأعلى فيستحث همهم بعبارات مفخمة مثل قوله: (يا أمة الإسلام - يا أبناء الحسين) مما يثير حماسهم للقضية التي جاؤوا من أجلها<sup>(٣)</sup>.
- بعض المجالس الإنشادية يحصل منها ما يُسمى بعادة اللطم<sup>(٤)</sup>

(١) ويمكن معرفة ذلك من خلال الوقوف على مواقع أشهر رواديدهم، مثل موقع باسم الكربلائي، على الرابط: ([http://shiavoice.com/cat - 70.html](http://shiavoice.com/cat-70.html)).

(٢) من الأمثلة على ذلك: بكاء ونحيب على أبي الفضل العباس، للرادود عمار الكناني، للمشاهدة راجع الرابط:

(<https://www.youtube.com/watch?v=4xFdxP7P9sU>)

(٣) من الأمثلة على ذلك راجع نشيد (متعني مشاي)، للملا عمر الكناني، في حسينية داود العاشور، للمشاهدة راجع الرابط:

(<https://www.youtube.com/watch?v=8ag41q8yD08>)

(٤) اللطم هو فعل يتم عبر الضرب على الجسد، ويتم عادة في حالة الحزن العميق على وفاة =

والضرب على الصدر أحياناً، وتخضيب الثياب بالدماء ولبس الملابس السوداء في مواسم العزاء من قبل الرّادود وجمهوره<sup>(١)</sup>.

- يستخدم مع النشيد أحياناً أدوات حادة كالزنجيل<sup>(٢)</sup> والسيوف؛ لإسالة الدماء لإظهار الحزن على أئمة آل البيت عليهم السلام<sup>(٣)</sup>.

- تسير الحشود في مواكب العزاء مسيرات جماهيرية منظمة، رجالاً ونساءً صغاراً وكباراً، مع إعلاء الأصوات بالهتاف والترديد<sup>(٤)</sup>.

شخص عزيز، وهو عادة أخذت صبغة دينية على مر التاريخ الشيعي. انظر: إرشاد السائل ص (٨٤)، للسيد الكلبكائي، بيروت، ط ١، ١٤١٣ هـ.

(١) ومن الأمثلة على إسالة الدماء بطريقة رمزية، راجع الرابط:

[.https://www.youtube.com/watch?v=QPsbG3epaxs](https://www.youtube.com/watch?v=QPsbG3epaxs)

وراجع أيضاً لطمية: (يالليل احمل دمعات عيوني)، لعمار الكناني وسيد فاقد الموسوي، على الرابط: [.https://www.youtube.com/watch?v=AOWvB4Cwb98](https://www.youtube.com/watch?v=AOWvB4Cwb98)

وكذلك لطمية (بنات النبي)، للرادود باسم الكربلائي، على الرابط:

[.https://www.youtube.com/watch?v=IdjRzHSW3aY](https://www.youtube.com/watch?v=IdjRzHSW3aY)

(٢) الزنجيل هو حزمة من الشرائط الحديدية المربوطة في خشبة يضرب فيها أعلى الظهر؛ إشارة للظلم والاضطهاد والأسى، انظر موقع:

[.www.annabaa.org/nba\\_home/nba\\_85/o25.ntm](http://www.annabaa.org/nba_home/nba_85/o25.ntm)

(٣) لمشاهدة لطمية باستخدام الزنجيل، راجع الرابط:

[.https://www.youtube.com/watch?v=LU0kOFBOetA](https://www.youtube.com/watch?v=LU0kOFBOetA)

(٤) من الأمثلة على ذلك: موكب تطبير البحرين في يوم الأربعاء في العشرين من صفر

١٤٣٥ هـ، بمشاركة الرادود باسم الكربلائي، وللمشاهدة راجع الرابط:

- تُلقى الأنشيد بلغات عدة من الفارسية والأوردو والإنجليزية<sup>(١)</sup>. يقول أحد رواديدهم: (الحسين سلام الله عليه ليس فقط للعرب، وليس للعجم، وثورته عالمية، فأنا برأيي يجب أن نقرأ القصائد الحسينية بجميع اللغات طالما أنا أعرف اللغة العربية والفارسية والإنجليزية والأوردو، لم لا، والحمد لله نفذت ما كان بقلبي، استطعت قبل أربع سنوات أن أعمل قصيدة واحدة بأربع لغات)<sup>(٢)</sup>.

- يهتم النشيد الشيعي كذلك بشريحة الأطفال اهتماماً بالغاً، يظهر ذلك من خلال الكم الهائل من الأنشيد على قناة الهادي الشيعية وهي قناة

.(https://www.youtube.com/watch?v=t1b258COknU)

(١) للوقوف على مثل هذه الأنشيد، راجع الروابط التالية:

نشيد باللغة الفارسية:

.(https://www.youtube.com/watch?v=PQqG3EUajEA)

نشيد باللغة الأوردية:

.(https://www.youtube.com/watch?v=IGvVZaXAVz)

نشيد باللغة الإنجليزية:

.(https://www.youtube.com/watch?v=bO3X-tO4giI)

وهناك لطميات تؤدى بعدة لغات من الأمثلة عليها لطمية بثلاث لغات: باللغة الفارسية والإنجليزية والأوردية، للرادود الشهير باسم الكربلائي، للمشاهدة راجع الرابط:

.(https://www.youtube.com/watch?v=-MzsYIH1SJ8)

(٢) هو الرادود نزار القطري، في حوار أجرته معه قناة الكوثر الفضائية، راجع موقعها على

الإنترنت: (www.alkawthear.com).

مخصصة للأطفال، وكذلك على المواقع الإلكترونية، يقول أحد منشديهم: (الأنشيد التي نعملها مع الأطفال أيضاً، تأخذ بعين الاعتبار التركيز على العناوين الإسلامية الثابتة، بما فيها إحياء مناسبات أهل البيت بالولادات وبالوفيات)<sup>(١)</sup>.

ويقول آخر: (الأطفال هم رجال المستقبل، وأيضاً هم شريحة المجتمع الحالي...، وإذا لم نهتم هذه الأيام أتوقع في المستقبل يكون صعباً جداً أن نجرّهم إلى الإسلام أو نجرّهم إلى التعاليم الإسلامية بسهولة، حالياً ممكن، الأمر سهل، ممكن بقصيدة واحدة أو بتعليم كارتوني...)<sup>(٢)</sup>.

## المبحث الخامس

### خطر النشيد الشيعي

من خلال التأمل فيما يُبث في القنوات الفضائية الشيعية، وما يُرى في

(١) هو المنشد أحمد همداني في حوار أجرته معه قناة الكوثر الفضائية راجع موقعها الإلكتروني: (www.alkawthear.com).

ولمشاهدة أمثلة للفيديو كليب الذي يهتم بإشراك شريحة الأطفال في النشيد الديني، راجع كليب (براءة العشق) للرادود باسم الكربلائي، على الرابط:

(https://www.youtube.com/watch?v=-wFJCG\_88sw)

وكذلك كليب (السلام) للرادود الطفل عمار الحلواجي، للمشاهدة راجع الرابط:

(https://www.youtube.com/watch?v=AKL65xUCgJY)

(٢) هو الرادود نزار القطري في حوار أجرته معه قناة الكوثر الفضائية، راجع موقعها:

(www.alkawthear.com)

مواقعهم الإلكترونية الزاخرة بالسيل الجرار من هذا الفن الإنشادي - زعموا- نجد أن هناك قناة خُصصت للمشاهد العربي والإسلامي، ووجهت للشريحة السعودية خصوصاً - دون آلات موسيقية!!- وهي قناة (فورتين) الإنشادية الشيعية<sup>(١)</sup>.

كما أن هناك العديد من المواقع الإنشادية على الشبكة الإلكترونية، منها ما خصص لأشهر رواديدهم، ومنها ما خصص لفرقهم الإنشادية، ومنها ما خصص لتحميل الأنشيد مطلقاً بلا تخصيص برادود معين أو فرقة إنشادية، وسأذكر هنا بعضها على سبيل المثال لا الحصر؛ لكثرتها:-

فمن المواقع التي خُصصت لأشهر الرواديد:-

- موقع أبي ذر الحلواجي: ([www.abather.net](http://www.abather.net)).

- موقع جليل الكربلائي: ([www.mollajalil.com](http://www.mollajalil.com)).

- موقع نزار القطري: ([www.nazaralqatari.net](http://www.nazaralqatari.net)).

- موقع ميرزا حسين كاظم: ([www.meerza.com](http://www.meerza.com)).

ومن المواقع التي خُصصت لبعض الفرق الإنشادية:

- فرقة أهل البيت الإنشادية: ([www.razaweya.net](http://www.razaweya.net)).

- فرقة وعد السماء: ([www.ahsarh.com](http://www.ahsarh.com)).

(١) رابط القناة: (<http://ch14.tv>).

- منتديات الفلك الجارية: (<http://alfuka.bar.org>).

ومن المواقع الإنشادية العامة:

- موقع صوتيات يا مهدي نت: ([www.mahdimedia.net](http://www.mahdimedia.net)).

- موقع مكتبة الأنوار الصوتية: ([www.alanwar-sounds.com](http://www.alanwar-sounds.com)).

- موقع القصائد الولائية: ([www.kasaed.net](http://www.kasaed.net)).

- موقع الأوجام كوم: ([www.alwajam.com](http://www.alwajam.com)).

وجميع هذه المواقع يُتاح للمتصفح التحميل منها بالمجان دون تسجيل في الموقع.

يقول أشهر رواديدهم وهو يصف خدمات المواقع المجانية: «أنا لذي موقع على الإنترنت، ولذي منتدى سميته ملتقى الشعراء، والباب مفتوح لأي شاعر ولأي شخص، ليس شرطاً أن يكون شاعراً. الباب مفتوح ويُسجل في الملتقى، سواء يضع قصائد أو يستفيد من القصائد الموجودة إذا كان يريد أن يستفيد، ولا يحتاج إلى تسجيل دخول ولا يحتاج إلى تسجيل في الملتقى، الباب مفتوح لجميع الشعراء، أنا لم أحدد تعاملي مع أي شاعر يضع قصيدة في الملتقى، أنا آخذ القصيدة وأقرأها»<sup>(١)</sup>.

(١) راجع حوار قناة الكوثر مع الرادود نزار القطري على موقع القناة:

ومن خلال هذا التمهيد ندرك المساحة الإعلامية التي يحتلها النشيد الشيعي، وسهولة الحصول على تلك الأناشيد وتحميلها والاستماع إليها، بل أحياناً قراءتها؛ لأن أكثرها مكتوبة في المواقع مما يُشكل خطراً كبيراً على أبناء الطائفة، وعلى أبناء أهل السنة والجماعة.

### فمن ناحية خطرها على أتباع المذهب:

نجد أن تمرکز كلمات النشيد حول معاني الظلم الذي يدعونونه والذي يُتخذ كذريعة لتخدير الأتباع وتسييرهم وصياغة فكرهم الولائي لآل البيت، بثقافة الحقد الدفين على أهل السنة والجماعة منذ عهد الصحابة الكرام الأطهار الميامين إلى وقتنا الحاضر، فالمظلومية في التراث الشيعي قضية عميقة في كيانه، لها جذورها التاريخية منذ بدء الرسالة وإلى وقتنا الحالي.

مع العلم أن المظلومية عندهم أنواع منها:

- ١: مظلومية اجتماعية: حيث يُنبذ فيها الشيعي ويكفر ويستباح دمه.
- ٢: مظلومية سياسية: يتم فيها إقصاء الشيعة وعزلهم عن الساحة وإلغاء جميع حقوقهم كأكثرية ساحقة - على حد زعمهم -.

ومن الأمثلة الواضحة على هذه المظلومية المزعومة من أناشيدهم، نشيد عنوانه: (بذو لفقارك يا علي) والذي يؤدّى في مناسبات العزاء التي يقيمها الشيعة في ذكرى وفاة أئمتهم، وفيها يظهر الرادود وهو في قمة الأسى والألم، فينشد ويردد معه الجمهور ويدقون على صدورهم مشاركةً له في ألمه وحرسته، يقول الرادود في نشيده هذا:

عشنا فترة ظلم مالها نظير      بين مجرم إرهابي وأجير  
 شلون زمرة لا ديانة ولا ضمير      واللي يذبح عشرة يتسمى أمير

فيحكي الرادود في هذه الأبيات اضطهاد أهل السنة للشيعة وتاريخهم  
 الماضي المرير، كما يزعم، ثم يعقد مقارنة بين منهج الشيعة السلمي وهم  
 أتباع علي وبين منهج أهل السنة العدائي بزعمه، فيقول:  
 يا علي دينك الإسلام السمح      ودينهم تفجير وإرهاب وذبح  
 هالمثل معروف النا ومتضح      نطفة المشبوهة لا تظن تنصلح<sup>(١)</sup>

### وأما عن خطر النشيد الشيعي على أبناء أهل السنة:

فإن كثيراً من عوام السنة غير محصنين بحقيقة معتقد هذه الفرقة، وغير  
 مدركين لخطورة الكلمة؛ فعامتهم لا يشدُّهم نحو النشيد إلا النغم واللحن<sup>(٢)</sup>،

(١) للرادود باسم الكربلائي، للمشاهدة راجع الرابط:

(<http://www.youtube.com/watch?v=vpkgqHDSd5c>).

(٢) للوقوف على حجم انتشار الأناشيد الشيعية بين أبناء السنة ومعرفة مدى تأثرهم بألحانها،  
 يكفيننا النظر في محرك البحث قوقل ومعرفة أسئلة واستفسارات شباب أهل السنة للعلماء  
 عن حكم الاستماع للأناشيد الشيعية، كما في الروابط التالية -على سبيل المثال -:

- (<http://islamqa.info/ar/125645>).

- (<http://islamqa.info/ar/146334>).

- (<http://www.meshkat.net/node/16184>).

- (<http://akhawat.islamway.net/forum/index.php?showtopic=225915>).

وما يرسله من رسائل حزن وألم تدقُّ على أوتار قلوبهم الضعيفة، مع ما يصاحب ذلك من جهل بأبعاد القضية، واعتقاد منهم بأن الخلاف مع هذه الفرقة مسألة هامشية، واستسلام الكثير منهم لدعوات نبذ الطائفية؛ بل إن الأدهى والأمر هو ترويج الشيعة لفكرة أن الشيعة مذهب فقهي خامس من المذاهب السنية، وقد تكفل دُعاة الشيعة بنشر مثل هذه الأفكار، وسعى مراجعهم في ترسيخها في أذهان كثير من أهل السنة حتى لا يتوجس منهم المخالف، ويدعون في كثير من مناسباتهم إلى نبذ الخلاف والجمود والتعصب، وفتح آفاق التواصل والحوار بين أبناء المسلمين، وزعمهم أنهم هم أهل الوحدة، وهم من سيجري على أيديهم لَمَّ شتات هذه الأمة وتضميد جراحاتها، ووقف نزيفها، عن طريق حكومتهم المزعومة، وهذه المعاني جميعها مما تتضمنه أناشيدهم الدينية، فالنشيد الشيعي هو عقيدة ودعوة، وليس مجرد كلمات خاوية المعاني والمرامي.

بالإضافة إلى ما سبق فإن بثّ مفاهيم المظلومية الشيعية من خلال النشيد يؤدي إلى تعاطف عوام السنة مع الوجدان الشيعي والإحساس بصدق دعاويهم في الظلم الذي تعرضوا له وسلب الحقوق وجور التاريخ وظلم الآخر.

ويتعدى خطر النشيد الشيعي الجانب العاطفي إلى جوانب أخرى سياسية

=

- (<http://www.buraydahcity.net/vb/archive/index.php/t-83454.html>).

- (<http://forum.hawahome.com/t313856.html>).

- (<http://www.almeshkat.net/vb/showthread.php?t=77722>).

واجتماعية وعقدية وفكرية.

فعلى الصعيد السياسي نجد أن النشيد الشيعي يحمل رسالة القدح -مثلاً- في نظام الحكم السعودي، بوصفه نظاماً يُمثل مذهب أهل السنة والجماعة ويشكك في قيام الدولة على تعاليم الشريعة الغراء<sup>(١)</sup>.

وعلى الصعيد العقدي نجد أن النشيد يثير العديد من الشبهات المتعلقة بدين الله وبنقله الوحي الأبرار رضوان الله عليهم، وغيرها من الشبهات، ومن الأمثلة على ذلك وصف أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بالجبب والطاغوت. يقول أحد رواديدهم الحسينيين:

رسول الله عرّج أحرقوا الدارا      لفاطمة تعال واطفىء النارا  
عليها الجبب والطاغوت قد جارا      لقد غرزا بصدر العرش مسمارا<sup>(٢)</sup>

ويقول آخر عن صحابة رسول الله ﷺ:

مو الصحابة خانوا نببهم      والله ما عنده ضمير اللي يرضى بهم  
هم حمالة حطب تبّت أيديهم      يا عذاب من السما ينزل عليهم<sup>(٣)</sup>

(١) راجع قصيدة (هدم قبور أئمة البقيع) ص ٤٧٥ من البحث.

(٢) للرادود باسم الكربلائي للمشاهدة راجع الرابط:

(<https://www.youtube.com/watch?v=A8R4rqsS2ok>)

(٣) للرادود باسم الكربلائي للمشاهدة راجع الرابط:

(<https://www.youtube.com/watch?v=A-uzHI2bCFk>)

وعلى الصعيد الفكري نجد أن النشيد يحمل في طياته سيلاً من السب والشتم لمذهب أهل السنة والجماعة - الذي يسمونه المذهب الوهابي في زعمهم - وللعقيدة السلفية وعلماؤها، وكل ذلك بهدف تنفير الناس من المنهج الحق منهج أهل السنة والجماعة، ومن الأمثلة على هذا الأنشيد، قول رادود من أشهر رواديدهم:

|                    |                                   |
|--------------------|-----------------------------------|
| هذه أفكار الوهابية | ضد الأمة الإسلامية                |
| هذه أفكار الوهابية | ما تريد نعيش بحرية                |
| هذه أفكار الوهابية | صارت ضد الإنسانية                 |
| هذه أفكار الوهابية | ضد الأفكار الشيعية <sup>(١)</sup> |

### المبحث السادس

#### مقترحات عملية للتعامل مع النشيد الشيعي

إن الحديث عن الأنشيد الشيعية وخطرها يجرنا - ولا بد - إلى الحديث عن واجبنا تجاه هذا الخطر، ولعل من البديهي القول إن الواجب هنا لا ينحصر في جهة من الجهات دون غيرها سواء كانت تلك الجهات تمثل أفراداً أم مؤسسات، فلا بد أن تتكامل في هذا الموضوع جهود الجهات الرسمية - كوزارات الإعلام والتعليم والثقافة، والهيئات والمؤسسات

(١) للرادود جليل الكربلائي، للمشاهدة راجع الرابط:

المعنية بالفكر والشباب-؛ للتضافر مع جهود العلماء وطلبة العلم والمفكرين والباحثين؛ لتصب جميعها في التصدي لخطر هذه الأناشيد ولخطر نشر التشيع بشكل عام.

ولعلي أضع بين يدي القارئ هنا مجموعة من المقترحات التي أرى أنها يمكن -إن تم الأخذ بها- أن تساهم في التصدي لهذا الخطر:

- إجراء المزيد من البحوث والدراسات حول هذا الموضوع، والاهتمام برصد ومتابعة وملاحقة تطور الأناشيد الشيعية ومدى تأثير شبابنا بها، وكشف الجهات القائمة عليها.

- إجراء المزيد من الدراسات البحثية المتعلقة بعقائد الشيعة، وبيان ضلالها بلغة سهلة ميسرة يفهمها شباب الأمة؛ لتكون هذه الدراسات مادة مرجعية سهلة يمكن استثمارها وتحويلها إلى مواد إعلامية بقوالب مشوقة، ويمكن في هذا الصدد استثمار الثورة الهائلة التي نعيشها في عالم الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، والبرامج والتطبيقات الذكية في بيان انحراف عقائد هذه الفرقة الضالة.

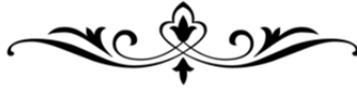
- إجراء المزيد من الحوارات والنقاشات واللقاءات بين الشباب والعلماء وطلبة العلم؛ مما يزيد فرص التواصل واستفادة الشباب من العلماء بشكل مباشر ويردم الفجوة بينهم.

- التحذير من خطر هذه الأناشيد الشيعية من خلال خطب الجمعة والدروس والمحاضرات والندوات العلمية والحوارات الفكرية والأنشطة

- الثقافية، وإصدار نشرات وكتيبات بلغة عصرية مناسبة للشباب وللأطفال.
- توعية الأسر بأهمية مراقبة أجهزة القنوات الفضائية ومواقع الإنترنت التي يرتادها الأبناء من الشباب والأطفال، ونشر قوائم بأسماء القنوات والمواقع المشبوهة للتحذير منها.
  - أن تقوم الجهات المختصة في وزارة الإعلام بحجب القنوات والمواقع التي تبث هذه السموم العقديّة في عقول شبابنا وأطفالنا، فليست المواقع التي تنشر الصور والمقاطع الإباحية أشدّ خطراً من هذه المواقع التي تبث العقائد الضالة.
  - أن تتبنى الجهات المختصة في وزارة الإعلام خطة محكمة في التصدي لخطر نشر التشيع بين شباب الأمة، ويتطلب ذلك أهدافاً واضحة ومفصلة ومراحل متدرجة، تشمل الوقاية من هذه السموم العقديّة، كما تشمل العلاج ورد الشبهات لمن تأثر بها، كما تشمل الدعوة للمنهج الحق بين أبناء الشيعة وشبابها، بالأساليب العصرية ذاتها التي يستخدمونها، وبلغة وأسلوب مناسبين، وما يتطلبه ذلك من إنشاء قنوات فضائية ومواقع على الشبكة العنكبوتية.
  - الاهتمام بالوسائل الحديثة المؤثرة، وما يعرف بالإعلام الجديد، وبت رسائل التوعية والتحذير من خلاله، فالوصول إلى الشباب من خلال هذه البرامج أسرع وأكثر ملاءمة للغتهم واهتماماتهم.
  - تشجيع الأدباء والشعراء وأصحاب المواهب الأدبية عامة في الأمة

على المزيد من الإنتاج للنصوص الأدبية في قوالبها المتعددة، من شعر وقصة ورواية وغيرها، بمضامين عقدية سليمة وأفكار راشدة، ونخص الشعراء هنا بالاهتمام، فالشعر كان ولا يزال وسيلة مؤثرة في نقل الأفكار والعقائد مع التأثير العاطفي في النفوس.

هذه بعض المقترحات التي أرى أن الأخذ بها أو ببعضها يسهم في أداء جزءٍ من الواجب علينا تجاه هذا الأمر إن صدقت النوايا وكلل ذلك توفيق الله جل وعلا.



## الفصل الثاني

### نماذج من الأناشيد الشيعية، مع نقدها<sup>(١)</sup>

#### المبحث الأول:

#### نقد نشيد (ما أتوب وأنا شيعي)<sup>(٢)</sup>

الحمد لله إن كان ذنبي محبة أولاد النبي  
 ما أتوب وأنا شيعي رغم أنف الناصبي  
 بالمعادي كان حبهم ذنبي عنه ما أتوب  
 وبعكس قولك أنادي حبهم كثير الذنوب  
 واسطة بين البرية وبين علام الغيوب  
 عترة الهادي محمد لهم الله المجتبي  
 الحمد لله إن كان ذنبي محبة أولاد النبي  
 ما أتوب وأنا شيعي رغم أنف الناصبي

(١) وقع اختياري على هذه الأناشيد لأنها الأشد فتكا والأكثر إظهاراً لعقائد القوم، بالإضافة

إلى أنها ملحنة بأصوات أعذب وأشهر رواديدهم الحسينيين.

(٢) للرادود صلاح رمضان من موقع سلفادور للإبداع الحسيني: (www.selfador.net).

عترة الهادي تنادي إحنًا للشيعة حمى  
إحنًا لولانا المهيمن ما خلق أرض وسما  
إحنًا كل من عاف حبنا صايبه بقلبه العمى  
ما يمل الشيعي منا شيخ يلهج والصبي

الحمد لله إن كان ذنبي محبة أولاد النبي  
ما أتوب وأنا شيعي رغم أنف الناصبي

عترة الهادي محمد للخلق صارت سفون  
عنهم كل من تخلف إسلامه يحصل لا يظن  
ولركب هاي السفينة يبشر بورقه أمن  
يمهر المختار بيها حيدر الليث الأبيّ

الحمد لله إن كان ذنبي محبة أولاد النبي  
ما أتوب وأنا شيعي رغم أنف الناصبي

وبعكس هالورقة تطلع ورقة اللي ما ركب  
سودة والعنوان بيها هذا لجهنم حطب

روحه ملعونة وخبيثة رادت من الله الغضب  
 ما رضت من عالم الذر يوم قال الله اركبي  
 الحمد لله إن كان ذنبي محبة أولاد النبي  
 ما أتوب وأنا شيعي رغم أنف الناصبي  
 هالخلق باجر جزاهم للمذاهب تنسأل  
 ناس مذهبهم ضلالة وناس مذهبهم عدل  
 حين يسألوني أجاب لا أخاف ولا أذل  
 أنا يا رب العرش جعفر الصادق مذهبي  
 الحمد لله إن كان ذنبي محبة أولاد النبي  
 ما أتوب وأنا شيعي رغم أنف الناصبي  
 والربوبية عظيمة نزهونا يا خلق  
 عن مراتبنا وقولوا فينا ما شأتم صدق  
 عالصراط اللي يوالينه يمر شبه البرق  
 وأنت يا جثة عدونا بالجحيم اتقلبي

الحمد لله إن كان ذنبي محبة أولاد النبي  
ما أتوب وأنا شيعي رغم أنف الناصبي

بنظرة عامة على كلمات هذا النشيد نجد أن كلماته قد حُشدت بتكرار  
الحقد على أهل السنة والجماعة، وتصوير الخلاف بين أهل السنة والشيعية  
على أنه خلاف في محبة آل البيت.

وقد تضمن النشيد كذلك الكثير من الأخطاء العقديّة الكفرية، باتخاذ  
الوسائط بين المخلوق والخالق، والغلو في أئمتهم رضوان الله عليهم، فمن  
البيت الأول للنشيد ينفث الشاعر حقه على أهل الحق فيقول:

الحمد لله إن كان ذنبي محبة أولاد النبي  
ما أتوب وأنا شيعي رغم أنف الناصبي

ويلجأ إلى تزوير الحقائق، زاعماً أولاً أنه من محبي أولاد النبي ﷺ،  
وليت شعري هل محبة أبناء النبي ﷺ تكون بمخالفة منهجهم وترك  
صراطهم الذي ساروا عليه؛ صراط التوحيد وإفراد الله بالعبادة، أم أن  
دعاهم والاستغاثة بهم والشرك هو محبتهم؟!

وإننا نلاحظ أن الشاعر -كعادة الشيعة- يصور الخلاف مع أهل السنة -  
الذين يسميهم بـ(النواصب)- على أنه خلاف بين فريقين، فريق يُحب أبناء  
النبي ﷺ، وفريق يكرههم، وهذا من التدليس المكشوف، وهو منتشر في  
كتبهم -أعني وصف أهل السنة بأنهم أعداء لآل البيت-. يقول أحد

مراجعهم الكبار: «إن الأئمة عليهم السلام وخواصهم أطلقوا لفظ الناصبي على أبي حنيفة وأمثاله، مع أن أبا حنيفة لم يكن ممن ينصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام، بل كان له انقطاع إليهم وكان يظهر لهم التودد»<sup>(١)</sup>.

ويقول آخر: «وأما النواصب من علماء أهل السنة فكثيرون أيضاً، منهم: ابن تيمية، وابن كثير الدمشقي، وابن الجوزي، وشمس الدين الذهبي، وابن حزم الأندلسي، وغيرهم»<sup>(٢)</sup>.

ووصف أهل السنة بالنواصب يقتضي الحكم بكفرهم ومن ثم استباحة دمائهم وأموالهم عند عموم علماء هذه الطائفة، ويكفي هنا ذكر أقوال بعض علمائهم للتأكيد على هذه القضية، يقول أحد فقهاءهم في كتابه ما نصه: «إن إطلاق المسلم على الناصب وأنه لا يجوز أخذ ماله من حيث الإسلام = خلاف ما عليه الطائفة المحقة سلفاً وخلفاً من الحكم بكفر الناصبي ونجاسته وجواز أخذ ماله بل قتله»<sup>(٣)</sup>.

ويقول -أيضاً- في موضع آخر: «وإلى هذا القول ذهب أبو صلاح وابن إدريس وسلار، وهو الحق الظاهر من الأخبار لاستفاضتها وتكاثرها بكفر المخالف ونصبه وشركه وحل ماله ودمه، كما بسطنا عليه الكلام بما لا

(١) الأنوار النعمانية (٢/ ٣٠٧)، نعمة الله الجزائري، طبع تبريز، إيران.

(٢) كشف الحقائق ص ٢٤٩، علي آل محسن، دار الصفوة، بيروت.

(٣) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، (١٢/ ٣٢٣، ٣٢٤)، يوسف البحراني، دار

الأضواء، بيروت لبنان، ط ٢، ١٩٨٥ م.

يحوم حوله شبهة النقض والإبرام، في كتاب الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب وما يترتب عليه من المطالب»<sup>(١)</sup>.

وأما عن نجاسة أهل السنة في اعتقاد الشيعة فيقول مرجعهم الميرزا حسن الحائري الإحقيقي في كتابه (أحكام الشيعة): «النجاسات: وهي اثنا عشر، وعدّ الكفار منها، ثم عدّ النواصب من أقسام الكفار»<sup>(٢)</sup>.

ويقول شيخهم نعمة الله الجزائري: «وأما الناصب وأحواله، فهو يتم بيان أمرين؛ الأول: في بيان معنى الناصب الذي ورد في الأخبار أنه نجس، وأنه أشرّ من اليهودي والنصراني والمجوسي، وأنه نجس بإجماع علماء الإمامية رضوان الله عليهم»<sup>(٣)</sup>.

وبناءً على هذه الروايات التي شكلت اعتقاد الشيعة في كفر أهل السنة واستباحة دمائهم وأموالهم، والحكم بنجاستهم يفهم معنى إطلاق الشاعر لفظ النواصب على أهل السنة في أبيات النشيد.

ثم نجد ادعاءً مكرراً في أبيات النشيد مفاده أن الشيعة هم الفرقة المقابلة لأهل السنة والجماعة؛ وذلك لتميزهم وتفردهم عن أهل السنة بحب آل البيت، وهذا كذب وافتراء على أهل السنة والجماعة وتزوير للحقائق، فإن

(١) المرجع السابق، (١٠/٣٦٠).

(٢) أحكام الشيعة، (١/١٣٧)، المرزا حسن الحائري الإحقيقي، مكتبة جعفر الصادق، الكويت.

(٣) الأنوار النعمانية، (٢/٣٠٦) نعمة الله الجزائري، طبعة الأعلمي، بيروت.

أهل الحب الحقيقي للنبي ﷺ وعترته هم السلف وأئمتهم رضوان الله عليهم وأتباع منهمجهم.

فمحببة أهل بيت رسول الله ﷺ من العبادات التي يتقرب بها المسلم لربه سبحانه.

وقد أوصى النبي ﷺ في عدة أحاديث بأهل بيته، فمن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ قال: «وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما: كتاب الله، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»<sup>(١)</sup>. وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني»<sup>(٢)</sup>. وفي مسلم أيضاً: «ابنتي بضعة مني يريني ما رابها ويؤذيني ما آذاها»<sup>(٣)</sup>. وروى البخاري رحمه الله أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أنت مني وأنا منك»<sup>(٤)</sup>. كما قال النبي عن الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب ليأخذن بالراية غداً رجل يحبه الله ورسوله، حديث رقم: ٤٤٢٥، ٢٤٠٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب فاطمة عليها السلام، وقال النبي ﷺ فاطمة سيده نساء أهل الجنة، حديث رقم: ٣٥٥٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ عليها الصلاة والسلام، حديث رقم: ٤٤٨٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حديث رقم: ٣٤٩٨.

فثنتين من المسلمين»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال للحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه»<sup>(٢)</sup>.

وعن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه: «قولوا: اللهم صلّ على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»<sup>(٣)</sup>.

وفي الصحيحين عن أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «والذي نفسي بيده لقراءة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرأته»<sup>(٤)</sup>.

وروي عنه أيضاً في صحيح البخاري أنه قال: «ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته»<sup>(٥)</sup>؛ أي: احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسيئوا إليهم، وقد نص أهل

(١) صحيح البخاري - كتاب الصلح - باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ابني هَذَا سَيِّدٌ، حديث رقم: ٢٥٥٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب كان أشبههم برسول الله ﷺ وكان مخضوباً بالوسمة، حديث رقم: ٣٥٣٩، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الحسن والحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، حديث رقم: ٤٤٤٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب اللهم صل عليه فأثاه أبي بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى، حديث رقم: ٥٩٩٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، حديث رقم: ٣٩٩٨، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب لا نورث ما تركنا فهو صدقة، حديث رقم: ١٧٥٩.

(٥) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب لا نورث ما تركنا فهو صدقة إنما يأكل آل

العلم على أن من عقيدة أهل السنة والجماعة محبة أهل البيت وتعظيمهم من غير غلو، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن أصول أهل السنة والجماعة، سلامة قلوبهم وألستهم لأصحاب رسول الله، ويعجبون أهل بيت رسول الله، ويتولونهم ويحفظون وصية رسول الله فيهم»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الآجري: «واجب على كل مؤمن ومؤمنة محبة أهل بيت رسول الله ﷺ، بنو هاشم: علي بن أبي طالب وولده وذريته، وفاطمة وولدها وذريتها، والحسن والحسين وأولادهما وذريتهما، وجعفر الطيار وولده وذريته، وحمزة وولده، والعباس وولده وذريته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: هؤلاء أهل بيت رسول الله ﷺ، واجب على المسلمين محبتهم، وإكرامهم، واحتمالهم، وحسن مداراتهم، والصبر عليهم، والدعاء لهم»<sup>(٢)</sup>. وقال الإمام ابن قدامة المقدسي في (لمعة الاعتقاد): «ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين المطهرات المبرئات من كل سوء، أفضلهم خديجة بنت خويلد وعائشة الصديقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه، زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برأها الله منه فهو كافر بالله

محمد من هذا المال يعني مال الله، حديث رقم: ٣٥٠٩.

(١) شرح العقيدة الواسطية ص ١٩٥، صالح الفوزان، نشر مكتبة المعارف، الرياض، ط ٤، ١٤٠٧هـ.

(٢) الشريعة (٢٢٧٦ / ٥)، محمد بن الحسين الآجري أبو بكر، تحقيق: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، دار الوطن، سنة ١٤١٨هـ.

العظيم»<sup>(١)</sup>.

فمحبّة أهل بيت رسول الله ﷺ من صميم عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي من حقوقهم علينا، كما أن من حقهم علينا نصرتهم وإكرامهم والذب عنهم.

ثم تمضي أبيات النشيد ويقول الشاعر:  
واسطة بين البرية وبين علام الغيوب  
عترة الهادي محمد لهم الله المجتبي

وهنا تصريح بعقيدتهم في الاستغاثة بعترّة النبي ﷺ وجعلهم واسطة بين الخلق وبين الله علام الغيوب، وهذا مخالف لصريح القرآن يقول المولى عزّ شأنه: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ<sup>٤</sup> وَلَا يُبْنِيكَ مِثْلَ خَيْرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

ومن المخالفات العقدية الظاهرة في هذا النشيد -وهي مخالفة لا يكاد يخلو منها نشيد من أناشيدهم- الغلوّ في الأئمة حتى وصل الأمر بالشاعر أن زعم أن الله لم يخلق السموات والأرض إلا لأجلهم، فيقول:  
عترة الهادي تنادي إحنًا للشيعة حمى  
إحنًا لولانا المهيمن ما خلق أرض وسما

(١) لمعة الاعتقاد ص ١٧٨، ابن قدامة المقدسي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤،

فأي ضلال هذا؟! والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج: ١٨]، وقال عز شأنه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيوْا ظِلَّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ [النحل: ٤٨-٤٩].

فهل خلق الله السماوات والأرض لأجل أئمة الشيعة أم خلق الكون هذا مسخرًا له ولعبادته؟ تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً.

ومن المسائل العقدية الظاهرة جداً في هذا النشيد الحكم بالضلال على كل أتباع المذاهب الإسلامية، فكل من لم يوالِ أئمتهم بطريقتهم في المولاة يكون ضالاً، يقول المنشد:

هاخلق باجر جزاهم للمذاهب تنسأل

ناس مذهبهم ضلالة وناس مذهبهم عدل

ومع أن الرافضة يغفلون في الأئمة، إلا أنهم لم يأخذوا بأقوالهم، ولم يقتدوا بهم. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا نُسَلِّمُ أن الإمامية أخذوا مذهبهم عن أهل البيت؛ لا الاثنا عشرية ولا غيرهم، بل هم مخالفون لعلي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وأئمة أهل البيت في جميع أصولهم التي فارقوا فيها أهل السنة والجماعة... والنقل بذلك مستفيضٌ في كتب أهل العلم، حيث إن معرفة المنقول في هذا الباب عن أئمة أهل البيت يوجب علماً ضرورياً بأن

الرافضة مخالفون لهم لا موافقون لهم»<sup>(١)</sup>. ويقول أيضاً: «إن الأئمة الذين يُدعى فيهم العصمة قد ماتوا منذ سنين كثيرة، والمنتظر له غائب أكثر من أربعمئة وخمسين سنة، وعند آخرين هو معدوم لم يوجد، والذين يُطاعون شيوخٌ من شيوخ الرافضة، أو كتب صنفها بعض شيوخ الرافضة، وذكروا أن ما فيها منقول عن أولئك المعصومين، وهؤلاء الشيوخ المصنفون ليسوا معصومين بالاتفاق، ولا مقطوع لهم بالنجاة. فهم يتبعون شيوخهم الذين يأكلون أموالهم بالباطل ويصدّون عن سبيل الله، يأمر ونهم بالغلو في الشيخ وفي خلفائه وأن يتخذوهم أرباباً»<sup>(٢)</sup>.

وكل تلك المخالفات العقديّة تقدم لعوام الشيعة في قوالب من الشحن العاطفي، فهم «لا يرون الحق إلا في جانبهم، مهما كانت أفكارهم باطلة وخارجة عن العقل أو العرف والمألوف، ويكفّرون غيرهم تبعاً لهذه الأفكار السمجة، ويلمزونهم بشتى الألقاب والنعوت مثل: (أبناء العامة، الوهابية، النواصب) وكلها نعوت مكفّرة عندهم، يغذي هذه العقيدة حقد مجوسي فارسي عميق ضد الإسلام»<sup>(٣)</sup>.

(١) منهاج السنة (٤ / ١٦)، ابن تيمية، تحقيق: د محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط ١.

(٢) المرجع السابق (٣ / ٤٨٨).

(٣) لا بد من لعن الظلام (بحث في جذور المأساة الحقيقية ومعالم المنهج المطلوب في خطاب التشيع الفارسي في ضوء المنهج القرآني كي لا ننسى)، ص ١٧١، للدكتور طه حامد الدليمي، غير مطبوع، على الرابط:

.(http://dsbook.dd-sunnah.net/viewbook-ddsunnah-50.html)

## المبحث الثاني

نقد نشيد (هدم قبور أئمة البقيع)<sup>(١)</sup>

|                              |                               |
|------------------------------|-------------------------------|
| وهدمت من آل الرسول قبورها    | الليلة آل سعود حكمت جورها     |
| الحسن والباقر قبر زين العباد | الليلة هدم قبور أئمة للرشاد   |
| هذي أهل بيت الرسالة ونورها   | وجعفر الصادق لسان أهل الرشاد  |
| وقبر فاطم أم أمير المؤمنين   | قبور إبراهيم ابن طه الأمين    |
| وقبر مرضعة النبي من نزورها   | وقبر رمز الوفاء ذيج أم البنين |
| ولقبر آمنه أم سيد الأمم      | ومسجد الزهرة وقبر حمزة انهدم  |
| ذيج معروفة ببذلها ودورها     | وبعض زوجات النبي ومنهم علم    |
| ودعمت الإسلام أبد ما قصرت    | ذيج أم المؤمنين اللي ساعدت    |
| حي خديجة الطاهرة أم نورها    | بكل الأموال لرسول الله بذلت   |

(١) هذه القصيدة للشاعر العراقي حيدر الأسدي، من مواليد ١٩٨٧م، وهو صحفي وكاتب

وناقده، راجع الرابط:

(<http://www.alnoor.se/author.asp?id=1320>)

انظر موقع الرادود ملا جليل الكربلائي على الرابط:

(<http://www.mollajalil.net/vb/mollajalil15402>)

نورها الزهراء أم تسعة أنوار  
 لها السبب تنهدم آثار الأظهار  
 السبب هدم قبورها لا موبدع  
 يخلف الهادي برسالة والشرع  
 هذي دعوة تكشف الزيف الجره  
 تسأل الياسبب موت الطاهرة  
 وشنهو هذا الأثر من بيت الأحزان  
 تجي تقول إحنا أثر ذل وهوان  
 ومن تجي تسأل على قبر الحسن  
 ابن أبو سفيان سمّه وامتحن  
 ينفضح مروان وسهام الدجل  
 وينكشف دور الرذيلة أم الجمل  
 تنكشف هاي الحقائق بالقبور  
 تكشف الأدوار وتكشف الستور  
 سبل خير ومعدن الله والأسرار  
 حيث تكشف جرم كل مستورها  
 السبب ها الأثار واللي بيها اضطجع  
 وهذي تكشف زيفها وكل زورها  
 بالسقيفة ومن تشاهدها الوره  
 ومنهو آذاها وهتك لستورها  
 يعيد صرخات الحزن ويه الزمان  
 لفاطمة وصار البكي محذورها  
 بيا سبب مات ومنو راس الفتن  
 وينفح بعده اللي إجت بدورها  
 الصوبوها لنعش ابن خير العمل  
 المنعته دفن النبي وبشورها  
 من تجي الشيعة وعليها من تدور  
 وتنكشف أهل الرذيلة قصورها

|                                |                              |
|--------------------------------|------------------------------|
| يهود نجد من السعودية بحزم      | لها سبب عادت بحملات الهدم    |
| من أهل بيت المصطفى يشع نورها   | لجن ما تدري يظل بيت العلم    |
| من أبو سفيانها لحيدر لعن       | ويل آل سعود ما تقره الزمن    |
| تبقه معنه للعدالة وسورها       | صاح صوت الحق إلك يابا الحسن  |
| وهذا نفس الدور والواقع يعيد    | ذبح صرخات الزمن تلعن يزيد    |
| وتظل وصمة عار هدم قبورها       | دور آل سعود أشرار العييد     |
| وسفه تستولون عالييت الحرام     | تظل وصمة عار يا عار الإسلام  |
| ويصلب لغاصب الخلافة وزورها     | يوم الكم بيه بظهور الإمام    |
| كل إرث مغصوب من شر العييد      | ذاك يوم يظهر المهدي ويعيد    |
| ويبعته بالكعبة يم ستورها       | وفجر هذا اليوم ما هو بالبعيد |
| وييدي بالثارات بالهتكت أستار   | ذاك يوم جهنم وياخذ الثار     |
| والبعدا وإجت لعبت دورها        | بيت جدّه المصطفى وشبت النار  |
| السقط عالعتبة من أثر ضربة لعين | ويعد يصرخ ياخذ بشار الجنين   |
| والسبواها بعد ذبح خدورها       | وياخذ بشار الرضيع ابن الحسين |

يمته تنهض سيدي ملّ الصبر      ذبحوا بالشيعة الأعراب أهل الغدر  
 بعديا جرح وعليمن تنتظر      ضاقت الشيعة عليك صدورها  
 يعيرونه بغيتك يبن الحسن      تدري جار الدهر وأعراب الفتن  
 ويه الدهر صفتّ علينا وهالمحن      ما كو غيرك نرتجي يا سورها

وتناولت أبيات هذا النشيد الطويل العديد من المظاهر الشركية والمنكرات العقديّة، فضلاً عن المغالطات والتدليس والتناقض الظاهر البين.

فقد ملئت القصيدة بالحديث عن القبور، والدفاع عنها، بل حتى عن قبر أم الرسول ﷺ، ومروراً بالغلو في أم المؤمنين خديجة وتسميتها بـ(معدن الله والأسرار)، ثم الشتم الصريح للصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ووصفهم بالمتأمرين على الخلافة وعلى أذى فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، ثم اتهام معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صراحة بقتل الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، واتهام عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بأنها منعت دفن الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند قبر النبي ﷺ، كما اشتمل النشيد على التمجيد والدعوة للطواف حول القبور، وتكفير الحكومة السعودية، ووصف حكامها بيهود نجد، ثم القول بعقيدة الرجعة وإحياء الموتى والرجاء في غير الله ﷻ، فإذا علمنا أن كل ذلك في نشيد واحد وفي أربعين بيتاً فقط، عرفنا خطورة ما تمثله تلك الأناشيد من زرع وتأكيد للعقائد الباطلة عند هؤلاء القوم.

تبدأ القصيدة من البيت الأول بتصوير الحكومة السعودية على أنها

معادية لآل الرسول ﷺ، فيقول الشاعر:

الليلة آل سعود حكمت جورها      وهدمت من آل الرسول قبورها  
وتعتبر هدم القباب الموجودة على تلك القبور بأنه هدم للقبور ذاتها،  
وتستعرض القصيدة مجموعة من القبور، قبر إبراهيم ابن النبي ﷺ، وقبر  
فاطمة، وقبر أم البنين، وقبر حليلة السعدية، وقبر خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم جميعاً.  
ويصرح البيت الحادي عشر بأن سبب هدمهم للقباب التي على القبور  
ليست لأنها من البدع؛ بل سبب هدمها كي يغطي على جرائم أهل السنة -  
على حدّ زعمهم - في حق أولئك المقبورين، فيقول الشاعر:

لهالسبب تنهدم آثار الأطهار      حيث تكشف جرم كل مستورها  
السبب هدم قبورها لا موبدع      السبب هاالأثار واللي بيها اضطجع

والحق أن الشيعة الاثني عشرية تعلقت بالقبور والمقبورين، ويمكن  
القول: إن تلك القبور تمثل ركناً أصيلاً في دينهم، وقد روى الكليني عن أبي  
عبدالله جعفر الصادق أنه قال: «إن المؤمن إذا أتى قبر الحسن (ع) يوم عرفة  
واغتسل من الفرات ثم توجه إليه، له بكل خطوة حجة بمناسكها - ولا  
أعلمه إلا قال: - وغزوة!»<sup>(١)</sup>

ويجبر عن تعلقهم بالقبور أحد مراجعهم الكبار صراحةً بقوله: «وردت  
رواية بتفضيل كربلاء على البيت الحرام ونحن نعلم أن علياً (ع) خير من

(١) الكافي (٤/ ٥٨٠)، للكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨ هـ

الحسين، كما نطقت به الروايات فيكون قبره خير من قبره فيكون أفضل من الكعبة أيضاً»<sup>(١)</sup>!!

وحيثما سُئل عما يسمونه بحادثة هدم القباب في الثامن من شوال عام ١٣٤٤ هـ أفتى بأنه يجب أن تعقد لها المجالس الحسينية للتذكير بها وإشعال قضيتها، وضرورة جمع التواقيع لمطالبة الحكومة السعودية ببنائها وأشار إلى ضرورة لبس السواد ورفع الرايات والتكبير في المآذن في ذراها<sup>(٢)</sup>.

وبعد ذلك تنتقل أبيات القصيدة إلى اتهام الصحابة رضوان الله عليهم بالتواطؤ على سلب الإمامة من علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حادثة السقيفة بل والتآمر على قتل فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

هذي دعوة تكشف الزيف الجره بالسقيفة ومن تشاهدها الوره

تسأل الياسبب موت الطاهرة ومنهو آذاها وهتك لستورها

بل ويصف أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بـ(الزيلة)، وأنها منعت دفن

الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند قبر الرسول ﷺ، فيقول الشاعر:

وينكشف دور الزيلة أم الجمل المنعته دفن النبي ويشورها

(١) هو محمد صادق الصدر، في المسألة التاسعة من كراسة المسائل الدينية وأجوبتها، (٥/٢).

(٢) انظر مقال: ثقافة الكراهية، من الرابط:

(http://www.alrashead.net/index.php?derid=382&partd=23)

وهذه الآيات تجسد عقيدة القوم في صحابة رسول الله ﷺ، والتي يعبر عنها الكليني فيما رواه عن أبي جعفر قائلاً:

«كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، رحمة الله وبركاته عليهم، ثم عرف أناس بعد يسير، وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحى، وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمر المؤمنين مكرهاً فبايع»<sup>(١)</sup>.

ويقول غيره: «وعقيدتنا في التبرؤ أننا نتبرأ من الأصنام الأربعة: أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان، والنساء الأربع: عائشة وصفية وهند وأم الحكم، وجميع أشياعهم وأتباعهم وأنهم شر خلق الله على وجه الأرض، وأنه لا يتم الإيمان بالله والأئمة إلا بعد التبرؤ من أعدائهم»<sup>(٢)</sup>.

فما أجراً هؤلاء القوم على الله وعلى صحابة رسول الله ﷺ الذين قال الحق عنهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال عز شأنه في وصفهم: ﴿سُحَّمدَ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ

(١) الكافي (٨/ ٢٤٥ - ٢٤٦).

(٢) هو محمد باقر المجلسي في حق اليقين ص ٥١٩، ترجمه إلى العربية: عبد الستار التونسوي في كتابه: بطلان عقائد الشيعة ص ٣٥، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع.

بَيْنَهُمْ تَرْتُهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ  
السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَازْرَهُ فَاسْتَعْلَظَ  
فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ يَعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿ [الفتح: ٢٩].

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «وهذا الوصف لجميع الصحابة عند  
الجمهور»<sup>(١)</sup>. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا  
أصحابي، لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد  
ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»<sup>(٢)</sup>. ومما جاء في فضلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ  
حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «خير الناس قرني، ثم  
الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»<sup>(٣)</sup>.

ولولا أن الله علم طهارة قلوبهم - رضوان الله عليهم - ما اصطفاهم

(١) زاد المسير: (١/ ٢٠٤)، ابن الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي،  
بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، باب خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره  
حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي، حديث رقم: ٣٤٧٠، وصحيح مسلم،  
كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، باب تَحْرِيمِ سَبِّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حديث رقم: ٤٦١٠.

(٣) صحيح البخاري، كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، حديث رقم:  
٣٤٥١، وصحيح مسلم، كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، باب فضل الصحابة رضي الله تعالى  
عنهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث رقم: ٢٥٣٣.

لصحبة خليله ونبيه محمد ﷺ.

ثم تتوالى أبيات القصيدة، ويصف الشاعر تعظيم الشيعة للقبور وطوافهم حولها، وأنهم بذلك كله تنكشف لهم حقائق المؤامرات على آل البيت، فيقول:

تنكشف هاي الحقائق بالقبور      من تجي الشيعة وعليها من تدور  
إذا كانت القبور في دينهم أفضل من الكعبة، فلا عجب أن يُطاف بها  
ويتعبد.

ثم يعود الشاعر لينفث حقه على الدولة السعودية، لا لجرم فعلته إلا أنها هدمت قباب الشرك على القبور، فيصفها بـ(يهود نجد) و(أشرار العبيد)، ويتوعدهم بالويل والثبور، ويعبر عن استيلائهم للبيت الحرام، ويهددهم برجعة إمامهم الغائب بقوله:

تظل وصمة عار يا عار الإسلام      وسفه تستولون عالبيت الحرام  
يوم الكم ييه بظهور الإمام      ويصلب لغاصب الخلافة وزورها  
ذاك يوم يظهر المهدي ويعيد      كل إرث مغصوب من شر العبيد

ونلاحظ عقيدة الشيعة في القول بالرجعة لغائبهم المنتظر، الذي سيصلب الخلفاء الراشدين: أبا بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، بعد أن يحييهم!! وأنه سيُعيد لفاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إرثها المغصوب من أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهذه العقيدة الباطلة يستدل عليها الشيعة بنحو مائة آية من كتاب الله، أوّلوها بما لا يسعفه

برهان ولا تقوية حجة، بل إنه لا إيمان لمن لا يعتقد بالرجعة<sup>(١)</sup>.

وقد نسبوا إلى الإمام القائم قوله: «وأجيء إلى يثرب، فأهدم الحجره - يعني الحجره النبويه-، وأخرج من بهما وهما طريان-يعني أبا بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ لأنهما دفنا مع النبي ﷺ في بيته وبجوار قبره-، فأمر بهما تجاه البقيع، وأمر بخشبتين يُصلبان عليهما، فتورقان من تحتها، فيفتن الناس بهما أشد من الأولى»<sup>(٢)</sup>.

ولقد دلت نصوص الكتاب والسنة على بطلان ذلك المعتقد، ومن الآيات الدالة على بطلان ذلك قول الله ﷻ: ﴿ حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۗ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۗ (١٠٠) ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

وقوله سبحانه: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨].

وقوله عز وجل: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٧].

والنصوص السابقة تبين وتؤكد أنه لا رجعة لأحد مات إلا ببعثه يوم القيامة، وقد أجمع المسلمون على اختلاف مذاهبهم على بطلان عقيدة

(١) انظر: الاعتقادات ق ٢٣/ب، لمحمد باقر المجلسي، تحقيق: مهدي الرجائي، أصفهان،

مكتبة المجلسي، ١٤٠٩هـ.

(٢) بحار الأنوار (٥٣/٣٩)، المجلسي، الناشر: إحياء الكتب الإسلامية.

الرجعة، كما أن العقل الصحيح يرفض ذلك المعتقد الفاسد؛ إذ ما معنى إخراج الصحابة الأطهار الأبرار لتعذيبهم في الدنيا ثم إعادة العذاب عليهم في الآخرة؟ أليس ذلك من الظلم البين لأناس أثنى الله عليهم في كتابه واصطفاهم لصحبة نبيه؟ فما الجرم الذي ارتكبه لإخراجهم من قبورهم قبل يوم القيامة لتعذيبهم؟ هل يقبل ذلك عاقل!؟.

وقد تراجع بعض أئمة الشيعة المعاصرين عن هذه العقيدة، وبين بطلانها، كان منهم المرجع حسن المؤيد، فقد قال: «الرجعة هي مفردة من المفردات التي تطالنا في عقيدة الشيعة الإمامية، وهي على العموم - كما عرفت في كتب العقيدة الإمامية - عبارة عن رجوع فريق من الموتى سواء من الصالحين أو الطالحين إلى الحياة في الدنيا، فيؤخذ الطالحون بجريرتهم ويقتض منهم، ويدال للصالحين من الطالحين، وذلك عند قيام المهدي، وكذلك بعد وفاته، يرجع بعض الأئمة إلى الحياة الدنيا، وهذه العقيدة الباطلة لها تفاصيل في كتب الشيعة تنطوي على الطعن بأجلأ الصحابة وبعض أمهات المؤمنين، مما يشمئز منه الوجدان السليم ويأباه العقل.

وقد استند الإمامية في هذه العقيدة الباطلة إلى أخبار يروونها عن أئمة أهل البيت، ومما يلفت النظر عدد تلك الروايات، حيث بلغت من الكثرة حدًّا يبعث على الاستغراب في موضوع كهذا بالنسبة إلى سائر المواضيع الأخرى، وهو مؤشر على الوضع والدس الذي تسلل إلى الفكر الشيعي، وقد حاول بعض متكلمي الإمامية الاستدلال ببعض الآيات الكريمة لدعم

هذه العقيدة التي لا أصل لها في القرآن الكريم والسنة الصحيحة. أما الآيات التي استدلوها بها فهي غير دالة على الرجعة التي يقول بها الإمامية، ذلك أن رجوع بعض الأموات إلى الحياة الدنيا في مقطع زمني سابق وفي حالة خاصة، وبشكل استثنائي لا يدل على الرجعة بالمفهوم الذي يقول به الشيعة، ويدعون أنه سيتحقق في المستقبل، بل الرجعة بالمفهوم الذي يتبناه الإمامية مخالف لآيات القرآن الكريم المرتبطة بالموت والبعث، وقد ذكرنا ذلك في جواب عن سؤال حول الرجعة، يمكنك الاطلاع عليه في موقعنا، في قسم الأسئلة العامة، تحت عنوان: جواب سؤال عن سند رواية حول الرجعة وبيان بطلان القول بالرجعة»<sup>(١)</sup>.

وتختم القصيدة بدعوة إمامهم المنتظر إلى الخروج، ويصرف الرجاء له وحده، فيقول الشاعر:

ويه الدهر صفت علينا وهالمحن ماكو غيرك نرتجي يا سورها

والمشدد في هذا البيت يصرف عبادة الرجاء إلى مهديهم الغائب المنتظر، بل ويحصر الرجاء فيه وحده، والرجاء من العبادات القلبية التي لا تصرف إلا لله تعالى وحده، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

والملاحظ في النشيد الشيعي كثرة استحضاره لأسطورة المهدي

(١) موقع حسين المؤيد، على الرابط:

.(http://www.almoaiyad.com/question/ethaf\_elsaeel/3\_31.html)

المنتظر، والتي هي وسيلة تعبيرية نفسية تعويضية عن عجز الشيعة وإخفاقاتهم المستمرة في التاريخ، فهم يعتقدون أن التمكين لهم -والذي لم يتحقق على مدى قرون طويلة- لن يحدث إلا بتغيير قواعد التاريخ بخروج هذا المنقذ، الذي يتميز بقدرات خارقة وتصورات إعجازية في الفكر الشيعي، ولذلك تعلق عليه الآمال ويُصرف له الرجاء؛ استدعاءً لخروجه، حتى لو كانت طريقة رجوعه تخالف كل قوانين الكون ونواميس الحياة.

### المبحث الثالث

#### نقد نشيد (يالماتسى تارك)<sup>(١)</sup>

|                              |                               |
|------------------------------|-------------------------------|
| يالماتسى تارك ملينا انتظارك  | يتأملك يا لمنتظر ضلع الوديعه  |
| يا ابن الغوالب ما تبقى غايب  | لا بد تصح ساعة فرج تعلن قدومك |
| رب العوالم بس هو عالم        | هو يدري ليا سبب نترجى يومك    |
| وأنت بدليلك جمرة غليلك       | سهرانة عينك وبرغد نامت خصومك  |
| شفت العجايب من هالنواصب      | لوتذبح اللي بالمهد محديلومك   |
| شقد تصبر عجيبه تحمل جم مصيبة | وبضامرك تارك أثر ضلع الوديعه  |
| ساعة ظهورك نترجى نورك        | يا من رهيفك للسنن يحفظ شرعها  |

(١) لطيمة لباسم الكربلائي من موقع: (<http://sh.a.mine.nu/cat-?=2875.html>).

تصرخ يا ثار الطاهرة وكسرة ضلعها  
وتواسي يا ابن العسكري الزهراء ودمعها  
كل من هضم بنت النبي وكل من فجعها  
تصبح بحزن ليش انكسر ضلع الوديعة  
كل من على حدود الشرع داس وتعمد  
وتقل له شنهو اللي جنت بضعة محمد  
ليش اعصرتها وعلى الأرض محسن توسد  
وقفه طويلة بالحشر والباري يشهد  
أول حكم بيهم صدر ضلع الوديعة  
لا والذي جن وإنس صارت تعبده  
على الشجرة من أول صنم والثاني بعده  
والطالب بذاك الفدك والحق ترده  
لمن كسر ضلع الطهر يا غاية عنده  
هو الذي بيده كسر ضلع الوديعة

لسيفك ترفعه لصوتك نسمة  
قبل الوقايح تجري المدامع  
يا ابن الكتائب توقف تحاسب  
وسيفك يتساءل عن ظلم الأوائل  
بسيفك تحاكم كل طاغي ظالم  
عالزهراء أمك تحجي ويا خصمك  
ياللي هضمتها شلون ظلمتها  
باطل عملكم ويا الزهراء الكم  
بسيفك من تجهيم لا تصدق حجيم  
السيف يمينك ما تغفى عينك  
قوم اللي تكيده تصلبه بايدك  
الأول تصلبه لشارك تطلبه  
والثاني تقصد من عنده تشد  
من ييدي الندامة لا تقبل كلامه

لا تغفر لهم اقطع نسلهم  
 ذوله الذي قطعوا نسل سيد البرية  
 بارينا رايد حفظ الأماجد  
 هو الذي حفظ نسل النبي رغم الأذية  
 الماضي نعوفه الحاضر نشوفه  
 جم زاهد بزاهد ترك نهج الرعية  
 باسم الديانة يصرح لسانه  
 واليلزم عناده ما تفيده العبادة  
 ويسكن سقر من كل من نكر ضلع الوديعه  
 من هذا حزنك ما يغفى جفئك  
 تشوف الخفايا عندك دراية  
 لون جمعنا كل مجتمعنا  
 منهو التزم دين النبي ومنهو اليخادع  
 مؤمن تحسبه لمن تجربه  
 بالمية واحد سيدي مخلص مدافع  
 مسلوبه الضماير عاشوا علمظاهر  
 أحس من الشمر دينه المطامع  
 شقد انتظرنا وياسهرنا  
 إلا الذي منهم ذكر ضلع الوديعه  
 لقلبك نواسي بهاي المآسي  
 تتأمل نجوم السما وما شفنا نجمك  
 نَحِن لحنينك نون لونيئك  
 نخلط دمعنا بدمعتك همنا ويا همك  
 من تحضر لنا ت جمع شملنا  
 نتقابل ونجري الدمع عالزهاء أمك  
 تمنى لو نحظى بوقت هالطلة يَمَّك

هالطة الرشيدة والغرة الحميدة وبطلعك قول انجبر ضلع الوديعه

في أبيات هذا النشيد جمع ضخم للعقائد الشيعية، صيغت بأسلوب عاطفي مؤثر في عوامهم، فالنشيد يذكر مسألة ادعائهم أن الصحابة تشاركوا في كسر ضلع فاطمة، ويذكر بعقيدتهم في رجعة إمامهم الثاني عشر، ويكشف عن حقد بلغ منتهاه حين يدعو الشاعر إلى قتل أطفال أهل السنة حتى من هم في المهد، وتبعاً لعقيدتهم في الرجعة يذكر عقيدتهم في إحياء المهدي - المزعوم - للصحابة، والأخذ بالثأر منهم، ويذكر للمهدي بعض صفات الربوبية، ومنها أنه لا يغفو جفنه، ومنها أنه يعلم الغيب، ثم يكفر كل من أنكر قصة كسر الضلع، وأنه مهما فعل من أعمال لا تنفعه عبادته بل أن مصيره إلى سقر.

تلك مجمل المخالفات العقديّة في هذا النشيد، ونلاحظ أن قصة كسر ضلع فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا احتلت حيزاً كبيراً في النشيد، يذكر بها الشاعر بعد كل مقطع، وهذه القصة المختلفة مفادها: أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذهب إلى بيت فاطمة وعلي رضى الله عنهم أجمعين، مطالباً علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بمبايعة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فهجم عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على البيت، وقام بكسر الباب فارتطم الباب بالسيدة فاطمة فكسر ضلعها، وأسقط جينياً لها يسمى محسناً. والبعض الآخر يقول: إن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لطم وجه الزهراء حتى طار القرط (الحلق) من أذنها، وأنه أراد إحراق الدار<sup>(١)</sup>. قال شيخ

(١) انظر: الإرشاد (١/ ٣٥٥)، للمفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق

الإسلام ابن تيمية: «ومنهم من يقول: إن عمر غضب بنت علي حتى زوّجه بها! وأنه تزوج غضباً في الإسلام! ومنهم من يقول: إنهم بعجوا بطن فاطمة حتى أسقطت، وهدموا سقف بيتها على من فيه، وأمثال هذه الأكاذيب التي يعلم من له أدنى علم ومعرفة أنها كذب، فهم دائماً يعمدون إلى الأمور المعلومة المتواترة ينكرونها، وإلى الأمور المعدومة التي لا حقيقة لها يثبتونها، فلهم أوفر نصيب من قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٨]، فهم يفترون الكذب، ويكذبون بالحق، وهذا حال المرتدين»<sup>(١)</sup>.

فالقصة بلا شك مكذوبة ومردود عليها بمخالفة رواياتها للقواعد الحديثية، ومصادمة متنها للعقل السليم، وقد تحفظ بعض علمائهم على صحتها وأنكرها بعضهم، وممن تحفظ عليها المرجع الديني محمد حسين فضل الله، عندما سئل: (ما رأي سماحتكم بقضية كسر ضلع مولانا الزهراء سلام الله عليها، وهل سماحتكم لا ترون بأن الخليفة الثاني كان السبب؟)

جاء جوابه: «إننا لم نثبت حادثة كسر الضلع، كما أنه لم يثبت نفيها، وذلك من جهة عدم وفاء الأحاديث بالدلالة على ذلك من جهة أسانيدها ومضامينها، والمهم في المقام القول بأن هذه المسألة هي من المسائل التاريخية، وليست من مسائل العقيدة والإمامة، فتختلف فيها الآراء؛ تبعاً

التراث، ط ٢، ١٤١٤ هـ، وبحار الأنوار (١/ ٢٢٠ - ٢٢٧)، للمجلسي.

(١) منهاج السنة النبوية، (٤/ ٤٩٣)، ابن تيمية.

لاختلاف الأصول المعتمدة، ولا يجوز أن تجعل مشاراً للتشهير بالعلماء، وندعو المؤمنين إلى التبين والوعي في ذلك، والاهتمام بسير المعصومين في أقوالهم وأفعالهم ومواعظهم وتراثهم»<sup>(١)</sup>.

وقال في جواب آخر له: «وسئلت عن كسر ضلع الزهراء فقلت آنذاك: إن الرواية - حسب اطلاعي - الواردة في هذه القضية ضعيفة، وقلت: إن التحليل التاريخي يجعل الإنسان متحفظاً في هذا الموضوع.. لأن المسألة أنني أثرت علامة استفهام، وأبدت بعض التحفظات من أجل إثارة البحث حولها، خاصة وأن ما نعرفه من جمهور المسلمين الشيعة - في احتفالاتهم بالزهراء عليها السلام - أنهم يتحدثون عن ذلك بشكل يوجب الثقة حتى بالحديث الضعيف، وأن المسألة يقينية لا تحتمل الخلاف أبداً، مع العلم أن الأخذ بالحديث الضعيف إذا عمل به، المشهور محل كلام عندهم، فالمرحوم آية الله السيد الخوئي (قدس سره) كان يرى أن عمل المشهور من الناس لا يجبر ضعف الخبر الضعيف. مع أن البعض يرى أنه يجبر ضعفه.. وأحب أن أؤكد أن مسألة كسر ضلع الزهراء وعدمه وإسقاط جنينها وعدمه هي من المسائل التاريخية، فلا تمس أصل التشيع ولا الشريعة الإسلامية»<sup>(٢)</sup>.

(١) موقع محمد حسين فضل الله: (بينات) على الرابط:

(<http://arabic.bayynat.org/ListingFAQ2.aspx?cid=30&Language=1>)

(٢) راجع موقع كمشكاة، على الرابط:

([http://al-meshkah.com/maaref\\_detail.php?id=3684](http://al-meshkah.com/maaref_detail.php?id=3684))

وممن أنكر هذه الحادثة أيضاً حسين المؤيد، قال في حوار أجري معه على (العربية.نت): «أنكر قصة ضلع فاطمة، وإذا كان آية الله حسين فضل الله يشكك، حيث يقول: إنه لا يؤكد ولا ينفي، أنا أنفي القضية تماماً، ورأيتي الأكثر صراحة بين علماء الشيعة»<sup>(١)</sup>.

كما أورد في فتواه: «قد ذكرنا أن حادثة كسر ضلع الزهراء -عليها السلام- غير ثابتة، بل القرائن المنطقية تدل على أنها غير صحيحة، ولم تكن هذه الحادثة سبباً لوفاتها -عليها السلام-. وإنما المستفاد من النقول التاريخية أنها مرضت ووافها الأجل، سلام الله عليها»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الأقوال تؤكد كذب هذه الحادثة الأئمة التي يتغنى بها النشيد الشيعي البائس.

ثم ينتقل الشاعر ليُعبّر عن عقيدتهم في الرجعة قائلاً:  
يا ابن الغوالب ما تبقى غايب لا بد تصح ساعة فرج تعلن قدومك

وإن في عودته أخذاً للثأر من أهل السنة الذين يسميهم الشاعر -كعادة الشيعة- بالنواصب، ويصل الحقد منتهاه حين يخبر الشاعر بأن قتل هؤلاء السنة بل وقتل أبنائهم وأطفالهم -حتى الذين لا يزالون في المهد- لا ملامة فيه، يقول:

(١) راجع موقع قناة العربية، على الرابط:

(http://www.alarabiya.net/articles/2009/04/05/69991.html)

(٢) المرجع السابق.

شفت العجايب من هالنواصب      لوتذبح اللي بالمهد محد يلومك  
فأى حقد تُملاً به صدور عامتهم على أهل السنة من خلال تلك الأناشيد؟  
فلا يستغرب بعد ذلك ما يحدث من بعضهم في العراق وسوريا وغيرها.  
وأما عقيدة الرجعة، وما يتبعها من اعتقادهم بإحياء الموتى، ثم صلب  
الخليفتين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا والأخذ بشأر الشيعة، فكل تلك العقائد الباطلة ظاهرة  
ومُشارٌ إليها في أبيات النشيد<sup>(١)</sup>، تأمل قوله:  
لسيفك ترفعه لصوتك نسمعه      تصرخ يا ثار الطاهرة وكسرة ضلعها  
بسيفك تحاكم كل طاغي ظالم      كل من على حدود الشرع داس وتعمد  
قوم اللي تكيده تصلبه بايدك      على الشجرة من أول صنم والثاني بعده  
وغيرها من الأبيات التي نلاحظ فيها التصريح بأن مهديهم المزعوم  
سوف يحاكم من تسببوا في ظلم فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وأنه يصلب الراشدين أبا  
بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بعد إحيائهم.  
ولا يقف النشيد عند هذا الحد من إضفاء صفة إحياء الموتى لمهديهم  
المزعوم، بل ويتعداه بوصفه بصفات الربوبية، فهو لا يغفو جفنه:  
من هذا حزنك ما يغفى جفنك      غايب لاجن يا ابن الحسن عينك تطالع  
فسبحان من لا تأخذه سنة ولا نوم، كيف يشركون به حتى في الربوبية؟

(١) وقد سبق نقدها، راجع ص ٥٢ وما بعدها من البحث.

ويصف النشيد المهدّي كذلك بصفات ربنا سبحانه في قول الشاعر:  
تشوف الخفايا عندك دراية منهو التزم دين النبي ومنهو اللي يخادع  
لاحظ كيف جعلوا مهديهم المزعوم يعلم الغيب ماضياً ومستقبلاً،  
فسبحان من قال: ﴿ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَوْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ [مريم: ٧٨].  
وقال عز شأنه: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا  
فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ  
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وكل تلك العقائد الكفرية تمرر للعامة في ثوب عاطفي مؤثر، بلحن  
جميل وأداء عالٍ؛ فتسرب إلى النفوس، وتمتلئ بها الصدور حقداً على أهل  
السنة والجماعة.

### المبحث الرابع

#### نقد نشيد (هموم ناصبي)<sup>(١)</sup>

|                     |                    |
|---------------------|--------------------|
| تري ياناس أنا مليت  | وأنأ أوزع كتب ثورة |
| أريد أهدي ها الشيعة | حيروني هالزمره     |

(١) القصيدة للرادود صلاح الرمضان بمناسبة مولد الإمام علي رضي الله عنه من موقع:

(http://montada.basimk.com/showthread.php?t=107002).

مليون ألف مطبوعة  
 عقلي حارجي طار  
 كل شي أناسويته  
 قلت أهديها لأطفال  
 نشرت إعلان عال்தلفاز  
 ترى مذهب علي بدعة  
 وابن حنبل ترى معروف  
 وترى بدعة الفرح يا عيال  
 وترى دجال كل من قال:  
 وآل أمية مظلومين  
 ولا تزورون آل البيت  
 ولا تصدق أبد شيعي  
 وحتى النبي المختار  
 وأبو السجاد أعني حسين  
 والمهدي ترى بدعة  
 واللي يقول بالرجعة  
 ومراجعكم ترى يكذبون  
 بس هالبشر ما تقره  
 وبقلبي غدت حسرة  
 وفجأة أجتني فكرة  
 وأكسب فيهم الأجرة  
 تعالوا وادخلوا الدورة  
 ولازم منه نتبره  
 وبالعالم له شهرة  
 والطم على العترة  
 مظلومة فاطمة الزهرة  
 وسيرتهم ترى عطرة  
 ولا حد يعتني بالحضرة  
 ترى معروف في سحره  
 ما ينفعه في قبره  
 لازم ينمحي ذكره  
 وغلط يا أولادي نتظره  
 كاذب منفضح أمره  
 وعلى الأصحاب تتجره

|                        |                     |
|------------------------|---------------------|
| واللي يسبهم انحره      | ولازم نعشق الأصحاب  |
| واجب نحرقه انفجره      | واللي يزور قبر حسين |
| والأطفال متتورة        | خلصت دروسي وارتحيت  |
| وكل واحد أختبره        | قلت أعمل لهم تقويم  |
| نحب الأصحاب أو العترة؟ | سألت بسرعه يا ولادي |
| سمعنه صوت من بره       | وفجأة وأنا وياهم    |
| تنادي حسين وتذكره      | ولا صوت لطيمه       |
| جنها جنود متتورة       | ولا حشودها لأطفال   |
| وقامت تلطم ابخره       | فصخت كل فنايلها     |
| واتردد ألف مرة         | تنادي يا حسين اتصيح |
| تعبني راح والسهرة      | قمت أطم على راسي    |
| طلع حبهم على الفطرة    | واويلاه واويلاه     |

في هذا النشيد يتمثل الشاعر، دور رجل من أهل السنة - (ناصي) في زعمه - ويكتب القصيدة على لسانه، وتمثل القصيدة حرص هذا السني على تحويل الشيعة عن مذهبهم، ويبدل في سبيل ذلك الكثير والكثير، من طباعة الكتب وإنفاق المال وغيرها، ثم يحاول أن يغير عقيدة أطفال الشيعة، فيقيم لهم دورة يبين لهم فيها أخطاءهم العقديّة، وفضل أصحاب النبي ﷺ، ولكنه وبعد

كل هذا التعب يُفاجأ بأنهم لم يتأثروا بل لا زالوا يدعون الحسين من دون الله؛ وذلك لأن مذهبهم وحبهم مبني على الفطرة - في زعمه - وخلال ذلك كله يحشد كمّاً هائلاً من عقائدهم المنحرفة على سبيل السخرية ممن ينكرها.

في بداية نشيده يثبت - من حيث لا يدري - تغليب الشيعة للعاطفة على الحجج العقلية الصحيحة، ومن ثم يحشو قصيدته بالتدليس على أهل الحق، وتصويرهم بأنهم يكرهون آل البيت، ويشير إلى كذبتهم الكبرى في ادعاء ظلم الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لفاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، ويسخر ممن ينكر على الناس استغاثتهم بالمقبورين واستغاثتهم بالنبي ﷺ، ويذكر عقيدة الرجعة لمهديهم المزعوم، ويصور الخلاف بين الصحابة على أنه خلاف بين الحق والباطل، فإما أن تكون مع آل البيت أو مع الصحابة رضوان الله عليهم.

تبدأ القصيدة بتصويره حيرة رجل (ناصيبي) - كما يزعمون - من عدم قدرته على هداية الشيعة رغم إنفاقه المال الكثير وطباعة الكتب فيقول:

مليون ألف مطبوعة      بس هالبشر ما تقره  
عقلي حار جيبي طار      وبقلبي غدت حسرة

ومن ثم تنتقل القصيدة لتشويه صورة أهل السنة، بالزعم أن مذهب الشيعة هو مذهب علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأن السنة يكرهون عليّاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ويُمجّدون أحمد بن حنبل:

نشرت إعلان عالتفاز      تعالوا وادخلوا الدورة

ترى مذهب علي بدعة  
 وابلن حنبل ترى معروف  
 ولازم منه نـتـبره  
 وبالعلم له شهرة  
 وتري بدعة الفرخ يا عيال  
 والطم على العترة

ويذكر الشاعر إنكار أهل الحق على الشيعة عبادتهم لقبور أئمتهم  
 فيستعظم ذلك، ويستعظم إنكار أهل السنة الاستغاثة بالنبي ﷺ أيضاً،  
 فيقول:

ولا تزورون آل البيت  
 ولا تصدق أبد شيعي  
 ولا حد يعتني الحضرة  
 ترى معروف في سحره  
 وحتى النبي المختار  
 ما ينفعه في قبره  
 وأبو السجاد أعني حسين  
 لازم ينمحي ذكره

فأي ضلال أشد من ضلال من يرى الضلالة ديناً يجب عدم إنكاره، قال  
 تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي  
 السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ: ٢٢].

ولا يمر نشيد شيعي كالعادة إلا بالتذكير بعقيدة الرجعة لمهديهم  
 المزعوم، يقول الشاعر:

والمهدي ترى بدعة  
 واللي يقول بالرجعة  
 وغلط يا أولادي نتظره  
 كاذب منفضح أمره  
 ومراجعكم ترى يكذبون  
 وعلى الأصحاب تتجره

ولازم نعشق الأصحاب واللي يسبهم انحره

ثم يأتي في أواخر القصيدة ليصور الفصام النكد بين حب الصحابة وحب آل البيت، فيقول:

قلت أعمل لهم تقويم وكل واحد أختبره  
سألت بسرعه يا ولادي نحب الأصحاب أو العترة؟

وكان حب الصحابة يستلزم بغض آل البيت<sup>(١)</sup>.

ثم تختم القصيدة بكذبة كبرى مفادها أن عبادة الشيعة للأئمة هو فطرة الله:

قمت أطم على راسي تعبني راح والسهرة  
واويلاه واويلاه طلع حبهم على الفطرة

وأى جرأة على الله في هذا النشيد، حين جعلوا الشرك هو الفطرة؟!!

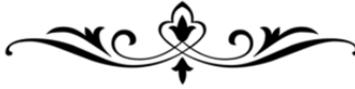
والله تعالى يقول: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره»<sup>(٢)</sup>. وجاء في الحديث الشريف الذي

(١) وقد تقدم الرد على هذه الدعوى، انظر ص ٣٩ من البحث.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/٤٣٣)، ابن كثير الدمشقي، دار طيبة، ١٤٢٠ هـ.

يرويه الإمام مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا؛ كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً»<sup>(١)</sup>.



(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث رقم: ٢٨٦٥.

## الخاتمة

في ختام المطاف أود التنبيه على أن هذه الأوراق هي محاولة لرصد ودراسة الظاهرة الإنشادية الشيعية، وهي محاولة لتتبع مراحلها وسبر أغوارها للتنبيه على مخاطرها الوخيمة، لا بد في ختامها من تدوين أهم النتائج التي وصلت لها بعد التجلية، وهي:

- ١- متانة العلاقة بين النشيد والعقائد الشيعية فلا يمكن الفصل بين النشيد الشيعي وبين العقيدة بتاتاً.
- ٢- يمثل النشيد الشيعي خطراً كبيراً؛ لما يتضمنه من عقائد ضالة، وقوة تأثير في الطائفة الشيعية، ويوجه من قبل علمائهم؛ لتحقيق أهدافهم المشبوهة، ومن ذلك تحريضهم ضد أهل السنة من الطفل الرضيع وإلى ولاة الأمر، وقبل ذلك الصحابة وأمّهات المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.
- ٣- يحمل النشيد في طياته صلب المعتقد الشيعي، ولكن بأداء مُنَمَّق، تثار فيه العواطف ويؤجج به الحماس الطائفي بصورة كبيرة.
- ٤- قدرة النشيد على التأثير والإقناع وتغيير المفاهيم وخرق الحواجز = قدرة لا يقلل من شأنها إلا جاهل بطبيعة الكلمة وأثر اللحن.
- ٥- تساهل بعض أبناء أهل السنة في تناقل بعض الأناشيد الشيعية تحت أي ذريعة يُشكل خطراً حقيقياً، فلا بد من سد منافذه.

تلك أهم النتائج، وسأبين فيما يلي أهم ما أوصي به:

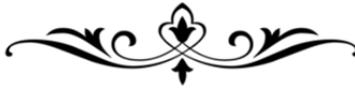
١- أوصي بالمزيد من الدراسات البحثية للكتابة عن ظاهرة النشيد الشيعي وتتبعها.

٢- كما أوصي بعقد دراسات للمقارنة بين النشيد الشيعي والأنشيد الطائفية الأخرى<sup>(١)</sup>.

٣- أوصي كذلك بالاستفادة من الثروة التقنية وتسخيرها لنشر العقيدة السلفية في العالم أجمع.

٤- كما أوصي بتخصيص مجموعة من الباحثين لدراسة وسائل نشر المذهب الشيعي وكيفية مواجهتها.

هذا والله أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يبارك لي فيه وينفع به إنه سميع مجيب.



(١) من المعلوم مكانة الأنشيد عند الصوفية، فالنشيد سلاح فعال ومشارك عند جميع الفرق المفتقدة للخطاب العقلي، فدراسة العلاقة بين السماع عند الفرقتين جدير بالنظر.

## قائمة المراجع

أولاً: الكتب:

١. القرآن الكريم.
٢. أحكام الشيعة، المرزا حسن الحائري الإحقاقي، مكتبة جعفر الصادق، الكويت.
٣. الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، عبد القادر بن شيبه الحمد، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة.
٤. الإرشاد، للمفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، ط ٢، ١٤١٤ هـ.
٥. إرشاد السائل، للسيد الكلباكائي، بيروت، ط ١، ١٤١٣ هـ.
٦. أصول النشيد الإسلامي المعاصر، للدكتور علي بن حمزة العمري، دار الأمة للنشر والتوزيع، ط ١.
٧. الاعتقادات، محمد باقر المجلسي، تحقيق: مهدي الرجائي، مكتبة المجلسي، أصفهان، ١٤٠٩ هـ.
٨. الأنوار النعمانية، طبعة تبريز، إيران.
٩. الإيقاظ من الهجعة، للعالمي، طبعة قم، إيران، ١٣٨١ هـ.
١٠. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، الناشر: إحياء الكتب الإسلامية.
١١. بطلان عقائد الشيعة وبيان زيغ معتنقيها ومفترياتهم على الإسلام، محمد عبدالستار التونسي، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع.

١٢. تاج العروس، للزبيدي، دار ابن القيم، دمشق، ط ١٩٩٩، م ١.
١٣. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، دار طيبة، ١٤٢٠ هـ.
١٤. الحقائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، يوسف البحراني، دار الأضواء، بيروت لبنان، ط ٢، ١٩٨٥ م.
١٥. زاد المسير، ابن الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
١٦. شرح العقيدة الواسطية، صالح الفوزان، نشر مكتبة المعارف، الرياض، ط ٤، ١٤٠٧ هـ.
١٧. الشريعة، محمد بن الحسين الآجري أبو بكر، تحقيق: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، دار الوطن، سنة ١٤١٨ هـ.
١٨. صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.
١٩. صحيح، مسلم بن حجاج، المحقق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة، سنة: ١٤٢٧ هـ.
٢٠. الكافي، للكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣، ١٣٨٨ هـ.
٢١. كشف الحقائق، علي آل محسن، دار الصفوة، بيروت.
٢٢. كراسة المسائل الدينية وأجوبتها، محمد صادق الصدر.
٢٣. لا بد من لعن الظلام، بحث في جذور المأساة الحقيقية ومعالم المنهج المطلوب في خطاب التشيع الفارسي في ضوء المنهج القرآني كي لا ننسى، للدكتور طه حامد الدليمي، غير مطبوع، على الرابط:

(<http://dsbook.dd-sunnah.net/viewbook-ddsunnah-50.html>).

٢٤. لمعة الاعتقاد، ابن قدامة المقدسي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ١٣٩٥ هـ.

٢٥. مختصر بصائر الدرجات، حسن بن سليمان الحلبي، المطبعة الحيدرية، النجف، ط ١، ١٣٧٠ هـ.

٢٦. مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، المكتبة العصرية، ط ١.

٢٧. الملل والنحل، لأبي الفتح عبد الكريم الشهرستاني، تصحيح: أحمد فهمي محمد التوفير، دار الكتب العلمية، ط ١.

٢٨. منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، تحقيق: د محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط ١.

### ثانياً: المقالات:

١. ثقافة الكراهية، من الرابط:

(<http://www.alrashead.net/index.php?derid=382&partd=23>)

٢. الحزن الكربلائي.. نشيد الشيعة بين الديني والسياسي، لأحمد الدريني وأحمد محمد حسن، من الرابط:

(<http://alalbait.com/?p=1061>)

٣. خطر الشيعة، للدكتور راغب السرجاني، من موقع:

([www.Islamstory.com](http://www.Islamstory.com))

٤. الشعائر الحسينية ماذا تعني عند الإمام المهدي، لمحمد علي الحلو على موقع: ([www.illazeinnab.org/vb/showthreadphp](http://www.illazeinnab.org/vb/showthreadphp)).
٥. الفضائيات التبشيرية على الأقمار السنية، لهيثم الزعفان، من موقع جريدة المصريون: (<http://almesryoon.com>).
٦. الفرق بين المساجد والحسينيات، تقرير مصور، على شبكة أنا المسلم: ([www.muslim.net](http://www.muslim.net)).
٧. نشيد الشيعة بين الديني والسياسي، لأحمد الدريني وأحمد محمد حسن، على الرابط: (<http://alalbait.com/?p=1061>).

### ثالثاً: المواقع الإلكترونية:

- <https://ar.wikipedia.org/wiki>  
<http://www.saffar.org>  
<http://www.alkawthertv.ir>  
<http://www.alwaqt.com>  
<http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%83%D9%88%D8%B1%D8%A7%D9%84/>  
<http://forums.cgway.net/cg32915/>  
<http://alalbait.com/?p=1061>  
<http://yazeinb.org>  
<http://www.mollajalil.com>  
<https://www.youtube.com/watch?v=KoaCXhx0214>  
<http://www.nazaralqatari.net/index.php?show=qasaed&action=read&id=1015&lang=arab>  
<http://www.roadeed.net/showthread.php?t=12102>  
<http://www.youtube.com/watch?v=kiwsr73ZlxU>

<http://www.noaim.net/vb/showthread.php?t=45175>  
<http://www.mollajalil.net/videos.php?action=show&id=260>  
<http://www.nazaralqatari.net/index.php?show=sounds&lang=arabic>  
[http://ch14.tv /](http://ch14.tv/)  
[http://arabic.irib.ir/Pages/Sound\\_galery/downloadsound.asp?id=2629](http://arabic.irib.ir/Pages/Sound_galery/downloadsound.asp?id=2629)  
<http://www.alkawthartv.ir>  
<http://saihat.net/vb/archive/index.php/t-94758.html>  
[https://www.youtube.com/watch?v=28HuKf\\_MMhU](https://www.youtube.com/watch?v=28HuKf_MMhU)  
<https://www.youtube.com/watch?v=6XPqLkDsK8k>  
<https://www.youtube.com/watch?v=kCpGRh0xzhI>  
[https://www.youtube.com/watch?v=W\\_w4z6U5tIA](https://www.youtube.com/watch?v=W_w4z6U5tIA)  
[https://www.youtube.com/watch?v=xzV\\_Kj3NDWU](https://www.youtube.com/watch?v=xzV_Kj3NDWU)  
<https://www.youtube.com/watch?v=FyFKrYz0iHY>  
<http://shiavoice.com/cat-70.html>  
<https://www.youtube.com/watch?v=4xFdxP7P9sU>  
<https://www.youtube.com/watch?v=8ag41q8yD08>  
<https://www.youtube.com/watch?v=QPsBg3epaxs>  
<https://www.youtube.com/watch?v=AOWvB4Cwb98>  
<https://www.youtube.com/watch?v=IdjRzHSW3aY>  
<http://www.annabaa.org\nbahome\nba85\o25.ntm>  
<https://www.youtube.com/watch?v=LU0kOFBOetA>  
<https://www.youtube.com/watch?v=t1b258COknU>  
<https://www.youtube.com/watch?v=PQqG3EUajEA>  
<https://www.youtube.com/watch?v=IGvVZaXAVz4>  
<https://www.youtube.com/watch?v=bO3X-tO4giI>  
<https://www.youtube.com/watch?v=-MzsYIH1SJ8>  
<http://www.alkawthear.com>

[https://www.youtube.com/watch?v=-wFJCG\\_88sw](https://www.youtube.com/watch?v=-wFJCG_88sw)  
<https://www.youtube.com/watch?v=AKL65xUCgJY>  
<http://www.youtube.com/watch?v=vpkgqHDSd5c>  
<http://islamqa.info/ar/125645>  
<http://islamqa.info/ar/146334>  
<http://www.meshkat.net/node/16184>  
<http://akhawat.islamway.net/forum/index.php?showtopic=225915>  
<http://www.buraydahcity.net/vb/archive/index.php/t-83454.html>  
<http://forum.hawahome.com/t313856.html>  
<http://www.almeshkat.net/vb/showthread.php?t=77722>  
<https://www.youtube.com/watch?v=tQIFdu5iv>  
<https://www.youtube.com/watch?v=A8R4rqsS2ok>  
[https://www.youtube.com/watch?v=A-uzHI2bCFk\\_Zs](https://www.youtube.com/watch?v=A-uzHI2bCFk_Zs)  
[https://www.youtube.com/watch?v=HqYc\\_hYKvvdg](https://www.youtube.com/watch?v=HqYc_hYKvvdg)  
[www.selfador.net](http://www.selfador.net)  
[http://www.almoaiyad.com/question/ethaf\\_elsaeel/3\\_31.html](http://www.almoaiyad.com/question/ethaf_elsaeel/3_31.html)  
<http://arabic.bayynat.org/ListingFAQ2.aspx?cid=30&Language=1>  
[http://al-meshkah.com/maaref\\_detail.php?id=3684](http://al-meshkah.com/maaref_detail.php?id=3684)  
<http://www.alarabiya.net/articles/2009/04/05/69991.html>  
<http://montada.basimk.com/showthread.php?t=107002>

## الفهرس

|     |   |
|-----|---|
| ٤٢٧ | ملخص البحث  |
| ٤٣١ | المقدمة   |
| ٤٣٤ | الفصل الأول: أضواء على النشيد الشيعي                  |
| ٤٣٤ | تمهيد: تعريف الشيعة ونظرة سريعة إلى واقعهم المعاصر    |
| ٤٣٦ | المبحث الأول: مفهوم النشيد الشيعي وأثره في نشر التشيع |
| ٤٣٩ | المبحث الثاني: المراحل التي مرّ بها النشيدُ الشيعي    |
| ٤٤٢ | المبحث الثالث: موضوعات النشيد الشيعي                  |
| ٤٤٨ | المبحث الرابع: خصائص النشيد الشيعي                    |
| ٤٥٤ | المبحث الخامس: خطر النشيد الشيعي                      |
| ٤٦١ | المبحث السادس: مقترحات عملية للتعامل مع النشيد الشيعي |
| ٤٦٥ | الفصل الثاني: نماذج من الأناشيد الشيعية، مع نقدها     |
| ٤٦٥ | المبحث الأول: نقد نشيد (ما أتوب وأنا شيعي)            |
| ٤٧٧ | المبحث الثاني: نقد نشيد (هدم قبور أئمة البقيع)        |
| ٤٨٩ | المبحث الثالث: نقد نشيد (بالماتنسى ثأرك)              |
| ٤٩٧ | المبحث الرابع: نقد نشيد (هموم ناصبي)                  |
| ٥٠٤ | الخاتمة   |
| ٥٠٦ | قائمة المراجع   |
| ٥١٢ | الفهرس  |

**الشعبوية**  
**نشأتها، وتطورها، وأثارها**  
**على الأمة الإسلامية**

**د. جازي بن بخيت الجهني**

أكاديمي سعودي - أستاذ مساعد، كلية الدعوة  
وأصول الدين بالجامعة الإسلامية



## ملخص البحث

تناولت الدراسة الشعوبية بوصفها مظهرًا من مظاهر العنصرية الهدامة، هدفها زرع مشاعر الحقد والكراهية بين أجناس المسلمين وشعوبهم المختلفة، ومن منطلق النصح والبيان خرجت هذه الدراسة في مقدمة وفصلين وخاتمة شملت: حقيقة الشعوبية وأصلها ونشأتها، وبداية ظهورها والأطوار التي مرت بها، والشبهات التي دعم بها دعاة الشعوبية دعواهم، وبيان الحركات المضادة للشعوبية ومنها دعوى العروية، والفرق بينها وبين تفضيل العرب المشروع.

وشمل البحث أبرز آثار الشعوبية في المجتمع الإسلامي، ومنها أثر الشعوبية على اللغة العربية، وأثرها في نشأة الفرق المنحرفة والمنتسبة للإسلام، وتحالف الشعوبية عبر التاريخ مع أعداء الإسلام ضد المسلمين، وكذلك أثرها في نشر الإلحاد قديماً وحديثاً، وبيان الحكم على الشعوبية ثم ختمت البحث بأهم النتائج والتوصيات.

كل ذلك بأسلوب مختصر الهدف منه التعريف بالشعوبية، وبيان نشأتها وبعدها التاريخي، والتنبيه على أثرها على الأمة الإسلامية.

د. جازي بن بخيت الجهني

dr.jazi@hotmail.com

## ***Shu'ubiyah, its Origin, Development and Influence on the Islamic Nation***

***Dr. Jazi bin Bakhit al-Juhani***

*Saudi Academic – Assistant Professor, in the Faculty of Da'wah and Theology, in Islamic University in Madinah*

### ***Abstract***

*This research examined Shu'ubiyah as a destructive racist appearance. Its goal is to plant feelings of hatred and envy amongst Muslim from different communities and with different descent. I divided this research into an introduction, two chapters and an ending. My goal was to give advice and clarify this issue. The research included the following points:*

*The true essence of Shu'ubiyah its origins and foundations, the beginning when it started and then developed in different stages, the doubts that the propagandists of Shu'ubiyah used when they spread their claims, an explanation of the antagonistic movements to Shu'ubiyah like Arab Nationalism and the difference between it and the legalized preference of the Arabs.*

*The essay included the most important influences of Shu'ubiyah on the Islamic community. From these influences are its influence on the Arabic language, its influence on the upbringing of the deviated sects that ascribe themselves to Islam. Shu'ubiyah also allied itself throughout the history with the enemies of Islam as well as*

*it had influence in spreading atheism in both ancient and modern time. The essay also explained the ruling for Shu'ubiyyah and was ended with an explanation of the most important results and recommendations of the research.*

*All of that was done in an easy way with the purpose to present Shu'ubiyyah and explain its origins, history and its influence on the Islamic Nation.*

## المقدمة

اقتضت حكمة الباري أن يحمل العرب لواء الدعوة الإسلامية، في داخل البلاد العربية وخارجها، وكان الفرس من أوائل الأمم التي اصطدم معها المسلمون العرب، والفرس أمة لها حضارتها ومجدها وتاريخها القديم، وقد أورثها هذا المجد والتاريخ القديم صفات؛ منها ما هو سيئ مثل الاستعلاء على غيرها من الأمم، وخاصة جيرانهم من العرب، تلك الأمة الأمية التي كانوا ينظرون إليها نظرة دونية، وما لبث أن نهض بها الإسلام لتكون خير الأمم، فكان لها العز والسؤدد والريادة والقيادة، بل إن الله أذل دولة الكفر الفارسية على أيديهم، وسقطت دولة المجوس في بلاد فارس، وظهرت قواعد الإسلام التي تشهد بالخيرية لمن يدخل في هذا الدين الجديد، قال تعالى:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال رسول الله ﷺ: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى»<sup>(١)</sup>. من هذه الآيات والأحاديث والآثار الصحيحة الصريحة في الدعوة إلى المساواة بين المسلمين يظهر منهج الإسلام في

(١) رواه الإمام أحمد في المسند، (برقم: ٢٢١٩١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب

التفاضل بين الناس، على قواعد إسلامية عظيمة لا مثيل لها فيما سبق جعلت التفاضل على أساس التقوى التي تورث العلم والعمل.

بهذه المبادئ الإسلامية السامية عرف العرب أنهم كباقي شعوب وقبائل الأرض، أصلهم واحد ومردهم لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن الفضل والإكرام بتقوى الله تعالى، والعمل بما أمر به جميع العباد، والوقوف عند حدود الله سبحانه وتعالى، إذا أدركنا هذا وأن القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة وقواعد الإسلام العامة تنادي بالتسوية بين البشر جميعاً على أسس من العدالة والإنصاف في جميع أمور الحياة الخاصة والعامة، فلا بُدَّ من الإشارة هنا إلى أن الحضارة الفارسية قامت على زرع روح الاستعلاء والعصية العرقية في أفرادها، وأن ما سواهم من البشر دونهم بكثير، بل ينظرون غيرهم نظرة السادة للعبيد، وأن غيرهم لا حقَّ له بحال أن يكون أميراً أو وزيراً، على حد قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَهُم مَّا كَانُوا يَشْتَهُونَ﴾ [النساء: ٥٤]، لكن لقوة الإسلام، ووحدة صف المسلمين، واجتماع كلمتهم، وكونهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، لم يستطع دعاة الشعوبية الإفصاح عن حقيقة أمرهم وما هم عليه، فبدأ أمرهم بالدعوة إلى التسوية بين العرب وغيرهم، واعتمدوا في دعواهم على النصوص التي تدعو للمساواة ونبذ العصية، وعلموا أن تلك النصوص تؤيد ما يدعونه، ولا يعارضهم من المسلمين أحد؛ لأن ظاهرها حق يراد به الوصول إلى باطل، واستمر حالهم على هذا مدة من الزمن يخططون في الخفاء، ويتحينون الفرص لإظهار فكرتهم، وإعلان مرحلة

ظهور الشعوبية، وما لبث أن تطور الحال بسرعة مع بداية قيام الدولة العباسية بسيوف الفرس، فكانوا رجال دولتها وقادتها، ومكنوا لأنفسهم، ولما أمنوا على أنفسهم، عندها ظهر أمرهم، وقامت الشعوبية على ساقها، ونشط دعواتها.

### أهمية البحث وأسبابه:

لما كان أثر الشعوبية وخطرها المعاصر ظاهراً جلياً في كثير من الميادين، وقد ألبست ثياباً مختلفة وأشكالاً وألواناً تضمّر العداة للأمة العربية المسلمة تارة، وتظهره تارة أخرى، مرة بالسخرية والاستهزاء من جنس العرب، ووصفهم بأوصاف منفرة<sup>(١)</sup>، وأخرى بلغتهم العربية ومحاولة الحط من قدرها، وصرف أهلها عنها، وإحلال لغات أمم ولهجات عامية للشعوب محلها، وتارة بدم للعرب مباشرة، وإظهار مثالبهم، وأنهم أعراب يعيشون حياة البداوة في الصحراء، لا مجد لهم ولا حضارة، وادّعاء أنهم أمة قد تولت وفسدت فلا خير فيها البتة، وسيستبدل الله بها غيرها من الأمم الأخرى، وأولى تلك الأمم وأحقها بعد تولي العرب هم الفرس، هكذا زعموا! وتارة أخرى بالهجوم على المبادئ والقيم التي كانت قبل الإسلام

(١) أقول: مما جرى مجرى الأمثال في كثير من المجتمعات الإسلامية ويروج له اليوم، ويصب في خدمة الشعوبية والانتصار لها، قولهم: «العرب جرب»، وبلسان العجم: «عرب خيانات»، يعني أن العربي صاحب خيانة، وقولهم عند ضبط المواعيد: «لا يكون وعد عربي»، ويعني أن العرب أهل الكذب وإخلاف الوعد، وقولهم: «العرب أهل الكلام، والعجم أهل الفعال»، يعني أن العرب لا يعملون شيئاً وإنما يتحدثون فقط.

من مكارم العرب التي يعتزون بها.

ومن جملة الأسباب التي دفعتني للكتابة عن الشعوبية وخطرها، عدم معرفة كثير من المسلمين لها ولآثارها السلبي - حتى هذا العصر - على الإسلام والمسلمين، عرباً وعجماً، وأن كثيراً من مصائب الأمة ونكباتها اليوم نتاج الشعوبية الخبيثة، وأن من يعرف الشعوبية على حقيقتها يظهر له جلياً دورها في نشأة الطوائف المخالفة للحق والمنتسبة للإسلام قديماً وحديثاً، وأن الأعداء استغلوا الشعوبية وأفكارها للسعي في تفريق أمة الإسلام، وتحقيق المفاصلة الحسية والمعنوية بين المسلمين العجم وإخوانهم من المسلمين العرب، وإذكاء العنصرية العرقية بين الطرفين، وقد نجحوا نجاحاً جلياً، بل إن الشعوبية المعاصرة في العصر الحديث، أفادت كثيراً من استخدام وسائل الإعلام المفتوحة على العالم، والتي تصل إلى جميع بلاد العالم تقريباً، وسخرتها لخدمة أهدافها، مع وجود دول وحركات وطوائف وأحزاب تدعم الشعوبية وتؤيدها، وتنفخ في نارها لحرق ما تبقى من تماسك أمة الإسلام، وتسعى ليل نهار لفصل العجم المسلمين عن إخوانهم من العرب، وإثارة النعرات العرقية والطائفية بين الأجناس والألوان داخل الأمة الإسلامية الموحدة، مع قلة الدراسات المتجردة للحق والحقيقة عن الشعوبية، وأهمية بيان خطرها، وإظهار حقيقة ما تدعوا إليه، كل هذه الأسباب وغيرها، جعلتني أكتب في هذا الموضوع، وأسأل الله العون والتوفيق والسداد.

## الدراسات السابقة:

توجد دراسات وبحوث حول موضوع الشعوبية يمكن تقسيمها على النحو الآتي:

- ✽ رسائل علمية لم تطبع، أو طبع منها عدد محدود لم يكتب له الانتشار وهو حكر على المختصين لا يكاد يعلمه غيرهم.
- ✽ وأبحاث قدمت لمناسبات مختلفة وهي كالتالي قبلها لا يعرفها غير المهتم بمثل هذه البحوث.
- ✽ وصنف يغلب عليه الطول والتفصيل الذي يأخذ حكم الموسوعات في بعض الأحيان.

ولا يطالعه إلا أصحاب الشأن من الأساتذة الجامعيين وطلاب الدراسات العليا ومن في حكمهم.

- ✽ وعدد قليل من البحوث والكتابات الشخصية المستقلة التي قدمت وخدمت جانباً أو أكثر للموضوع، وأفاد منها أمثالي ذكرتها في قائمة المصادر.
- ومنها على سبيل المثال: كتاب الزندقة والشعبوية وانتصار الإسلام والعروبة عليها (لسميرة مختار الليثي) طبع في مصر ١٩٦٨ م.

اشتمل على أربعة أبواب:

الباب الأول: عوامل ظهور الزندقة والشعبوية.

الباب الثاني: حركات الزندقة والشعبوية الثورية.

الباب الثالث: مظاهر الصراع بين الإسلام والعروبة وتيارات الزندقة والشعبية.

الباب الرابع: انتصار الإسلام والعروبة على الزندقة والشعبية. ويشمل تفصيلات كثيرة ودقيقة وجوانب تاريخية وتتبع لحركات الشعبوية عبر التاريخ لا يحتاج إليها إلا المختصون.

وكتاب الشعبوية ودورها التخريبي في مجال العقيدة الإسلامية (لحسن حميد عبيد الغرابوي) طبع ١٩٩٣م في بغداد، لدار الشؤون الثقافية العامة، يشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: نبذة تاريخية عن الشعبوية.

الفصل الثاني: عقائد الشعبوية، وصلتها بالعقائد الباطنية.

الفصل الثالث: أساليب الشعبوية ومظاهرها.

الفصل الرابع: أهداف الشعبوية الهدمية.

وكما هو واضح من فصول الكتاب تغلب عليه النزعة التاريخية وصلة الشعبوية بعقائد الباطنية

#### منهج البحث:

المنهج الذي سرت عليه هو المنهج الوصفي التحليلي، والذي يقوم على استقراء وجمع المادة العلمية من مصادرها ووصفها وتحليلها، وقد

قسمت الدراسة إلى فصول ومباحث وفق خطة البحث، مع الحرص على التأصيل والاستشهاد، وقد يتكرر النص في أكثر من مبحث؛ لأن فيه شواهد ومادّة تقتضي ذلك التكرار. وقامت الدراسة بتحليل بعض النصوص والتعليق عليها حسب ما يتطلبه البحث، وليبيان الهدف والقصد من إيرادها في هذا الموضوع أو ذلك، وأظهرت وجهة نظري في بعض المواضيع وما أميل إليه من الأقوال، وأشارت إلى ذلك بإشارة توضّحه.

### خطة البحث:

خرجت هذه الدراسة في مقدمة وفصلين وخاتمة:

المقدمة: اشتملت على أهمية البحث وأسباب اختياره والمنهج الذي أسير عليه وخطته.

الفصل الأول: حقيقة الشعبية وأصلها ونشأتها وشبهاتها، ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الشعبية في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: جذور الشعبية وبداية ظهورها.

المبحث الثالث: نشأتها والأطوار التي مرت بها.

المبحث الرابع: الشبهات التي دعم بها الشعبية دعواهم.

المبحث الخامس: العروية وبيان فضل العرب.

الفصل الثاني: أبرز آثار الشعوبية في المجتمع الإسلامي، ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: الشعوبية وأثرها في اللغة العربية.

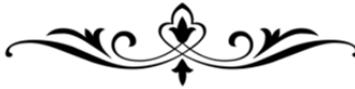
المبحث الثاني: الشعوبية وأثرها في نشأة الفرق المنتسبة للإسلام.

المبحث الثالث: تحالف الشعوبية مع أعداء الإسلام.

المبحث الرابع: الشعوبية وأثرها في نشر الإلحاد في المجتمع الإسلامي.

المبحث الخامس: الحكم على الشعوبية.

الخاتمة: وتشمل أهم التوصيات والنتائج.



## الفصل الأول

### حقيقة الشعوبية وأصلها ونشأتها وشبهاتها

ويشتمل على خمسة مباحث:

- ✿ المبحث الأول: تعريف الشعوبية في اللغة والاصطلاح.
- ✿ المبحث الثاني: جذور الشعوبية وبداية ظهورها.
- ✿ المبحث الثالث: نشأة الشعوبية والأطوار التي مرت بها.
- ✿ المبحث الرابع: الشبهات التي دعم بها الشعوبية دعواهم.
- ✿ المبحث الخامس: العروبية وبيان فضل العرب.

### المبحث الأول

#### تعريف الشعوبية في اللغة والاصطلاح

الشعوبية في اللغة مشتقة من الشَّعْب، والشعب: ما تشعب من قبائل العرب والعجم، وقد غلبت الشعوب، بلفظ الجمع على جيل العجم، حتى قيل لمحتقر أمر العرب: شعوبي، والشعوبي: هو الذي يصغر شأن العرب ولا يرى فضلاً لهم على غيرهم<sup>(١)</sup>، وجاء في القاموس المحيط: «الشعوبي: محتقر أمر العرب»<sup>(٢)</sup>، والشعوبية: نزعة تذهب إلى حط شأن العرب أو

(١) لسان العرب، (مادة: ش ع ب).

(٢) القاموس المحيط، (مادة: ش ع ب).

نقدمهم، وأن العرب أحقر من غيرهم من الأمم<sup>(١)</sup>، والشعوبية فرقة تتعصب على العرب وتحتقرها، قال عنها القرطبي: «هي حركة تبغض العرب وتفضل العجم»<sup>(٢)</sup>، وجاء في الصحاح: «الشعوبية فرقة لا تفضل العرب على العجم»<sup>(٣)</sup>، وفي المعجم الوسيط: «الشعوبية: نزعة في العصر العباسي تنكر تفضيل العرب على غيرهم، وتحاول الحط منهم»<sup>(٤)</sup>.

وفي الاصطلاح يدور تعريف الشعوبية حول ما ذكر في أصل التسمية للشعوبية وإن اختلفت وتعددت ألفاظه وجمله فمعناها ينتهي إلى: الحط من قدر العرب للوصول إلى هدم الإسلام. والشعوبيون: قوم متعصبون على العرب يفضلون عليهم العجم، ظهرت دعوتهم بعد عصر الخلفاء بدخول أجيال كثيرة من الفرس والترك والنبط في خدمة الدولة الإسلامية، ونحن اليوم نطلق لفظ الشعوبية على كل من ناهضوا المسلمين العرب في القديم والحديث، وفي الشرق والغرب، وقاموا يتنقصون من قدر حضارتهم وتاريخهم؛ لأغراض في نفوسهم لا تخفى على أرباب البصائر<sup>(٥)</sup>، يقول

(١) انظر: البيان والتبيين، للجاحظ، ٣/ ١٤، تحقيق عبد السلام هارون، ط: مكتبة الخانجي:

مصر، ١٩٧٥م، وضحي الإسلام، لأحمد أمين، ١/ ٩٧، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، أبو محمد بن أبي بر الأنصاري الخزرجي

القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢،

١٣٨٤ هـ، ١١/ ١٨٩.

(٣) الصحاح، (مادة: ش ع ب).

(٤) المعجم الوسيط، (مادة: ش ع ب).

(٥) الإسلام والحضارة العربية، ١/ ٣٥، ٣٦، كرد علي، دار الكتب المصرية، ١٩٣٦م.

الدكتور عبد العزيز الدوري: «مفهوم الشعوبية شديد التعقيد، وإن الحركات السرية التي تتظاهر بالإسلام وتعمل على هدم السلطان العربي الإسلامي، أو على هدم الإسلام، أو الاتجاهات التي تحاول نسف الإسلام والعرب من الداخل = هي التي يمكن أن يطلق عليها اسم الشعوبية»<sup>(١)</sup>، وللإنصاف أذكر أن الشعوبية نزعة ظهرت في أوساط غير العرب وكانوا من شعوب مختلفة، ولكن أكثرهم كانوا من الفرس.

## المبحث الثاني

### جذور الشعوبية وبداية ظهورها

أدرك أعداء الأمة الإسلامية في وقت مبكر السر الأعظم في قوة هذه الأمة، وأن العقيدة الصحيحة هي التي جعلت من المجتمع الإسلامي جسداً واحداً، «إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»<sup>(٢)</sup>، وكالبيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، فبدأ الكيد في وقت مبكر؛ سعيًا لزرع جذور الفرقة والاختلاف والبغضاء بين الأجناس والأمم التي مزج بينها رباط العقيدة الواحدة، وجعلها تتجانس وتتآلف برباط التوحيد الخالص، تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

والذي أميل إليه من آراء الباحثين المختلفة حول الجذور والأصل

(١) الجذور التاريخية للشعوبية، ص ١٢، عبد العزيز الدوري، بيروت: ١٩٦٢ م.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٦٠١١، وفتح الباري، ٤٨٩/١٠، وصحيح مسلم (كتاب البر

والصلة، باب تراحم المؤمنين)، برقم ٢٥٨٦.

للشعوبية، أنها تعود إلى بدايات الفتوحات الإسلامية، وتقويض جيوش الإسلام لعروش الممالك القديمة بأيدي قادة الإسلام الأوائل من الجزيرة العربية، وقد عزّ على كثير من أبناء تلك الممالك ذهاب ملكهم ومجدهم على أيدي من كانوا لا يعرفون من تلك الحضارات إلا ما يأذن به أهل تلك الممالك لهذه الأمة الأمية، وأنه لا بُدَّ من التفريق بين وجود جذور الفكر وظهوره، فالجذور التي نبتت عليها الشعوبية كانت في نفوس جماعات وأفراد زنادقة دخلوا في المجتمع واستغلوا سماحة الإسلام وأخلاق ومكارم العرب الأخيار؛ لبث أفكار تحمل في طياتها ما يمكن أن يُسمى جذور الشعوبية الأولى، وأنا مع من يرى أن حادثة استشهاد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مثالٌ واضحٌ لوجود جذور الشعوبية في وقت مبكر<sup>(١)</sup>، ووجود مثل عبد الله بن سبأ<sup>(٢)</sup>، وظهور ما يعرف بالسبئية، وقيامهم بتلك الأعمال التي يمكن أن يطلق عليها في هذا العصر مصطلح (المظاهرات)، وينادي بها بعض المنتسبين للجماعات الفكرية المعاصرة، ويغرر بعامه الناس وجُهاً لهم؛ لتُحقق بهم المقاصد.

(١) انظر: الآثار المؤيدة لهذا في فتح الباري شرح صحيح البخاري، في قصة استشهاد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وتفصيل الحادثة بأسانيد معتبرة، انظر: ٦٣ / ٧ - ٦٤، و٢٨٣ / ١٢ - ٢٩١.

(٢) ابن سبأ: عبد الله بن سبأ اليهودي، ويقال: ابن السوداء، أظهر الإسلام زمن خلافة عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وتنسب إليه طائفة السبئية، انظر ترجمته في: كتاب فرق الشيعة، للنويختي الرافضي، ص ٢٢ - ٢٣، دار الأضواء: بيروت، ١٤٠٤هـ، وانظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ١ / ٥٢، ط: دار الندوة العالمية للطباعة. ١٤٣٥هـ.

والعاقِل إذا نظر بعين المنصف المتجرد للحق، يرى آثار تلك الأعمال الخبيثة، وما نتج عنها من قتل ثالث الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين ذي النورين عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وما أعقب ذلك من تفرق الأمة، وانشغالها عن غيرها بنفسها، ولا شك أن هذا من أعظم ما تسعى إليه الشعوبية قديماً وحديثاً، وما أشبه الليلة بالبارحة.

يقول الجاحظ<sup>(١)</sup> وهو يصور لنا بداية الشعوبية وما تنتهي إليه: «إن عامة من ارتاب في الإسلام كانت الشعوبية أساس ارتيابهم، فلا تزال الشعوبية تنتقل بأهلها من وضع إلى وضع حتى انسلخوا من الإسلام؛ لأنه نزل على نبي عربي وكان العرب حملة لوائه عندما نزل»<sup>(٢)</sup>، فيذكر هنا أساس ارتيابهم، وجذورهم الأولى، ثم التنقل من وضع إلى وضع، في إشارة إلى المراحل والأطوار التي مرت بها الشعوبية، وبهذا يظهر أن منشأ الشعوبية الحقد والحسد الذي أضمره دعائها العرب المسلمين، وقد كان الفرس من أوائل من دخل الإسلام من غير العرب، وشاركهم الحقد اليهود والنصارى من العجم والعرب، جمع بينهم رابط الرغبة المشتركة في القضاء على

(١) الجاحظ: هو عمرو بن بحر بن محبوب، المكنى بأبي عثمان، والملقب بالجاحظ، كان خصماً من خصوم الشعوبية تصدى لها كما تصدى لغيرها من طوائف الزنادقة، وهو أحد كبار رجال المعتزلة، وإمام من أئمتها، وتنسب إليه طائفة الجاحظية من المعتزلة، انظر: الملل والنحل، للشهرستاني، ص ٧٥ - ٧٦، ط: دار الفكر: بيروت، بتحقيق عبد الرحمن الوكيل.

(٢) كتاب الحيوان، للجاحظ، ١٣١/٧، ط: دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٣٤ هـ.

الإسلام، أو تفريق المسلمين إلى طوائف وأحزاب وشغل بعضهم ببعض، وقد تحقق لهم ما أرادوا، وما زالوا يطمعون بالمزيد، وتدثر دعاة الشعوبية بثياب حب أهل البيت النبوي، والمطالبة بتحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية لجميع مكونات الأمة من العرب والشعوب والقوميات والأعراق الأخرى، وما زالوا يدندنون ويضربون على هذا متى ما وجدوا فرصة، حتى هذا العصر<sup>(١)</sup>، هكذا كانت البدايات الأولى لجذور الشعوبية.

### المبحث الثالث

#### نشأة الشعوبية والأطوار التي مرت بها

##### □ إعلان الشعوبية:

يمكن أن نعتبر بداية إعلان الشعوبية عن نفسها، وإظهارها لحقيقتها، مع بدايات قيام الخلافة العباسية، مع التأكيد على أن جذورها تعود إلى عصر الفتوحات الإسلامية الأولى، وأيام الخلافة الراشدة، وهنا أشير إلى أن الشعوبية حاولت أن تتدثر بثوب حب أهل البيت من بدايتها، وتستتر عداؤها للإسلام والمسلمين بغطاء الولاء لأهل بيت النبوة، ولكي تزيد الهوة بين أجناس المسلمين من العرب والعجم وتشتد الفرقة ويظهر الاختلاف، عمد هؤلاء إلى خلط أفكار الشعوبية مع عقائد إسلامية، بطريقة تجعل من العسير

(١) وشاهده ما يثار بين فترة وأخرى شعراً ونثراً، عبر الصحف ووسائل التواصل والقنوات

الفضائية، من النسخ في رماد العصيبة العرقية والمناطقية والمذهبية والقبلية.

تخليص بعضها من بعض، ومن ذلك الغلو، وتقديس الأشخاص والتراب والطينة، وغير ذلك من الأمور التي أصبحت ضمن عقائد الشعوبية الراضية ومن وافقهم من طوائف الباطنية، بل جعلوها من أسس الإيمان التي لا يتحقق وجوده إلا معها وبها.

### الأسباب التي دعت لاعتبار قيام الدولة العباسية بداية ظهور الشعوبية:

لعل من أبرز الأسباب أن دولة بني العباس قامت بسيوف فارس، فهم القادة ورجال الفكر فيها، ويمكن القول: إن الفرس تولوا جميع مجالات التفوق، وأصبح الخلفاء يعترفون لهم بالفضل، فكان منهم الوزراء، والقادة، والسفراء، والعلماء، والأدباء، ومن هنا بدأ أبناء فارس إظهار الاعتداد بحضارتهم القديمة ومجدهم البائد، وصاروا يعلنون التسامي والاستعلاء فوق الجنس العربي بكل جرأة وثقة، فألفوا الكتب التي تبرز فضائل الفرس، ومن هذه الكتب على سبيل المثال:

١ - كتاب فضائل الفرس<sup>(١)</sup>.

٢ - كتاب فضل العجم على العرب<sup>(٢)</sup>.

(١) لمعمر بن المثنى التيمي، مولاهم أبو عبيدة البصري، من أئمة العلم والأدب واللغة، كان إياضياً شعوبياً، يبغض العرب ويصنف في مثالبهم كتباً، ولد في البصرة ١١٠ هـ، وتوفي بها سنة ٢٠٩ هـ، أنظر: سير أعلام النبلاء، ٩/ ٤٤٥ - ٤٤٧، وميزان الاعتدال، للذهبي ٤/ ١٥٥، والأعلام، للزركلي ٧/ ٢٧٢.

(٢) لسعيد بن حميد بن البختكان، ويكنى بأبي عثمان الفارسي، كان متكلماً فصيحاً، وكان =

٣- كتاب مثالب العرب وعيوب الإسلام<sup>(١)</sup>.

### □ مراحل الشعوبية:

مرت الشعوبية بطورين رئيسين؛ الطور الأول: الوجود، والطور الثاني: الظهور، وينقسم إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة خفية غير ظاهرة المعالم والأهداف، لا يعرفها على حقيقتها إلا العلماء أهل الاستنباط والنظر، ظاهرها في هذه المرحلة الدعوة للتسوية بين المسلمين؛ عرباً وعجماً، لا تفاضل بينهم في الأحساب والأنساب والأجناس، مع حرصهم في هذه المرحلة على إثارة نفوس الموالي بطريقة خفية على جنس العرب المسلمين، وبعث الشعور بالدونية في أوساط الموالي، وأن العرب يميزون أنفسهم عن بقية أجناس المسلمين، وإثارة بعض أمور الحمية والعصبية الجاهلية في نفوس من أسلم من العرب، ولم يخالط الإيمان بشاشة قلوبهم<sup>(٢)</sup>، مثل الفخر في الأحساب، والطعن في

شديد العصبية على العرب، وله كتب في ذلك، انظر: الفهرست، ص ١٥٦.

(١) ليونس بن محمد بن كيسان، الملقب بأبي فروة، وكان جده أبو فروة مولى للخليفة عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد كان يونس متردداً خبيثاً، خالط ابن المقفع وبشار بن برد وحماد عجرد وغيرهم ممن اهتموا بالزندقة، عمل يونس كتابه في مثالب العرب وعيوب الإسلام بزعمه، وأهداه إلى ملك الروم فأخذ عليه مالا، وتوفي هذا الزنديق نحو ١٥٠ هـ، انظر: الوزراء والكتاب، ص ١٣٠، والأعلام، للزركلي، ٨/ ٢٦٣.

(٢) انظر: العواصم من القواصم، ص ٤٦ - ٤٧، وتعليق محب الدين الخطيب، ص ٤٥،

الأنساب، وإظهار الاعتداد بمآثر الآباء والأجداد من أهل الجاهلية الأولى، شعراً ونثراً. ولما وقع هؤلاء في حبال الشعوبية، استغل دعاة الشعوبية هذا الخطأ وأظهروا الرد على هؤلاء بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشعر والنثر، الدالة على أن الفضل في الإسلام والإكرام بتقوى الله، وآيات وأحاديث أخرى توهموا أن فيها ذم العرب مثل قوله تعالى في سورة التوبة:

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ

رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٧]، وأدخلوا آيات وأحاديث أخرى في ثنانيا الرد على المتعصبين للجنس العربي، وردت في شأن المنافقين من الأعراب وغيرهم، وأنزلوها على عموم المسلمين من العرب، وزعموا أنها نزلت في شأن العرب، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

[الحجرات: ١٣]، ومن الأحاديث النبوية قوله ﷺ: «لا فرق بين عربي ولا أعجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى»<sup>(١)</sup>، وهم يؤكدون على أمر التسوية بين الناس، المبدأ الذي عرفه أهل الإسلام عامة وخاصة ولا ينكره أحد من المسلمين، والحقيقة أنها كلمة حق أريد بها باطل، بهذه الطريقة الخبيثة بدأت الشعوبية مرحلتها الأولى - التي ظاهرها حق وباطنها باطل - في المجتمع الإسلامي.

هامش ٧، وص ٤٦، هامش ١، ط: دار الكتب العلمية: بيروت.

(١) صحيح الترغيب - برقم: ٢٩٦٤.

المرحلة الثانية: دعوة صريحة للشعوبية وإعلان لتفضيل العجم على العرب كما سبق ذكره، فقد قام فكر الشعوبية على احتقار العرب والانتقاص لهم، واستغل دعائها بعض أمور الجاهلية التي كانت سائدة في العرب قبل الإسلام، وكانت نزعة الشعوبية موجودة في بعض أجناس العجم، إلا أنها كانت قوية ظاهرة في الفرس أكثر من غيرهم، فزوال ملكهم وذهاب هيبتهم ومحو معالم ديانتهم المجوسية حرك دعاة الشعوبية من الفرس للعمل الجاد ضد الإسلام والمسلمين العرب، ولم تكن معركتهم في هذه المرحلة سرية، بل صارت علنية ظاهرة، تؤلف لها الكتب كما سبق، ويعلن دعائها ذلك.

مثال ذلك: (علّان) الشعوبية الذي أظهر شعوبيته ولم يسترها وأصبح يناظر لأجلها ويؤلف، يقول عنه ابن النديم: «وهو علّان الشعوبية أصله من الفرس، وكان راوية عارفاً بالأنساب والمثالب والمناظرات منقطعاً إلى البرامكة<sup>(١)</sup>، ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة، عمل كتاب (الميدان في المثالب) الذي هتك العرب وأظهر مثالبها، وكان عمل كتاباً لم يتمه أسماه الحلية، انقرض أثره»<sup>(٢)</sup>.

وهنا أشير إلى أن المجتمع الفارسي قبل الإسلام كثرت فيه الديانات

(١) البرامكة: أو كما يسمون بالفارسية (برميكان) هم عائلة ترجع أصولها إلى برمك المجوسي، كانت لهم منزلة عالية في الدولة العباسية، ثم نكبوا على يد هارون الرشيد، انظر: البداية والنهاية، ١٠/ ١٩٦ - ٢٠٠، ط: دار الكتب العلمية: بيروت: الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

(٢) الفهرست، لابن النديم، ص ٤٧٢.

والمذاهب المختلفة، ولم تكن المجوسية هي الديانة الوحيدة التي يتدين بها أهل بلاد فارس وما حولها، بل كانت توجد عقيدة الثنوية، مثل: (الزرادشتية<sup>(١)</sup>)، والماسونية<sup>(٢)</sup> والمزدكية<sup>(٣)</sup> (٤)، فزوال الملك الفارسي وزوال التعددية الدينية، بدعوة الإسلام والتوحيد الخالص، أثار هؤولاء جميعاً للتحرك السريع في محاولة جادة وقوية للتصدي لهذا الدين الجديد، واستعمال كل ما أمكن من الحيل والوسائل والخبرات التي ورثوها عن أهل الديانات السابقة في محاولة فض المجتمع الإسلامي، وإغراقه أو إفساده من

(١) الزرادشتية: أصحاب زرادشت، الذي ظهر زمان كشتاسب بن الهراست الملك، أبوه من أذربيجان، وأمه من الري، يزعمون أن لهم أنبياء وملوكاً، أولهم كيومرت، وكان أول من ملك الأرض، والصابئة طائفة منهم، انظر: الملل والنحل للشهرستاني، تحقيق الوكيل، ص ٢٣٧ - ٢٤٥.

(٢) الماسونية: معناها البناءون الأحرار، وهي منظمة يهودية سرية هدامة، إرهابية، غامضة، محكمة التنظيم، تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد، تحت شعارات خداعة؛ مثل: حرية، إخاء، مساواة، إنسانية، انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ.

(٣) المزدكية: أصحاب مزدك، ومزدك هو الذي ظهر أيام قباذ والد أنوشروان، ودعا قباذ إلى مذهبه، فأجابه، واطّلع أنوشروان على خزيه وافترائه فطلبه فوجده فقتله، أحل النساء وأباح الأموال، وجعل الناس شركاء فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلاء، انظر: الملل والنحل، ص ٢٥٠.

(٤) انظر: الشعبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، عبد الله سلوم السامرائي، المؤسسة العراقية للدعاية والطباعة.

الداخل، وما زالوا يعملون ليل نهار لبلوغ أقصى ما يمكن في هذا الميدان، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، فهذه البشرية من العليم الخبير بظهور دينه على الدين كله، رغم كيد الكائدين وحسد الحاسدين، تبقي الأمل في نفوس المؤمنين، وأن الله ناصر دينه ومعزه بحول الله وقوته.

### المبحث الرابع

#### الشبهات التي دعم بها الشعوبية دعواهم

تستتر الشعوبية بالإسلام ودعوى حب أهل بيت النبوة، واستدلوا في دعواهم بالآيات والأحاديث<sup>(١)</sup> التي اعتقدوا أنه يمكنهم تأويلها بطريقة تخدم فكرهم وأهدافهم، منها على سبيل المثال: قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، يقول ابن قتيبة: بلغني أن رجلاً من العجم احتج بقوله: ﴿يَتَأَيَّأُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾، قال [أي الرجل]: «الشعوب من العجم، والقبايل من العرب، والمُتَقَدِّم أفضل من المُؤَخَّر»<sup>(٢)</sup>، وبهذا يظهر جلياً أن الشعوبية في

(١) انظر: ص ١، وص ١٣ من هذا البحث.

(٢) الشعوبية المعاصرة، جهاد الفاضل، ص ١٣.

بادئ أمرها كانت تنادي بالتسوية بين العجم والعرب، ثم تطور شأنها وأظهرت احتقار العرب والحط من شأنهم، وكانوا يرددون مع آية الحجرات بعض الآيات الأخرى مثل قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وذلك في كل مناسبة يُذكر فيها نسبة محمد ﷺ إلى قومه العرب، ويدعمون احتجاجهم هذا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وبقوله جلّ شأنه: ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ، وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥]، بهذا يتبين أن الشعبوية قد استغلت آيات القرآن استغلالاً واسعاً ووضعت أفكارها وآرائها المنحرفة على أسس تأويل تلك الآيات وأمثالها تأويلاً فاسداً، يخدم أهدافها وينسجم مع أفكارها<sup>(١)</sup>، واعتمادهم على نصوص القرآن والسنة كان حيلة قرروا تنفيذها على مراحل حسب ما تمليه الأوضاع السياسية والاجتماعية، وقد أدرك العلماء منذ وقت مبكر ما تهدف إليه الشعبوية، وما تريد أن تصل إليه في آخر المطاف، فكانوا بالمرصاد لصد هذه النزعة الخبيثة، وكشف حقيقتها والتنبيه على خطرها.

(١) انظر: الشعبوية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، ص ٢٩، والشعبوية ودورها التخريبي في مجال العقيدة، ص ١٣٨، لحسن حميد الغرباوي، ط: دار الشؤون الثقافية:

وشأن الشعوبية في هذا شأن بقية الفرق الضالة، من الخوارج، والقدرية، والرافضة، والزنادقة، والدهرية، والمرجئة، الذين يسوقون من آيات القرآن الكريم ما يظنون أنه يوافق آرائهم ويخدم أهدافهم لا بالعكس، ثم إن الآيات القرآنية التي استدلت بها الشعوبية لم تُنزل لاحتقار العرب، بل هي لبيان الحال التي يجب أن تكون عليها أمة الإسلام من العرب والعجم فيما بينهم، وأن أصلهم الذي يرجعون إليه في الحقيقة واحد، والغرض من خلقهم جميعاً، وما يؤول إليه أمرهم جميعاً في الدنيا والآخرة واحد، ومعلوم أن الآيات القرآنية التي زعم الشعوبيون أنها أدلة لهم على ما ذهبوا إليه من ذم العرب واحتقارهم لا دليل لهم فيها، بل يصدق عليهم في تأويلهم الفاسد قول الحق تبارك وتعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]، وقد خالفوا فيها كل منقول ومعقول عن السلف الصالح.

### المبحث الخامس

#### العروبية وبيان فضل العرب

##### □ العروبية:

قبل الحديث عن فضل العرب ومكانتهم، أشير هنا إلى حركة تمييز مضادة للشعوبية أسهمت أيضاً في إذكاء نار النزعة الشعوبية، وإشعالها في أوساط غير العرب، وهي ما يسمى بالعروبية، وهي حركة خبيثة متتنة ينذر أن يشار إليها وتقوم على التعصب للعرب، ظهرت بوادرها في وقت مبكر مع بداية ظهور الإسلام، وحرص رسول الله ﷺ على إخمادها في مهدها،

وحذر منها، وأمر بتركها لما سمع بيوادرها بين الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، لما قال أحدهم: يا للمهاجرين، وقال الآخر: يا للأنصار، فقال ﷺ: «أبدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم، دعوها فإنها منتنة»<sup>(١)</sup>، وقال لأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنك امرؤ فيك جاهلية»<sup>(٢)</sup>، لما قال لرجل: «يا ابن السوداء»، وهذه شهادة سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام وخبره أنها من دعوى الجاهلية، ولا تزال في الأمة حتى قرب قيام الساعة، ومن مظاهرها الفخر في الأنساب والطعن في الأحساب<sup>(٣)</sup>.

خمدت نار العروبية والتعصب للجنس العربي زمن قوة وتماسك المجتمع الإسلامي والخلافة الراشدة خلافة النبوة، لكن الشعوبية دعاة الفتنة نفخوا في رمادها وأحيوا جذوتها بطريقة خبيثة تنظلي على الذين لم يخالط الإيمان بشاشة قلوبهم، فأثاروا فيهم حمية الجاهلية فصاروا إلى تمجيد العرب بالحق والباطل وغلوا في هذا الباب، يدفعهم ظاهراً وباطناً الشعوبيون؛ لإظهار العرب بصورة المتعصبين لأبناء جنسهم وجلدتهم، فيتمسك العجم بالشعوبية وينتصرون لها مقابل العروبية التي تأكدت لديهم

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية، برقم ٣٣٣٠، وتفسير ابن كثير، سورة آل عمران، الآية ١٠٣، ١٠٣/٢، ٧٤ ط دار الشعب.

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري، ١٧٣/٥، ١٧٤، برقم ٢٥٤٥، وأطرافه وتخريجه في الفتح، ١٧٤/٥.

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله، ص ٣٩٧ - ٣٩٨، نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية، الرياض.

بمثل هذه الأساليب الخبيثة، ووجود طائفة من جهلة المسلمين العرب وأصحاب المآرب الأخرى، مثل: الثأر، وطلب الزعامة، والسعي لمكاسب دنيوية، كانوا سبباً في تثبيت دعائمها في الأمة، ولم تزل العروبية تثور وتخبوا على مر التاريخ الإسلامي، وفي العصر الحديث يمكن اعتبار دعوى القومية العربية امتداداً تسلسلياً لها على قاعدة لكل قوم وارث، ولما كان البحث في الشعوبية ناسب أن تذكر العروبية؛ إشارةً لخطرهما أيضاً على وحدة الأمة الإسلامية، وأنها معول هدم لا يقام عليها مجد ولا عز.

### □ بيان فضل العرب:

من أعظم ما من الله به على الأمة العربية أن جعل منها وفيها خاتم الأنبياء والمرسلين وسيد ولد آدم أجمعين، لقوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر»<sup>(١)</sup>، ولقوله ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»<sup>(٢)</sup>، ولقوله ﷺ: «الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم، والناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»<sup>(٣)</sup>، «والذي عليه اعتقاد أهل السنة

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، برقم (٣١٤٨)، ٥/٢٨٨، وكتاب المناقب برقم (٣٦١٥).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل النبي ﷺ، برقم ٢٢٧٦، وسنن الترمذي،

كتاب المناقب، باب فضل النبي ﷺ، برقم ٣٦٠٥، بتحقيق أحمد شاکر، ٥/٥٤٤،

الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٨هـ.

(٣) صحيح البخاري، مع فتح الباري، كتاب المناقب، باب قوله تعالى في الحجرات الآية

والجماعة أن جنس العرب أفضل من جنس العجم، وأن قريشاً أفضل العرب، وأن بني هاشم أفضل قريش، وأن رسول الله ﷺ أفضل بني هاشم، فهو أفضل الخلق أجمعين، وأشرفهم نسباً وحسباً، وعلى ذلك درج السلف والخلف»<sup>(١)</sup>.

وإذا علمت هذا، فاعلم أن الذي يرجع إليه ويعول عليه الفضل والشرف، هو الكسب الذي يورث العلم، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، ويقود إلى تقوى الله ومخافته، وهو الفضل الحقيقي، لا مجرد الشرف الذاتي الذي هو شرف النسب، ومن الجهل الواضح الذي يورث الغرور والحمق الفاضح أن يفتخر أحد من العرب على أحد من العجم بمجرد نسبه أو حسبه، ومن فعل ذلك فإنه مخطئ جاهل مغرور، فهذا الإمام محمد بن إسماعيل البخاري بلغ من الفضل المقصود ما لم يبلغه أحد من العرب من أقرانه وأهل زمانه ومن كان بعدهم من أهل العلم والفضل، ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء، وبهذا يتضح أن من قال من أهل العلم بتفضيل العرب إنما هو بضميمةٍ أخرى، وهي التقوى أما مجرد النسب فلا يفضل به أحد.

ومن فضل الله على العرب أن أناط بالمسلمين العرب مسؤولية تبليغ رسالة الإسلام الخالدة، فكانوا مادة الإسلام ومدده، فتح الله بهم قلوب

١٣، برقم ٣٤٩٥، ج ٦/٥٢٦.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٢٠٧.

العباد والبلاد، فدخل الناس في دين الله أفواجاً بسببهم وعلى أيديهم، وما حصل لهم من الخيرية بالإسلام عملاً به ودعوة إليه، جعلهم أمة قدوة، وكان العرب يتحلون بأخلاق كريمة وخصال عظيمة، أتمها الله بالإسلام، ففي الحديث: «خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»<sup>(١)</sup>، ومن فضل الله أن جعل الخلافة والإمامة فيهم وخص بها قريشاً، والناس تبعٌ لهم، فقال ﷺ: «الأئمة من قريش»<sup>(٢)</sup>، وقريش أوسط العرب كما هو معلوم من الآثار الواردة في شأن العرب وفضلهم، فما كان للعرب من الفضل والعزة والإكرام، فبسبب الإسلام؛ لما هو معروف من حالهم قبل ذلك، فإنهم كانوا أمة أمية، أعزها الله بهذا الدين، ومن طلب العزة بغيره ذل<sup>(٣)</sup>، وما أشرت إليه في هذا المبحث من فضائل العرب هو لبيان معتقد أهل السنة والجماعة في مقابل معتقد المخالفين لهم وعلى رأسهم الشعوبية، وما ثبت من الفضل والإكرام للعرب، يثبت لمن كان كذلك، ويتكلم بالعربية، وإن كان أصله فارسياً، ويتتفي ذلك الفضل عمن لم يكن كذلك، وإن كان من العرب الأقحاح، وإن كان أصله من بني هاشم، فالعبرة عندنا بعربية اللسان، وولائه للإسلام.

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى في الحجرات الآية

١٣، رقم ٣٤٩٥، ج ٦، ص ٥٢٦.

(٢) الحديث في مسند الطيالسي، برقم ٩٢٦، عن أبي برزة، وبرقم ٢١٣٣، عن انس، ط دار

المعرفة: بيروت، وانظر: هامش ٢٨، العواصم، ص ٦١.

(٣) انظر: هامش ٢٨ العواصم ص ٦١.

## الفصل الثاني

### أبرز آثار الشعوبية في المجتمع الإسلامي

ويشتمل على خمسة مباحث:

- ✿ المبحث الأول: الشعوبية وأثرها في اللغة العربية.
- ✿ المبحث الثاني: الشعوبية وأثرها في نشأة الفرق المنتسبة للإسلام.
- ✿ المبحث الثالث: تحالف الشعوبية مع أعداء الإسلام.
- ✿ المبحث الرابع: الشعوبية وأثرها في نشر الإلحاد في المجتمع الإسلامي.
- ✿ المبحث الخامس: الحكم على الشعوبية.

#### المبحث الأول

##### الشعوبية وأثرها على اللغة العربية

مما لا شك فيه أن الشعوبية سلكت سبلاً عديدة بين ظاهر ومستور، وكلها لها أثرها وخطرها، فهي تريد أن تربك العقائد وتخلط وتشوه المفاهيم الإسلامية؛ لتزعزع المجتمع، فدخلت تارة باسم العقل والمنطق لتأويل معاني النصوص الشرعية، وقلب المفاهيم الإسلامية، بتأويلات تخرجها عن معانيها الصحيحة إلى مفاهيم غريبة بعيدة عن الإسلام<sup>(١)</sup>،

(١) انظر: الشعوبية المعاصرة، جهاد الفاضل، ص ١٦.

فكانت الشعوبية امتحاناً قوياً للعقيدة الإسلامية في قلوب الفرس، وفي هذا يقول الجاحظ: «وربما كانت العداوة من جهة العصبية، فإن عامة من ارتاب في الإسلام إنما كان ذلك رأي الشعوبية والتمادي وطول الجدل المؤدي إلى القتال، فإذا أبغض شيئاً أبغض أهله، وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة، فلا تزال تلك الحالات تنتقل به حتى ينسلخ عن الإسلام، إذا كانت العرب هي التي جاءت به وكانوا السلف»<sup>(١)</sup>. بمثل هذا الفهم الذي أشار إليه الجاحظ هاجمت الشعوبية اللغة العربية هجوماً مركزاً، مستخدمة مختلف الأساليب؛ لأن العربية أصبحت لغة الدولة الإسلامية الاجتماعية والسياسية والثقافية، فقامت الشعوبية بإظهار مزايا اللغات الأخرى، وبخاصة الفارسية، فبدأ إبراز الأدب الشعبي الفارسي، فاشتهر العديد من الأدباء الشعبيين الذين مجدوا تراث المجوس ودولتهم، وتفاخروا به على العرب، بل وأظهروا السخرية من الجنس العربي ونشروا مثالب العرب وخطوا من قدرهم، وكانت روح الاستعلاء جلية عند هؤلاء الأدباء الفرس، ومنهم على سبيل المثال: مهيار الديلمي<sup>(٢)</sup>، الذي ألف كتاباً مشهوراً أسماه

(١) البيان والتبيين، ٣/ ١٤.

(٢) مهيار بن مزرويه الديلمي، كاتب وشاعر فارسي، كان مجوسياً فاسلم، ويقال إن إسلامه كان على يد الشريف الرضي، توفي سنة ٤٢٨هـ، ولكن وصفه للنار وتعظيمه لها يظهر ميله إلى دينه القديم، نقلاً عن كتاب الشعوبية والأدب، خليل جفال، ص ٢٧٥، ط: ١، بيروت: دار النضال، ١٩٨٦م.

(الشاهنامه)<sup>(١)</sup>، وهذا الكتاب من أهم أدبيات الشعوبية قديماً وحديثاً، ومن شعره الذي يتفاخر بأبائه عبّاد الأوثان ويرفعهم فوق كل الناس ويرى أن لا يدانيهم أحد قوله:

|                            |                               |
|----------------------------|-------------------------------|
| أنا من يرضيك عند النسبِ    | لا تخالي نسباً يخفضني         |
| ومشوا فوق رؤوسِ الشُّهْبِ  | قومي استولوا على الدَّهرِ فتى |
| وبنوا أبياتهم في الشُّهْبِ | عمّموا بالشمسِ هاماتهم        |
| أين في الناس أباً مثل أبي  | وأبي كسرى على إيوانه          |

هكذا سخرت الشعوبية الأدب والأدباء لزرع بذور العنصرية والكرهية في نفوس العجم تجاه العرب خاصةً والإسلام عامة، وكان الشعر والأدب القصصي أهم وسائل نشر الفكر المستخدمة وأسهلها من ذلك اليوم وإلى اليوم، وما نلمسه في هذا العصر من الصدود عن اللغة العربية، والخجل من التحدث بها، وعدم الرغبة في تعلمها، واستخدامها لغة خطاب في المحافل والمناسبات، والسخرية ممن يتكلم باللغة العربية الفصحى، أو يدعوا للحفاظ عليها = هو من ثمار الشعوبية.

وبرزت محاولات جادة لخلط العربية بلغات أخرى، وإدخال كلمات

(١) الشاهنامه: تعني ملك الكتب، وطبع بترجمة الفتح بن علي البنداري، بتحقيق وتقديم د. عبد الوهاب عزام، من منشورات لجنة التأليف والترجمة: القاهرة، ١٩٣٢م، وجلّه وضع في شتم العرب، ويمتدح فيه محاولة كسرى فارس قتل سفير رسول الله ﷺ، الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة السهمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وعبارات غير عربية، واستعمالها بديلاً عن ما يرادفها من العربية، ومحاولة إحلال اللهجات المحلية والعامية محلها، كل هذا وغيره كثير من ثمرات الشعوبية الخبيثة ضد لغة القرآن والإسلام، وإن ما يعرف بمشروع الحداثة في هذا العصر، يمكن أن يقال في شأنه إنه خلاصة سموم هذا الفكر الشعبي الإلحادي وامتداداً للماسونية والعلمانية والليبرالية والماركسية الشيوعية والرافضة والباطنية والصوفية وغيرها من الأفكار التي يجمعها ويوحدها الإلحاد ومحاربة الإسلام والمسلمين في كل زمان ومكان، وإن الدعوات القائمة على هدم ميراث الأمة، من الهجوم على القرآن الكريم والسنة النبوية وتاريخ الأمة كاملاً، ومحاولة نقض الأدب الإسلامي أو إفساده وهدم العمود الشعري، وتمجيد الطلاسم الشعرية التي تفوح منها رائحة الباطنية التتنة، والدعوة للمجون والتحلل من القيم الإسلامية، والدفع إلى إحياء الوثنيات والأساطير واستخدام اللغة العربية بأساليب وتراكيب غريبة عجيبة لم تكن معروفة عند العرب في صدر الإسلام، ولم تخطر لهم على بال، وهم العرب الأقحاح، أهل اللغة والبيان، كل هذا من ثمرات الشعوبية الحاقدة على أمة الإسلام.

## المبحث الثاني

### الشعوبية وأثرها في نشأة الفرق المنتسبة للإسلام

الحديث عن أثر الشعوبية في الفرق المنتسبة للإسلام أمر لا بُدَّ منه في زماننا هذا، وفي مثل هذا البحث؛ لأن قادة هذه الحركة الشعوبية في صدر

الإسلام وحتى هذا اليوم هم من أبناء المجوس الفرس، ومن مال معهم من أنصار الشعوبية الحاقدة من الأمم والأجناس الأخرى، وكل العلماء الذين عرفوا الشعوبية قديماً وحديثاً يُجمعون على كرهها للعرب المسلمين الأوائل، وأنها تسعى لتقويض الدولة الإسلامية، وإقامة دولة عالمية للمجوس مقامها، وأشير هنا إلى أثر الشعوبية في أفكار وعقائد بعض الفرق والطوائف المنتسبة للإسلام بشيء من الاختصار، وعرض بعض الأمثلة؛ لبيان تأثير الشعوبية في تلك الفرق وما شابهها.

فمن البداية قامت حركات معادية للعروبة والإسلام في محاولات لتقويض هذا الصرح بشتى الوسائل وأول نجاح لتلك المخططات كان من أولئك نفر الذين تأمروا لاغتيال الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الذي قوض إمبراطوريتهم ومزقها، فكانت المؤامرة من قبل المجوس واليهود والنصارى وبعض الوثنيين، ونفذت بيد أبي لؤلؤة المجوسي الذي يعظمه ويحتفل الرافضة به إلى اليوم، والرافضة تأتي على رأس الفرق التي بُنيت قواعدها على الشعوبية والغلو المزعوم في أهل بيت النبوة ودعوى الولاء لهم، وسب وبغض وتكفير معظم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، والقول بالنص والوصية المزعومة بالإمامة للأئمة المعصومين، والقول بالرجعة وغيرها من العقائد التي ترجع في حقيقتها إلى ديانات سابقة، كما شهد بذلك علماءهم. يقول النوبختي: «وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم، ووالى علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن

نون بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه المقالة، فقال في إسلامه وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله في علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بمثل ذلك في علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفه، فمن هناك قال من خالف الشيعة أن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية، ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بالمدائن قال للذي نعاه: كذبت لو جئتنا بدماعه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض»<sup>(١)</sup>، وأقول: هذا نص ينقله أحد علماء الرفض من القرن الثالث الهجري، عن جماعة من أهل العلم من أصحاب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكونهم جماعة لا يتواطؤون على الكذب، وأهل علم ينفي عنهم الجهل، ومن أصحاب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تنفي عنهم العداوة والتحامل على أمير المؤمنين وشيعته، نقلوا لنا أصل مقالة الرفض، وأن أول من شهر القول بها لدعوى الوصية والإمامة وما تبعها في المقالة هو ابن سبأ اليهودي، وهذه شهادة جلية في بيان أثر الشعوبية في نشأة الفرق التي تعاني منها الأمة إلى يومنا هذا.

وقد عمل الشعوبيون على نشر فكر حركتهم في أوساط العامة والجهال، وقصدوا ضرب العروبة والإسلام والطعن على رجالات الإسلام البارزين، وهم من العرب الخُلص، فقاد الأعاجم واليهود هذه الحركة وألصقوا في آل بيت النبوة ما ليس فيهم، من الأمور الشركية، والبدع، والكذب، وهم براء

(١) فرق الشيعة، للحسن النوبختي، ص ٢٢ - ٢٣ دار الأضواء: بيروت، ط الثانية ١٤٠٤ هـ.

منه براءة الذئب من دم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وللأسف لكثرة كذبهم، وطول الزمن، وجهل كثير من عوام المسلمين بتلك الدسائس المكذوبة على أهل بيت النبوة؛ صدّق بعضهم دعوى عبد الله بن سبأ اليهودي التي قامت على الوصية بالإمامة لأمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والتي تأسست عليها عقائد الرافضة الأخرى من الطعن في الصحابة، وعلى رأسهم الثلاثة الخلفاء من قبله، ثم تكفير الصحابة رضوان الله عليهم لعدم تنفيذ وصية النبي ﷺ، هكذا زعموا ورتبوا العداة للمسلمين العرب على هذا ثم غلا هؤلاء حتى وصلوا للدعوى ألوهية أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم تقديس أشخاص من أهل البيت -الأئمة الاثني عشر- ووصفهم بأوصاف الرب، في محاولة جادة لإدخال بعض معتقدات أبناء فارس المجوس والوثنيين في ملوكهم وأبناء ملوكهم، وأن دماءهم غير دماء بقية البشر، لتكون عند أهل الإسلام في آل البيت في تربتهم وطينتهم، بل وتفضيل التراب الفارسي على غيره، يقول ابن العربي المالكي: «ولما قامت دولة العباسيين قالت العباسية: هو أبو النبي ﷺ، وأولاهم بالتقديم بعده، وطوّلوا في ذلك من الكلام ما لا معنى لذكره؛ لدنائه، ورووا أحاديث لا يحل لنا أن نذكرها لعظيم الافتراء فيها، وأكثر المُلحدة على التعلق بأهل البيت، وتقدمة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، على جميع الخلق، حتى أن الرافضة انقسمت إلى عشرين فرقة أعظمهم بأساً من يقول: إن علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الله، والغرابية يقولون: إنه رسول الله لكن جبريل عدل بالرسالة عنه إلى محمد ﷺ، حمية منه معه، في كفر بارد لا تسخنه إلا حرارة السيوف، فأما دفء المناظرة فلا

يؤثر فيه»<sup>(١)</sup>.

وفي بيان دور السبئية في التآليب على أمير المؤمنين وثالث الخلفاء الراشدين ذي النورين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول الإمام الطبري: «ولما نظم السبائيون حركة الإشاعات، وصاروا يرسلون الكتب من كل مصر إلى الأمصار الأخرى، بالأخبار الكاذبة = أشار الصحابة على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بأن يبعث رجالاً ممن يثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليه بحقيقة الحال، تناسى عثمان ما كان من عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأرسله إلى مصر والتف حوله السبائيون ليستميلوه إليهم، فتدارك عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعامله في مصر هذا الأمر، وجيء بعمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى المدينة مكرماً»<sup>(٢)</sup>، وعاتبه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قدم عليه فقال له على ما رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق: «يا أبا اليقظان قذفت ابن أبي لهب أن قذفك.... وغضبت علي أن أخذت لك بحقك وله بحقه، اللهم قد وهبت ما بيني وبين أمتي من مظلمة، اللهم إني متقرب إليك بإقامة حدودك في كل أحد ولا أبالي، اخرج عني يا عمار»<sup>(٣)</sup>، ثم تولدت

(١) العواصم من القواصم، بتحقيق محب الدين الخطيب، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ ط ١، دار الكتب السلفية: مصر، ١٤٠٥ هـ.

(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٩٩.

(٣) انظر: تاريخ الطبري، ج ٧ ص ٤٢٩.

(٤) يقول شيخ الإسلام في بيان ما كان بين عثمان ٧، ومن تكلم فيه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين: «وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل من كل من تكلم فيه، هو أفضل من ابن مسعود، وعمار، وأبي ذر، ومن غيرهم من وجوه كثيرة كما ثبت ذلك بالدلائل، فليس =

عن الرفض طوائف الباطنية، وكل من أراد أن يكيّد للإسلام أظهر الرفض وتستر بدعوى حب أهل البيت.

من هذه النصوص وغيرها يتبين كيف تغلّغت الشعوبية وأثارت حفاظ نفوس بعض الرعيل الأول، وزرعت بذور الفتنة فيما بينهم، واستمر المخطط ومن أيام الخلافة الراشدة إلى زمن الدولة البويهية في القرن الرابع الهجري الذين أسسوا للدولة الرفض في بلاد فارس وما حولها، وقد سطر لنا التاريخ ما أحدثه تحالف نصير الدين الطوسي وابن العلقمي مع هولاء المغولي، وما أحدثه من قتل الخليفة وخاصة رجاله وعامة المسلمين، وتدمير البلاد ونشر الفساد بطريقة تدل على حقد عظيم على الإسلام والمسلمين<sup>(١)</sup>، ثم يذكر علي شريعتي<sup>(٢)</sup> تحالفاً آخر من قبل الدولة الصفوية لا يقل عن الذي ذكر، فيقول: «من القضايا الواضحة وجود نحو ارتباط بين الصفوية والمسيحية حيث تضامن الاثنان لمواجهة الإمبراطورية الإسلامية العظمى التي كان لها حضور فاعل على الصعيد الدولي إبان الحكم العثماني، وشكلت خطراً جدياً على

جعل كلام المفضول قادحاً في الفاضل بأولى من العكس»، ينظر منهاج السنة النبوية، ط: دار الكتب العلمية: بيروت، ج ٣ ص ١٩٢ - ١٩٣. أقول: وإن قال أحدهما للأخر ما قال: (فكلاهما من أهل الجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا).

(١) انظر: البداية والنهاية، حوادث سنة ٦٥٦ هـ. ج ١٣/٢١٣ - ٢١٦، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ.

(٢) علي شريعتي، فيلسوف من الرافضة المعاصرين، كان مع الشاه ثم اختلف معهم، فسجن مرات، وجد مقتولاً في شقته قبل الثورة بعامين، في لندن، ١٩٧٧ م.

أوروبا، فعمدوا إلى تقريب التشيع من المسيحية حتى يُتيقن بأن كلب المسيحي الإفرنجي أظهر من السنة»<sup>(١)</sup>، وهو تحالف مع أعداء الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم ضد الخلافة الإسلامية، وعمل جاد لإسقاط الخلافة والأمة الإسلامية، وقد تحقق في عصرنا هذا أن تحالفت دولة آيات العجم في إيران مع الأعداء ضد الأمة الإسلامية وأهل السنة، وعقدوا التحالفات المعلنة والسرية للتآمر على أهل السنة، في كل من لبنان والعراق وسوريا واليمن وغيرها؛ لإسقاط حكومات أهل السنة في البلاد العربية الإسلامية.

وأسسوا الحركات والأحزاب الرافضية التي تعلن الولاء لدولة إيران بكل وضوح وجلاء، وتسعى لإسقاط حكامها وتحقيق الحلم الذي تسعى لتحقيقه حكومة إيران الشعبوية الرافضية فقاموا بتأسيس حزب الله اللبناني بزعامه حسن نصر الله، وكذلك حزب الله في الحجاز بزعامه هاشم الشخص، ورفع شعار تحرير الحرمين الشريفين، وهكذا فعل كل من حزب الله في الكويت بزعامه عباس ابن نخي، ومنظمة الثورة الإسلامية لتحرير الجزيرة العربية بزعامه حسن الصفار، وجبهة الثورة الإسلامية لتحرير البحرين بزعامه هادي المدرسي، والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق بزعامه محمد باقر الحكيم<sup>(٢)</sup>، هذه الحركات والأحزاب تعمل على تحقيق هدف الشعبوية الفارسية في المنطقة بكل جد وولاء وإخلاص.

(١) التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ص ٢٠٦.

(٢) انظر: حزب الله اللبناني في الميزان، ص ٥٦.

## □ أثر الشعوبية في الفرق الباطنية:

إن أثر الشعوبية في وجود الفرق الباطنية يظهر جلياً من البداية، يقول الغزالي: «مما تطابق عليه نقلة المقالات قاطبة أن هذه الدعوة لم يفتتحها منتسب إلى ملة ولا معتقد لنحلة معتضد بنبوة، فإن مساقها ينقاد إلى الانسلاخ من الدين كانسلاخ الشعرة من العجين، ولكن تشاور جماعة من المجوس، والمزدكية، وشرذمة من الثنوية الملحدين، وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين، وضربوا سهام الرأي في استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابههم من استيلاء أهل الدين، وينفس عنهم كربة ما دهاهم من أمر المسلمين، حتى أخرجوا ألسنتهم عن النطق بما هو معتقد منهم من إنكار الصانع وتكذيب الرسل، وجحد الحشر والنشر، والمعاد إلى الله في آخر الأمر»<sup>(١)</sup>، وعلى قاعدة: يكفي من الشر سماعه، وهروباً من التطويل في هذا البحث المختصر أكتفي بشهادة الغزالي، ونقله لإطباق علماء المقالات والفرق وشهادتهم على المؤسسين لقواعد فكر الباطنية، وأنهم أخلاط من الشعوبيين الحاقدين تذرّوا بالرفض وأبطنوا الكفر المحض، وما قام به الباطنية من فظائع القتل والتنكيل، وغزوهم الكعبة وقتلهم الحجيج يوم التروية، وتدنيهم للبيت الحرام واقتلاعهم للحجر الأسود، ومحاولة صدهم الناس عن البيت الحرام مروراً بما عُرف عنهم من السخرية بأركان

(١) فضائح الباطنية، للغزالي. تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي ص ١٨، مؤسسة دار الكتب

الإسلام، واستبدلهم القرآن الكريم بكتب سرية تخدم أفكار الشعوبية، وتصرف الناس إلى طقوس وديانات يعظمها الشعوبيون، فإن لم يكن هذا، فالتشكيك بمفاهيم دين الإسلام وزعزعتها في نفوس المسلمين، أو حتى ينسلخوا من الدين بالكلية.

### المبحث الثالث

#### تحالف الشعوبية مع أعداء الإسلام

إن وجود الشعوبية في الأمة وتظاهروا بالإسلام لا مثيل له عند الأمم الأخرى، ويمكن أن يقال: إنهم صنف من أصناف المنافقين، فالخلاف في الأمم السابقة يكون سياسياً أو مذهبياً واضحاً، أما الشعوبية في الأمة الإسلامية فإنها تسعى للتخريب من الداخل وباسم الدين، وهذا خطر خفي لا يتنبه له كثير من الناس، خاصة وهم يستعملون نصوص القرآن والسنة لتشويه الإسلام وقلب مفاهيمه رأساً على عقب، فإذا سنحت لهم الفرصة لا يترددون في عقد أي تحالف مع أعداء المسلمين للانقضاض على الأمة، ومن شواهد التاريخ التي لا تنسى تحالف المجوسي الشعوبية الرافضة الحاقدة، نصير الدين الطوسي - بل نصير الكفر - وابن العلقمي مع هولاء التتري ضد الأمة الإسلامية وخليفة المسلمين في وقته، يقول ابن القيم: «وهل عاثت سيوف المشركين من عبادة الأصنام من عسكر هولاء وذريته إلا من تحت رؤوسهم؟ وهل عطلت المساجد وحُرقت المصاحف وقُتل علماء المسلمين

إلا بسببهم؟»<sup>(١)</sup>، وما أشبه الليلة بالبارحة، ففي العصر الحديث تحالفت حركات وطوائف نشأت في أحضان المستعمر، وتحت رعايته وعنايته، ويظهر من أفكارهم وما يدعون إليه التطابق شبه التام مع الشعوبية القديمة، مما يؤكد وحدة الفكر والهدف واستمراره، وأنه لم يتغير عبر التاريخ.

وشاهد ذلك ما وثق من المعاهدات والاتفاقات المبرمة بين كل من: الإمامية، والقاديانية، والبهائية، والأخاينية، وبين المستعمر الغربي، وهو أعظم شاهد على أن الشعوبية مع كل عدو ضد الإسلام والعرب، فالدول الغربية ما زالت ترعى وتحفظ هذه الطوائف والجماعات، ومراكزهم الكبرى في لندن، وباريس، ونيويورك، وفلسطين المحتلة، يرعاهم العدو المحتل<sup>(٢)</sup>، ليكونوا خناجر مسمومة في خاصرة الأمة الإسلامية والعربية، ولتقويض الدول الإسلامية العربية وسيطرة الدولة العالمية الفارسية الموعودة، وهذه شواهد في لبنان والعراق وسوريا وغيرها من المناطق الإسلامية العربية، فأحدثوا ما أطلقوا عليه اسم الربيع العربي، لم تر منه تلك الدول إلا المزيد من الفرقة والضياع والموت والدمار والخراب على مرأى ومسمع من العالم، وما زال هؤلاء حتى اليوم يتحالفون مع أعداء الأمة جهاراً نهاراً.

(١) مدارج السالكين، ج ١ ص ٧٢.

(٢) للاطلاع على تفاصيل علاقة هذه الطوائف الشعوبية الباطنية الملحدة بالعدو المستعمر ينظر الكتب الآتية: القاديانية، كتاب البهائية، كتاب الإسماعيلية تاريخ وعقائد، كلها

## المبحث الرابع

### الشعوبية وأثرها في نشر الإلحاد في المجتمع الإسلامي

الإلحاد في اللغة: الميل<sup>(١)</sup>، وفي الاصطلاح: يطلق على معنيين؛ الأول: إنكار وجود الخالق، والقول بأزلية المادة وأنها خالقة مخلوقة، والثاني: إثبات وجود خالق، أو صانع، أو آلهة، ولكنها لا تُعنى بشيء من حياة الخلق، فهي مُوجدة للخلق، لكنها تركت التصرف في الكون، وتفرغت في حياتها المثالية. والناظر في فكر الحركات والجماعات الإلحادية المعاصرة يرى بوضوح أثر الشعوبية فيها، بل أن أعداء الإسلام صنعوها في أثناء الاستعمار على أسس شعوبية عنصرية، تنتهي إلى الإلحاد وترسيخه في نفوس من يؤمن بها، مثال ذلك: القاديانية في الهند وما تفرع عنها من جماعات، والبهائية في إيران ثم العراق ثم فلسطين برعاية وعناية التاج البريطاني، وطائفية الأغاخانية ورثة فكر الباطنية النزارية، كلها حركات فاعلة في المنطقة الإسلامية برعاية وعناية الاستعمار الكفيل والراعي الدائم والسيد المطاع من قبل هذه الطوائف التي تدين له بالولاء والسمع والطاعة، وهي محسوبة على الأمة الإسلامية، والأعداء يعرفون هذه الطوائف ويعلمون يقيناً أنها مع كل عدو ضد الإسلام والمسلمين، بل إنهم يعدون هذه الطوائف لاستعمالها عند الحاجة لخدمتهم.

والإلحاد هدف من أهداف الشعوبية، التي تسعى لنشره في الأمة، وقد اتخذت وسائل متعددة لتحقيق الإلحاد في الأمة وتشويه العقائد في نفوس

(١) القاموس المحيط، (مادة ل ح د).

الناس، بدءاً بمعنى الألوهية وتحقيق العبودية لله عز وجل، وكان أسلوب التشكيك من أهم الوسائل التي اتبعها الشعوبيون في محاولة زعزعة العقيدة في قلوب المسلمين، إضافة إلى الطرق الخفية والجلية للوصول لهدفهم المنشود، فسيهم لا يتوقف للوصول لهذا الهدف. وباسم العقل وحرية التفكير ترجموا ونشروا كتب الديانات الأخرى والفلسفة، وهجموا على النصوص الشرعية في محاولة جادة لصرفها عن المعنى الإسلامي المراد، إلى مفاهيم غريبة وبعيدة عن الإسلام، مثال ذلك: إنكار وجود الباري عز وجل<sup>(١)</sup>.

ويوحّد بين الشعوبية والإلحاد الهدف؛ فلا تكاد تفرق بينها في هذا، فالشعوبية تدفع أصحابها إلى الإلحاد، والإلحاد يتخذ من الشعوبية وسيلة للوصول إلى غايته، فالصلة وثيقة بين الشعوبية والإلحاد، تتضح هذه الصلة من خلال قول الأصمعي<sup>(٢)</sup> في شأن البرامكة حماة الشعوبية:

إذا ذُكِرَ الشُّرْكُ في مجلسٍ      أضاءت وجوهُ بني برمكٍ  
وإن ذُكِرَتْ عندهم آيةٌ      أتوا بالأحاديثِ عن مزدك<sup>(٣)</sup>

(١) انظر: فضائح الباطنية للغزالي، ص ١٨ - ١٩، بتحقيق عبد الرحمن الوكيل، ط: مؤسسة دار الكتب الثقافية: الكويت.

(٢) عبد الملك بن قريب بن أصمع الباهلي، وأبو سعيد الأصمعي، راوية العرب، وأحد أئمة اللغة والأدب،... ولد بالبصرة سنة ١٢٢هـ، وتوفي بها ٢١٦هـ، انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط: ١، ٢/ ١١٢ - ١١٣، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٨٣، والأعلام ٤/ ٨٦٢.

(٣) انظر: المعارف، لابن قتيبة، ص ٣٨٢.

ولأن الشعوبية أيقنوا أن قوة المسلمين نابعة من التمسك بالإسلام والقرآن، حرصوا على نشر الإلحاد؛ لصرف المسلمين عن سر النصر والتمكين والقوة التي لا تقهر، بل هي أقوى من كل أسلحة الدمار التي بأيدي أعدائه، يقول وزير المستعمرات الفرنسي لما أخرج أهل الجزائر المستعمر الفرنسي: «وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟!»<sup>(١)</sup>، لهذا تحول أعداء الأمة الإسلامية إلى ما يسمى بالغزو الفكري، وللأسف؛ في هذا العصر وجدت أقلام كثيرة غير المستشرقين من اليهود والنصارى والملاحدة الغربيين، أصحابها من أبناء جلدتنا ويتكلمون باللسان العربي، بل أظهروا الإسلام، وفاحت من أفواههم ومن تحت أقلامهم رائحة الإلحاد والعداء للإسلام والمسلمين، وجندوا لخدمة أعداء الأمة من داخلها، وهؤلاء تتلمذوا على فكر الراوندية الذين ظهروا في زمن أبي جعفر المنصور بعد مقتل أبي مسلم الخراساني الشعبي، وما زال إلحاد ابن الراوندي يدرس في جامعات الغرب (السربون) وأمثالها، ويصنع فيها تحت مسمى كراسي إسلامية من المبتعثين العرب من يحمل لواء الإلحاد في هذا العصر لتبتلى به الأمة من جديد.

وهذه مجرد إشارة لالتقاء خط الإلحاد مع الشعوبية فيما ينطويان عليه من حقد شعوبي ضد الإسلام والعرب، والسعي لنسف الكيان الإسلامي عن طريق هدمه من الداخل.

(١) دمرُوا الإسلام وأبيدوا أهله، لجلال عالم، ط ٢، ١٣٩٥ هـ، ص ٥١.

## المبحث الخامس

### الحكم على الشعوبية

بين يدي كلام أهل العلم في الحكم على الشعوبية أشير إلى حكم أهل السنة على المخالف، ومسألة الحكم بالكفر من عدمه، وهي مسألة خطيرة وعظيمة، زلت أقدام كثير من أهل الأهواء والبدع عندها وعلى رأسهم الخوارج، وبها استحلت دماء المخالفين وأعراضهم وأموالهم.

ولو فهم كثير من الناس مسألة التكفير على وجهها الصحيح، لحفظت كثير من الدماء والأعراض والأموال، وأهل السنة في هذه المسألة وسط بين أهل الإفراط والتفريط، بين المرجئة الذين لا يكفرون أحد، والخوارج ومن وافقهم الذين كفروا المخالفين لهم، بل كفر بعضهم بعضاً، وأهل السنة كما بيّن الإمام الطحاوي: «لا يكفرون أحداً بذنب حتى يستحله»<sup>(١)</sup>، ويفرقون بين الفعل والفاعل والقول والقائل، فقد يكون القول أو الفعل كفراً، والقائل أو الفاعل ليس بكافر لمانع يمنع تكفيره، والشروط التي يحكم بها أهل السنة والجماعة تطبق على كل أحد، والشعوبيون يندرجون ضمن هؤلاء، فقد يكون عندهم نوع من الشعوبية ونزعة عنصرية، لكن لا تصل إلى حد الكفر، مع ما هم عليه من بدعة شنيعة وخطر عظيم.

أما مبادئ الشعوبية التي قامت عليها فهي كفر وإلحاد لا شك فيه، تتدرج

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٣٢، تحقيق د. عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط، ط:

مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ هـ. ومراده هنا رَحِمَهُ اللهُ كِبائر الذنوب (كالزنا وشرب الخمر).

بمن يؤمن بها حتى تخرجه من دائرة الإسلام بالكلية والعياذ بالله، وتحت عنوان (بغض العرب سبب لفراق الدين) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «... وهذا دليل على أن بغض جنس العرب ومعاداتهم كفر، أو سبب للكفر»<sup>(١)</sup>، وتحت عنوان (تفضيل العجم على العرب يرجع إلى نوع نفاق) يقول: «والغالب أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن نوع نفاق، إما في الاعتقاد وإما في العمل المنبعث عن هوى النفس».



(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٢٠٣.

## الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي أردت أن أشير من خلاله إلى المعنى الواسع للشعوبية، وأنها تتشكل في كل وقت حسب الظروف المحيطة، وكذلك تسلك الطرق المتاحة، وتلبس لكل زمن لباسه المناسب، وتسمح مع التيار عند الخوف من المخالفين، فهي فكر منافق خبيث يعمل ضد الأمة في كل المجالات المتاحة عبر العصور، ويجدد من أساليبه وطرقه، وهذا الفكر الشعبي ضارب في أعماق تاريخ الأمة وله جذوره، مما يوجب على أبناء الأمة الإسلامية الحذر واليقظة، والدفاع عن ثوابت هذا الدين وأصوله ومقوماته ومفاهيمه العظيمة، خاصة طلاب العلم الذين يحملون مسؤولية الذب عن الحق وإظهاره، وهتك ستر الباطل ودحره وكشف عواره، حتى لا يروج في هذا العصر بين أوساط الجهال من المسلمين، وينبغي أن يكون ذلك بأسلوب مختصر يؤدي الغرض المراد دون سامة أو ملل. وأشير هنا إلى أن الشعوبية دخلت في معظم المجالات العلمية والعملية، واستطاع الشعبويون استغلال المجال السياسي والثقافي والاجتماعي وغيرها؛ لنشر ما يرون من فكر، بل وجعلوه إرثاً مستمراً في التكوين الاجتماعي والثقافي بحيث يروج عند عامة الناس، ويكون مألوفاً لا ينكر، وكأنه من أصل تكوين الأمة الإسلامية العربية، كمجالس السمر، والسكر، والرقص، والولع بحب الغناء والجنس، والشذوذ، وغيرها، من الأمور الساقطة، التي يترفع المسلم الصادق عن مثلها. وأن كل مبحث من مباحث هذه الدراسة

يحتاج إلى توسع وبسط في دراسات علمية تخدمه من جميع الجوانب، أما هنا فمرادي الإشارة إلى تأثير هذه الجوانب والاتجاهات والطوائف بفكر الشعوبية، أو أنها هي من صنعت ذلك الفكر أو تولد عنها، وتبين أن الطوائف التي أشرت إليها - وهي قديمة أو معاصرة حديثة - جلها أنشئت من قبل أعداء الإسلام على قواعد وجذور الشعوبية التي أثبتت قدرتها واستمرارها على الولاء والطاعة لكل من يريد كيد الإسلام والأمة الإسلامية العربية.

وتأكد من خلال البحث أن جل المصائب التي نزلت على الأمة في هذا العصر إن لم تكن كلها من قبل الشعوبية؛ فإن لهم اليد الطولى في دعمها وتأبيدها، وأن من يزعم أن الشعوبية كانت ثم زالت، ولم يعد لها وجود، قد جانب الصواب ولم يعلم أن لكل قوم وارث.

وأسأل الله التوفيق والسداد والعفو عن الخلل والزلل، وأن يتقبل مني، ويحسن خاتمة القول والعمل.

## قائمة المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الإسلام والحضارة العربية، كرد علي، دار الكتب المصرية، ١٩٣٦ م.
- ٣- الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط: ٧، ١٩٩٠ م.
- ٤- اقتضاء الصراط المستقيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبد الحميد هندأوي، بيروت: المكتبة العصرية، ط: ١، ١٤٢٧ هـ.
- ٥- البداية والنهاية، ابن كثير، تدقيق وتحقيق أحمد أبو ملحّم ورفاقه، بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ٣، ١٤٠٧ هـ.
- ٦- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط: ١.
- ٧- البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مصر: مكتبة الخانجي، ١٩٧٥ م.
- ٨- تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ط: ٤، ١٩٩٠ م.
- ٩- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، محمد بن جرير الطبري، القاهرة: المطبعة الحسينية.
- ١٠- التشيع العلوي والتشيع الصفوي، علي شريعتي، ترجمة حيدر مجيد، تقديم إبراهيم الدسوقي، دار الأمير للثقافة والفنون.
- ١١- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، القاهرة: دار الشعب.
- ١٢- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله

ابن محمد بن عبد الوهاب، الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

١٣ - الجامع الصحيح، سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.

١٤ - الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢.

١٥ - الجذور التاريخية للشعبية، عبد العزيز الدوري، بيروت، ط٤، ١٩٨٦م.

١٦ - حزب الله اللبناني في الميزان، علي نايف الشحود، الموسوعة الشاملة.

١٧ - دمروا الإسلام وأبيدوا أهله، جلال عالم، ط: ٢، ١٣٩٥هـ.

١٨ - سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤٠٨هـ.

١٩ - سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: ٧، ١٤١٠هـ.

٢٠ - شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق د. عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ.

٢١ - الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، عبد الله سلوم السامرائي، بغداد: المؤسسة العراقية للدعاية والنشر.

٢٢ - الشعوبية المعاصرة، جهاد الفاضل، طرابلس ليبيا: الدار العربية للكتاب، ١٤١٠هـ.

- ٢٣- الشعوبية والأدب، خليل إبراهيم جفال، بيروت: دار النضال، ط: ١، ١٩٦٨م.
- ٢٤- الشعوبية ودورها التخريبي في مجال العقيدة، حسن حميد الغرباوي، بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٣م.
- ٢٥- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، القاهرة: جمعية المكنز الإسلامي، ١٤٢١هـ.
- ٢٦- صحيح الترغيب والترهيب، الحافظ المنذري، تحقيق الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ.
- ٢٧- ضحى الإسلام، أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١، ١٩٣٤م.
- ٢٨- العواصم من القواصم، بتحقيق محب الدين الخطيب، مصر: دار الكتب السلفية، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- ٢٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، بيروت: دار الفكر.
- ٣٠- فرق الشيعة، الحسن النوبختي، بيروت: دار الأضواء، ط: ٢، ١٤٠٤هـ.
- ٣١- فضائح الباطنية، الغزالي. تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي، الكويت: مؤسسة دار الكتب الثقافية، ط: ١، ١٣٨٣هـ.
- ٣٢- الفهرست، ابن النديم، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.
- ٣٣- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: ٢، ١٤٠٧هـ.
- ٣٤- كتاب الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ، بيروت: دار الكتب

العلمية، ١٤٣٤هـ.

٣٥- لسان العرب، جمال الدين بن مكرم ابن منظور، بيروت: دار صادر.

٣٦- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، بيروت: دار الكتب العلمية،

ط١، ١٤٠٣هـ.

٣٧- مسند الطيالسي، أبو داود الطيالسي، بيروت: دار المعرفة.

٣٨- المعارف، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، تحقيق محمد بن إسماعيل

الصاوي، بيروت: ط: ٢.

٣٩- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، القاهرة: مكتبة

الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥.

٤٠- الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق عبد العزيز الوكيل،

بيروت: دار الفكر.

٤١- منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام ابن تيمية، بيروت: دار الكتب

العلمية.

٤٢- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة،

إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، الرياض: الندوة العالمية للشباب

الإسلامي، ط: ٤، ١٤٢٠هـ.

٤٣- ميزان الاعتدال، شمس الدين الذهبي، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٤٤- الوزراء والكتاب، محمد بن عبدوس الجهشياري، تحقيق مصطفى

السقا وآخرون، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٣٨م.

## فهرس المحتويات

|     |   |
|-----|---|
| ٥١٥ | ملخص البحث .....  |
| ٥١٨ | المقدمة .....   |
| ٥٢٦ | الفصل الأول: حقيقة الشعوبية وأصلها ونشأتها وشبهاتها .....               |
| ٥٢٦ | المبحث الأول تعريف الشعوبية في اللغة والاصطلاح .....                    |
| ٥٢٨ | المبحث الثاني: جذور الشعوبية وبداية ظهورها .....                        |
| ٥٣١ | المبحث الثالث: نشأة الشعوبية والأطوار التي مرت بها .....                |
| ٥٣٧ | المبحث الرابع: الشبهات التي دعم بها الشعوبية دعواهم .....               |
| ٥٣٩ | المبحث الخامس: العروبية وبيان فضل العرب .....                           |
| ٥٤٤ | الفصل الثاني: أبرز آثار الشعوبية في المجتمع الإسلامي .....              |
| ٥٤٤ | المبحث الأول: الشعوبية وأثرها على اللغة العربية .....                   |
| ٥٤٧ | المبحث الثاني: الشعوبية وأثرها في نشأة الفرق المنتسبة للإسلام ..        |
| ٥٥٥ | المبحث الثالث: تحالف الشعوبية مع أعداء الإسلام .....                    |
| ٥٥٧ | المبحث الرابع: الشعوبية وأثرها في نشر الإلحاد في المجتمع الإسلامي ..... |
| ٥٦٠ | المبحث الخامس الحكم على الشعوبية .....                                  |
| ٥٦٢ | الخاتمة .....   |
| ٥٦٤ | قائمة المصادر والمراجع .....  |
| ٥٦٨ | فهرس المحتويات .....  |



# Contents

|   |     |
|---|-----|
| ❁ <i>The Differences between Polytheism, Disbelief, Hypocrisy and Great Sins</i><br>Dr. Ahmed Sardar Muhammad Shaykh.....                           | 13  |
| ❁ <i>Good and Evil Omens - their Faulty Explanations and Applications - a Theological Study</i><br>Dr. Tariq bin Sa'id bin Abdillah al-Qahtani..... | 137 |
| ❁ <i>The Belief in the Basin</i><br>Dr. Muhammad Tayqmonin.....   | 263 |
| ❁ <i>The Methodological Foundations of the Sufi Orders</i><br>Dr. Sulayman bin Safiyyah.....  | 339 |
| ❁ <i>An Analytical Study of: Shia Songs</i><br>Dr. Nada bint Hamzah Khiyat.....   | 425 |
| ❁ <i>Shu'ubiyyah, its Origin, Development and Influence on the Islamic Nation</i><br>Dr. Jazi bin Bakhit al-Juhani.....                             | 513 |

Material published in  
the Journal expresses  
the opinions of its  
author(s).

JOURNAL OF  
THEOLOGICAL STUDIES

**Editorial Board**

**Editor in Chief:**

*Prof. Saleh Mohammed Al-Aqil*

**Managing Editor:**

*Dr. Bader Muqbil Al-Dhafeeri*

**Editors:**

*Prof. Yousef Mohammed Al-Saeed*

*Prof. Abdulqader Mohammad Ata Soufi*

*Prof. Sami Ali Mohammed Al-Qaliti*

*Dr. Mohammed BaKarim Mohammed BaAbdullah*

**Journal Secretary:**

*Gazmend Omar Mehmeti*

*G. Header: size 12 font bold*

*H. Title: size 18 font bold*

*I. Subtitles: size 16 font bold*

13. *Three copies of the final draft must be submitted: two on separate CDs in addition to one hard copy.*
14. *The Journal does not guarantee that any manuscript, accepted for publication or not, will be returned to its author.*
15. *The author shall be given three copies of the issue in which his research is published as well as fifteen offprints.*

## *Publishing Guidelines:*

*Material submitted for publication in the Journal must adhere to the following guidelines:*

- 1. It cannot have been published or submitted for publication elsewhere.*
- 2. The material must be exclusively for the Journal.*
- 3. It must be original, unique, and contribute to knowledge.*
- 4. It must adhere to the standards and methodology of academic research and be written in Arabic.*
- 5. The research must be within the scope of the Journal's specialty.*
- 6. The material submitted cannot be part of prior published research, or a section of one's thesis or dissertation.*
- 7. The manuscript must be typed and submitted on a CD.*
- 8. The manuscript should not be more than one hundred (100) pages or less than ten (10). However, the editorial board reserves the right to make exceptions where necessary.*
- 9. An abstract not exceeding half a page should precede the article.*
- 10. The manuscript should be accompanied by a brief biography of the author, stating his or her occupation, contact information, and most important academic works.*
- 11. The author must submit five copies of the manuscript.*
- 12. Manuscripts should be submitted using the following format:*
  - A. Microsoft Word XP or a similar program*
  - B. Lotus Linotype font*
  - C. Quranic verses should be written as follows:*

*﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]*
  - D. Page size: 12 x 20cm*
  - E. Text: size 16 font*
  - F. Footnotes: size 12 font*



## **About the Journal**

*The Journal of Theological Studies is a refereed, academic periodical published by the Saudi Academic Association for the Study of Theology, Religions, Sects, and Ideologies, which is under the supervision of the Islamic University of Madinah. The journal aims to publish research and academic studies specific to the fields of Islamic creed, comparative religion, heresiology, and ideological trends.*

*An expert board comprising several university professors is responsible for editing the journal. Manuscripts are accepted for publication following approval by two specialists. The journal was first published in Muharram 1430 (January 2009) with subsequent issues being published semiannually.*

## *Correspondence*

**All correspondence should be  
addressed to the managing editor:**

**Mobile: +966.55.253.4282**

**Phone: +966.14.847.1155**

**Fax: +966.14.847.3076**

**Email: [aqeedaamm@gmail.com](mailto:aqeedaamm@gmail.com)**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

All rights reserved  
for the Journal of  
Theological Studies

ISSN: 1658-516X



Kingdom of Saudi Arabia  
Ministry of Education  
Islamic University of Madinah  
Faculty of Islamic Preaching and Theology  
*Saudi Academic Association  
for the Study of  
Theology, Religions, Sects & Ideologies*



JOURNAL OF  
**THEOLOGICAL STUDIES**

A Refereed Academic Journal

Volume 9 • Number 18

Muharram 1438 - October 2016